

المجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912



مُصطفى الشاذلي

الجزء الثاني



الجيش المغربي
في القرن التاسع عشر
1830-1912

- العنوان : الجيش المغربي في القرن التاسع عشر (1830-1912)
- المؤلف : مصطفى الشابي
- عنوانه : قطاع 11، هـ 18، حي الرياض - الرباط.
الهاتف: 037 71 15 43
- الغلاف : من تصميم وإعداد عبد السلام العمراني
10، شارع اليمامة - الرباط
الهاتف: 037 26 38 28
- لوحة الغلاف : تمثل تقنيين فرنسيين وهم يسلمون إلى ممثلي السلطان مولاي عبد العزيز
مدافع خفيفة تحت مراقبة ضباط فرنسيين، وهي مأخوذة من مجلة:
L'Illustration الفرنسية تحت عدد 3102 بتاريخ 3 أكتوبر 1903.
- تاريخ الإصدار : الطبعة الأولى 2008 م.
- الحقوق : محفوظة للمؤلف
- الإيداع القانوني : 2007/0531
- رسمك : 9954 - 8776 - 0 - 6 - 6
- الطبع : المطبعة والوراقة الوطنية
- زفكة أبو عبيدة - الحي الحمدي، الداوديات - مراكش
- الهاتف : 024 30 37 74 / 024 30 25 91

الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830~1912

مُصطَفَى الشاذلي

الجزء الثاني

2008

طبع هذا الكتاب بدعم من الجمعية المغربية
للتأليف والنشر والترجمة

الباب الثاني

وظائف الجيش ومنجزاته

الفصل الرابع

الأعمال والخدمات

1) الجيش أداة لاستتباب الأمن الداخلي

1-1 ظاهرة الانتفاضات والتمردات في القرن التاسع عشر، وموقف المخزن منها

عرف المغرب، كما هو معلوم، عدداً من التمردات والانتفاضات الشعبية، ساهم في إيقاد نيرانها، وتأجيج لهيبها، ونشر فتيلها، أهل الحواضر والبوادي على السواء، رغم أن تلك التي اندلعت في بعض المدن كفاس ومراكش مثلاً، لم تكتس قط طابع الخطورة، وظلت محدودة في الزمان والمكان، على عكس ما تميزت به تلكم التي اهتزت لها جهات عريضة من البادية المغربية، بل البلاد برمتها، كما هو شأن حركة المغامر أحمد الريسوني في شمال المغرب، وفتنة الدعي الروكي بوحارة في منطقة شمال شرق البلاد والريف.

وتكمن وراء حدوث مثل هذه الرجعات الاجتماعية، أسباب سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ولذلك نلاحظ أنها لم تكن تهدف إلى تحقيق أهداف معينة تشكل قاسماً مشتركاً لها جميعاً، بل منها ما اقتصر أمره على مساعي شخص مغمور، لا سند ولا عصبية قوين له في وسطه القبلي، كحركة الجيلالي الروكي السفياي الذي لم يُعمر مغامرته سوى شهر ونصف فقط، ما بين بداية شهر رجب 1278 وأواسط شهر شعبان من نفس السنة، الموافق لشهر يناير وأواسط يبرابر من سنة 1862¹.

1- الناصري، أحمد بن خالد بن حماد السلوي: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954-1956، ج 9، ص. 108.

ويرجع تردّي الأوضاع المادية والاجتماعية لفئات عريضة من المجتمع المغربي، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الخصوص، وتدني مستوى عيشها، إلى تمكّن اقتصاد السوق، والمنتوج والنقد الأوربيين، ودسائس الدول الاستعمارية، من نسف التوازنات الهشة لاقتصاد بلد موسوم بالخصاصة، والقلّة، والعتاقة، الأمر الذي أدى إلى تقبل واستجابة العديد من القبائل إلى دعوات وحركات مشعوذين ومغامرين، كالروكيّ بوحمارة، أو شبيهه أحمد الريسوني¹.

ولقد عبّر عن وجهة النظر هذه، ولو بأسلوب جد ركيك، أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى، أحد وجهاء الوقت، وكبار التجار والملّاك وقتئذ، وهو بوبكر بن البشير الغنجاوي، في كتاب إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، سنة تقريباً بعد اندلاع ثورة قبيلة الرحامنة، في شهر محرم 1312/ الموافق لشهر يوليو 1894، حيث قال:

«... ها متحصل الكلم، وبالله عليك من كان غني في الحضر وفي البداية، وله مال، وتجرّت أو مشية، وفي لحة، احترمه إلا بالسلطان... وبسطوطيه

1- كان السلطان المولى الحسن، أياماً قلائل قبل وفاته، وبعد أن علم بدون شك باستفحال ظاهرة مديونية أفراد قبيلة دكالة، قواداً، وشيوخاً، وأعياناً وعامة القوم، قد كلف عامل الجديدة، محمد بن يحيى الجديدي، بإجراء بحث في الموضوع وموافاته بنتائجه. إلا أن هذا الأخير لم يتمكن من إنجاز ما طلب منه إلا بعد رحيل السلطان المذكور، وتولي المولى عبد العزيز الحكم بالبلاد، فوجه رسالة إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى يؤكد فيها فعلاً بأن:

«ما بلغ العلم الشريف من التحمل بزيادة الثلث حقاً فأكثر، إلى أن بلغ النصف، وفرار جل القبيلة من ذالك حقاً كذلك... وما سلم من تحمل الدين من هنا إلا البوعزيزي والحلديم الشوكي...».

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/ 17، وثيقة بتاريخ 2 صفر 1312 / 16 يونيو 1895.

يحفظ مله ورقته، ويدع للمخزان بخير، ومن كان مفلس ومعدم، ليراد إلا الفتنة والروعة... بذلك يجد سبيل لمعيشته...»¹.

طبعاً، إلى جانب هذه الأسباب وغيرها، كابتلاء البلاد، بين الفينة والأخرى، بجوائح وكوارث طبيعية، كالجفاف، والقحوط، والجراد، والأوبئة، لابد من ذكر جور واشتطاط القواد والشيوخ، وقواد الجيش والعسكر أنفسهم، في استعمال السلطة، وتسخيرها للإثراء الفاحش، على حساب بسطاء الناس وعامتهم. وكثيرة هي الأصداء التي نجدها في الوثائق حول هذه الظاهرة، وما كانت تتسبب فيه من نزاعات وتمردات.

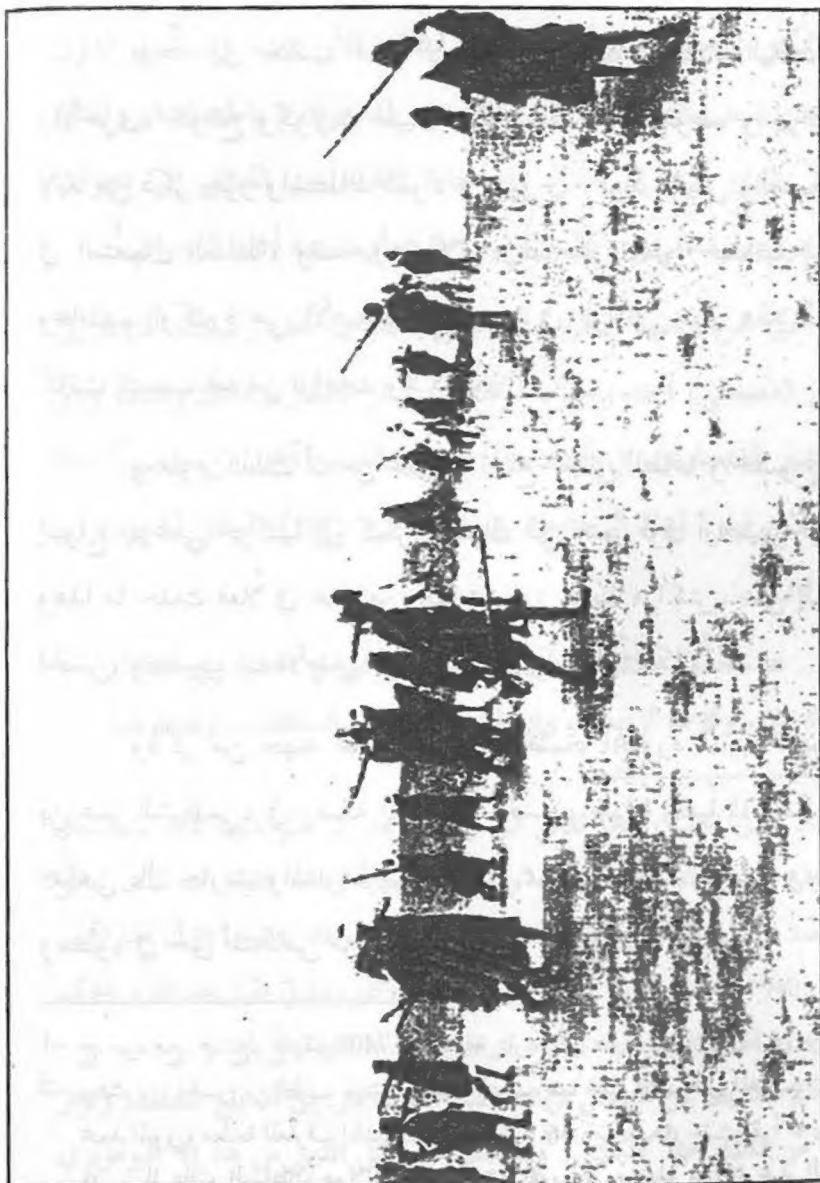
ومعلوم كذلك أن من علامات خلع القبائل للطاعة والخضوع إلى ولّاتها، إسراع مترعمي حركتها إلى كسر الأسواق التي تعتمر فوق أراضيها، أو قريباً منها. وهذا ما حدث فعلاً في عدد من جهات حوز مدينة مراكش، على إثر وفاة المولى الحسن، وتنصيب ابنه الأصغر المولى عبد العزيز سلطاناً مكانه².

وذكر من جهته عامل قبيلة الشياظمة، المجاورة لمدينة الصويرة، سعيد بن عمر الشيطمي، في رسالة إلى المولى الحسن، جواباً ونقياً لما تُسبب إلى أعضاء جماعتي عال حارث والمدارعة من إخوانه، مما اقترفوه من ضرب، وجرح، ونهب وسطو، في حق أشخاص من «عال الصويرة مرامر»، ما يلي:

1- خ. س، مج. م. ع. ع رقم 409/17، وثيقة بتاريخ 22 ذي الحجة 1312/16 يونيو 1895.

2- بوعشرين، الحسن بن الطيب بليمي: التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب، تقدم وتصحيح محمد المنوني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص. 46 وما بعدها، حيث نقرأ ما يلي: «... لما مات السلطان مولانا الحسن رحمه الله، وبويع لنجله مولانا عبد العزيز، وذهب لفاس، قامت قبيلة مسفيوة على عاملها، وكسرت سوق الثلاثاء المعتمر في وسط أحيائها ومداسرها...».

بعض أتباع القائد الرومي بوجهارة في طريقهم إلى ميادين القتال



«... ومن العادة هنا أن الرعية إذا أرادت الفساد على العامل، أوقدوا النار ليلاً بمثل ذلك، وبها يشيع الفساد...»¹.

ومهما يكن من أمر، وإذا ما استثنينا تمرد أتباع المهدي الشراي في حوز مراكش سنة 1825، وعصيان كيش الأوداية سنة 1831، وكذا الانتفاضات والفورات التي شهدتها النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والعقد الأول من القرن العشرين، والتي ننوي التعرض إلى واحدة منها في الفقرة الموالية، ويتعلق الأمر بانتفاض قبيلة الرحامنة سنة 1894، فإن نسبة كبيرة من هذه الفتن والتي نجد لها صدى في الوثائق كان يتسبب في إيقاد نارها أعوان المخزن المحليون، وفي مقدمتهم قواد وشيوخ القبائل، وبعض أرباب الزوايا، كرئيس زاوية وزان، الشريف عبد السلام بن العربي الوزاني الذي حصل على الحماية الأجنبية من فرنسا سنة 1884، وعقد القران على سيدة إنجليزية، ومقدمي زاويته في جهات مختلفة من البلاد، وبالخصوص في المناطق الشرقية والشمالية.

ففي سياق الحديث عن الأوضاع بمنطقة الريف، وموقف كل واحدة من قبائلها من الحملة المخزنية التي حلت بأراضيها، كموقف قبيلتي بقوة وبني يطففت مثلاً الرافض لمروور الحملة بترابهما، كتب أحد قواد المنطقة، وهو العربي الوليشكي، إلى نائب الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي، ما يلي:

«... والحاصل أن سبب فسادهم شرفاء من وازان قاطنين معهم. فكل مفسدة، جرّت لهم نفعاً عاملين لهم فيه الثلث، كالعدة المغصوبة من المركب، والكنطردات الطرقة، وجميع المفاسد، ويقولون لهم، إن أردتم الحماية، نذهبوا معكم لسيدي الحاج عبد السلام، وتأخذون ذلك...»².

1- خ. س، مح. ح رقم 361، وثيقة بتاريخ 6 رمضان 1309 / 4 أبريل 1892.

2- خ. س، مح. ح رقم 257، وثيقة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1307 / 12 يناير 1890. =

ولدينا شواهدٌ عديدةٌ على ما كان يصدر من حيف وتجاوز عن عدد من القواد، كان يذهب ضحيتهما بسطاء وصغار القوم، الأمر الذي كان يخلف في نفوسهم المقهورة، وقلوبهم المجروحة، مشاعر استياء وأأس، وحقد وضغينة، ومن ثمة انتهازهم أول فرصة سانحة تلوح لهم في الأفق، كفترات انتقال الحكم من سلطان إلى آخر، للاتفاض والتمرد، وتجريد حكامهم مما كان بيدهم، وهدم بيوتهم، وطردهم وذويهم من حضيرتهم، إذا لم يكونوا قد بادروا قبل ذلك إلى قتلهم.

فهذه مثلاً قبيلة غيغاية، يقع مجالها جنوبي مدينة مراكش، في السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط، والتي كانت تتدفق من جبلها مياه وادي غيغاية التي كانت تستغل في سقي بساتين المخزن بهذه المدينة، وبعد أن أعلنت عصيانها، في الأسابيع الأولى التي تلت وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في شهر رجب من سنة 1290/ الموافق لشهر سبتمبر 1873، قد ظلت على هذه الحالة أكثر من سنة بعد هذا التاريخ، رافضة بذلك الانصياع إلى قائدها، باشا قصبة المنشية بمراكش أحمد أمالك، وممانعة وصول مياه واديها إلى بساتين المدينة المذكورة. وبعد أن أشار هذا القائد في رسالة وجهها إلى السلطان إلى أنه كتب لأهل هذه القبيلة «ما يزيد على الخمسين مرة، فلم يزد هم ذلك إلا طغياناً كثيراً...». أضاف أمالك قائلاً:

«... وكذلك الوصيف وجه إليهم أصحاب مولانا الخارجين على الواجب.

وقد اطردهم كذلك، ولا زالوا سيدي متمادين على الفساد الكثير إلى أن

= انظر عن "نازلة الحاج عبد السلام الوزاني": بوشعراء، مصطفى: الاستيطان والحماية بالمغرب، 1280-1311/1863-1894، المطبعة الملكية، الرباط، 1987، ج 3، ص. 1194.

عم سيدي فسادهم جميع الدير كله، عدا قبيلة وريكة هم القائمين بجميع الكلايف، وواقفين في الخدمة الشريفة بصفاء قلوبهم...»¹.

وتسمح الوثائق كذلك، من حين لآخر، برصد جوانب من سياسة المخزن ومواقفه، عند اندلاع نزاعات ومواجهات مسلحة بين المجموعات القبلية في عدد من المناطق. فهذا مثلاً السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، يكتب إلى ابنه وخليفته المولى الحسن، مبيناً له الخطّة الواجب نهجها تجاه الاقتتال الدائر وقتئذ بين فصائل من قبيلة بني موسى، وأخرى من قبيلة بني عمير بتادلة، حيث خاطبه قائلاً:

«... وأن حال أهل تادلا في الفساد معلوم. فإن رأيتمهم متكافين في القتال، فدعهم ينتقم الله بعضهم من بعض. وإن رأيت منهم جهة غالبية على الأخرى، فسدّد بينهم، وقارب خشية استغاثة الجهة المغلوبة بالبرابر...»².

على أنه كان للمخزن كذلك سياسة أخرى، أكثر إيجابية وتفهماً، في تعامله مع المجموعات القبلية المستقرة في الأطراف والتخوم، حيث كان يُراعي خصوصياتها الجغرافية والطبيعية، ومصادر اكتساب وعيش أهلها والتي غالباً ما

¹ - خ. س، و. ز، مج 11، وثيقة رقم 49 بتاريخ 13 شعبان 1291 / 25 سبتمبر 1874. ونقرأ في رسالة القائد حدو أو عيسى الورياعلي إلى السلطان، بعد أن انتفض أعضاء فرقة ضده، بإيعاز وإغراء من أحد أقاربه كان يُنصبه العداء، ما يلي: «... وقد انحرفت إلي دارنا، وخرجت من بلادنا، فها نحن بقبيلة تمسمان... وسباب ذلك تكلمت معهم على قبل المرص، لأنه يوسقوا منها أناس يتوجه لمدينة وهران، وحيث انهيهم على ذلك، امتنعوا، وقامت قيامهم على ما ذكرنا من فسادهم...».

- خ. س، مج. ح رقم 88، وثيقة بتاريخ 24 رمضان 1303 / 26 يونيو 1886.

² - خ. س، ك 47، ص. 160، وثيقة بتاريخ 3 رمضان 1285 / 18 دجنبر 1868.

كانت تتسم بالشحة والندرة والخصاصة من جهة، وآخذاً بعين الاعتبار، في نفس الوقت، قصوره بل عجزه المادي عن فرض إرادته، ومراقبة الأوضاع فيها مراقبة فعلية، وتدبير شؤونها، كما كان يستطيع ذلك في المناطق التي كانت قبائلها طوع يده، لا يطالبها بأداء لا واجب أو فرض، أو وظيف وكلفة إلا نادراً، مكتفياً بما كانت تضطلع به من دور الحارس اليقظ، والمنبه إلى حيل ودسائس الأوساط الاستعمارية في كل من الجزائر وسبتة ومليلية السليبتين من جهة أخرى.

وهذا ما نلمسه مما تضمنته رسالة مطولة وجهها المولى الحسن إلى نائبه بطنجة محمد بركاش، في شأن تصدي أهالي مرسى بادس إلى محاولة فرنسي قادم من مدينة وهران التزول بها، مفنداً ادعاءات ومزاعم السفير الفرنسي بالمغرب أورديكا (Ordéga)، حيث حَمَل المسؤولية كاملة إلى القائد إدريس بن عبد السلام أمقشد، في أمر تشجيع هؤلاء الأهالي على منع الوافد الفرنسي على هذه المنطقة من الحلول بها مفتعلاً ضجة كبرى حول هذه القضية.

وهذا يعني، في الحقيقة، أن هذه القبائل المستقرة في الأطراف، والصعبة المنال، والشديدة المراس، والجائحة أحياناً إلى الاقتتال فيما بينها، كانت تلتزم بالانضباط، وتأتمر بأوامر المخزن، حين كانت الظروف تفرض ذلك، منصبية نفسها المدافع الأول عن حوزة الوطن وسلامة ووحدانية أراضيها.

ومما جاء في رسالة السلطان إلى محمد بركاش، ما يلي:

«... فهذه القضية من أول حدوثها، ونحن نخبرك أنت والباشدور بما تجدد فيها لدينا، ونوجه لك وله الأصول والفروع من المكاتب الاختراعية

الواردة من القبائل المجاورين لمرسى بادس، بأنهم منعوا الكندي من التزلز
منها، ومن أحد مقدمي زاوية تلك الناحية بالإخبار عن أولئك القبائل
بمنعهم من التزلز، وتخريبهم على الفتنة، ومن الخديم الورياعلي بهدمهم
داره، وحرقتهم لها وجرحهم له، حيث رام كفهم عن ذلك، وقتلهم شريفاً
وعسكارية، وسبهم له وللمخزن... لكونها (أي قبائل الريف) متطرفة،
مجبولة على الفساد وعدم الإذعان للولاء، مقلة لا يحصل لها في تلك البلاد
إلا ما تتعيش به، ولا تعطي واجباً ولا غيره، ولأجل ذلك يجعل لها المخزن
ولاء بعداء عنها، بقصد السداد وتسكين الحدادة فقط، كعامل وجدة،
وعامل فاس، وأمقشد...»¹.

- 1- خ. س، ك 348، ص. 365، وثيقة بتاريخ 17 ربيع II 1301 / 15 يراير 1885.
- وانظر كذلك ما كتبه القائد مبارك بن علي الدوبلالي السابق الذكر إلى السلطان، ثمانية
وعشرين شهراً ونيف بعد التاريخ أعلاه، ذاكرة له بكل دقة وتفصيل، الأماكن والمخيمات التي
مر وتوقف بها الحاج عبد السلام الوزاني المذكور، وكذا الشخصيات التي التقى بها، أثناء
سفره عن طريق البر، ذهاباً وإياباً، من مدينة طنجة إلى مدينتي تلمسان ووهران، وتوقفه
حوالي 40 يوماً بحمام بوغرة قرب ضريح للامغنية، حيث قال:
«... وتوجه براً (من مليلية وفي طريق العودة) قاصداً ثغر طانجة وفي رفقة رجل
فرانساوي بخزائنه وأروامه. فكل موضع جاز عليه، إلا وقيد اسم الموضع، واسم أهله،
وغير ذلك من الجبال والأودية والشعب، ومن الحدائق في إخراج التصاوير، وقد كثر
سؤاله على جبل الحمام ببني ورياغل، وكثر سؤاله أيضاً على جبال الأرز. ثم إن عمال
قلعية وامناءها منعوا الرومي المذكور من المرور من بلادهم منعاً كلياً...».
- خ. س، مع. ح رقم 78، وثيقة بتاريخ 11 رمضان 1303 / 13 يونيو 1886.
ومما ورد في ملخص الرسالة التي وجهها عامل فكيك إلى السلطان، بتاريخ 22 رمضان
1309 / الموافق لـ 20 أبريل 1892، مخبراً بتحركات واتصالات "شريف وزان" في التحوم
المغربية الجزائرية، ومناطق القصور والواحات في الجنوب الشرقي للبلاد، كإكلي، وكرزاز،
وتوات، ما يلي:
«... عامل فجيج بأنه لما بلغه قدوم الوزاني على حاكم الصفراء، وأخفوه أياماً حتى وقع
الشك في قدومه، وبلغه ثانياً أنهم وجهوه لتوات مصحوباً بفرسان 110، كل فارس معه
رجلان، وتحقق بذلك، وجه رقاصا لتوات...».
- خ. س، ك 1963، ص. 9.

وتعطينا فكرة عن هذا الجانب كذلك الفقرة الآتية، استقيناها مما تضمنته رسالة مخبر من تافيلالت، يُدعى المكّي بن عبد الله، إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، يطلعه فيها على تطور الأوضاع في هذه الناحية، بعد أن شرع الفرنسيون في الاستيلاء على أراض ومواقع مغربية، في واحات الجنوب الشرقي للبلاد، حيث كتب ما يلي:

«... إن هذه النواحي تافلات ووادي أفلي والبرابر جمعهم، لما سمعوا بخروج العدو بتوات، وأخذهم لجلها، ابن صالح وغيره، وخروجه بمحل آخر، وأنه صار يأخذ السحراء شيئاً فشيئاً، وترك فجيج وراءه، وصار يبني في كل محل نزل فيه، اجتمع الجميع بالسيف تاريخ 21 منه، وجعلوا الهناء بينهم وأن لا يطالب أحدهم أحداً بشيء مما تقدم بينهم ولو التقى العدو مع عدوه لمدة عامين من تاريخه، وأنهم يد واحدة على العدو الذي قصدهم...»¹.

وهذا ما يعطي للقوة العسكرية كل الأهمية في استتباب الأمن، ونشر الطمأنينة والسكينة في نفوس السكان، الأمر الذي كانت تفقده البلاد، في فترات تراجع سلطة وهيبة المخزن، وتعدد حركات التمرد والعصيان، كما هو شأن الأوضاع فيها، في العقد الأول من القرن العشرين بأكمله تقريباً. وفي هذا الصدد، لنا خير مثال فيما ورد في رسالة الباشا عبد الكريم اللبادي إلى النائب السلطاني بطنجة محمد بن العربي الطريس، وهو يصف له الحالة في مدينة تطوان، وافتقارها في المقام الأول إلى قوة عسكرية تحمي المدينة وسكانها من هجمات القبائل المجاورة لها، وتعمل على نشر الأمن وترسيخه فيها، حيث نقرأ ما يلي:

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع رقم 416 / 2، وثيقة بتاريخ 23 ذي الحجة 1317 / 24 أبريل 1900.

«... لا يخفاك أن التشويش الحاصل لهم (أهل البلد) ولا لغيرهم من سكان الأجانب ومحبيهم، إنما هو من اختلال نظام الجيش والعسكر السعيدين هنا، وتلاشيهما وصيرورتهما إلى الاضمحلال، وذلك بسبب تعذر المتونة عليهم المدة المديدة حتى ذهب جلهم لطلب معاشهم واكتساب القوت لأهلهم حتى تشوشت الأفكار، وتطالت الألسن...».

ويضيف اللبادي قائلاً بأن مناخ الخوف و«التشويش» الذي أصبح يخيم على المدينة وسكانها، قد حمله على الإسراع في تأسيس قوة عسكرية محلية، تحت قيادة الأغا أقلعي، يكون عدد أفرادها ما بين 250 إلى 300 رجل، يُؤمرون بالانتشار في الأماكن الحساسة في المدينة، وبأبوابها، في الليل والنهار. وبما أن الأمناء قد صرحوا له بفراغ يدهم من أدنى قدر من المال، فإنه اضطر إلى استسلاف 500 ريالاً، تنفق في تجهيزهم ومؤونتهم، الأمر الذي يعطينا فكرة عن تردي الأوضاع الأمنية والمالية في هذه المدينة وغيرها من مدن الشمال والشمال الشرقي في البلاد والتي تضررت كثيراً من حركتي عصيان وتمرد وعتو كل من المغامر أحمد الريسوني، والفتان الروكي بوحمارة¹.

وتتجلى كذلك وبكل وضوح أهمية القوة العسكرية في استتباب الأمن في مختلف جهات البلاد، مما يرد في العديد من الوثائق في شأن طلبات القواد الموجهة إلى السلطان، يلتمسون فيها مدهم بكتيبة من العسكر، لأمر أوجبته الظروف.

¹ - م. و. م. ر، مح. تطوان، وثيقة بتاريخ 3 ذي الحجة 1325 / 7 يناير 1908.

- داود، محمد، مختصر تاريخ تطوان، المطبعة المهدية، تطوان، 1955، ص. 226، حيث أشار المؤلف إلى عزل اللبادي عن باشوية مدينة تطوان من قبل السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ، وتولي القائد عبد السلام بن الحسين البخاري مكانه، في 29 جمادى الأولى 1326 / الموافق لـ 29 يونيو 1908.

وهذا ما يتبين مما كتبه القائد مبارك بن الطاهر الرحماني، متزعم انتفاضة الرحامنة سنة 1894 إلى السلطان، في وقت كان لا زال فيه عضداً للمخزن ومثله في الحوض الأوسط لوادي درعة، في شأن ما كلفه السلطان بالسعي إلى تحقيقه، وهو شد عضد القائد المدني الكلاوي ضد من تمرد من أتباعه ضد سلطته، وعقد الصلح بينه وبين متزعم العصيان ويُدعى ولد الحسن الدراوي، الأمر الذي نجح فعلاً في إنجازه.

ولكنه في نفس الوقت، طلب هو الآخر من السلطان:

«... أن يجعل لنا بتوجيه المدد عزماً كاملاً، وإن لم يتيسر توجيهه كاملاً، فليوجه لنا سيدنا نحو خمسمائة من العسكر السعيد إدالة كما هي عند غيرنا من القبائل، ليستقيم الأمر، ويجلس كل واحد عندما حُدَّ له، ويدعونوا جميعاً للخدمة الشريفة...»¹.

وينبغي أن نذكر هنا ما كانت تلحقه حركات التمرد والعصيان من خسائر بشرية ومادية في صفوف العابرين لبعض المسالك، تجاراً وغيرهم، حيث تظهر وتكثر أعمال النهب والسطو. وهذا ما أشار إليه الرائد لوفلوا (Cdt. Levallois)، رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، في أحد تقاريره عن الحالة السياسية والأمنية والاجتماعية بالبلاد، بالنسبة للمحور الطرقي الرابط بين تافيلالت وفاس، والذي يقول عنه بأن القوافل التجارية التي تسلكه عادة، قد اضطرت إلى التخلي عنه، الأمر الذي سيؤدي بكل تأكيد إلى تقلص حجم السلع والبضائع التي تصدرها الواحات الصحراوية إلى مدينة فاس. وما من شك أن كميات من هذه المنتوجات، يضيف الضابط الفرنسي، سوف تقصد المراكز

¹ - خ. س، مح. ح رقم 296، وثيقة بتاريخ 23 شوال 1309 / 21 مايو 1892.

التجارية في الغرب الجزائري، بسبب ما أصبحت توفره من أمن وحماية، سلسلة المراكز العسكرية المنبثة على امتداد المسالك التجارية المؤدية إليها. ويختتم لوفالوا تقريره قائلاً:

«... ولاشك أن حالة التمرد والعصيان المستمرة، لعدد من فصائل قبيلة أيت يوسي، وقبيلة أيت إزدگ، سوف تؤدي إلى تنشيط الحركة التجارية بين واحات الجنوب والجزائر. ومهما يكن الأمر، فلا يمكن إيجاد فرصة سانحة، ومناسبة أحسن من الظروف الحالية، لتشجيع هذا التحول، اقتناعاً¹ مني بضرورة إثارة الانتباه إلى ذلك...»¹.

1- A.G.V., 3h4, Rapp. n° 1, Fez le 31 décembre 1884.

الخريطة رقم : 9

ولكي تتضح الصورة بشكل أوضح وأدق، سنحاول تسليط الأضواء على واحدة من هذه الانتفاضات الشعبية الخطيرة، والتي اهتزت لها منطقة حوز مدينة مراكش بأكملها تقريباً، ويتعلق الأمر بانتفاضة قبيلة الرحامنة (1894 - 1896).

1 - 2 انتفاض قبيلة الرحامنة نموذجاً (1894 - 1896)

إن موضوعاً كالذي نحن بصدد معالجته في هذه الفقرة، كان لابد وأن يستأثر باهتمام الأخباريين المغاربة، سواء من عاصر منهم بعض هذه الحوادث، كالزباني، والسباعي، والمشرقي، صاحب "الخلل البهية..."، أو الذين وصلتهم وقائعها عن طريق السماع والتواتر، والقراءة والمطالعة، كابن زيدان، والعباس بن إبراهيم السملالي المراكشي.

بيد أن حديثهم ظل يكتنفه الغموض والاختزال، ويتميز بتحيز مطلق إلى وجهة نظر المخزن وموقفه المعروفين من كل عصيان، ومن ثمة شجبهم وتنديدهم بمتزعمي مثل هذه الحوادث، بقطع النظر عن بواعثها وأسبابها، وظروفها، إذ إن هؤلاء المتمردين والثائرين، ما هم سوى «عصاة»، و«فساد»، و«رعاع»، و«غوغاء»، و«أوباش»، و«صعاليك» وما شابه ذلك من الأوصاف والنعوت المطبوعة بطابع التحقير والإهانة¹.

وأما الكتابات الأجنبية حول هذا الموضوع، قديماً وحديثاً، وباستثناء عدد قليل منها، كأطروحة بول باسكون مثلاً، حول «حوز مراكش»، فنادر ما كانت تعالجه بما ينبغي من التجرد والموضوعية، بل كان معظمها لا يتردد أصحابها في تحميل المخزن وحده المسؤولية كاملة في وقوع مثل هذه الحوادث².

1- ابن زيدان، م. س، ج 1، ص. 388؛ وج 2، ص. 121 مثلاً.

2- Douité (Ed), Marrakech, Comité du Maroc, Paris, 1905, pp. 394-395.

- Arnaud (Dr Louis): Au Temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912. Edit. Atlantides, Casa, 1952, pp. 91-121.

ثم بعد هذا وذاك، ظهرت في العقود الأخيرة، مجموعة من الدراسات والأبحاث، إما في إطار الجامعة، أو خارجها، في المغرب كما في الخارج، حول واحدة أو أكثر من هذه الانتفاضات والفورات الشعبية، استناداً إلى وثائق وطنية وأجنبية، تتسم أغلبيتها بالجدة والموضوعية¹.

وأما نحن، فسنعمل على التركيز على بعض الجوانب من انتفاض قبيلة الرحامنة، أغفلتها هذه الدراسات، أو لا يشفي الغليل ما أوردته عنها، كأعداد المقاتلين، وأطوار المعارك، والخسائر البشرية والمادية في معسكر المخزن، وفي معسكر المتمردين، علنا نوفق في إضافة الجديد من معلوماتنا حول هذا الموضوع، ونساهم في إثراء النقاش حوله.

ومن المعلوم كذلك أن فترات انتقال الحكم من سلطان إلى آخر، سواء تعلق الأمر بالقرن التاسع عشر، أو بالقرون التي سبقت، كانت تكون دوماً مناسبة موالية بالنسبة لسكان المدن، وأبناء القبائل، للانتقام من حكامهم، والهجوم على جيرانهم، فتنتشر أعمال النهب والسطو، وتقطع السبل، ويفتن الناس. وهذا ما حدث فعلاً سنة 1894، على إثر وفاة السلطان المولى الحسن في جهات مختلفة من البلاد، وبالخصوص في حوز مدينة مراكش.

1- بن منصور، عبد الوهاب، أبو حمارة، ضمن تراجم أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ج 1، ص. 303 - 397.

الصديقي، عبد الرزاق، علاقة قبيلة الرحامنة بالمخزن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، د.د.ع، ك.أ. ر، 1989، ص. 239 - 264.

- Pascon (P), Le Haouz de Marrakech. Edit. Marocaines et Internationales, Tanger, 1977, T.1, pp. 201-205. op.

- Hoover (Ellen Titus), Among Competing Worlds, The Rehamna of Morocco, on the Eve of French Conquest, Yale university, Ph. D, 1978, pp. 82-110.



الروكي بوحارة في قفصه بعد الظفر به بقبيلة بني زروال بجبال

على أن هذه المرة انضاف عامل جديد وبالع الأهمية إلى العوامل التي سبق وأن ألقنا إليها، ويتمثل في التدابير المتخذة من طرف الحاجب أحمد بن موسى، بهدف عقد البيعة للمولى عبد العزيز، وهو وقتئذ دون البلوغ، الأمر الذي تم له فعلاً، وأثار زوبعة من الاحتجاجات وردود الفعل العنيفة، كما أثار على الخصوص حفيظة واستياء أفراد من الأسرة الحاكمة، وفي مقدمتهم الأميران مولاي عمر، الخليفة السلطاني بفاس، وأخيه الأكبر مولاي محمد الذي كان يشغل نفس المهام بمراكش، والرجلان معاً كانا أكبر منه سناً، وأكثر منه استعداداً وتجربة لتولي الحكم.

وما أن تم هذا الأمر، واستقر السلطان الجديد وحاشيته في فاس، حتى انتفضت بعض المجموعات القبلية، في نواحي جبال، والغرب، والشاوية، ودكالة، وعبدة، والشياطمة، وسوس، ومسفيوة، والرحامنة على الخصوص الذين كانوا سابقين إلى الإعلان عن تمردهم، متزعمين بذلك حركة العصيان في حوز مدينة مراكش¹.

1- بوعشرين، الحسن بن الطيب، م. س، ص. 46 وما بعدها.

- A.G.V., 3h8, Rapp. Schlumberger, oct, 1894, p. 12 et suiv.

ينبغي التنبيه هنا إلى أن بعض القبائل والعشائر، كانت لا تنتظر حلول مثل هذه الظروف والمناسبات العصبية، للتنكيل والتضييق والمهجوم على خصومها من أهل القبيلة أو المدينة المجاورة لها، ولنا في سلوك وتصرف أفراد قبيلة بني مستارة تجاه سكان مدينة وزان، خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، خير دليل على ما نقول. يرجع حول هذه النقطة إلى:

- خ. س، مح. ح رقم 406، وثيقة بتاريخ 7 ربيع الأول 1310/ الموافق 29 سبتمبر 1892، بها الخبر عن هجوم عناصر من هذه القبيلة على مداشر قبيلة مصمودة، ونهب أمتعة الناس وماشيتهم، وقتل وجرح عدد منهم.

- خ. س، مح 423، وثيقة بتاريخ 15 رمضان 1310/ الموافق 2 أبريل 1893، وهي عبارة عن رسالة للشريف عبد السلام الوزاني، يشكو له فيها مما لحقهم من أضرار من طرف قبيلة بني مستارة.

يقول محتسب هذه المدينة، مولاي عبد الله البوكيلي، في رسالة بتاريخ 5 محرم 1312 / الموافق لـ 9 يوليو 1894، وجهها إلى السلطان، ما يلي:

«... فلينه الخديم للعلم الشريف أسماء الله أنه، لما أجاب مولانا المقدس ربه قدس الله سره، اجتمع جمع قبيلة الرحامنة بالعرقوب، فاتفق رأيهم، وتمت كلمتهم على الخروج من حكم قوادهم وخلافهم، وإبطال المستفاد من أسواقهم، وكذلك زمران، والسراغنة، ومسفيوة، والمناهة وغيرهم من الخوزية...»¹.

وبعد هذا، يضيف البوكيلي، قصدوا مدينة مراكش، وكسروا أسواق «الكمون»، و«العدة» و«السروج»، وحذا حذوهم كل من المناهة، وحمير، ودليم. وما أن علم سكان المدينة بما أحدثه الرحامنة في الأسواق، حتى رفضوا العطاء بدورهم، في أسواق «الخميس»، و«السباط».

وكتب القائد حمادي بن أحمد المسفيوي، إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى

ما يلي:

-- خ. س، مح. ح رقم 385، وثيقة بتاريخ 10/10/1310 / الموافق 27 أبريل 1893، وهي رسالة لقائد الأرحى العربي بن العربي السوسي إلى الحاجب أحمد بن موسى، يخبره فيها بانعقاد الصلح بين أهل وزان وبني مستارة بحضور عامل العرائش أحمد بن التهامي العرائشي الذي كانت مدينة وزان تابعة لحكمه، وكبير الزاوية محمد بن المكّي، والقاضي محمد العسال، عن الجانب الأول، وأما من كان يمثل الجانب الثاني، فهو أحد قائدي القبيلة وهو محمد المرباط.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 427 / 3، وثيقة بتاريخ 27 ذي القعدة 1312 / 22 مايو 1895، تولية القائد عبد المالك بن علي السعيد على وزان، مكان العرائشي السابق الذكر، ولكن على «عامّة وزان» فقط.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 401 / 1، وثيقة بتاريخ 23 ذي الحجة 1312 / 17 يونيو 1895، شريف من وزان يدعى محمد بن عبد السلام الوزاني يخبر السلطان بفشل مساعيه من أجل «إطفاء نار الفتنة الثائرة بين أهل وزان وبني مستارة...»، الأمر الذي يدل على تجدد النزاع والصراع بين الطرفين، وباستمرار.

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع رقم 401 / 1.

«... إن الأمر قد هال، وعظم في جهة الحوز، من دسائس خفية... لأن
القال والقليل كثير، ومن جملته أن مرادهم إعطاء العهد لمولاي محمد،
ومحاصرتهم لمراكش...»¹.

وتحدث القائد عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني، من جهته، عن
«...القيامة القائمة بالحوز...» والتي تسبب في إضرار نيرانها مجموعة من القبائل
ذكرها في طرة الكتاب الذي وجهه في هذا الشأن إلى أحمد بن موسى على
النحو الآتي: الرحامنة بأسرهم؛ السراغنة، زمران؛ تكانة؛ مسفيوة؛ المناهجة؛
حربيل؛ أولاد دليم؛ حمير. ثم أضاف قائلاً:

«... ورأيسهم مبارك بن الطاهر ابن سليمان، واحمدوش لعربي المراسي،
وبما وقع لمراكشة من الانحصار والضيق، وضربوا على قبيلة ايتمور،

1- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/3، وثيقة بتاريخ 24 محرم 1312/28 يوليو 1894.
وورد في نفس الوثيقة أن شخصاً من القبيلة واسمه جلول الزاتي هو المتسبب في إيقاد نار الفتنة،
الأمر الذي حمل القائد حمادي على اعتقاله وتوجيهه إلى سجن مصباح بمدينة مراكش.
ولا بأس أن نذكر هنا أن حركة عصيان وتمرد كانت قد اندلعت بهذا السجن، إثني عشر
يوماً قبل التاريخ أعلاه، حيث هب نزلاؤه إلى كسر أبوابه، ليلوذوا بالفرار، إلا أن الحراس
تصدوا لهم، شاهرين سلاحهم الناري في وجوههم لتخويفهم وقمعهم وإرهابهم.
وما أن علم الباشا ويدة بالحدث، حتى حضر وأعوانه إلى عين المكان، يغلو غضباً ويرعد عتاباً
ولوماً على أحد القيمين على السجن، وهو القائد عباد (ولعله بن حميدة المنبهي، من قرابة
المهدي بن العربي المنبهي، والذي استصدرت عقارته بمدينة مراكش في شهر رمضان من
نفس السنة).

وقد قتل في هذه الأحداث سجينان، أحدهما «حاحي»، والآخر «تادلي». انظر:
- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/7، رسالة عبد الله بن الطاهر، (ويبدو أنه المسؤول عن
سجن مصباح وقتئذ) إلى أحمد بن موسى بتاريخ 15 محرم 1312/19 يوليو 1894.
- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/12، رسالة من المهدي بن العربي المنبهي إلى أحمد بن موسى
بتاريخ 2 رمضان 1312/18 مارس 1895 في شأن مصادرة دور وحوانيت وفنادق في ملك
عياد المذكور بمدينة مراكش.

وأكلوهم، وأحرقوهم عن آخرهم، ورجعوا لمراكشة يطلبون خروج
مولاي محمد، وإن منعه منه، كيف ما كان أجنبياً أو غيره، وأراد كسر
الملك بلاشك...»¹.

- 1- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/7، وثيقة بتاريخ 29 صفر 1312/ فاتح سبتمبر 1894.
المخنا، فيما سبق إلى أسماء بعض متزعمي التمردات والمحرضين عليها، وها هي أخرى لعدد من
أبناء هذه القبائل الحوزية، نعرضها على النحو الآتي:
(1) ذكر القائد العربي بن التمار العبدى أن أحد أتباعه ويدعى جُبُور الأودي يمثل خطراً
حقيقياً على سلامة القبيلة واستقرار الأوضاع بها، ويشبهه بمبارك بن الطاهر الرحاني.
- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/3، وثيقة بتاريخ 2 شعبان 1312/ 29 يناير 1895.
(2) وأخير الذمي إيشوعة قرقوز من جهته أن الشريف محمد المراني، قد التقى ببعض أتباع
مبارك بن الطاهر الرحاني المذكور، وهم:
ولد الفاطمي، ودحان الصنهاجي، وولد الغوات الذي كان معه «فطواكة وولتانة، عريانيين
متال أصحاب دحان...»، إلا أن اللقاء قد فشل لأن المتمردين اشترطوا منحهم 10 000
ريال، مقابل رفع الحصار عن مراكش، الشيء الذي رفضه المخزن.
- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/3، وثيقة بتاريخ 23 قعدة 1311/ 18 مايو 1895.
(3) وأما الوثيقة الثالثة، فضمنها عم السلطان مولاي عبد الملك بن عبد الرحمان أسماء
مجموعة من أملياء إيالة القائد عبد الحميد بن الفاطمي الرحاني، وجماعة سكورة التي كانت
تابعة إليه. وهم من "أكابر الفساد"، والذين فروا وتشتتوا في القبائل المجاورة، حتى لا يؤديوا
أي شيء إلى المخزن، مما وظف على إخوانهم، وهؤلاء هم:
- العربي بن الصغير الوسامي.
- وابن رحال وأولاده (ثلاثة).
- والمداني النسب.
- والعباس ولد الحاج محمد.
- ومسعود الوصيف.
وجميعهم بقبيلة زمران الآن:
- قدور بن إسماعيل، وهو كاتب مبارك بن الطاهر الرحاني.
- المكّي بن الحاج المعطي (هرب إلى تُكّانة).
- قدور بن المقدم.

وأما متزعم حركة الرحامنة هذه، مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني، فلا نعرف عنه أشياء كثيرة ودقيقة، حيث إن الوثائق التي أمكن الوصول إليها في شأنه، وتتراوح ما بين سنة 1883 وسنة 1896، لا تقدم لنا معلومات كافية، ولا تفاصيل وافية عن أسرته ووسطه الاجتماعي، ونشأته وتعلمه، وظروف وملابسات التحاقه بالخدمة المخزنية مثلاً.

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد الرجل، سنة 1883، بقبيلة الرحامنة، ثم بعد ذلك، شغل نفس المهام في جبال الريف حيث أسندت له القيادة على قبائل بني شيكر، وبني بويفرور، وبو كافر، كما نتبين ذلك من الوثائق التي ترجع إلى سنة 1888، مع قيامه بدور الوسيط والمنسق بين المخزن وقبائل هذه المنطقة، فضلاً عن إشراكه، من حين لآخر، في قيادة عدد من الحملات العسكرية في

:

-
- = - خ. س، مح. م. ع. ع رقم 6/404، وثيقة بتاريخ 6 شعبان 1313/ 22 يناير 1896.
- (4) شخص من قبيلة تُكَّانة التي كانت تابعة لحكم الباشا محمد ويده، يدعى «الحسين ولد أعراب التجاني هو الذي يأويهم، ويواصلهم بنفسه، وماله منذ بدا الحادث الذي أحدثوه الرحامنة، وهو لم ينفك عنهم، وهو السبب في محمد بن الطاهر بن سليمان، أخ الظالم لنفسه حتى أفلته بدسياسة منه إليه، بعدما حل بزاوية سيدي محمد أمسعود من بلاد تجانة...».
- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 11/410، وثيقة بتاريخ 21 شعبان 1313/ 6 يناير 1896.
- (5) وأخيراً كتب "الوصيف" أريك وهو ولا شك من أعوان القصر السلطاني بمدينة مراكش، إلى أحمد بن موسى، في شأن أشخاص يحرضون على العصيان، وهم: عبد الدائم والسكري، من إيالة القائد عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني، وعيسى ولد الشلحة والزموري، من أولاد سلامة، إيالة القائد مبارك بن الحسن.
- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 16/409، وثيقة بتاريخ 10 رمضان 1312/ 7 مارس 1895.

القبائل المجاورة، ككلعية، وكبدانة، وبني يزناس، وأنجاد، والمهاية، وهوارة
الأحلاف، والتسول¹.

ونفهم مما تضمنته رسالة بتاريخ 13 رمضان 1307 / الموافق لـ 3 مايو
1890، وجهها هذا القائد إلى نائب الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي، أنه وقتئذ،
كان قد عين على رأس مدينة تازة والقبائل التابعة لها، خلفاً للقائد محمد بن الفقيه
البخاري، وأنه قبل الالتحاق بمقر عمله الجديد، كان عليه أولاً إصلاح ذات
البين، وفض النزاع المندلع بين أهل المدينة وغيثاته، الأمر الذي نجح في تحقيقه
فعلاً، حيث قال:

«... وأن كلام مولانا الشريف ورد علينا أن نقدم لأهل تازة ومن معها،
وقدمت لذلك، فلما حللت بمكناسة، تعرضوا لنا عمال غيثة، فطلبوا منا
المبيت عندهم بقرب المدينة، فوجدت المدينة محصورة، منقطعاً عنها الماء،
لا يخرج أحداً ولا يدخل، ووصل الضرر للضعفاء والمساكين...»².

1- الوثائق التي استقينها منها هذه المعطيات، نوردها حسب التسلسل التي قدمت به أعلاه:
- خ. س، ك 348، ص. 295، وثيقة بتاريخ 18 محرم 1301 / 19 دجنبر 1883.
- خ. س، ك 162، ص. 10، وثيقة بتاريخ 22 ربيع الثاني، 1301 / 16 دجنبر 1889.
- خ. س، مح رقم 183، وثيقة بتاريخ 23 شعبان 1306 / 24 أبريل 1889.
- خ. س، مح رقم 200، وثيقة بتاريخ 22 رمضان 1306 / 22 مايو 1889.
وصف الرائد شلوميرجي مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحامي في العبارات الآتية:
«... كان مترع النوار رجلاً في الخمسين من عمره تقريباً، طويل القامة، قوي البنية، أسمر
اللون، في لحيته شذب من الشعر... هذا، وقد شغل، فيما قبل، منصب قائد في كل من الرحامنة،
والريف، وتازة، ثم في سنة 1891، أسندت إليه نفس المهام في ناحية درعة...».
ومما ينبغي ذكره هنا، أن جده وأباه، قد شغلا هذه المهام، وتمرّداً، هُما أيضاً، ضد السلطان.
- A.G.V., 3h9, Rapp. n° 56, du 5 février 1896, p. 2.

2- خ. س، مح. ح رقم 261، وثيقة بتاريخ 13 رمضان 1307 / 3 مايو 1890.

وأضاف القائد الجديد بأن الموقدين للفتنة، هم المحتسب، وناظر الأحباس، وقاضي المدينة، وأنفار الحامية العسكرية بها، وجميعهم يحرضون السكان على التضيق بالمتريدين من غياثة على المدينة، والاعتداء «على الداخل للمدينة بالخطب، والشعير، والفاخر...».

بيد أن ولايته على هذه المدينة لم تعمر طويلاً، إذ ما كانت تنقضي السبعة شهور الأولى على استقراره بها حتى أمر بالنهوض منها «مجموعاً»، والتوجه لمدينة فاس، مقر عمله الجديد، في مصالح الخليفة السلطاني بها المولى إسماعيل، وهي طريقة مؤدبة كان يلجأ إليها المخزن، كلما دعت الضرورة عزل وتهميش أحد الأعوان من منصبه¹.

ولا ندري كم من وقت بقي في الخدمة مع المولى إسماعيل المذكور، قبل تعيينه عاملاً في ناحية وادي درعة الأوسط، والتي كان يزاول مهامه هذه بها في سنة 1309/ الموافق 1891 على الأقل².

يتبين مما سبق ذكره حول هذا الرجل، حرص المخزن على استخدامه في الأطراف والهوامش، في الجهات التي اعتاد سكانها على عدم الانقياد إلى أوامر ونواهي المخزن، لأن الرجل ولا شك كان شجاعاً ومقداماً، شديد المراس وماهر في قيادة الرجال في السلم، كما وقت الاقتتال، وهي خصال وصفات كان المخزن يأخذها بعين الاعتبار، فيمن كان يختاره من أعوانه للعمل في مثل هذه الجهات.

1- خ. س، ك 639، ص. 90، بطاقة السلطان إلى مبارك بن الطاهر الرحامي، بتاريخ 12 ربيع الثاني 1308/ 25 نونبر 1890، وأخرى ماثلة لها إلى المولى إسماعيل، في نفس التاريخ، وحول نفس الموضوع.

2- خ. س، مح. ح رقم 296، ح رقم 296، وثيقة بتاريخ 23 شوال 1309/ 21 مايو 1892.

ويرأى لنا كذلك من مجموعة من الوثائق نوع من التضارب والتباين في الشهادات والأحكام الصادرة في حق هذا الرجل. فإذا كان السلطان المولى الحسن، في أكثر من رسالة موجهة إلى قائده بالريف، قد توجه إليه باللوم، وعاتبه، وتوعده بأشد العقاب وأقساه، إذا ما تَمَادى في إذاية جيرانه من القواد، واستمر في التدخل في شؤونهم، وأقلع عن الإجحاف بأتباعه، وابتزاز ممتلكاتهم، فإن عدداً من قواد الريف، كانوا لا يترددون في التنويه بسلوك هذا الرجل، وبتفانيه في الخدمة المخزنية. فقد قال أحدهم، وهو القائد حم بن بوشعيب التسماني، في إحدى رسائله إلى السلطان، ما يلي:

«... فإنه أجزل جهده في نصحتنا...»¹.

وذهب القائد العربي الوليشكي، وهو من القواد المرموقين والمحظوظين عند السلطان في منطقة الريف، إلى أكثر من هذا حيث قال عنه:

«... ولا يسمع سيدنا كلام في ابن الطاهر الرحاني، لأنه نصوح، ويجد، ويعمل بignan ووفاء، وأنه سوف ما يقال فيه، إنما نابع من عواطف خبيثة...»².

ويبدو لنا نحن من هذا كله، أن جرأة الرجل، وشخصيته القوية، وطموحه وميله إلى الاستبداد بالأمر، وتصدر الأحداث، كلها مؤهلات وصفات تدل على أننا لسنا أمام قائد مخزني عاد، ولكن أمام رجل متميز، وغريب الأطوار، الأمر الذي أهله، ولا شك، لقيادة انتفاض قبيلة الرحامنة سنة 1894، بعد أن غادر مقر عمله، هارباً بنفسه وبذويه من غضب ونقمة محكوميه من أهل وادي درعة، المنتفضين هم كذلك ضد المخزن³.

1- خ. س، مع. ح رقم 200، وثيقة بتاريخ 6 شعبان 1306 / 7 مارس 1889.

2- خ. س، مع. ح رقم 242، وثيقة بتاريخ 243 رجب 1307 / 12 مارس 1890.

3- نقرأ في رسالة وجهها السلطان إلى هذا القائد ما يلي:

لقد سبق القول إنه ما أن انتشر خبر وفاة السلطان المولى الحسن، حتى بادرت أغلبية قبائل حوز مدينة مراكش، وسوس، ودكالة على الخصوص، إلى نبذ سلطة حكامها، وطردهم من أراضيها، ثم نهب ما بديارهم وهدمها.

على أن ما كان يزيد في الطين بلة، ويساهم في تأجيج المشاعر، وهيب الفتنة، وإذكاء مشاعر الحقد والبغضاء، في نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء، تدخل القواد والشيوخ أنفسهم في شؤون بعضهم البعض، ومحاولة كل واحد منهم تصفية حسابات قديمة مع خصومه من جيرانه، فيزود أتباع خصمه أو خصومه بالمال، والسلاح، والرجال.

وهذا ما حدث فعلاً لكل من القائدين سعيد بن عمر الشيطمي، والحسين بن عبد الله السباعي اللذين لقي أتباعهما كل الدعم والمساندة من قبل الحسين ولد لشكر، خليفة القائد عبد المالك المتوكي.

وهكذا وبينما كان أولهما في طريق العودة إلى بلاده، قادماً إليها من مدينة فاس، في رفقة جماعة من قواد الحوز، تحت قيادة الشريف محمد المراني، إذ وصلهم الخبر بميجان قبائل الحوز، وبعزم المتمردين من قبائل دكالة، منع أفراد الركب المخزني هذا، من عبور وادي أم الربيع، بالقرب من مدينة أزموور، ما لم يسلم لهم قوادهم القادمون معهم¹.

= «... فقد أخبر الخديم الطالب هان السعيد، كبير الخلة السعيدة بالريف بعلم تصرك في إدايته واضراراه، والتضييق به حتى توجه من الخلة فاراً من مكرك زيادة على ما أوقعته بأصحابه...».

- خ. س، ك 152، وثيقة بتاريخ 26 جمادى الثانية 1307 / 17 يراير 1890.

¹- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409 / 17، رسالة محمد المراني والعربي بن المقدم النيعي، إلى أحمد بن موسى، بتاريخ 2 صفر 1312 - 1894 / 8 / 5.

يقول القائد سعيد بن عمر الشيطمي ما يلي:

«... اعلم حفظك الله، أنا لما توادعنا من الحضرة العالية بالله، في كفالة الشريف سيدي محمد الأمراي حتى حللنا بأزمور، فوجدنا قبائل دكالة متعرضين لنا بجيش كثير، فوقع البارود بيننا وبينهم والقتال حتى خرجنا من وسطهم بمشقة عظيمة...»¹.

وعن الأوضاع السائدة وقتئذ في إيالته، يقول ما يلي:

«... فوردت علينا الخبر بأن قبيلة الشياظمة هضت للفساد بزواياها، ورأس الفساد ولد الهاشمي التلمسي، والمُغْرِي والمعين له على ذلك بالمال والخيال والرمات، هو خليفة المتكّي الحسين ولد لَشَقْر...»².

- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 409 / 17، رسالة محمد المراني والعربي بن المقدم النيعي، إلى أحمد بن موسى، بتاريخ 7 صفر 1312 - 10 / 8 / 1894.

- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 409 / 3، رسالة القائد عدي بن أحمد النكتاني إلى أحمد بن موسى، بتاريخ 19 صفر 1312 - 22 / 8 / 1894.

بالإضافة إلى تسع عشرة رسالة أخرى، صادرة عن عمال وقواد المدن والقبائل الآتية: الرباط، الشاوية، دكالة، تادلة، السراغنة، الشياظمة، أولاد أبي السبع، أولاد مطاع، حاحة... وأما الشريف محمد المراني، فقد ظل قابلاً، على رأس فرق من الكيش والعسكر، بمدينة أزمور، إلى أن أمر بمغادرتها بعد تسكين الروعة في قبائل دكالة، أواسط شهر شوال من سنة 1312 / أواسط أبريل 1895.

- خ. س، مع. م. ع. ع، رسالة علال بن أب الحمري لمعايشي إلى أحمد بن موسى، بتاريخ 15 ذي القعدة 1312 / 10 مايو 1895، حيث أشار هذا القائد كذلك إلى الفرق من قبيلة حمير التي ظلت موالية إلى متمردى الرحامنة وهي: الخوالقة، والقطانيس، والشهاونة، وأجنادغة، ونصف المصباح.

¹- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 409 / 3، رسالة القائد المذكور إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، بتاريخ 28 صفر 1312 / 31 غشت 1894.

²- مرجع سابق، أعلاه.

وبما أن قبيلة عبدة هي الأخرى كانت قد خلعت سلطة قوادها، وفي طليعتها إخوان القائد عيسى بن عمر العبدى الذي لاذ بالفرار، فقد اضطروا إلى المرور من بلاد قبيلة حمير، وقضاء ليلتهم بجوار مشهد ضريح سيدي المختار، ببلاد أبي السبع، بعد أن سلكوا، منذ خروجهم من أزمور والجديدة الطريق الساحلية. ولما اقتربوا من دار القائد، تراءت إليهم حشود المتمردين محاصرين لها، على أهبة لاقتحامها،

«فوقعنا معهم في البارود حتى انهزموا، وتشتوا، ومات منهم نحو المائة والخمسون رجلاً، وقبض منهم مائتين وسبعون مسجوناً...»¹.

هذه حالة من الحالات العديدة، ومثال من الأمثلة المختلفة لما كان يحدث من اضطرابات واقتتال، ومواجهات أحياناً دامية، بين أنصار المخزن وخصومه، بعيداً عن موطن نشأة الفتنة أول مرة، أي قبيلة الرحامنة.

ويهمنا هنا، قبل كل شيء، التساؤل، حول مآل علاقتها ببعض جيرانها من القبائل، وبمدينة مراكش على الخصوص، سيما وأن هذه الأخيرة كانت أسواقها تستوعب معظم إنتاج الرحامنة من الصوف، والحبوب، والأبقار، والأنعام، والفحم، وغير هذا من المواد الفلاحية الأخرى، ويستوردون منها منتوجات الصناعة اليدوية، من منسوجات، وأواني، وأثاث، ومفروشات، وأدوات خشبية وحديدية، وغيرها من السلع والبضائع المحلية والأجنبية، كالسكر والشاي مثلاً فضلاً عن كونها مقر الخليفة السلطاني، وبها خزائن الدولة ومدخراتها.

وما أن عقدوا العزم على العصيان، حتى اشرأبت أعناقهم إلى مهاجمة المدينة، وقطع الطرق والمسالك المؤدية إليها، ومحاصرتها، واقتحامها، لعلهم يظفرون بها، أو على الأقل يغنمون من الأموال والخيرات ما يمكنهم من مواصلة تمردهم.

1- مرجع سابق، أعلاه.

ولكن، وقبل التعرض إلى هذا الجانب، ماذا عن ممثلي المخزن بعاصمة الجنوب، وكيف تجلّى رد فعلهم تجاه هذا الحدث الخطير، وماذا اتخذوا من ترتيبات وتدابير للدفاع عن المدينة وحماية سكانها من هجمات وعتو المنتفضين؟

ومن المعلوم أنه بعد تنحية الأمير مولاي محمد عن العرش، وفرض الإقامة الإجماعية عليه بمقر سكناه، عين أخوه المولى العباس خليفة للسلطان بمدينة مراكش. ومعلوم كذلك أن هذا الأمير سبق وأن انتدبه والده المولى الحسن، ابتداء من 22 شعبان 1308/ الموافق لـ 2 أبريل 1891، للتوجه إلى ناحية تادلة، على رأس حركة مخزنية. ومما كان قد قاله عنه الحاجب السلطاني وقتئذ أحمد بن موسى، في إحدى رسائله، نفهم أن الأمير كان في طور سن البلوغ، وهذا يعني أن عمره، على أكبر تقدير، كان لا يتعدى العشرين سنة وقت إسناد مهام الخليفة السلطاني بالمدينة المذكورة إليه، الأمر الذي يتمشى والخطة التي اعتمدها الوزير القوي في المخزن، أحمد بن موسى، والرامية إلى تركيز جميع السلط في يديه، وإبعاد كل من يخشى تضيقه وتهديده لحكمه¹.

1- حول صغر سن المولى العباس، يرجع إلى:

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 56, octobre 1894, p. 12.

حول شخصية أحمد بن موسى وسياسته في اختيار أعوان الدولة الكبار ومساعديه الأقربين، يرجع إلى:

- خ. س، ك 694، ص. 22.

وانظر كذلك ما كتب الحجوي في مؤلفه: "انتحار المغرب..." في هذا الشأن ما يلي:
«... وهذا الذي كان أيام أحمد بن موسى الذي كان دكتاتوراً، مطلقاً، جمع في شخصه وزارات المغرب كافة، داخلية، وخارجية، وحرية وعدلية وغيرها لعدم ثقته بأحد...».
م. س، ص. 4.

وأما ثاني شخصية في المدينة بعد الخليفة المولى العباس، فهو القائد محمد ويدة السوسي، باشا قصبة المنشية، وكَيْش أهل سوس بها. والحق، وبحكم الصلاحيات الواسعة التي منحه إياها المخزن، على إثر افتتاح منطقة الحوز سنة 1894، فإنه كان الأمر والنهي، على يده كانت تنفق الأموال، وتؤدى الأجور والرواتب، وتجنّد الأجناد والعساكر، وتدبر خطط الدفاع عن المدينة، ومحاربة المتمردين.

والرجل من عبيد البخاري، وعمل أول أمره في صفوف الجندية، قبل أن يرقى إلى رتبة قائد قبيلة، مكافأة له، ولا شك، على ما أبان عنه من خصال الشجاعة، والإقدام، والوفاء، وحسن التدبير. * أثناء، وبينما كان يشغل هذه المهام على بعض القبائل والفرق في منطقة المغرب الشرقي، وهي السجع، والبخانة، وأولاد خليفة، وبني وراغ، وبني فشات، وبني وجكل، وبني وكيل، بالإضافة إلى العمالة على قصبة عيون سيدي ملوك التي كان مقر حكمه وسكناه بها، نودي عليه باشا لقصبة المنشية بمراكش والكَيْش السوسي بها، خلفاً للقائد أحمد أمالك المتوفى، وذلك في حدود سنة 1890¹.

ومعلوم كذلك أن السلطان الجديد والذي صادف اندلاع ثورة الرحامنة، حلوله بمدينة فاس، قادماً لها من مدينة مكناس، على رأس كتائب الكَيْش والعسكر، ومبعيته الهيئة الوزارية والمخزنية بكاملها، قد ظل هناك حوالي

1- خ. س، مع 269، وثيقة بتاريخ 1308/ 1890 - 1891، ورد بها ذكر القبائل التي كانت تابعة لإيالاته، بناحية مدينة وجدة وتحدث عنه الرائد شلومبرجي، في العبارات الآتية: «... وأما الحاج محمد ويدة، باشا القصبة، فينتهي إلى أسرة من عبيد البخاري، وكان، آنذاك، متقدماً في السن، ويكن وفاء مطلقاً للمخزن، إلا أنه كان فظ الطبع، ذا ذكاء محدود، وفي نفس الوقت يغلو نشاطاً وحيوية...».

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 56, octobre, 1894, p. 12.

إحدى عشر شهراً، حيث لم يتحرك من ثمة، إلا أواخر شهر ربيع الأول 1313/ الموافق لحوالي 20 سبتمبر 1895، متوجهاً إلى ناحية الحوز¹.

وهذا يعني، قبل كل شيء، أن الباشا ويدة قد ظل، طيلة هذه الفترة، المسؤول الوحيد عن حماية المدينة والدفاع عنها، والتصدي إلى هجمات المتمردين ومحاولاتهم اقتحامها، والعمل على مطاردتهم، وإفشال خططهم.

وهذا ما حدث فعلاً، إذ استطاع الصمود في وجه المتمردين، وشن ومواصلة نوع من حرب الاستنزاف ضدهم، لإضعافهم وتفريق كلمتهم، ممهداً بذلك عمل المحلة السلطانية عند حلولها المرتقب بالمنطقة، ويتجلى لنا هذا الجانب من الوثائق بكل وضوح. وإليك ما قاله في حقه القائد العباس بن أحمد بن داود، باشا مدينة مراكش، والذي لا يمكن البتة الطعن في شهادته، بسبب ما كان بين الرجلين من تنافس وتنافر:

«... وما سلف من وقوف الباشى المذكور في الأمور المخزية جهد استطاعته، ينبغي أن يزداد له في الاعتناء بتقريره على توليته المرابطين المذكورين أولاد الجرون (من الرحامنة، بعد أن تَصَلُّوا من المتمردين)، وينعم عليه من الجنب العالي بأكثر من ذلك، لما قاسى من الشدائد والحن²...».

وأما ابن زيدان، فقد كتب عن الرجل، في "إتحافه..."، ما يلي:

«... ولولا قيام عاملها (مدينة مراكش) القائد (ودة) قيام الأبطال المخلصين، ومبالغته في الدفاع عنها جهده وطاقته، لخربت، وديست سرائقها وذووا الحيشيات فيها بالأقدام...»³.

1- A.G.V, 3h9, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 37, Septembre, 1895, p. 1.

2- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 409 / 16، الرسالة موجهة إلى أحمد بن موسى، بتاريخ 8 رمضان 1312 / 5 مارس 1895.

3- ابن زيدان، مولاي عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. المطبعة الوطنية، الرباط، 1929-1933، ج 1، ص 388.

غير أن المخزن، أي أحمد بن موسى الذي كان على علم تام بتطور الأحداث في المنطقة، وبحركات وسكنات الحكام والسكان على السواء، وذلك عن طريق مخبريه ومزوديه بالأخبار، الظاهرين منهم والمتسترين، وما أكثرهم في مثل هذه الظروف، كان له منطق خاص به في التعامل مع خدام المخزن وأعوانه.

ومن هؤلاء المخبرين، علاوة على أخيه البشير بن موسى، وصهره العباس بن داود، ومحمد ويدة نفسه، والشريف محمد المراني، وكذلك قواد المنطقة الذين كان يعينهم الأمر، أو يحدث في إياتهم ما كان يستوجب الاتصال والتبليغ، وانتظار التعليمات والأوامر قبل التقرير، فإن وثائقنا تفرز مجموعة من الأسماء، كانت تأخذ على عاتقها موافاة الوزير المذكور بما جد من الأخبار، قياماً بواجب المخزنية، أو تقريباً وتودداً إليه، ومن هؤلاء، نذكر:

- محمد بن يحيى الجديدي، عامل الجديدة والذي جاء في واحدة من رسائله إلى أحمد بن موسى، ما يلي:

«... فليكن في علم سيادتك أن بعض القبائل اجتمعوا بمراكش، وهم السراغنة، وزمران، وحيدوش الرحامي، وولد العسولي، وخرجوا من مراكش، وهجموا على الفساد، فقطعوا منهم رؤوساً ستة، ومساجين ثمانية، وأخذوا لهم خزائن، وحملوا ونصف من القرطوس، وقد وجهنا من أصحابنا عدداً متتابعين ليأتونا بأخبار الواقع بعد ذلك، وما ثبت عندنا في تحقيق أخبارهم، نظير به الإعلام لسيادتك...»¹.

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 409 / 3، الوثيقة بتاريخ 20 ربيع الثاني 1312 / 21 أكتوبر 1894. ونقرأ في وثيقة بتاريخ 6 ذي الحجة 1313 / الموافق 12 مايو 1896، أي في وقت كان قد انتهى فيه كل شيء بالنسبة لمبارك بن الطاهر بن سليمان الرحامي وأتباعه، حيث تغلب عليهم المخزن في آخر المطاف، أن هذا القائد قد نال جزاءه على ما قدمه من خدمات للمخزن، فتعززت عمالته على مدينة الجديدة بقيادة القبائل الآتية: أولاد فرج، أولاد بوزرارة، بني يخلف.

- خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 410 / 11.

الخريطة رقم : 10



– القائد بوشعيب بن المعطي الأزموري، وحمزة بن الطيب بن هيمة الأسفي، ومحمد بن التمار العبدى، وعبد الحميد بن الفاطمي الرحمانى، ومخبرون آخرون أقل شهرة ووزناً في الأوساط المخزنية، من أمثال القائد محمد بن قاسم منون، والتاجر إيشوعة قرقوز، والفقيه عمر بن قدور السراج الذي، في سياق الحديث عن تطور الأحداث في مدينة مراكش وأحوازها، استعمل لفظة «بوحمارة» ناعثاً بها مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحمانى، ومخبراً بأنه نظم قصيدة «مدحاً وتهنية للجناب العالي بالله في العيد المبارك عليه...»، وملتمساً تنفيذ الإعانة اليومية، وقدرها ثمانى أواق، والصلة اللتين كان يتوصل بهما أيام السلطان المولى الحسن¹.

ومهما يكن من أمر، فعلى إثر هزيمة الرحامنة، وإنزال أشد أنواع العقاب والتنكيل بساحتهم، رحلت الجيوش المخزنية عن أراضيهم، قاصدة مدينة مراكش، وتاركة من ورائها أرضاً جرداء لا أخضر ولا يابس فوقها، وشعوراً قوياً باليأس، والحزن، والآلام في القلوب والنفوس، لا فرق بين الصالح والطالح.

ثم ما فتئت تنقضي بضعة شهور على استقرار السلطان والهيئة المخزنية بالحاضرة المذكورة، حتى بادر أحمد بن موسى إلى تهميش وإبعاد أقرب الناس إليه، وأوفاهم إلى شخصه وسياسته، وفي مقدمتهم صاحبنا ويدة، حيث عينه

¹ - خ. ص. س، سلسلة III، حرف ب، مح 24، وثيقة رقم 3500، بتاريخ 15 ربيع الثاني، 1312 / 16 أكتوبر 1894.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 427 / 2، وثيقة بتاريخ 4 شوال 1312 / 31 مارس 1895.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 410 / 2، وثيقة بتاريخ 9 شوال 1312 / 5 أبريل 1895.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 410 / 8، وثيقة بتاريخ 20 شوال 1312 / 16 مارس 1895.

كبيراً لمحلة مخزنية تتوجه إلى ناحية القيهرة، بين متوكة ومروضة، بالرغم من كبر سنه وتدهور حالته الصحية، في ركاب صنو السلطان الأمير مولاي عبد الحفيظ، وكذلك فعل بعم السلطان الأمير مولاي عثمان، والباشا حم بن الجليلي البخاري، وقائد المدفعية الشريف أحمد بن عبد الله أمهرير الصوري، وثلاثتهم أمروا بالتوجه إلى منطقة سوس، فخلا له الجو من كل منافس خطير، أو ملاحظ متبصر مقتدر¹.

وكان يعمل إلى جانب ويده، بصفته باشا مدينة مراكش، القائد العباس بن داود الذي أسندت إليه هذه المهام، على إثر وفاة أخيه محمد في ربيع الثاني 1304/ الموافق لشَهْرَي يناير ويناير 1885. وبسبب علاقة المصاهرة التي تربطه وأحمد بن موسى، فقد كان من الأنصار والمقرين الأوفياء لهذا الأخير، وأبلى بلاء حسناً في الإسهام في الدفاع عن مدينة مراكش، ومحاربة متمرد الرحامنة، سيما وقد أمكنه، طيلة هذه المدة، تجنيد حوالي ألف من رماة المدينة، معززين بحوالي مائتين وخمسين فارساً. على أن الرجل هو كذلك نكب، وامتحن،

1- A.G.V., 3h9, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 77, en date du 1er Mai, 1896, p. 4 et suiv.

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 80, Juin, 1896, p. 6.

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 91, en date du 1er Nov, 1896, p. 4.

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 56, du 1er Mai, 1896, p. 6 et suiv.

وقد كتب الرائد شلومبرجي، في تقريره هذا، بأن ويده كان «يعاني من مرض خطير. وأن حالته الصحية ميأوس منها تماماً».

هذا وقد عين مكانه على باشوية قصبة المنشية بمراكش والكيش السوسي بها، وعلى مَلّاح المدينة، أي حيها اليهودي، بالإضافة إلى قبيلة غيغاية، وعال زاوية بن ساسي، القائد علال بن أحمد أمالك، نجل أحمد أمالك السابق الذكر.

- خ. س، ك 199، ص. 32.

وسجن غداة وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى المذكور، في شهر مايو من سنة 1900، على يد المهدي بن العربي المنبهي الذي كان قد سطع نجمه، آنذاك، في المحافل المخزنية، بالرغم من كونه ربي نعمة الوزير الصدر المتوفى¹.

وإلى جانب هؤلاء المسؤولين المخزنين الكبار، كان يعمل آخرون، ويشرفون على قطاعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمؤسسة الجيش، سيما في هذه الظروف المضطربة والحرجة التي كانت تمر بها مدينة مراكش ونواحيها، والتي كانت تحتّم التعاون والتشاور فيما بينهم جميعاً، في غياب السلطان ومساعديه الأقربين.

وهذا ما نلمسه بكل وضوح مما جاء في كتاب لمحتسب مراكش، الشريف عبد الله البوكيلي، في سياق الحديث عما خلقه من ارتباك وحيرة كبيرة في نفسه، امتناع بعض المتسوقة من الرحامنة عن أداء المكس على السلع والبضائع في أسواق المدينة، حيث نقرأ ما يلي:

«... ولما رأيت أن جلوس القابضين له (المستفاد) لا يفيد إلا بما يخشى من الفتق، طلعت لدار المخزن عند خديم سيدنا الحاج محمد ويدة، وتذاكرت معه

¹ - خ. س، ك 193، ص. 11، وثيقة بتاريخ 23 رمضان 1309 / 21 أبريل 1892، حيث أخبر

الباشا محمد بن داوود بوفاة «أبو المواريث» بمدينة مراكش، الشريف أحمد بن عامر.

- ابن ابراهيم، عباس بن محمد السملالي، الإعلام بمن حلق بمراكش وأغلمات من الإعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1974 - 1983، ج 1، ص. 193 وما بعدها؛ ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تنسيق وتحقيق محمد حجي، سلسلة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج 8، ص. 2770.

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 56, ict. 1894, p. 12.

- A.G.V., 3h8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 205, du 30 Mai, 1901, p.3.

فيه، وطلبت منه أن يوجه على القاضي مولاي المصطفى، والقاضي السيد بويكر بناني، والقاضي الرحمان، ليسألهم عما في علمهم في ذلك لإيضاحه عند الخاص والعام. فوجه عليهم، فأخبروه بأنه إن لم يصرح بتسريحه، لا شك في وقود نار الفتن بسببه، ولا يمكن التأني فيه لانتظار الإعلام به، وما يصدر من الإذن الشريف. فدخلنا جملة عند سيدي مولاي العباس...»¹.

1- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 401 / 1، وثيقة بتاريخ 5 محرم 1312 / 9 يوليو 1894. القاضيان الأولان هما:

- الشريف مصطفى بن عبد القادر العلوي، كان قد عين في هذا المنصب في سنة 1310 / أواخر سنة 1892، مكان الفقيه الفلاق، خ. س، ك 707، ص. 20. وأما الثاني، فهو أبو بكر بن العربي بن محمد، المولود بمدينة فاس سنة 1260 / 1244، والمتوفى بها سنة 1330 / 1912. وكان قد تولى القضاء «عمقصوره المواسين» ما بين 1298 و 1314 / 1881 - 1896. ابن ابراهيم، العباس السملالي، م. س، ج 1، ص. 222. وأما المحتسب البوكيلي، وهو من الشخصيات البارزة وقتئذ، ومن أغناها، فإنه ولا شك قد نودي عليه إلى فاس، تاركاً ولده إبراهيم نائباً عنه، حيث التمس هذا الأخير من البشير بن موسى التدخل لدى أخيه الوزير الصدر، لكي يعجل بعودة والده إلى مسقط رأسه ومقر عمله بمراكش، وهي الرغبة التي لم تتحقق قط. ذلك أن الشريف عبد الله البوكيلي الذي كان من المرافقين للسلطان المولى عبد العزيز، في رحلته من فاس إلى مراكش، والتي ابتدأت في 22 سبتمبر 1895، قد توفي موبوءاً، بموقع كيسر بالشاوية، في 30 دجنبر 1895، لأنه منذ انطلاقها من الحاضرة الإدريسية، والحلة السلطانية تتقل ووباء الكوليرا بين ظهرانيها. هذا وقد أسندت مهامه إلى ابنه إبراهيم المذكور الذي ظل محتفظاً بها حتى شهر مايو 1900، إذ في هذا التاريخ توفي بدوره أحمد بن موسى، فعزله «المخزن الجديد» أي المنبهي وأتباعه عن منصبه.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 410 / 6، رسالة إيشوغة قرقرز إلى أحمد بن موسى، يعزیه في وفاة المحتسب عبد الله، بتاريخ 21 رجب 1313 / 11 يناير 1896.

- A.G.V., 3h9, Rapp, n° 11, en date du 1er avril, 1895, p. 3.

- A.G.V., 3h9, Rapp, n° 50, en date du 30 Décembre, 1895, p. 3.

وأخيراً، ومن عجيب الصدف، أن تطابقت مدة خدمة أمناء البنيقة المراكشية، وهم المعطي بن البرنوصي بن المليح الفاسي، ومحمد بن بلعيد الرداني، وأحمد بن المكّي الصبان المراكشي، وفترة تمرد الرحامنة تقريباً، قبل أن يتغلب عليهم المخزن، إذ انحصرت ما بين 11 ذي القعدة 1311/ الموافق لـ 16 مايو 1894، تاريخ بداية عملهم، و10 شعبان 1313/ الموافق لـ 26 يناير 1896¹.

أجل، إن هؤلاء الأشخاص هم الذين تولوا تدبير شؤون مدينة مراكش، ومسؤولية الدفاع عنها، والحيلولة دون سقوطها في يد متمردي الرحامنة، ومن حذا حذوهم من قبائل الحوز.

والآن، ماذا عن القوات العسكرية، نظامية وغيرها، والتي تولت الدفاع عن المدينة والصمود ضد هجمات المتمردين، في انتظار حلول السلطان بالمنطقة؟ ثم ماذا عن الوسائل المادية، من مال، وعدة، وذخيرة، التي تمّ تسخيرها لهذه الغاية؟ وأخيراً، ماذا عن المعارك التي دارت بين الجانبين، وعن الخسائر البشرية والمادية في كلا المعسكرين؟

هذه مجموعة من التساؤلات، أفرزتها وثائقنا، سنحاول الإجابة عنها، في السطور الموالية.

من المعلوم أن العواصم الثلاثة، فاس، ومكناس، ومراكش، كانت ترابط بها باستمرار فرق من الكيش، والعسكر، علاوة على أفراد طائفة الرماة من أهلها، والذين كانوا بمثابة الجند الرديف، يلجأ إلى خدماتهم عند الضرورة.

¹ - خ. ع، كناش د 1690، ص. 400.

وهكذا، وبالنسبة للقوات الحربية التي كان بإمكان ممثلي المخزن بمراكش التعويل عليها، عند اندلاع تمرد الرحامنة، فإنها كانت تتكون من التنظيمات الآتية:

(1) كَيْش أهل سوس بالقصبة المنشية، والذي كان عدد رجاله، في محرم 1312 / الموافق لـ يوليو - غشت 1894، حوالي 1959 نفر.

(2) العسكر النظامي و"المؤسس"، المتكون آنذاك، من طابورين كان يعتبران من أحسن الفرق العسكرية في الجيش المغربي، وهما طابور القائد الأغا الحاج علي الباعمراني، وعدد رجاله 1376 نفر، وطابور القائد الأغا المحجوب المطاعي، الذي كان يتكون من حوالي 1719 عسكري.

(3) حراك أو عسكر القبائل المجاورة للمدينة، والذي تسميه الوثائق "جيش الأعراب"، وكان يضم، في بداية الأمر، عدداً قليلاً من هذه القبائل، كالمناجحة، وحرييل، وداوبلال، وتكنة، ودليم، والبحاترة، وعامر من عبدة، وفريق من حمير، والمغافرة.

(4) وأخيراً نذكر هنا تنظيم أو جماعة رماة المدينة، والذي كان يتحكم فيهم الباشا العباس بن داود، ويسيرهم مقدم يسمى "عبيد الرمي". وقد بلغ عددهم، طيلة فتنة الرحامنة، 200 إلى 250 فارساً، و1000 رام، معظمهم أفاقيون، ويتنسبون إلى قبائل ونواحي جنوب المغرب، وبالخصوص منطقتي درعة وتدغة.

هذا، وقد نسب إلى مقدمهم هذا مهمة الاتصال والتواطؤ مع الرحامنة في بداية أمرهم، حسب ما تضمنته رسالة البشير بن موسى إلى أخيه الوزير الصدر أحمد بن موسى، حيث قال:

«... كان جاعلاً اليد مع الفساد خفية من دون إطلاع أحد عليه، وحيث أراد الله اشتهاره، أشاع الباشا السيد عباس بن داوود النداء على أن المسوق البراني يترك سلاحه بالأبواب ومن امتنع، فلا يتسوق المدينة... إذ الحالة أنه تواعد مع الفساد المذكورين على أن يوقد النار بتلك الزقق ليلاً، فيقصد الناس إطفاءها، فيدخلون أولائك الفساد من أحد الأبواب الذي يتركونه لهم أصحاب عسته وهم الرمي، حيث هم عسة الأبواب بالأجرة مفتوحاً، وهو باب الدبغ...»¹.

وبالرغم من هذا وذاك، فإنهم أبلّوا البلاء الحسن في الدفاع عن مدينتهم، حيث شاركوا في العديد من المواجهات والاشتباكات ضد المتمردين، ولربما قد قتل منهم ما لم يقتل من الفرق الأخرى، إذ سقط منهم في معركة واحدة فقط، ما لا يقل عن 70 قتيلًا².

وينبغي لنا كذلك أن نأخذ بعين الاعتبار إسهام مقاتلي هؤلاء "الأعراب"، وبعض قبائل الدير، حيث كانوا ينتظمون في فرق وكتائب كان يعهد بقيادتها إلى ثلة من الأشراف من قرابة السلطان، وفي مقدمتهم عبد الملك بن عبد الرحمن، والأمين وعرفة ابنا سيدي محمد، وعبد السلام المراني وأخيه محمد الذي ظل، طيلة هذه الفترة، يتنقل بين مدينة أزموور ومراكش، على رأس جيش، يتكون في معظمه من أبناء القبائل، كحمير، ومجاط، ومزوضة، وأولاد يعلى، وأولاد مطاع، وسكساوة، وفروكة، ودويران، والذين بلغ عددهم أحياناً 1296 فارس، و276 رامياً، أو إلى شخصيات أخرى، كانت موضع ثقة الوزير الصدر

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 409 / 2، وثيقة بتاريخ 4 ربيع الثاني 1312 / 5 سبتمبر 1894.

² - خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 409 / 2، وثيقة بتاريخ 8 ذي القعدة 1312 / 3 مايو 1895.

أحمد بن موسى، كأخويه البشير ومحمد أبي موسى، أو القائد عبد الملك المتوكي، أو قواد السراغنة وهم أحمد العبوي، والعسولي، وأحمد بن محمد بن الطيب¹.

وقد ذكر، في هذا الصدد، الرائد شلومبرجي، في تقرير له عن أحداث حوز مراكش، بتاريخ فاتح أبريل 1895، أن عدد المقاتلين الذين كان المخزن يؤدي رواتبهم يومياً، قد بلغ 7000 نفر، ملاحظاً أن عددهم الحقيقي، كان لا يتعدى نصف هذا الرقم، مما يفهم منه بأن المسؤولين المخزنيين والعسكريين بهذه المدينة، وفي مقدمتهم ويدة وابن داود، كانوا يقتسمون فيما بينهم، نصف المبلغ المالي الذي كانوا يصرحون بدفعه للجنود، نظامياً كان، أو من القبائل².

على أنه بغض النظر عن حدوث مثل هذا النوع من التدليس والتلاعب بأموال الدولة من قبل بعض المسؤولين العسكريين والمخزنيين، فإننا لا نعتقد أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد، بل إن الرقم الذي أدلى به على أنه يمثل مجموع

1- خ. ع، مج. م. س، ص. 96، وص. 250، وص. 281.

وانظر، حول هذه النقطة، ما كتبه باشا مراكش العباس بن أحمد بن داود، عن القائد أحمد بن الطيب السرخيني، إلى أحمد بن موسى، حيث يقول:

«... فإن ممن ينفع أهل المدينة بنفسه وإخوانه في الخروج للطواف خارج البلد والمحاربة، إن هجم العدو، السيد أحمد بن القائد محمد بن الطيب الصرغي، وقد طلب إدراجه مع إخوانه في جملة من يعان هنا بالمونة السعيدة...».

2- خ. س، مج. م. ع. ع رقم 427/2، وثيقة بتاريخ 16 شوال 1312/12 أبريل 1895. وفي 16 ذي القعدة 1312/ الموافق لـ 11 مايو 1895، ساهمت بعض القبائل الحوزية، بعدد من رجالها، في تعزيز صفوف القوات المخزنية، على النحو الآتي:

- أولاد أبي السبع : 430 فارساً، و100 رامياً.

- متوكّة : 440 فارساً، و205 رامياً.

- السراغنة : 1426 فارس و50 رامياً.

خ. س، ك 553، ص. 41، وثيقة بتاريخ 21 رجب 1313/7 يناير 1896.

القوات في صفوف المخزن، بعيد كل البعد عن الصحة. وهذا ما سنحاول إثباته، من خلال استنطاقنا للوثائق، علماً بأن أعدادهم كانت في ازدياد مستمر، وبالخصوص بالنسبة للعسكر الذي كانت تؤسس بعض فرقته، كل شهر، بل كل أسبوع، متخذة اسم قائدها الذي كان يتولى أمورهما، أو القبيلة التي ينتسب إليها رجالها، فنقرأ مثلاً في الوثائق تعابير من هذا القبيل: «طابور المكي السرخيني، أسس في 12 منه (حجة 1312 / 6 يونيو 1895)»، «طابور بوعلام الزمراني، أسس في 7 منه صفر (1313 / 30 يوليو 1895)»...¹.

ولكي نتبين بصورة جلية التطور الذي طرأ على أعداد المقاتلين الذين كان يجندهم المخزن، طيلة هذه الفترة، وبالتالي تتضح في أذهاننا أكثر أهمية ومكانة كل تنظيم من التنظيمات الحربية التي أوامنا إليها أعلاه، في مجهودات المخزن الحربية، لإخماد نيران الفتنة المشتعلة في أحواز مدينة مراكش، نحمل مجموعة من الأرقام والمعطيات، في الجدول الآتي²:

¹ - خ. ع، كناش 1690 د، ص. 265، ص. 292 وص. 348 مثلاً.

وانظر كذلك ما كتبه، في هذا الشأن القائد أحمد العيوي السرخيني، إلى السلطان، حيث نقرأ ما يلي:

«... ونعلم سيدنا أننا أنشأنا عسكرياً سعيداً وقد بلغ ما ينيف على أربع مائة، كما ذكر قائد الرحي، وهو في زيادة...».

² - استفدنا مما ورد في سجل الخزانة العامة رقم 1690 د من مُعطيات، لإنجاز الجدول رفقته، وبالخصوص الصفحات: 249 وما بعدها، 265 وما بعدها، 281 وما بعدها، 345 وما بعدها.

الجدول رقم 30: أعداد قوات المخزن المحاربة لتمردي الرحامنة

ملاحظات	رماة المدينة				العسكر			جيش الأعراب			كيفية المشية			التاريخ والأحداث
	مج عام	مج	د	ج	مج	د	ج	مج	د	ج	مج	د	ج	
1) مثل عدد أفراد تكتل المشية بدون تسمية، مثل معظم سنة 1312 هـ وفي شهر الأول من السنة الحزنية، ولكنك عرفت الارتفاعاً بلغ 100 % تقريباً في شهر ذي الحجة 1312.	7855	1250	1000	250	3832	3550	282	814	400	414	1959	1700	259	حرم 1312 / 7 - 8 / 1894
2) جيش الأعراب عرفت أعداد رحالة، هو الآخر نوعاً من الاستقرار ما عد في شهري ذي القعدة وذو الحجة من السنة المذكورة، حيث تضاعفت في أوجها 5 مرات ونصف، وفي ثلثها حوالي 9 مرات.	12610	1250	1000	250	5264	4861	403	4137	2461	1676	1959	1700	259	قعدة 1312 / 4 - 5 / 1895
3) أعداد العسكر وحده عرفت زيادة مطردة خلال هذه الفترة بالكلية، وتضاعفت ثلاث مرات، ما بين بداية الفترة، ومراحطها الأخيرة، ما بقي نجاح المعون في إعادة الثقة إلى القوس وإقبال فليس على الانزط في صفوف هذا التنظيم.	18135	1250	1000	250	5839	5679	160	7137	987	6150	3909	2461	1448	حجة 1312 / 5 - 6 / 1895
4) عرفت الفصيح الحقة لأعداد عادي الفرق الثلاثة، ارتفاعاً مستمراً خلال فترة الحقة الرسمية، مع زيادة ملحوظة في شهري ذي القعدة وذو الحجة 1312 هـ، حيث تضاعفت 5 مرات ونصف في الشهر الأول، وحوالي 9 مرات في الثاني.	16042	1200	1000	200	12069	11009	1060	814	400	414	1939	1700	259	جمادى 1 / 1313 / 10 - 11 / 1895
5) عرفت الفصيح الحقة لأعداد عادي الفرق الثلاثة، ارتفاعاً مستمراً خلال فترة الحقة الرسمية، مع زيادة ملحوظة في شهري ذي القعدة وذو الحجة 1312 هـ، حيث تضاعفت 5 مرات ونصف في الشهر الأول، وحوالي 9 مرات في الثاني.														جمادى 1312 / 11 دجنر 1895

ملاحظات	رعاية المدينة			العسكر			جيش الأعراب			كشيش المشية			تاريخ والأعداد	
	مع عام	مع	د	خ	مع	د	خ	مع	د	خ	مع	د	خ	التاريخ
5) أعداد أفراد العسكر النظامي في التاريخ الأخير يمتد بتوزيع على النحو الآتي: - 183 من الخيالة و6788 رام يهضون من مراکش، ويتوجهون لملاقاة السلطان بالقرب من بلاد قبيلة الرحامنة. - عسكر الحاج علي الباعمراني الذي يتوجه مع الشريف محمد المراني وعدده: 13 من الخيالة و1590 رام. - 5 من الخيالة و265 رامياً من الطليحية يتوجهون صحبة المدفعين مع المراني المذكور. - 17 من الخيالة و720 رامياً يقون بمدينة مراکش مع القائد الأغا عمر التكاوي، ويكلفون بمهمة الأمان الحساسة هذه المدينة والتي كان مكلفاً بها طاهور القائد الأغا الحاج علي الباعمراني.														
														21 رجب 1313 / 7 يناير 1896

1- خ. س، الوثيقة نفسها الوارد ذكرها في هامش رقم 631 أعلاه.

طبعاً، تجنيد حشود من المقاتلين بهذه الكثرة، كان يقتضي رصد مبالغ مالية هامة، تصرف في أداء الأجور والرواتب و"السحرات" والهبات المتنوعة، لعزل المتمردين، وزرع الشقاق والخلاف في صفوفهم، واقتناء اللوازم والتجهيزات الحربية، من سلاح وغيره، في وقت كان قد توقف فيه تقريباً كل اتصال لمدينة مراكش بمحيطها القريب والبعيد، حيث لم تعد قط القوافل التجارية تخاطر بالتوجه إليها، أو الخروج منها، خشية التعرض إلى أعمال الاعتداء، والعنف، والسطو والنهب.

فيعد مرور حوالي عشرة شهور على اندلاع الفتنة، ها هو الذمي إشواعة قرقوز يخبر بدوره الوزير الصدر أحمد بن موسى، في هذا الشأن، حيث قال:

«... وكانوا قبل اليوم الطرقات مسرحين، وليوم قد قطعوا الطريق، وفي هذه الجمعة، وردت ستين حملاً سلعة من أسافي، فخرجوا عليهم ارحمنا، ونهبوا منهم ثمانية أحمال، والباقي منع منهم، وأيضاً ورد قافلة من أكلاوة، ونهبوها، وكذلك كل من خرج من مراكش يأكلونه...»¹.

ومهما يكن من أمر، فإننا تمكنا من استغلال ما ورد من أرقام ومعطيات في سجل الخزانة العامة المتكرر ذكره هنا، حول نفقات أمناء البنيقة المراكشية شهرياً، تنفيذاً لأوامر ويذة وعلى يده، من وضع جدول عام، ضمناه النفقات على الجيش والنفقات العامة، في الفترة المتراوحة ما بين شهر ذي القعدة 1311/ الموافق لمايو 1894، والعشرة أيام الأولى من شعبان 1313/ الموافق لأواسط يبرابر 1896، وهو كما يلي:

¹ - خ. س، مع. م. ع. ع رقم 409/16، وثيقة بتاريخ 2 شوال 1312/ 29 مارس 1895.

الجدول رقم 31: تطور النفقات العامة على الجيش، وحوارك القبائل،

بمدينة مراكش، خلال انتفاض الرحامنة (1894 - 1896)

الشهر والسنة	النفقات على الجيش (بالقفا)	النفقات العامة (بالقفا)	نسبة I إلى 2	المصدر	ملاحظات
ذو القعدة 1311 / مايو - يونيو 1894	17425	122345	14 %	خ.ع. ك 1690 د ص 110-375	تسمح معطيات هذا الجدول بإبداء الملاحظات الآتية:
ذو الحجة 1311 / يوليو - أيلول 1894		177114		" "	(1) نلاحظ، بصفة عامة، تزايداً في النفقات على الجيش، بالرغم من حدوث انكسار وهبوط في اتجاهها، في بعض الشهور.
محرم 1312 / يوليو - غشت 1894	35620	417257	8,50 %	" "	(2) ارتفعت هذه النفقات في الشهور الأخيرة من سنة 1312 هـ، والشهور الأولى من السنة الموالية، وهي الحقبة الزمنية التي كثرت فيها المواجهات، واحتد فيها الصراع بين القوات المخزنية والمتمردين.
صفر 1312 / غشت - سبتمبر 1894	41191	177114	23 %	" "	(3) أفادت رسالة وجهها العباس بن داود أن القدر من المال المسموح بإحراجه من بيت المال، على يد المكلفين هذا الأمر وهو ليس منهم، هو 3500 ريال، أي 437500 مقتال، بحسب 125 أوقية للريال، «... لا يفيد لما ينشأ غالباً في حقل شهر من الحوادث التي لا غنى عن التصيير فيها للمصالح المخزنية، وبذلك يحصل النقص من القدر المخرج، وتعطل المونة عن الجيش والعسكر، كما عطلت برمضان، وعزم عسكر المطامي على فعل ما ينكر، لولا أن الله سلم بدفع واجب ذلك من عندي سلفاً...».
ربيع 2 1312 / أكتوبر 1894	225721	439163	51 %	" "	
جمادى 1 1312 / نوفمبر 1894	249301	445007	50 %	" "	
جمادى 2 1312 / دجنبر 1894	273367	485287	56 %	" "	
رجب 1312 / 1895	331886	763463	43,50 %	" "	- خ.ع. س، مح. م. ع. ع. رقم 403 / 20. وثيقة بتاريخ فاتح قعدة 1312 / 26 أبريل 1895.
1312 / يناير - فبراير 1895	304514	449058	68 %	" "	(4) أُنحت حسابات أميني البيقة المراكشية، عند انتهاء مأموريتهم في 26 يناير 1896 الحصيلة الآتية:
رمضان 1312 / يناير - مارس 1895	313460	470580	67 %	خ.ع. ك 1690 د ص 110 - 375	المداخيل: 11536638 مقتال النفقات: 12103100 مقتال أي أن المحر قد بلغ 566462 مقتال
شوال 1312 / مارس - أبريل 1895	402934	595309	68 %	" "	
ذو القعدة 1312 /	512572			" "	

أبريل - مايو 1895					ثم إن الرقم الاجمالي لتنفقات الذي توصلنا إليه نحن، هو 10655771 مقال أقل من المبلغ المدفوع به أعلاه، ومرد ذلك ولاشك، إلى النفقات التي اعتبرت أرقامنا من جهة، وإلى خلوه من نفقات أخرى من جهة ثانية.
ذو الحجة 1312 / مايو - يونيو 1895	564945	756318	75 %	" "	
حرم 1313 / يونيو - يوليو 1895	479198	713190	67 %	" "	
صفر 1313 / يوليو - غشت 1895	388130	639120	61 %	" "	
ربيع 1 1313 / غشت - سبتمبر 1895	441518	856226	54 %	" "	
ربيع 2 1313 / سبتمبر - أكتوبر 1895	611955	812566	75 %	" "	
جمادى 1 1313 / أكتوبر - نونو 1895	631105	799115	79 %	" "	
جمادى 2 1313 / نونو - دجنبر 1895	262267	761427	34 %	" "	
العشرة الأيام الأولى من شعبان 1313		520819		" "	لم يدرج في المبلغ بمته راتب الجيش السوسي، بسبب عدم توصل عناصره به خلال «الشهري» السنة التي مبدأها شهر ربيع الثبوي عام 1313، وءاخرها هذا الشهر...».
				ص. 389	وكان يقتطع هم من راتبهم «ألف مقال ومائتا مقال. أما الألف، فتوضع في ربيعة الإمام السني نيابة عنهم في مهل كل شهر، وأما الباقي، وهو 257، فتدفع نيابة عنهم لبعض المنفقين...» .

ثم إن المجالات ومواطن القوة التي كان يتجلى فيها تفوق المخزن على خصومه، كانت لا تقتصر فحسب على ما كان باستطاعته تعبئته وتجنيدته من مقاتلين، أو على إمكاناته المالية والمادية الأخرى، بل نلمس تفوقه كذلك في نوعية السلاح الذي كان يزود به رجاله. فمن جهة، بنادق في معظمها عتيقة، من نوع بوشفر، طلقاتها بطيئة ومتقطعة، تعمر من فوهاها، ولا يتأتى الرمي بها

أهداف بعيدة، وهي التي كانت بيد الرحامنة وأتباعهم، وفي الجهة الأخرى، سلاح عصري نسبياً، يتكون من بنادق مارتيني - كومبلان (Martini-Comblain)، أو ريمينغتون (Remington) مثلاً، وكانت بيد أنصار المخزن، طلقاتها مسترسلة وسريعة، وتعمر من مؤخرتها، دون الحديث عن أنواع العتاد الحربي الأخرى، وبالخصوص الثقيل منها، والذي لا أحد كان في حوزته سوى السلطان¹.

على أن هذا لا يعني البتة أن هؤلاء المتمردين كانت تنقصهم الجرأة والشجاعة، أو كان مستواهم الحربي دون مستوى خصومهم، بل العكس هو الصحيح، وما استغرق الحصار الذي ضربوه على مدينة مراكش مدة خمسة عشر شهراً بالتقريب إلا خير دليل على قدراتهم الحربية الرفيعة. فقد هددوا عدة مرات هذه الحاضرة، وحاولوا اقتحامها، وأرغموا طلائع جيوشها، عدة مرات، إلى الفرار والاحتماء خلف أسوارها. وهذا ما نستشفه بكل وضوح من الفقرة الآتية:

«... وأما مراكش ونواحيها، فهي الحمد لله في نعمة شاملة، عاد ما وقع في خامس العيد (عيد الفطر)، هو أنه خرج العربي الزمراني، والعسولي، وأهل مراكش إلى قنطرة تنسفت، يقصد احتراق منازل أولاد بن لعقيد من الرحامنة، والمنازل خاوية، وليس فيها رجل ذكر ولا أنثى، فلما خرجوا ولحقوا الخيل المذكور، وأوقدوا فيه النيران، خرجوا بعض الخيل من الرحامنة، ونشبو البارود، ووقعت بين الفريقين معركة عظيمة، وتبعوهم الرحامنة إلى قرب المدينة... ولولا الألفاظ الخافية مع بركة سيدنا نصره

¹ - خ. ح، ك 347، ص. 93.

إشهاد عدلي على استلام قواد طابور القائد الأغا المحبوب المطاعي، وعددهم 28 قائداً عسكرياً، 698 بندقية، وهي من «عمل النجليزية المسماة بوخفرة» يوزعونها على رجالهم.

الله لوقع ما وقع، لأنه لم يكن لنا خبر بذلك قط، لولا هاذة الإغاةة لم
يفلت من المدينة ولا من غيرهم أحد...»¹.

هذا، وقد استدرك الفقيه عمر بن قدور السراج، السابق الذكر، على
القائد محمد بن قاسم منون عدم إشارته إلى الخسائر البشرية وغيرها التي أسفرت
عنها مواجهة 5 شوال 1312 هـ، فذكر في طرة كتاب موجه إلى أحمد بن موسى،
أن عدد القتلى في صفوف الرحامنة قد بلغ 43 شخصاً، بالإضافة إلى حوالي 30
جريحاً، وفقدان 8 أفراس، بينما خلفت هذه المواجهة في صفوف مقاتلي المخزن
3 ضحايا، من بينها شخص يدعى بوسته، "صاحب الباشا" (العباس بن داود
طبعاً)، كما جرح ثلاثة أنفار منهم².

1- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 2/410، وثيقة بتاريخ 9 شوال 1312/ 5 أبريل 1895.
إن القائد الأغا المحجوب المطاعي هو الذي تولى إغاثة الكتيبة التي خاطرت على الابتعاد عن
المدينة حيث أنقذ الموقف، إلا أن خرطوشة قد لمست صدغه، مما يدل على احتدام الاقتتال
بين الطرفين.

وعن إصابته هذه، كتب هذا القائد نفسه إلى أحمد بن موسى ما يلي:
«... أصابتنا رصاصة في صاغي، وخرجت تحت أذني، وهي سالمة...».
- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 16/409، وثيقة بتاريخ 10 شوال 1312/ 6 أبريل 1895.
وعن نوع السلاح الذي كان بيد القوات المخزنية، انظر:
- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 16/409، رسالة العباس بن داود إلى أحمد بن موسى بتاريخ
4 شوال 1312/ 31 مارس 1895.

2- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 2/427، وثيقة بتاريخ 4 شوال 1312/ 31 مارس 1895.
وفي سياق الحديث عن زعيم المتمردين مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحاني، سماه
"بوحمارة"، وهي أول مرة تصادف هذه اللفظة في الوثائق، قبل استعمالها وبكثرة في الحديث
عن بوحمارة الحقيقي، الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني، الفتان الشهير.

أما المعارك والمواجهات التي كانت تنشب، بين الفينة والأخرى، بين الجانبين، فلا نبالغ إذا قلنا بأنها أقرب إلى المناوشة والهجوم الخاطف، منها إلى المعركة الحقيقية بين خصمين، قرَّراً اللجوء إلى الاقتتال لأنهاء نزاعهما، وحسم الموقف لفائدة واحد منهما.

صحيح أن الفرق كان شاسعاً وهائلاً بين الإمكانيات البشرية والمادية، والحرية، والتنظيمية لدولة قائمة الذات بسلطانها، ومخزنها، وجيوشها، وبيوت أموالها، وبين ما كان بيد جماعات من البائسين والساخطين، والمستائين، حيث لا مال، ولا سلاح، ولا ذخيرة، ولا تموين، ولا لباس، سوى إقدامهم وشجاعتهم، وسط محيط قبلي مناوئ، لم يكن رجاله قط مستعدين للانضمام إلى صفوفهم وعصيانهم، مضحين بذلك بأنفسهم، وذويهم، وممتلكاتهم، في سبيل نصره دعوة ومشروع محكوم عليهما بالإخفاق والفشل مسبقاً. ومن ثمة اضطرارهم إلى القيام بأعمال اللصوصية والسطو، وإرهاب السكان العزل في قراهم ومداشرهم، للحصول على الزروع والضرور، والحلي والمال، وتنظيم هجمات، من حين لآخر، ضد مدينة مراكش نفسها، عليهم يظفرون بها¹.

1- أنظر مثلاً ما كتبه الخليفة السلطاني بمراكش الأمير مولاي العباس إلى أحمد بن موسى، في هذا الشأن:

«... وأخذ في قطع الطريق (مبارك بن الطاهر الرحامي) ونهب أجنة مراكش، ثم انتقل عشية الأربعاء 11 من شهر تاريخه إلى سكان تسلطانت، ونزل عليهم، وأمرهم بدفع المونة، ومن الغد نهب جميع من وجده باقياً بها، وفي عشية الجمعة الموالية عمد إلى دواويرهم الخالية وحرقها، بعد أن نادى بسوق جمعة ابن ساسي بالحركة صبيحة السبت لمراكش...».

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409 / 17، وثيقة بتاريخ 13 ربيع الثاني 1312 / 3 أكتوبر 1894.

ثم إن غياب السلطان وجيوشه عن المنطقة، خلال المدة بأكملها تقريباً التي استغرقها عصيان الرحامنة، وعدم اكتراته عمداً بهذا الأمر، وتعدد وتنوع القواد الذين كانت تسند إليهم مهام قيادة الحملات العسكرية المخزنية، هنا وهناك، كلها عوامل ساهمت في خلق وضعية غريبة، لا غالب ولا مغلوب فيها، في انتظار أن ينتهي كل شيء بحلول السلطان وحاشيته بالمنطقة.

وهكذا، كان ما لا يقل عن ثماني شخصيات عسكرية ومخزنية، وهم أعمام السلطان أو من بني عمومته، المولى الأمين والمولى عبد المالك، والمولى عرفة، والشريف محمد المراني، والقواد محمد ويده، والعباس بن داود، والمهدي بن العربي المنبهي، وعلال بن الشليح الشراذي، والحسن بورزيق الإيموري، وعبد الله بوزلافة الأودي قد حضروا في المعركة النهائية ضد الرحامنة، فضلاً عن قواد القبائل الموالية للمخزن، والذين كانوا يقودون بأنفسهم إخوتهم إلى المعركة والمبارزة، وقواد فرق الكيش والعسكر الذين حلوا، فيما بعد، بهذه الربوع الحوزية، في ركب السلطان المولى عبد العزيز، أواخر سنة 1895، الأمر الذي كان يستحيل معه كل تنسيق في الجهود، وكل انسجام في المواقف¹.

1- انظر مثلاً ما كتبه عبد الله بوزلافة، والمحجوب المطاعي، وشخص ثالث يدعى عبد الرحمن إلى أحمد بن موسى، متشكين من علال بن الشليح، حيث قالوا:

«... وفي عاشية يومه (27 محرم 1313)، الموافق لـ 20 يوليو 1895) ورد علينا علال بن الشليح ومعه رجل، وذكر لنا أن الرحامنة متعرضة للمحلة بالسويرج، وتكلمنا معه بلسان واحد أنه يدخل سوق رأسه، وما قصرت معه غاية...».

- خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 410/8، وثيقة بتاريخ 2 صفر 1313/25 يوليو 1895.
- A. G. V., 3h9, Rapp. n° 37, en date de spt, 1895, p. 1.

حول مغادرة السلطان المولى عبد العزيز مدينة فاس، في 22 سبتمبر 1895، متوجهاً نحو الجنوب، على رأس حملة وصل عدد رجالها إلى 7500 محارب.

ومهما يكن من أمر، فقد أسفرت أهم المواجهات التي دارت بين مقاتلي المخزن ومتمردي الرحامنة، في الفترة الممتدة ما بين 14 أكتوبر 1894 و6 مارس 1896، إما في الضاحية القريبة من مدينة مراكش، وفي بعض الأحيان تحت أسوارها، وإما بعيداً عنها، عن ضحايا في الأرواح، وخسائر في الدواب، وخراب في البيوت والأكواخ، ونهب في الزروع والضررع. على أن عدد القتلى والجرحى في صفوف الرحامنة وأنصارهم من قبيلة حمير، وبالأخص جماعات الخوالقة، والشهاونة، والقطانسة، واجنادغة، ونصف جماعة المصباح، ومسفيوة، وغجدامة، وتكانة، وفطواكة، وبعض الجماعات من دكالة كالغوانم من أولاد عمران مثلاً؛ ثم الذين تكبدوا أفدح الخسائر البشرية والمادية، إذ كان أبناؤهم يسقطون قتلى وجرحى بالعشرات في ميادين القتال، ضد عناصر الكتائب والتجريدات المخزنية التي كانت خيولها وأسلحة رجالها النارية العصرية تخلف الدمار والخراب في الأنعام، والدواب، والمغروسات، والمزروعات على السواء، ناهيك عن عشرات الأسرى والمحتجزين الذين كان يتم اقتناصهم، دون أدنى تمييز أو اعتبار لأعمارهم، أو لحالتهم الصحية، حيث كان منهم في بعض الأحيان الشيوخ العجزة، والأطفال الصغار دون البلوغ، ويساق الجميع، كما تساق الأبقار إلى زرائبها، بعد أن يربط بعضهم بعضاً، بالحبال، والقيود و"العنايق"، كما أشار إلى هذا المولى الأمين، في إحدى رسائله، إذ قال:

«... وقد توقفنا على السلاسل، والعنايق لأنهم (أي المساجين) موتوقين بالحبال...»¹.

¹ - خ. س، مع. م. ع. رقم 410 / 8، وثيقة بتاريخ 21 رمضان 1313 / 6 مارس 1895.

ومن التدابير التي دأب المخزن على اتخاذها بحذف حفز العزائم، وإذكاء الحماس في نفوس مقاتليه، تخصيص جوائز نقدية إلى المقاتلين في صفوفه، أو بالأحرى إلى من يأتي منهم برؤوس محزوزة للمتمردين، أو بأسرى منهم. وهكذا، كان يعطى عن كل رأس مقطوع خمسين مثقالاً، وعن كل أسير مائة مثقالاً. وأما من كان يقتل من جنوده وحراك القبائل، أو يصاب بجروح خطيرة، غالباً ما كان ينتج عنها عجز بدني بين، فإنه كان يعوض عن هذه الآفات أهالي الأولين بمنحهم 100 مثقال، وأما الآخرين فكان يعطاهم 50 مثقالاً، والمبلغان الأخيران جد زهيدين، بالنظر إلى حسامة المصاب وفداحة الخسارة¹.

1- خ. ع، كناش 1690 د، ص. 255، يتعلق الأمر بوثيقة تضمنت ما أعطاه أمناء البنيقة المراكشية من تعويضات، على يد الباشا ويده، إلى أولياء الجنود والحراك الذين قتلوا، أو جرحوا في معركتي 25 و 26 من شهر ذي القعدة 1312/ الموافق لـ 20 و 21 مايو 1895. وأما ما كانت تمثله المائة مثقال، أو الخمسون مثقال، من قدرة شرائية، علماً بأن الريال وقتئذ كان يصرف بـ 125 أوقية، يكفي أن نذكر هنا الأثمان الآتية:

1 بلغة : 125 أوقية، ولكن من النوع الرفيع لأنها اشترت للخليفة السلطاني بمراكش، في شهر ذي القعدة 1312 هـ.

1 فرس : من 25 إلى 55 ريالاً بالتسول، في شهر رمضان من سنة 1312 هـ.
1 بغل : من 20 إلى 55 ريالاً بنفس المنطقة وفي نفس التاريخ.
1 بقرة : من 9 إلى 14 ريالاً، نفس المكان والتاريخ أعلاه.
1 حمار : من 5 إلى 10 ريالات، نفس المكان والتاريخ أعلاه.

- خ. ع، كناش 1690 د، ص. 253.

- خ. س، ق. ح، ملف رقم 9، سنة 1894/ 1312 - 1895.

وأخيراً، لابد من الإشارة هنا إلى أن المخزن كان لا يلتزم دائماً بدفع نفس المبالغ المالية، تشجيعاً لجنوده وحراك القبائل، بل كان يعتمد إلى تخفيضها بنسبة النصف، وذلك خلال الحملة العسكرية الواحدة. وهذا ما حدث فعلاً، أثناء حركة السلطان المولى عبد العزيز سنة 1897 إلى منطقة الشاوية، بهدف تأديب قبيلة الأعشاش، حيث منح الجنود والحراك مائة مثقالاً عن كل مسجون، وخمسون مثقالاً عن كل رأس محزوزة في بداية الحركة، ولم يتوصلوا إلا بنصف هذين المبلغين في آخرها.

أضف إلى هذا أن المخزن، في مثل هذه الحالات الاستثنائية، كان يبيع لمقاتليه سلب ونهب ممتلكات خصومه، والمكونة أساساً من الحبوب، والأنعام، والدواب، فلا يتركون منها لا جليلاً ولا حقيراً، ويقتسمون ثمنها فيما بينهم، كما نلمس ذلك مما كتبه الشريف محمد المراني، في سياق الحديث عن المعركة التي دارت بين عناصر محلته والرخامنة، في ناحية الطويحنة، في 25 قعدة 1312/ الموافق لـ 20 مايو 1895، حيث قال:

«... فضربوهم ضرب شديد ونهب وتشريد، وأردفتهم المحال. فلم يكن غير بعيد حتى هزموا، ومنح الأجناد أنفسهم، وأمتعتهم، ومواشيهم، وخباياهم، فقطعت الرؤوس، وأخذت الأسرى، وتفرقوا شذر منذر...»¹.

ولا تسلم عن المصير التعس والمؤلم الذي كان ينتظر هؤلاء البؤساء الذين خافهم الحظ، فوقعوا فريسة بين يد من كان لا يرحمهم، ولا يشفق من حالهم، لا يميز بين من تورطوا فعلاً في التمرد وخاضوا في مختلف أطواره، وبين الأهالي الأبرياء الذين صادفتهم الحملة في طريقها، فسيقوا مع إخوانهم إلى زنازين

= - A.G.V., 3h11, Rapp. Cnc Rostaing n° 35, du 8 Décembre 1897, p. 4.

- Weisgerber (Dr. F): Au seuil du Maroc Moderne. Edit. La porte, Rabat, 1947, p. 57.

وستان بعد هذا التاريخ، وبالضبط أثناء العمليات العسكرية ضد قبيلة مسفيوة، صار المخزن لا يعطي إلا خمس المبلغين المذكورين، إذ تفيد رسالة القائد المدني المزوارى والأغا الحاج علي الباعمراني إلى أحمد بن موسى، أن المخزن قد أنعم «على الذين قبضوا المساجين (وعدهم 38 مسجوناً) بعشرين مثقالاً على كل مسجون، وب عشرة مثاقيل عن كل رأس (وعدها 31)».

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 416/2، وثيقة بتاريخ 26 جمادى الثانية 1317/ فاتح نونبر 1899.

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409/17، وثيقة بتاريخ 26 قعدة 1312/ 21 مايو 1895.

ودها ليز سجن مصباح، في انتظار توزيعهم على سجون الصويرة، والرباط، ومكناس، وفاس، وتطوان¹.

ومما كان يزيد في تشديد وطأة سوء المعاملة هذه وقساوتها، رداءة أحوال الطقس، وخصوصاً حين كان يصادف تحرك المحلة السلطانية اقتراب حلول موسم البرد والشتاء، وتهاطل الأمطار الغزيرة، حيث تتحول أرضية مخيم المحلة إلى أوحال، وردغات، وتكسوها هنا وهناك، برك من الماء، فتختفي فيها الأقدام حتى الكعبتين، إذا لم تتعداهما. وهذا ما حدث فعلاً أيام 16، و17، و18 دجنبر 1895 في وقت كانت المحلة مخيمة في موقع كيسر، بين الشاوية وبني مسكين، في طريقها نحو بلاد الرحامنة².

هذا إذا لم تنصف إلى هذه الظروف الطبيعية الصعبة جائحة الأوبئة، والأمراض المعدية الفتاكة، والتي كانت تجدد في أجسام هؤلاء الأسرى أرضاً خصبة للانتشار، مخلفة عشرات الضحايا في صفوفهم، الأمر الذي حدث فعلاً

1- خ. س. ك. 776، ص. 44، وك 422، ص. 302 / تَضَمَّن الأول الأوامر الصادرة إلى ويدة بتسليم الأتية من سجناء الرحامنة إلى الأعوان المكلفين بالذهاب بهم إلى فاس (200 مسجوناً)، ومكناس (200 مسجوناً كذلك)، والرباط (100 مسجوناً)، وتطوان (100 مسجوناً كذلك) وذلك بتاريخ 8 و11 محرم 1314 / 19 و22 يونيو 1896. وأما الثاني، فوردت به الأوامر بتاريخ 14 محرم 1314 / 25 يونيو 1896، إلى كل من عاملي فاس الجلديد سعيد بن فرجي وولد أب محمد الشرقي بقبول ما أرسل إليهما من المساجين المذكورين، وإلى باشا مكناس حم بن الجيلالي، ومحمد السويسي ومحمد بن أحمد بن الخضر السلاوي، في نفس الموضوع.

- A.G.V., 3h11, Rapp. Schlumberger n° 66, de Mars 1896, p. 5.

حيث تحدث عن اعتقال حوالي 2000 سجين بمدينة مراكش من هؤلاء الرحامنة.

2- A.G.V., 3h11, Rapp. n° 50, du 30 Décembre 1895.

في المرحلة الأخيرة من انتفاض الرحامنة. فالسلطان المولى عبد العزيز لم يغادر مدينة فاس التي ظل مقيماً بها منذ وفاة والده السلطان المولى الحسن، إلا في 25 سبتمبر 1895 متوجهاً نحو الجنوب، عن طريق مكناس، وبلاد زمور الشلح، والرباط، أي في وقت كان وباء الكوليرا قد انتشر في بعض جهات ومدن الشمال، كتطوان وطنجة مثلاً، قبل أن يزحف نحو مدن العرائش، والقصر، وفاس، والرباط على الخصوص، ويتمكن من التسلل إلى صفوف المحلة السلطانية، وذلك منذ شهر أكتوبر على الأقل، حيث يقول النقيب توماس (Cap Thomas)، رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب بالنيابة، ما يلي:

«... إن الحالة الصحية السائدة حالياً في صفوف المحلة لا تبعث قط على الاطمئنان؛ فقد توفي مؤخراً قائدان عسكريان، برتبة قائد الرحى، وفي نفس اللحظة، الأمر الذي أباح لبعضهم التحدث عن ظهور الكوليرا، ولكن دون الاستناد إلى حجج ثابتة...»¹.

وقد ازدادت حدة العدوى في الأسابيع الموالية، فارتفع عدد الضحايا، ولم يسلم من هول هذه الجائحة لا حاكم ولا محكوم، حيث سجلت إصابات توفي على إثرها أشخاص من حاشية السلطان، والوزير الصدر أحمد بن موسى، وفي صفوف كبار قواد الجيش، والكتاب، وغيرهم من علي القوم والذين كانوا في ركاب السلطان.

1- A.G.V., 3h11, Rapp. Schlumberger n° 66, de Mars 1896, p. 5.

رئيس هذه البعثة الرسمي، الرائد شلوميرجي الذي كان يقضي عطلة السنوية خارج المغرب، لم يستأنف عمله إلا يوم 7 نونبر 1895، حيث التحق بالركب السلطاني في مدينة الرباط. وانظر كذلك حول تسرب وباء الكوليرا إلى جيش السلطان، وما ترتب عن ذلك بالنسبة لرجاله، وللمناطق التي سلكها:

- البازاز، محمد الأمين، م. س، ص. 338 وما بعدها.

وهكذا، توفي محتسب مراكش، وهو شخصية بارزة في الجهاز المخزني وقتئذ، مولاي عبد الله البوكيلي في 30 دجنبر 1895، بعد أن عبرت المحلة وادي أم الربيع، انطلاقاً من مشرع الشعير، وحطت الرحال على الضفة اليسرى لهذا النهر، في موقع كركور ببلاد الرحامنة¹.

¹- A.G.V., 3h9, Rapp. n° 50, du 30 Décembre 1895, p. 4.

الخريطة رقم : 11

آنذاك، كان كل شيء قد انتهى عملياً بالنسبة لمبارك بن الطاهر الرحماني ورفاقه في المغامرة. فقبل هذا التاريخ وبشهور عديدة، تمكنت الكتائب والتجريدات العسكرية المخزنية من إعيائهم، واستتراف قواهم، ودك أرضهم دكاً، ونهب وحرقت مزروعاتهم ومغروساتهم، فتدهورت أحوالهم، وتلاشت قواهم، وأخذت الجموع تنفض من حول قائدها.

وأورد، في هذا الصدد، الذمي إيشوكة قرقوز الذي كان قد أوفد أحد إخوانه في الملة من معارفه إلى معسكر مبارك بن الطاهر الرحماني وجماعته للتجسس عليهم، والوقوف في عين المكان على أحوالهم وأوضاعهم، حيث بقي مستتراً عندهم أسبوعاً كاملاً، وكلام هذا الأخير نجده في رسالة وجهها إلى أحمد بن موسى، على النحو الآتي:

«... قال إنهم قطاعة، وعربانين ليس فيهم فائدة، وليس عندهم قوة، وفي كل يوم تفر طائفة منهم حتى لم يبق معه إلا نفرًا يسيراً...»¹.

وكتب عامل أزموور من جهته، بوشعيب بن المعطي الأزموري في نفس الموضوع، ما يلي:

«... قبيلة الرحامنة في غاية الخوف من السطوة العزيرية، طالبين المسألة بالمال، والأنفس، والذرية؛ وقد ندموا، وحملهم ذلك على الإنابة والرجوع. نعم، البكارة من إيالة عبد الحميد، ودوار الفاسد أولاد أحرز، ودوار عيسى (ولد الشلحة)، وبعض أولاد بوبكر قائمين في نصرته، ولا زالوا على ذلك إلى أن اسلم الشيطان كبيرهم، ففر عنهم، وتركهم على أسوأ حال...»².

¹ خ. س، مح. م. ع. ع رقم 409 / 3، وثيقة بتاريخ 23 قعدة 1312 / 19 مايو 1895.

² خ. س، مح. م. ع. ع رقم 410 / 6، وثيقة بتاريخ 6 رجب 1313 / 23 دجنبر 1895. =

ولم يكتف هذا المخبر المتحمس بالتقاط الأخبار عن المتمردين وزعيمهم بواسطة مبعوثين له يدسهم في وسطهم، بل أخذ على عاتقه التوجه شخصياً إلى مواطنهم، كسلام الغرابة مثلاً، مضحياً براحته ومخاطراً بنفسه. ويضيف الأزموري بأنه تعقب آثارهم وأخبارهم أينما حلوا وارتحلوا، وتوقف ببعض الدواوير والأسواق التي كانت موالية لهم عن طيب خاطر أو رغماً عنها، إلى درجة أنه، في إحدى المرات، لم يبق يفصله عن مكان وجود الثائر مبارك بن الطاهر الرحامي، سوى ما يقطعه فارس من مسافة مدة ساعة واحدة من السير. ويختتم كلامه الموجه طبعاً إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى قائلاً:

«... إلى أن وافى فارس في الساعة الثامنة من الليل ليلة تاريخه، فأخبر بأنه لقي الفاسد في خمسة عشر فارساً، ومعه امرأة واحدة وعبد يسوق بقرات، قاصداً المرور ليلاً على اخل الذي نحن به. وقد أخبرني شيخ الدوار الطالب المكي السلامي، وهو صهره، بأنه كان أخبره أن له صاحباً بتكّانة، يقال له الطالب لحسن ولد أزنّاك، قد اتفق معه على الكون عنده، ولا يلحقه لاحق، فلعل وجهته إليه...»¹.

وقبل انتقال المحلة السلطانية إلى الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، والتخيم بأرض الرحامنة، كان المخزن قد أبلغ قوادهم وأعيانهم شروطه لقبول توبتهم

= وعبر عن نفس الفكرة تقريباً شخص آخر، وهو القائد أحمد بن العربي الحميدي، في رسالة إلى أحمد بن موسى، حيث قال:

«... أن الساعي للفساد في الأرض مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحامي، قد شت الله شمله، وفرق جمعه، ففر من بلاد الرحامنة، وانقطع خبره، وسلمت الطريق لمدينة مراكش... وكذلك قبائل دكالة كلها هربت، وصلحت أسواقها وطرقها، وذعنت للخدمة...».

- خ. س، مح. م. ع. رقم 16/409، وثيقة بتاريخ 7 رمضان 1312/4 مارس 1895.

1- خ. س، المرجع السابق.

وإنابتهم، والعفو عنهم، والصفح عما صدر من بعض إخوانهم، ملزماً إياهم بدفع ما يلي:

- ذعيرة مالية قدرها 400.000 ريال.

- 2000 من رجالهم للخدمة في الجندية.

وانضافت إلى هذه الشروط، إجراءات زجرية أخرى اتخذها المخزن دون الإعلان عنها، نفذت في نفس الوقت، وهي أولاً اعتقال ما بين 1500 و2000 من رجالهم، والزج بهم في سجون مراكز، وثانياً مصادرة الأملاك العقارية التي كان يملكها قوادهم، وأعيانهم بهذه المدينة¹.

1- ابن زيدان، عبد الرحمن، العز والصولة...، م. س ج 1، ص. 252 وما بعدها.

- A.G.V., 3h9, Rapp. Schlumberger n° 66, Mai 1896, p. 5.

ذكر هذا الضابط أن عدد هؤلاء المساجين قد بلغ 2000 شخص تقريباً، كدسوا في بيوت وزنازن تسرب إلى سقوفها المهرم والخراب، مما كان يعرضهم إلى مخاطر حقيقية، في فصل الصيف كما في فصل الشتاء، بدون غذاء ولا لباس تقريباً، ويساعد على انتشار الأمراض المعدية كالكوليرا مثلاً، ومن ثمة العدد المرتفع نسبياً للوفيات في صفوفهم يومياً. وأما عدد دورهم والعقارات الأخرى كالحوانيت، والأهرية، والفنادق، والإسطبلات "الأروى"، فقد ذكر الرائد شلوميرجي بأن عدد دورهم وقتئذ قد بلغ حوالي 1500 دار، وهو رقم مبالغ فيه، في نظرنا. ولا شك أنه يعني به الدور وغيرها من العقارات الأخرى، سيما وأن تقييداً مخزناً، حرر في نفس التاريخ، يفيد بأن عدد دور الرحامنة الإجمالي بهذه المدينة هو 457 داراً ونصف دار، 188 ونصف منها بحومة الزاوية العباسية، والقرية من باب الخميس الذي يكاد يكون خاصاً بهم عند ترددهم عليها، بينما توزعت الدور الأخرى على سيدي سليمان الجزولي، وأسول وقعر أخليج وروض العروس...

A.G.V., 3h9, Rapp. n° 49, du 15 Décembre 1895, p. 4.

- خ. س، ك 437، ص. 86، وثيقة بتاريخ 28 رمضان 1313 / 20 نونبر 1896.

- خ. س، ك 199، ص. 85، وثيقة بتاريخ 14 جمادى الثانية 1314 / 20 نونبر 1896. =

واضح أن الهدف من هذه التدابير هو قبل كل شيء كسر شوكتهم، وإضعافهم وإغناكهم بشرياً ومادياً، حتى لا يعودوا إلى العصيان، مرة أخرى، ثم تخويفهم وإرهاب القبائل الأخرى التي قد يتبادر إلى ذهن أبنائها فكرة التمرد ضد المخزن، وإظهار سطوته وقوة بطشه بكل من يغامر بخلع طاعته.

ثم بعد ذلك، أخذت الكتائب والسرايا المكونة من عناصر الكيش، والعسكر، وحراك القبائل، تحت قيادة شخصيات من قرابة السلطان، في الانتشار والإحاطة بأرضهم، للحيلولة دون فرارهم وتشتتهم في القبائل المجاورة. وفي نفس الوقت كلفت تجريدات أخرى من الجيش، بمساعدة قواد القبائل، بالبحث عن متزعمي التمرد، والإتيان بهم إلى المخيم السلطاني. وهذا ما تم فعلاً في كل من مسفيوة حيث أُلقي القبض على محمد بن الطاهر بن سليمان الرحمان، أخو متزعم التمرد والمتورط إلى جانبه في المغامرة، ثم على ولد الغوات

= وهي في موضوع تكليف القائد عبد الحميد بن الفاطمي الرحمان بالإشراف على عملية بيع هذه الدور والعقارات، بمساعدة العدلين الطالبين عبد القادر الدكالي ومحمد بن التباع المراكشي.

وتفيد وثيقة أخرى بأن السلطان قد أخبر القائد الحسين المسفيوي، بإيفاد الوصيف محمد الشاوي، قائد الرحي بالجيش، و"المهندس" الطالب محمد الشادلي، وكاتباً لم يذكر اسمه بقصد «إحصاء أملاك دحان المسفيوي (أي الصنهاجي) وإخوته، وتخطيط بنودها، والإتيان بذلك لحضرتنا الشريفة...».

- ح. س، ك 422، ص. 32، وثيقة بتاريخ 2 ذي الحجة 1313 / 15 مايو 1896.
وتفيد رسالة بتاريخ 8 رمضان 1282 / الموافق لـ 25 يناير 1866، وجهها عامل مدينة مراكش، أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري إلى الفقيه الكاتب محمد بن داني الكبير التازي، أن عدد دور الرحامنة بحومة الزاوية العباسية "من غير الضعفاء"، قد بلغ 144 داراً، أي دون احتساب باقي دورهم في الحومات الأخرى.
- م. و. م. ر، مع مراكش، ملف 2.

بمدينة دمنات الذي يبدو وأنه كان بشع الصورة، حيث تحدثت عنه رسالة مخزنية
في العبارات الآتية:

«... وفي خلل المقام عليهم، وقع القبض على رئيس الفساد بدمنات
اللعين، النجس الغوات، وسبق إلى حضرتنا العالية مصفداً مغلولاً مقيداً،
فألقي من يصدق عليه قول صاحب المثل الأواه: تسمع بالمعيدي (مشقة
بن ضمرة) خير من أن تراه...»¹.

ثم جيئ كذلك بمبارك بن الطاهر الرحماني الذي أخرج قوة من حرم الولي
سيدي علي بن إبراهيم بتادلة، ووضع في قفص قضبانه من حديد، وطُوفَ في
كافة أرجاء مخيم المحلة ليراه الجميع.

آنذاك، يكون قد انتهى كل شيء بالنسبة للمتمردين ومن ساندتهم من
القبائل. على أن المخزن، ولئن فرض الذعائر على عدد منها، و"مال الضيافة"
على جميعها، فإنه مع ذلك أخذ بعين الاعتبار درجة مشاركة وتورط كل واحدة
منها في العصيان. فقد أشار السلطان المولى عبد العزيز إلى هذه المسألة، في رسالة
وجهها إلى مُرابط زاوية أبي الجعد، العربي بن داود، حيث قال:

«... إلا ذالك منهم (أهل الحوز) من خاض فيه خوضاً عمومياً، ومنهم
من خاض فيه خوضاً خصوصياً، ولكل فريق منهم عندنا من سلك هاتيك
المسالك حكم يخصه لأجل ذالك. فالذين خاضوا الخوض الخصوصي،

1- رسالة السلطان إلى الباشا حم بن الجيلالي، بعد أن ظفرت جنوده بمؤلاء جميعاً، وبها كذلك
مجموعة من الأقوال المأثورة عند العرب، وحكمهم، كقولهم مثلاً «رب حيلة أنفع من قبيلة» أو
«ما يدرك بالمطاولة، لا يدرك بالمصاولة» تبريراً ولا شك للطريقة المتبعة من قبل المخزن حتى
الآن، في معالجة أزمة الرحامنة، والتي كانت تراهن على عامل الوقت لإعيائهم، واستتراف
قواهم، وزرع الشقاق في صفوفهم.

فحكمهم حكم الرحامة في التربية في توظيف المزجرة عليهم بالمال،
والعدة، والمراهين، وغير ذلك مما يستحقوا من أن يعاملوا به من الأنواع
الزجرية (كزمران، وتُكَّانة، ومسفيوة مثلاً، وأما الذين خاضوا
الخوض العمومي، فحكمهم هو ارتكاب الأمر بالوسط من زجرهم
بالذعيرة بالمال، والخيّل، والعدة، والعسكر فقط...»¹.

وتحدثت مجموعة من الوثائق عما كان يستلمه أربعة أمناء، وهم محمد
بن الحسين كنون، وعبد الحميد جنون، ومحمد بن شقرون، وأحمد القسة
المراكشي من المال، نقداً أو عيناً، من أربعة قواد وهم: عيسى بن الطاهر
الرحماني، وعبد الحميد بن الفاطمي الرحماني، وعيسى بن مبارك الرحماني،
ومبارك بن الحسن الرحماني، وذلك برسم ما نأهّم فيما وظفه المخزن من الغرامة
المالية على جميع الرحامنة. هذا وقد بلغ ما أداه أول هؤلاء الأربعة، ما بين 28
رجب و12 شعبان 1313/ الموافق لـ 14 يناير و28 منه 1896، أي في أقل من
أسبوعين 16020 ريال².

إذن، ها هو المخزن يتغلب، في آخر المطاف، على خصومه وغيرهم من
القبائل التي انتفضت هي الأخرى ضد قوادها، وطردتهم من أراضيها، بعد سلبهم
ما كانوا قد اكتتروه من مال وغيره منذ مدة. وهذا ما تعرض إليه فعلاً كل من
القائد الجليلاني بن علي الدمناطي، على يد متمردي ربيع كطيوية من قبيلة ولتانة،
وكذلك القائد عيسى بن عمر العبدوي، على يد كل من أولاد زيد وأولاد لحسن
من أتباعه، والذين بعد أن اقتربوا كبيرتهم بالقبيلة، توجهوا إلى مدينة أسفي في

1- خ. س، ك 422، ص. 43، رسالة بتاريخ 21 رمضان 1313/ 6 مارس 1896.

2- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 410/ 8، و410/ 11.

نحو 1000 محارب، وتحصنوا بحي الرباط خارج أسوارها، عابثين بأمتعة وممتلكات سكانه، الأمر الذي أربك السلطات المخزنية المحلية، ولا سيما العامل حمزة بن الطيب بن هيمة الذي قد يُتَّهَمُ بالتقصير، في حالة تعرض ممتلكات التجار الأوربيين إلى النهب والتخريب. هذا، وقد تطلب الأمر تدخل كتائب من الجيش، وأتباع عيسى بن عمر العبدى الذين بلغ عددهم حوالي 1500 فارس، بالإضافة إلى الحامية العسكرية المحلية للتغلب عليهم، وإجبارهم على الاستسلام، بعد أن سقط قتيلاً في هذه الاشتباكات حوالي 150 من مقاتلي الجانبين. ثم إن هذه الأحداث قد تزامنت مع تمرد اندلع بسجن هذه المدينة، حيث حاول السجناء كسر الأبواب والهروب، الأمر الذي كان له ولا شك علاقة بالحركة التمردية ضد قائد البحارة¹.

ومهما يكن من أمر، وبعد أن «أذعن الناس غاية الإذعان، وجرت الأحكام في الجبال والوهاد، وفي سائر أقطار البلاد، وجبيت أموال تجل عن الحصر، وتستغرق الأعداد... وجرت الأحكام في جميع أقطار الرعية كلها، صحرائها، وتلها، وسهلها...»، على حد قول صاحب "التنبيه المغرب"، شرع المخزن، أي أحمد بن موسى، في تعيين قواد جدد في كافة مناطق البلاد، بما في ذلك مثلاً قرية القصايي، ببلاد أيت

1- بالنسبة لأحداث دمنات:

- A.G.V., 3h9, Rapp. Schlumberger n° 91, du 1er Nov, 1896, p. 4.

وبالنسبة لأحداث عبدة وأسفي، يرجع إلى:

- ج. س، مح. م. ع. ع رقم 410 / 11، رسالة محمد المراني إلى أحمد بن موسى بتاريخ 23 محرم 1313 / 16 يوليو 1895.

- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 410 / 11، رسالة إيشوغة قرقوز إلى أحمد بن موسى بتاريخ 24 محرم 1313 / 17 يوليو 1895.

إزدك، والتي كان المخزن يوليها عناية خاصة، بسبب حساسية وخطورة موقعها الجغرافي المتميز على المحور الطرقي الرابط بين فاس وتافيلالت، حيث ولي عليها، وعلى 39 جماعة قبلية كانت تابعة لها، بالإضافة إلى خمسة "ملاليح" أي حارات اليهود في كل من القصابي نفسها، وأوطاط، وتعلالين، وطيط نعلي، وقصر السوق، شخص يدعى محمد بن العباس الرحماني والذي كان يحظى بثقة الوزير الصدر أحمد بن موسى¹.

ومعلوم أن هذا الأخير كافأ جميع الأشخاص، قواداً، وشيوخاً، وأمناء، وغيرهم من أهل المنطقة على ما قدموه من عون وخدمات إلى المخزن، فأغدق عليهم من فيض نعمه وجزيل عطاءاته، ما ثبت به أقدامه، وقوى به مركزه، وفي مقدمة هؤلاء المهدي بن العربي المنهبي الذي اتسع نطاق وحجم إيلته، كما نال نصيبه مما صودر من دور، وحوانيت، وفنادق بمدينة مراكش لأصحابها الرحامنة؛ ومحمد بن يحيى الجديدي الذي أضاف إلى العمالة على مدينة الجديدة، القيادة على أولاد فرج، وأولاد بوزرارة، وبني يخلف، من قبيلة دكالة، وصهره العباس بن داوود، وسعيد الكلولي الحاحي الذي عين في العاشر من قعدة 1314 / الموافق لـ 12 أبريل 1897، قائداً على قبيلة هشتوكة بسوس...².

1- بوعشرين، الحسن بن الطيب، م. س، ص. 53.

2- خ. س، مج. م. ع. ع رقم 410 / 6، رسالة الباشا عباس بن داود إلى أحمد بن موسى، في شأن ترشيح شخص يدعى عبد السلام النسب لتولي قيادة الجعافرة من البرايش (الرحامنة)، واستعداده لأداء ما تعهد به لبيت المال للوزير الصدر، ملتصاً أن يجهل شيئاً من الوقت بالنسبة للأداء الأول، على أن يُعَجَّلَ بالثاني، وهي بتاريخ 13 صفر 1313 / 5 غشت 1895.

- خ. س، ك 224، ص. 11، رسالة أحمد بن موسى إلى العباس بن داود، بتاريخ فاتح ذي القعدة 1313 / 14 أبريل 1896، يأمره فيها بتمكين الطالب عبد المالك بن عبد الله أبي من الدار التي كانت في حوزة بن بلة الرحماني، مع جميع منافعها ومرافقها.

=

لقد حاولنا، في مبحثنا هذا، معالجة ظاهرة التمرد في مغرب القرن التاسع عشر، على ضوء ما أمكننا استنتاجه من وثائق، متخذين انتفاض قبيلة الرحامنة سنة 1894 صورة من صورها المعبرة والمتميزة. ولئن كانت الانتفاضات والفورات الشعبية، وكذلك الحركات التمردية التي تزعمها أشخاص مغمورون، والتي شهدتها البلاد قبل هذا التاريخ، بين الفينة والأخرى، وفي البوادي كما في الحواضر، كَحَرَكَةِ الجيلالي الروكي السفياني مثلاً سنة 1278/ 1861 - 1862، أو تمرد حرفيي مدينة مراكش ضد الباشا أحمد بن داود سنة 1289/ 1872، أو هيعة أهل فاس ضد أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس، في الشهور الأولى من عهد السلطان المولى الحسن، قد اكتسبت، قبل كل شيء، صبغة محلية وطائفية جد ضيقة، وظلت محصورة في الزمان والمكان، وكانت بمثابة رد فعل عنيف من قبل فئات عريضة من المجتمع المغربي على تردي أوضاعها المادية والمعيشية، أو للتنديد والاحتجاج على جور وقهر الحكام، ونهمهم الذي لا حد له، فإن حركة الرحامنة، وحركة الروكي بوحمارة فيما بعد، قد كانت أهدافهما السياسية واضحة، فضلاً عن أنهما كانتا من تدبير شخصيتين اثبقتا من الجهاز المخزني نفسه.

ثم ما كانت تمضي بضعة أسابيع على عودة السلطان إلى مدينة مراكش، في بداية شهر مارس 1896، حتى أتاه الخبر بما وقع من نهب وقتال، في قصبة القائد محمد بن أحمد المزاري، في شهر يوليو من نفس السنة، والتي كانت بمثابة مستودع ضخمة لسلع وبضائع التجار الأوربيين، وشركائهم من المغاربة، مسلمين ويهوداً، كما اعتُرضَ سبيل القائد علال بن بوعزة الأودي، في نفس المنطقة والتاريخ تقريباً، هذا الذي كان قد كلف بالإتيان بمبارك بن الطاهر

= - ع. س، ك 199، ص. 21 - 37، وابتداء من فاتح جمادى الثانية 1314/ 7 نونبر 1896، خاص بالتعيينات الجديدة.

الرحماني من حرم سيدي علي بن إبراهيم بتادلة. وكانت هذه الاعتداءات، وأعمال النهب والسطو، من صنيع عناصر من قبيلة الأعشاش التي كانت تمثل ثلث قبيلة المزاب التي كانت تعد بدورها ثمن قبيلة الشاوية.

والجدير بالملاحظة هنا، أن قبيلة الأعشاش هذه، كانت في حالة عصيان مستمر، حيث لا تتردد في الإغارة والمهجوم على جيرانها، مستغلة موقعها الجغرافي المتميز بين قبائل تادلة والسهول الأطلسية، للتحكم في مسالك القوافل الحاملة لأصواف فرقي ورديفة والسماعلة، وباقي المنتجات الفلاحية الأخرى، قاصدة مدينة الدار البيضاء، والمهجوم عليها متى ارتأت ذلك¹.

أضف إلى هذا أنه في الوقت الذي قام فيه السلطان المولى عبد العزيز بحملته العسكرية ضد الأعشاش، كان الرأسمال الأوربي قد أحكم قبضته على دوايب

1- خ. س، ك 12059 ز، ص. 88. نص التقييد الوارد في هذه الصفحة على أن قبيلة الأعشاش هذه تتكون من الفرق والجماعات الآتية:

الخزازرة، الأولاد، أولاد محمد، المعارف، أولاد بن يعريف، بني إيمان، أولاد سي عيسى بن إبراهيم، أولاد شبانة، منيع.

- المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى الفاسي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية.

مخ. خ. ع. رد 1463 وكـ 320؛ مخ. خ س رقم 1020، و1019، و12489.

- خ. س، مخ. ح رقم 148، محمد بن العربي الخزاري إلى السلطان، بتاريخ 6 صفر 1305/ 24 أكتوبر 1887، في شأن ما نهبه الأعشاش من قصبته.

- خ. س، ك 694، ص. 155، رسالة الأمير مولاي بلغيث إلى السلطان مولاي الحسن، في شأن القيمة الإجمالية لما نهبه من زرع الأعشاش وأولاد مراح لإخوان القائد المعطي بن عبد الكبير المزمري، وقد بلغت 38651 ريال، وهي بتاريخ 16 رمضان 1311 / 23 مارس 1894.

- A.G.V., 3h9, Rapp. du Cap Rostaing, n° 83, Juillet 1896, p. 6.

- A.G.V., 3h11, Rapp. du Cap Rostaing, n° 35, e, date du 8 Décembre 1897, p. 1.

- A.G.V., 3h9, Rapp. du Cap Rostaing, n° 1, en date du 10 Janvier 1898, p. 2.

إنتاج ومبادلات قبيلة المزاب بكاملها، ومن ثمة حرص المخزن على تهدئة الأوضاع، واستخراج ما ضاع من أموال في الهجوم على القصبة المذكورة¹.

أضف إلى هذا امتناع بعض قبائل ناحية تادلة، وفي مقدمتها بني زمرور والسمايلة على الخصوص، عن أداء الواجبات والفروض الشرعية، وكذا الوظائف والكلف المخزنية.

فاستنفرت، هذه المرة كذلك، الجنود والعساكر، وتمت تعبئة القبائل، وحشدت العزائم والهمم، ووضعت الخطط الحربية لإخضاع هؤلاء المتمردين. وقد أوكل المخزن مهمة قيادة وتسير الكتائب والسرايا الحربية إلى أبرز العناصر من قواد الكيش والعسكر، وأوثقهم صلة بالوزير الصدر أحمد بن موسى، وهم الشريف أحمد الصوري، وعبد الكريم ولد أب محمد الشرقي، وعلال بن بوعزة الأودي، ومحمد بن الجيلالي بن الحفيان الفرايكي، وعبد الله بوزلافة، ومحمد بن قاسم منون، والحسن بورزيق اليموري، ومحمد بن الحسن اليموري، وبناصر المجاطي، معزراً إياهم بعدد من الشرفاء من قرابة السلطان تعودوا على قيادة الحركات، وبالمرباط الحسن بن العربي بن داود، وبنقيب الشرفاء العلويين بمنطقة تادلة،

1- منذ أواخر شهر ذي القعدة 1314/ الموافق لأواخر مايو 1897، كان حراك السراغنة، وبني موسى، والشاوية وعددهم جميعاً 3490 رجل، من بينهم 2124 فارس، قد وصلوا إلى دار القائد محمد بن خمليش المراهي، للانضمام إلى محلة البشير بن موسى، أخ الوزير الصدر أحمد بن موسى، بصفته قائداً عسكرياً على الجميع، في انتظار صدور أوامر السلطان للشروع في العمليات الحربية ضد الأعشاش، أولاد محمد والخازرة منهم على الخصوص.

ولم يغادر المولى عبد العزيز مدينة مراكش، على رأس الجيوش النظامية، وباقي حراك قبائل الخوز إلا في 16 سبتمبر 1897، ليعود إليها، بعد انتهاء الحركة هذه، في 26 مارس 1898.

- خ. س، مع. م. ع. ع. رقم 404/6، رسالة المعطي بن عبد الكبير المزماري إلى أحمد بن موسى بتاريخ 2 محرم 1315/ 3 يونيو 1897.

- Arnaud (Louis, Dr), op. cit., p. 122 et suiv.

والأمير مولاي عبد الحفيظ، ومحمد المراني، ومولاي الأمين، ومولاي عبد القادر، ومولاي الطيب، ومولاي المامون، ومولاي بوبكر بن الشريف.

وكما كان متوقعاً، تغلب المخزن على خصومه، وأُتيحت الفرصة لمحاربه لقتل وأسر العديد من رجالهم، ونسائهم، وحتى من أطفالهم، وإحراق قصباتهم، ومداشرهم، ومخابثهم، ونهب زروعهم وضروعهم. وقد تحدثت المصادر المغربية والأجنبية، في هذا الصدد، عما لا يقل عن 300 قتيل و2000 أسير، دون الحديث عن الذين قتلوا في المعارك، أو في الكهوف والمغارات من شدة البرودة وغزارة الأمطار والذين لم يتمكن لا الجنود ولا الحراك من قطف رؤوسهم، والعودة بها إلى معسكر السلطان، وبالتالي الاستفادة من الجائزة المخصصة لهذه الغاية¹.

وأما نحن، فقد قمنا بعملية إحصائية في هذا الشأن، اعتماداً على وثائق مخزنية وحدها، وتركنا جانباً الأرقام الواردة في تقارير رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب في الفترة، ما بين 27 محرم و11 شعبان 1315/ الموافق لـ 28 يونيو 1897 و5 يناير 1898، أسفرت على النتائج الآتية:

- عدد الرؤوس المقطوعة : 103.
- عدد الأسرى : 1889².

1- ابن زيدان، عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس...، م. س، ج 1، ص. 392، وج 4، ص. 289 - 292.

الحجوي، محمد بن الحسن الثعالبي، تقايد تاريخية، خ. ع، ح 128، ص. 25 وما بعدها.
 - A.G.V., 3h11, Rapp. du Cap Rostaing, n° 35, du 8/12/1897, p. 1 et suiv.
 - A.G.V., 3h11, Rapp. du Cap Rostaing, n° 1, du 16/12/1897, p. 3 et suiv.
 - A.G.V., 3h11, Rapp. du Cap Rostaing, n° 1, du 10/1/1898, p. 1 et suiv.
 - A.G.V., 3h11, Rapp. du Cap Rostaing, n° 1, du 27/12/1898, p. 1 et suiv.

2- استقينا هذه المعلومات من الوثائق الآتية:

- خ. س، مع. م. ع. ع أرقام: 402/8، 404/1، 412/2.
 - خ. س، ك 234، ص. 32 - 185، يكاد يكون هذا السجل خاصاً كله بحركة الأعشاش هذه.

الخريطة رقم : 12

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الملاحظة التي سبق وأن أبديناها - حول استحالة ضبط العدد الحقيقي للقتلى أثناء المعارك، في كلا المعسكرين، علماً بأن عددهم في صفوف محاربي المخزن كان أقل بكثير بالنسبة لعددهم في الجانب الآخر - تنطبق تماماً على الرقم الذي أدلينا به أعلاه. ثم إن ما يثير الانتباه هنا كذلك، هو أن عدد الوفيات الذي كان يسجل في صفوف الأسرى، أثناء توجيههم إلى مكان اعتقالهم ببعض الحواضر الكبرى كان مهماً بالنظر إلى عددهم الإجمالي. فقد ذكر مثلاً القائد عبد الله بوزلافة، في رسالة إلى أحمد بن موسى، أن 47 سجيناً من أصل الـ 500 الذين كلف بإيصالهم إلى معتقلات مدينة الرباط، قد توفوا في الطريق، أي بنسبة 9,40%¹.

لقد تعمدنا الإشارة إلى حركة السلطان هذه إلى منطقة الشاوية، علماً بأن الذي أغرانا على هذا هو عثورنا على وثيقتين نفيستين ومفيدتين في آن واحد، يرجع تاريخهما معاً إلى شهر ذي القعدة 1315/ الموافق لشهر مارس وأبريل 1898، أي في الوقت الذي كان كل شيء قد انتهى، بعودة المولى عبد العزيز إلى مراكش.

¹ - خ. س، مع. م. ع. ع رقم 404/9، وثيقة بتاريخ 12 شعبان 1315/ 6 يناير 1898. وكان المخزن يتولى عملية دفن هؤلاء الأسرى الذين يقضون نجيتهم أثناء الطريق، على الأقل الذين يكونون منهم في ركب السلطان، كما نتبين ذلك من ملخص رسالة تعيين الأمين التهامي بن شقرون المراكشي: «... لتجهيز أموات المساجين بالحلة السعيدة والوقوف على كل ميت منهم حتى يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، وقد كتب بذلك لقاضي الحلة عبد الواحد بن المواز لتعيين أربعة أناس...».

- خ. س، ك 234، ص. 183، وثيقة بتاريخ 15 شعبان 1315/ 9 يناير 1898.

وأما أولى الوثيقتين، فيدور موضوعها حول:

«مال الضيافة السعيدة المفروض في شهر ذي القعدة عام 1315»،
وسجل أمام اسم كل قبيلة أو قائدها المبلغ المالي الذي كان عليه أدائه، ويتعلق الأمر بالقواد والقبائل الآتي ذكرهم:

الرحامنة، السراغنة، حاحة، هنتيفة، الشياظمة، وباقي قبائل الدير
ككدميوة، ومسفيوة...، بالإضافة إلى قواد الأطلس الكبار، المدني الكلاوي،
وعبد المالك المتوكي، والطيب الكندافي.

وكان عليهم جميعاً دفع 268994 ريال، أي 3362425 مثقال، وهو مبلغ
جد مرتفع، كان لا يتناسب والإمكانات المالية المتواضعة لهذه القبائل، سيما في
مثل الظروف التي سادت في هذه المنطقة، في الآونة الأخيرة¹.

وأما الوثيقة الثانية فقد تضمنت شهادة وارتسامات شخصية مخزنية بارزة في
المنطقة ولها وزنها في الدوائر المخزنية العليا، وبالتالي لا يمكن البتة اتهامها بالتحيز،
وتحريف الحقائق، بهدف الإساءة إلى المخزن، ويتعلق الأمر بما كتبه القائد عيسى
بن عمر العبدى إلى أحمد بن موسى، واصفاً له الحالة المأساوية والبئسة للبادية المغربية
في منطقة الحوز، على إثر تجوله في بعض أرجائها، حيث قال:

«... فتعلم سيادتك حفظها الله أنني لما خرجت للعزيب يوم الخميس، بت
به. ويوم الجمعة بتنا بواد لخراص ببلاد الفرجان من حمير. وأمس التاريخ
ويومه، نزلت بناحية زاوية بن الأحول، وطفنا ببلاد تكة كلها، ونواحي
أفروكة ومجاط، ووجدت هذه المخلات المذكورة ليس بها حرث، وحتى إن
كان فيها شيء، فلا فائدة فيه، ولا مغول عليه.

1- خ. س، ك 432، ص. 149.

ثم رأيت الدواوير التي كانت بالخلات المذكورة التي نعرفها قبل فيهم نحو
الثلاثين خيمة والأربعين، لم يبق إلا ستة خيام إلى ثمانية خيام. والأناس الذين
بالخيام نساء ورجالاً، متلاشين، صاخفين، ليس في حالتهم ما ينظر الإنسان.
ثم سألت عن نواحي الدير، فقالوا مثل ذلك وأكثر، وقد تحققنا أن الواقع
بهم بسطوة مولانا أعزه الله وسعاده الشريفة التي أخذهم، وتصرفت فيهم
ظاهراً وباطناً...»¹.

(2) التسخير واستعمالات أخرى

لم يكن دور أفراد الكيش والعسكر يقتصر فقط على الميدان الحربي وشؤونه،
أو على الإسهام في عمليات استتباب الأمن في ربوع البلاد، بل كان يشمل أيضاً
مهام أخرى كالتسخير مثلاً، والذي كان القصد منه إيفاد قائد عسكري، على رأس
تجريدة من الجند، أو شخصية بارزة من الجهاز المخزني، لدى قبيلة من القبائل
التي يكون قد استعصى إذعائها للأوامر السلطانية، والقيام بالوظائف المخزنية،
بهدف إرغامها على التنفيذ الفوري لما يطالبها المخزن بأدائه أو إنجازها، إما
لفائده، أو لفائدة غيره.

وكان على قائد القبيلة المعنية بالأمر، وبمجرد حلول الوفد المخزني بتراب
إيالته، مواجهة الإنفاق على الأمور الآتية:

- المبيطة.

- المؤونة.

- السخرة.

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع رقم 413، وثيقة بتاريخ 19 ذي القعدة 1315 / 11 أبريل 1898.

وبقدر ما كانت مسألة التسخير هذه تمثل عبئاً ثقیلاً على القبائل، بقدر ما كان أطر الجيش، وأعوان المخزن الكبار، يتهافتون عليها، حيث كانوا لا يترددون في الكتابة إلى السلطان، أو إلى بعض أعوانه المقربين، كالحاجب أو قائد المشور، ملتمسين منهم استعماهم فيما كانت الوثائق المخزنية تسميه "وجوه النفع"، أي التسخير لدى قواد القبائل. وهذا ما نلمسه مما ورد في رسالة خليفي قائدي الكيش بمنشية مراکش الرجراجي الدوبلاي وولد بيروك التكني إلى السلطان، حيث نقرأ ما يلي:

«...موجبه إعلام سيادة سيدي أن خدام سيدي كافة قواد أرحى المنشية السعيدة وخلائفهم خرجوا للنفع عدا نحن...»¹.

1- خ. س، مح. ح رقم 244، الوثيقة بتاريخ 192 ذي القعدة 1307 / 20 يونيو 1890. ونقرأ نفس الشيء في الرسالة التي وجهها القائد محمد بن الطاهر العبدى إلى السلطان، حيث كتب ما يلي:

«... وعليه، فالمطلوب من مولانا العالي بالله أن يجود علينا بالانتفاع على عادة قواد الأرحى...».

- خ. س، مح. ح رقم 150، وثيقة بتاريخ 19 جمادى الثانية، 1305 / 3 مارس 1888. وكتب السلطان المولى الحسن، حول نفس الموضوع، مخاطباً الباشا حم بن الجيلاني ما يلي:

«... وأما قواد الأرحى (من عبيد البخاري)، فقد نبهنا على الإسهام لهم في وجوه النفع وعدم الغفلة عنهم...».

- خ. س، و. ز، مج 15، وثيقة رقم 288 بتاريخ 20 شوال 1310 / 7 مايو 1893. وعبر عن نفس الفكرة وزير المالية عبد السلام بن محمد التازي، ردّاً على ما ورد في رسالة القائد محمد بن الطيب السرخيني الذي تسأل عن قدر السخرة التي كان يتعين عليه تقديمها إلى كاتبين من "بنيقة" الوزير المذكور كانا قد أنجزا عملية خرص زيت قبيلة هذا القائد، حيث نقرأ ما يلي:

«... فنطلب من مولانا دام علاه أن ينفذ له في التزول على هذه البقية (من قلل الزيت) مثل الكاتب قبله المنفذة له السخرة، لأن الكل خدام سيدنا وعبيده، على أن طلبة هاذة البنيقة أحوج من غيرهم، لما لا يخفى على سيدنا من ضعف حالهم، وهاذه مدة وهم ينتظرون حلم مولانا حتى أنعم عليهم سيدنا بنفع هاذة المكاتب، أعطى الله مولانا كل خير، وأدام لنا وجوده...».

- خ. س، مح. ح رقم 401، الرسالة بتاريخ 10 رجب 1310 / 28 يناير 1893.

وأما الأغراض والغايات التي كان المخزن يتوخى قضاءها بواسطة هؤلاء المبعوثين إلى جهات مختلفة من البلاد، فيمكن حصرها في النقط الآتية:

1) الوقوف في عين المكان على إجراء عملية خرص حبوب القبيلة، وباقي محاصيلها الزراعية الأخرى، كإنتاج أشجار الزيتون مثلاً، أو عد رؤوس ماشيتها.

2) استلام مبلغ الغرامة المالية التي كان يفرضها المخزن، من حين لآخر، على قواد القبائل الذين كانوا يقومون بعملية خرص حبوب إيالتهم، قبل وصول مبعوث المخزن للإشراف عليها.

3) إرسال حراك القبيلة، أو عسكرها إلى الحضرة.

4) محاولة فض نزاع يكون قد نشب داخل نفس القبيلة، بين القائد والشيخ والأمناء المعيّنين مثلاً حول قضية من القضايا، أو بين القائد وإخوانه، أو بين هذه القبيلة وإحدى جاراتها من القبائل، في مواضيع شتى بدءاً من استغلال المجال الطبيعي المشترك مثلاً، وانتهاء بتهمة إيواء وتخريض المناوئين لسلطة قائد القبيلة المجاورة.

5) تسليم خطاب سلطاني إلى قائد القبيلة، في أمور ومواضيع جد متنوعة، كأمره مثلاً بقضاء غرض من أغراض المخزن، أو غرم قيمة ما وقع من نهب وسطو على متاع الغير في إيالته، أو إنصاف متظلم مما ألحق به من أضرار...

6) مرافقة سفير أو مبعوث أجنبي أثناء توجهه إلى الحضرة السلطانية، أو إلى الجهة المقصودة...¹.

¹ - انظر على سبيل المثال، لا الحصر:

٢٠٠. ر، مح مراکش رقم 2، رسالة السلطان المولى عبد الرحمن إلى الأمناء مولاي إبراهيم بن عبد الله البوكيلي، والطالب محمد الدليو، وأحمد بن الكبير، ومحمد بن شقرون، في شأن ترتيب المؤونة وعلف بغال «المخازنية الخمسة فيهم مقدم الواردون عليكم بالرعوس...». =

وكان بعضهم يمدد فترة مقامه بتراب القبيلة ما وسعه ذلك، بهدف الاستفادة، هو ومن معه، مما كان مأموراً بتقديمه إليهم قائدها، من غذاء، ومال، وعلف كل يوم. إلى درجة الاستمرار على هذه الحال عدة شهور، قد تصل، في بعض الأحيان إلى السنة. وهذا ما نستخلصه مما ورد في رسالة القائد أحمد بن العربي المديوني إلى السلطان، حيث يذكر أن قائد الرحي أحمد الكومي الذي كان قد وفد على والده في السنة الأخيرة من قيادته على رأس قبيلة مديونة، في شأن خاص عسكري هذه الأخيرة، قد ظل هناك، «يدور على نفعه»، طيلة الفترة التي استغرقها قيامه بفريضة الحج، ذهاباً وإياباً¹.

= - خ. س، مح. ح رقم 252، رسالة القائد محمد بن الطيب التروطي إلى السلطان، في شأن «غرم نهب الطريق...»، بتاريخ 19 شعبان 1307 / 10 أبريل 1890.

- خ. س، ك 630، ص. 12، وثيقة بتاريخ 28 جمادى الثانية 1308 / 2 يراير 1891، تضمنت أوامر السلطان إلى أمناء الصويرة بتموين 51 مخزناً، وجهوا إلى هذه المدينة للإتيان بالسفرير الفرنسي إلى مدينة مراكش، على النحو الآتي:

الفارس: 6 أواق (في اليوم)

الراجل: 10 موزونات (في اليوم)

المقدم: 4 أواق (في اليوم)

قائد المائة: 9 أواق (في اليوم)

قائد الرحي: 26 أوقية (في اليوم)

- خ. س، مح 361، رسالة السلطان إلى عمال قبيلة بني سادن، في شأن طرد من لجأ من الحيانية إلى إيالتهم، بتاريخ 20 ربيع الثاني 1310 / 11 نونبر 1892.

1- خ. س، مح. ح رقم 384، وثيقة بتاريخ 25 محرم 1310 / 19 غشت 1892.

وانظر كذلك ما جاء في وثيقة بتاريخ 4 رمضان 1314، الموافق 6 يراير 1897، في شأن «بيان العسكر ورتبه الذي كان عند الخدم الوريكي لقضاء الغرض الشريف، وما يجب له من المثونة اليومية وبمجموعها، في مدة إقامته عند الخدم المذكور»، حيث دامت هذه المدة ثمانية شهور كاملة، وتطلب الأمر من هذا القائد إنفاق 39294 مثقال على 142 نفرًا كانوا يكونون الفرقة العسكرية التي كان يرأسها القائد الأغا بناصر الجحاطي.

- خ. س، ق. ح. مح. م. ع. ع رقم 118/1.

ومن ثمة استعطافات ونداءات قواد القبائل المتكررة إلى السلطان، ملتجئين منه إصدار الأوامر إلى قائد التجريدة العسكرية ومن معه من الأنفار للرحيل عنهم، أو على الأقل التخفيف عنهم والتقليل مما كان يعطاهم من مؤونة وعلف، ومال كل يوم.

بيد أن السلطان نفسه كان يرتابه الشك، من حين لآخر، في جدية وحزم مبعوثيه إلى جهات مختلفة من البلاد، ويستغرب من بقائهم هذه المدة كلها وبدون فائدة، فيعهد إلى أحد كبار الكيش أو العسكر، والذين كانوا يحظون بثقتة، بتفقد أحوالهم، والوقوف في عين المكان على واقع الأمور، كما يتضح لنا ذلك مما ورد في كتاب السلطان المولى الحسن إلى أخيه وخليفته بفاس، الأمير مولاي إسماعيل، حيث نقرأ ما يلي:

«... فقد كنا كتبنا لك قبل، بأنا أصدرنا أمرنا الشريف للخدم ولد آت محمد بتفقد أحوال قواد الأراحي النازلين على القبائل المقيدين بطرته (الغرب، العرائش، الحياينة، بني سادن، آيت عياش، آيت ولال)، وتبديلهم بغيرهم كل شهر حتى يجري الأمر على مقتضاه، ولا يبقى الخارج عليهم يستفيد المتونة منهم بلا نتيجة، كما أصدرنا شريف أمرنا للوصيف ابن فرجي بذلك حرفاً حرفاً...»¹.

وأما مقادير المواد الغذائية وغيرها التي كانت تعطى لهؤلاء المسخرين ومؤنتهم اليومية، أطراً وأنفاراً، وكذلك ما كانوا يتوصلون به من منحة مالية انتهاء مأموريتهم في القبيلة المعنية، كل حسب رتبته ومكانته ونفوذه، فيبدو أن مقاييسها كانت مضبوطة ومحددة نسبياً، اللهم ما كان يطرأ على حجمها من زيادة وارتفاع، في بعض الحالات الخاصة، أي حين يكون رئيس البعثة لدى القبيلة، من رجال المخزن الكبار، أو كان القصد من فرض السخرة استنزاف قدراتها المالية.

¹ - خ. س، ك 113، ص. 157، الوثيقة بتاريخ 23 جمادى الأولى 1308 / 4 يناير 1891.

من جهة أخرى، تتيح هذه المعلومات والمعطيات حول ظاهرة التسخير، فرصة التعرف وتكوين فكرة واضحة عن الحضور المخزني الفعلي في عدد من القبائل والجهات، أي التي كان يقع على عاتق أبنائها عبء هذه الفروض والوظائف الاستثنائية أكثر من غيرهم، وعدة مرات في السنة الواحدة.

هذا، وقد حاولنا، في هذا الصدد، رصد عدد المرات التي ذكر فيها اسم القبائل والعشائر في وثائقنا، حول موضوع مبحثنا هذا، في الفترة المتراوحة ما بين سنتي 1863 و1905، حيث توصلنا إلى النتائج الآتية:

1) منطقة الغرب، بمفهومه السياسي والجغرافي لما قبل 1912:

ذكرت قبائلها 18 مرة في الفترة المذكورة، 7 مرات منها كانت من نصيب قبيلة بني أحسن.

2) منطقة الحوز:

ذكرت قبائلها 42 مرة، كان نصيب قبيلة الشاوية منها 12 مرة، ونصيب قبائل "الديارة" 11 مرة، ونصيب قبيلة دكالة 7 مرات.

3) لا أثر لعدد من الجهات والقبائل في وثائقنا، كمناطق الشمال، والشمال الشرقي، والأطلس المتوسط، وسوس...، وهذا يعني أن قبائل المنطقتين الأوليين كانت تتحمل وحدها تقريباً عبئ الجباية، والوظائف، والفروض، والخدمات التي كان يطالب بها المخزن سكان البوادي على الخصوص¹.

1- توصلنا إلى هذه الاستنتاجات، اعتماداً على ما تضمنته الوثائق الآتية، نكتفي بذكر بعضها هنا فقط:

خ. س، كنانيش رقم: 46، 347، 422، 432، 630، 694.
ومحفظات رقم: 38، 40، 70، 72، 95، 119، 127، 129، 141، 150، 155، 160، 307، 406، 417، 2/400، 10/403، 10/408، 12/430...

وتقدم لنا الوثائق كذلك نماذج عديدة ومتنوعة من مؤونات وسخرات مبعوثي المخزن لدى القبائل. فقد ورد في إحداها، في موضوع مؤونة قائد الرحي اليومية، في منطقة الحوز، المقادير الآتية:

- كبش واحد، رطلان من السمن، مدان من الدقيق، قالب سكر، إبرة شمع، ربع رطل شاي، أربع أمداد شعيراً، ريالان في اليوم (مبينة).

وأما من كان معه من الأنفار، فكان يعطى لكل واحد منهم يومياً مثقالان، بالإضافة إلى علف الفرس، لمن كان راكباً منهم¹.

وأما المبالغ المالية التي كان على قواد القبائل تسليمها إلى هؤلاء المبعوثين، قواداً وأنفاراً، في سخرتهم، فإنها كانت تختلف باختلاف طبيعة المأمورية الموكولة إليهم من جهة، والوضعية المادية للقبيلة المعنية من جهة ثانية، وكذلك نوعية العلاقات التي كانت تميز أوجه تعاملها مع المخزن من جهة ثالثة. فما كان يعطى مثلاً لحامل خطاب سلطاني إلى قائد من القواد، أو لمن كلف بمرافقة وضمان سلامة قافلة في جهة من الجهات، محملة بأعشار بعض القبائل من الحبوب، بقصد إيصالها إلى المرسى المجاورة، أو إلى "مرس" من "أمراس" المخزن المعدة لخزن زرعها، كان يختلف بالضرورة عما كان يتسلمه القائد العسكري الذي يتوجه، على رأس كتيبة من الجند يصل عدد رجالها أحياناً إلى 300 جندي، إلى قبيلة من القبائل، والتخيم على قائدها، كل الوقت الذي كان يتطلبه تنفيذه للأوامر السلطانية والوظائف المخزنية².

¹- خ. س، مع. ح رقم 406، وثيقة بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1310 / 23 أكتوبر 1892.

²- خ. س، مع. ح رقم 119، رسالة السلطان إلى الباشا العربي ولد أب محمد الشركي، بتاريخ 24 شعبان 1304 / 18 مايو 1887، يأمره فيها بتسليم 100 ريال إلى أحمد ولد مبارك بن السايح، سخرة له على الكتاب السلطاني الذي جاء به.

ومهما يكن من أمر، فإن الذي جرى به العمل، على عهد السلطان المولى الحسن، وخلال السنوات الستة الأولى من عهد خلفه المولى عبد العزيز، هو أن تعطى لأفراد التحريكات العسكرية التي كان يتم إرسالها إلى القبائل، المقادير الآتية:

- قائد الرحي : ما بين 100 و300 ريالاً.

- قائد المائة : ما بين 15 و30 ريالاً.

- المقدم : ما بين 5 و15 ريالاً.

- الفارس : 3 ريالات.

- الراحل : ريال ونصف¹.

ومن المعلوم كذلك أن السلطان كان يعهد، من حين لآخر، إلى ثلة من كبار قواد الكيش والعسكر، كالعربي ولد أبّ محمد الشرقي، وحم بن الجليلي، وسعيد بن فرجي، والشريف أحمد الصوري مثلاً، وكذلك إلى شخصيات بارزة من حاشيته ومن أبناء عمومته كمولاي عبد المالك بن عبد الرحمن بن هشام، وأخوّه مولاي الأمين ومولاي عرفة ابني سيدي محمد بن عبد الرحمن، ومولاي العربي بن قائد الجيش المغربي، خلال حرب تطوان، مولاي العباس، والشريفين محمد وعبد السلام

=- خ. س، مع. ح رقم 138، رسالة القائد سعيد بن عمر الشيطمي، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1304/ يناير 1887، يخبر فيها بأنه سلم 300 ريالاً في سخرة قائد الرحي الذي قدم عنده من أجل إيصال متوج خرص حبوبه إلى مدينة الصويرة، كما سلمه كذلك 316 ريالاً في "مبايته ومثونه"، تنفيذاً للأوامر.

1- استقيننا هذه الأرقام من الوثائق الآتية:

خ. س، محفوظات وكنائش رقم:

- ك. 347، ص. 67؛ مع 80؛ مع 92؛ مع 95؛ مع 160.

- ك. 422، ص. 34؛ ك. 432، ص. 106.

المرانين بالقيام بمأموريات لدى قواد القبائل، أو قيادة حركات فرعية إلى جهات مختلفة من البلاد.

وإذا كانت مقادير مؤونة وسخرة فئة الكتاب والأمناء مثلاً محددة ومعروفة مسبقاً، فإن الأمر كان على خلاف ذلك بالنسبة لرؤساء البعثات المخزنية هنا وهناك، إذ كان السلطان يحدد ما يعطى لكل واحد منهم، حسب الظروف والملابسات التي تمت فيها المأمورية، وكذلك مكانة ووزن الشخص الذي تمت على يديه.

فقد جاء في رسالة الحاجب أحمد بن موسى إلى ابن عمه محمد بن عبد الله بن أحمد الذي كلف بالإشراف على عملية إحصاء ماشية، ومغروسات، وزرع، وقطاني قبيلة بني أحسن، ما يلي:

«... وأجاب (يعني السلطان) عن تعيين السخرة لك، بأن ينفذ لك ما لأهل

المرتبة التي جعلت فيها، وهي مرتبة قائد الرحي وقدرها 300 ريال...»¹.

وعند انتهاء مأمورية فرقة عسكرية بلغ عدد أفرادها 506 عسكرياً، من بينهم 44 قائداً، وتأهبهم للرحيل عن قبيلة متيوة بمنطقة جبالة، في مطلع شهر جمادى الثانية 1309 الموافق لمطلع شهر يناير 1892، أعطي للأمين، والطالب الكاتب اللذين كانا معيتهما في سخرتهما، 50 ريالاً للأول، و150 ريالاً للثاني².

ونلمس أيضاً صورتين أخريين من صور التسخير هذه، ولكن هذه المرة على المستوى المحلي، في الحاضرة كما في البادية، من خلال نموذجين لما كان يعطى إلى المخازنية، وأفراد الحاميات العسكرية، وأعوان قواد القبائل، في سخرتهم، عند قيامهم بمهام تسخيرية، على يد ممثلي المخزن في المدن وفي البوادي.

¹ - خ. س. و. ز، مج 6، وثيقة رقم 6 بتاريخ 2 جمادى الثانية، 1305 / 15 يراير 1888.

² - خ. س. ق. ح، مج. ح رقم 13.

فبالنسبة للحالة الأولى، نستفيد من جواب الوزير الصدر أحمد بن موسى الوارد في الرسالة التي وجهها إليه باشا مكناس حم بن الجليلي، بأن:

«... العادة المقررة أنهم إذا كانوا في محلهم (مخازنية عبيد البخاري)، يقبضون خمس أواق، وإذا كانوا في كلفة مخزنية كالتى ذكرت (خارج مكناس)، يكمل لهم المثقال...»¹.

وأما الحالة الثانية، فتقدمها لنا رسالة أحد قواد قبيلة حاحة، وهو عدي بن علي النكافي إلى السلطان، مُتَشَكِّياً له من السخرة الهزيلة والزهيدة التي كان أتباعه يعطونها للأعوان الذين كانوا يفدون عليهم، من حين لآخر، في أغراض مخزنية، بعد تحملهم متاعب السفر إلى المناطق النائية من الإيالة، وبقائهم هناك أكثر من الشهرين، يطوفون على الجماعات والعشائر. وبعد تحملهم كل هذه المشاق، وابتعادهم عن الأهل والبنين، كان لا يعطى للواحد من هؤلاء الأعوان سوى 50 أوقية في سخرته.

«... فأفضى ذلك إلى أن فر الأعوان منا لعدم ما يحصلون عليه بذلك، وإن جعلنا للأعوان، في كتابنا أوقيتين بحساب فلوس الوقت، ودجاجتين في كل ليلة إلى أن تنض القبيلة ما وظف عليها من وظائف المخزن... امتنعوا من ذلك، كما امتنعوا من أداء ما يجب عليهم من الوظائف...»².

تلكم كانت إذن نماذج من حالات التسخير التي كانت لها علاقة بشؤون التدبير والتسيير بصفة عامة، وبجوانب أخرى كذلك تتعلق بأوجه نشاط وعيش السكان اليومية، كانت تقتضيها متطلبات الحكم، كالجباية ومشاكلها، أو تعبئة حُرَّاك القبائل وعساكرها، أو القيام بوظيفة التحكيم والتوفيق بين القبائل المتنازعة، أو بين

1- خ. س، مح. م. ع. م. ع. رقم 3/431، وثيقة بتاريخ 5 شعبان 1312/ فاتح يراير 1895.

2- خ. س، مح. ح رقم 74، وثيقة بتاريخ 17 شعبان 1302/ فاتح يونيو 1895.

القائد وقبيلته، إلى غير ذلك من الأغراض والخدمات المخزنية التي كان المخزن يستنفر
ها باستمرار الأعوان، وعناصر الكيش والعسكر لإنجازها.

وتوَدُّ التعرض هنا، ولو بإيجاز، إلى خدمات ووظائف أخرى، كان لا مناص
للسلطان من اللجوء إليهم في قضائها، من بينها مثلاً مرافقة السفراء الأوربيين، عند
تنقلاتهم داخل البلاد.

وهكذا، ومتى حدد لأحدهم موعد استقباله من طرف السلطان في
إحدى عواصمه الثلاث، فاس، مكناس، أو مراكش، كانت تتحرك فرقة من
هؤلاء الأعوان العسكريين للإتيان به. ومن كان في رفقته إلى الحضرة، إما من
طنجة، أو من الجديدة أو الصويرة.

فقد ورد في قائمة صائر شهر ذي القعدة من سنة 1279، الموافق لشهري
أبريل - مايو 1863، على يد أميني مرسى الصويرة، عبد السلام جسوس وعبد الرحمن
بن الحسن النسب، أن القائد العباس أمقشد ومن كان معه من الأصحاب،
وعدهم 70 رجلاً، قد تسلموا مئونة 15 يوماً، قبل رحيلهم عن هذه المدينة،
لمرافقة السفير الإسباني فرانسيسكو مري إي كولوم (Francisco Merry y
Colom)، والوفد المصاحب له، إلى مدينة مراكش، حيث تتم مراسيم استقباله
من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

وكان نصيب كل واحد من هؤلاء من المؤونة اليومية، ما يلي:

القائد العباس المذكور	=	15 أوقية.
القائد البشير (خليفته)	=	8 أواق.

المقدمون، وعددهم 32 = 7 أواق.

مخازنية فرسان وعددهم 16 = 6,50 أواق.

مخازنية رماة وعددهم 20 = 3 أواق.

ولم يرد ذكر للسخرة التي أعطيت لهم، بخلاف علف الدواب الذي قد تولى المخزن دفعه إليهم¹.

وجرت العادة كذلك بأن يتولى عناصر الكيش والعسكر إيصال المساجين إلى أماكن اعتقالهم، أو نقل رؤوس المتمردين المقطوعة، كما كان من اختصاصهم أيضاً التنقل إلى جهات مختلفة من البلاد، للوقوف في عين المكان على جمع عسكر القبائل، والإتيان به إلى حضرة السلطان، أو نقل كميات من المال، من مدينة إلى أخرى، وبالخصوص بين مراكش وفاس².

1- خ. س، ك 46، ص. 178.

وانظر كذلك:

- خ. س، ك 630، ص. 12، رسالة السلطان إلى أمناء الصويرة، بتاريخ 28 جمادى الثانية 1308، الموافق 8 يراير 1891، في شأن تقديم المؤونة إلى «المخازنية الموجهين من حضرتنا الشريفة للإتيان مع الباشدور الفرنضيص، وعددهم 51، 39 منهم فرسان، والباقيون رماة 12...».

وخ. س، ك 178، ص. 294، هذه المرة يتعلق الأمر بمصاحبة ابن سفير إنجلترا بالمغرب من مدينة الدار البيضاء إلى مراكش، والوثيقة بتاريخ شعبان 1308 / مارس - أبريل 1891.

2- خ. س، مع. ح رقم 183، رسالة السلطان إلى الباشا العربي ولد أب محمد الشرقي، في شأن جمع وإرسال عسكر قبيلة البهاليل، صحبة تجريدة المخازنية الوافدة عليه، وعدد رجالها 52 شخصاً.

الوثيقة بتاريخ 28 ربيع الثاني 1306 / فاتح يناير 1889.

- خ. س، مع. س. م رقم 36، رسالة الحاجب موسى بن أحمد إلى الخليفة مولاي الحسن بتاريخ 19 ربيع الأول 1287 / 19 يونيو 1870.

وكان عدد من هؤلاء الناس يستخدمون في أعمال البناء التي كانت تتم، من حين لآخر، في عدد من القصور السلطانية، بمكناس، وفاس ومراكش، أو في غيرها من البنايات المخزنية، ناهيك عن أعمال الصيانة، والتنظيف والتطهير، كَحَمْلِ الأتربة والأحجار مثلاً، من مكان إلى آخر، أو الإسهام في أعمال كبرى كتحويل مجرى مياه بعض السواقي والوديان، كما حدث ذلك مثلاً في مدينة فاس سنة 1884، بل إن كبراء الكيش والعسكر هم الذين كانوا يتولون عملية الإشراف المباشر على مثل هذه الأشغال الأخيرة. وهذا ما يتبين لنا من الوثيقة الآتية:

«... فإن سيدنا أيده الله وجهه وصيفه القائد البشير الحبشي، ومولاي أحمد الصوري، ومحمد بوهيمة الدليمي، لرد ماء فاس لمجاريه الأصلية، ويأمرك أيده الله أن ترتب لهم مئوتتهم اليومية مدة مقامهم ثمه...»¹.

وكان منهم معلمون وصناع مهرة، استطاعوا التفوق على أقرانهم، ونيل إعجاب أعوان المخزن الكبار، واكتساب شهرة واسعة في ميدان تخصصهم، وهذا ما نستفيده مما كتبه الباشا أحمد أمالك إلى السلطان، حيث تحدث عن شخصية من هذا المستوى الرفيع، حرفته "لواح"، في العبارات الآتية:

«... مع أن المسمى صدرهم (أي المعلمون) مخزني قديم من الجيش السعيد، وله يد طولى في الصناعة، عديم المثل فيها...»².

1- ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس...، م. س، ج 2، رسالة الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي إلى باشا فاس عبد الله بن أحمد، بتايخ 27 ربيع الثاني 1301 / 26 يناير 1884.

2- خ. س، مع. ح رقم 258، وثيقة بتاريخ 12 شعبان 1307 / 3 أبريل 1890. أضاف أحمد أمالك بأن اسم هذا الشخص المعلم عبد السلام، وبأنه من مائة هواره، سكن أول الأمر في حومة باب أيلان (هيلانة) «فلما كثر عليه ابن داوود (العباس) الكلفة، انتقل، وسكن بريمة بوسط المخازنية».

ويتضح من الوثائق كذلك أن الأجر الذي كان يخولهم إياه المخزن، كان دون الذي كان يتقاضاه نظراؤهم غير المنتسبين إلى مُؤَسَّسة الجيش، ومن ثمة احتجاجهم، من حين لآخر، على وضعيتهم هذه، ومطالبتهم بالزيادة في حجمه.

وقد أشار إلى هذا الجانب الحاجب موسى بن أحمد، في رسالة وجهها إلى أخيه الباشا عبد الله بن أحمد، حيث أطلعه على شكوى الباشا فرجي من أن «إخوانه الذين يخدمون في البناء السعيد، قد استقلوا ما يعطاهم 4,50 أواق...»، بينما يعطى «لأهل المدينة 7 أواق»¹.

3 - الدفاع عن حوزة الوطن

3 - 1 الأبراج والتحصينات

ما من شك أن شروع القوات العسكرية الفرنسية في احتلال الجزائر ابتداء من سنة 1830، وازدياد اهتمام الدول الأوروبية الاستعمارية بأوضاع وشؤون بلاد جنوبي حوض البحر الأبيض المتوسط، وكذا انفتاح المغرب التدريجي على العالم الخارجي، وبالتالي اتساع مجال التعامل السياسي والتجاري مع هذه الدول وغيرها من دول أوروبا الغربية على الخصوص، كل هذه الوقائع والتطورات قد أفرزت ظرفية تاريخية جديدة بالنسبة للبلاد. ومن ثمة حرص وسعي سلاطين القرن التاسع عشر الهادف إلى تحصين بعض النقاط الحساسة في الساحل الأطلسي على الخصوص،

1- خ. س، و. ز، مج 10، وثيقة رقم 185، بتاريخ 9 شوال 1292 / 8 نونبر 1875.

- خ. س، مج. ح رقم 131، رسالة الباشا سعيد بن فرجي إلى السلطان، بتاريخ 2 ذي الحجة 1304 / 22 غشت 1887، في شأن تأخير سفر عسكر البطاحي إلى زيان، وبالخصوص «من هو قائم من معلمهم بخدمة سوري باب الساكمة، وأبي الجنود حتى يكملوا، وحينئذ يلحقون بطابورهم...» .

وتسليحها بعتاد حربي حديث، كطنجة، وأصيلة، والعرائش، والعدوتين سلا ورباط
الفتح، وأسفي، والصويرة¹.

ومن المعلوم أن هذه المساعي قد اقترنت، في ذهن السلطان المولى عبد الرحمن
بن هشام على الخصوص، بفكرة "إحياء سنة الجهاد" في البحر، الأمر الذي حمّله على
إصدار أوامره إلى عامل تطوان، القائد محمد بن عبد الرحمن أشعاش باختيار مجموعة
من الشبان من أجل تكوينهم في سلاح المدفعية "تأطُّجيت"، وفي الملاحة البحرية،
كما تفصح عن ذلك الفقرة الآتية:

«... فقد رأينا إحياء السنة الجهادية، ولا ينبغي للشغور خلوهم من يعرف أمور
البحر والسفر فيه، خصوصاً ثغر تطوان وطنجة. والعدد المذكور (30 شاباً)
يكون مهيناً، ميسراً، ومهما بعث عليهم الرئيسان (عبد الرحمن بربطل وعبد
الرحمان بركاش)، وجههم لهم ولا بد...»².

يبد أن هذه المخططات والمشاريع لم تكن لتؤتي أكلها، أو يكتب لها أدنى
حظ من النجاح، بسبب التفوق المادي والتكنولوجي الأوروبي وقتئذ، ولا سيما في
الملاحة البحرية الحربية وتقنياتها.

¹ - وانظر ما كتبه الناصري، في سياق الحديث عن مجهودات السلطان المولى عبد الرحمن
بن هشام في هذا الصدد، حيث قال على الخصوص:
«... وفي رابع شوال من هذه السنة (1275 / 7 مايو 1859)، ورد المجاهد أبو محمد عبد الله
بن محمد بن العربي فنيش السلاوي من مدينة لوندرة إلى ثغر سلا، ومعه مركب موسوق فيه
سبعة عشر مدفعاً ومهراسان عظيمان من المعدن وأشياء أخرى من آلة الحرب، وكان جليبه لذلك
بأمر السلطان المولى عبد الرحمن لعمارة البستيون الجديد بسلا الذي قدمنا ذكره قبل...».

- الاستقصا...، ج 9، ص. 76.

² - م. و. م. ر، مح 1، ملف 10، رسالة السلطان إلى أعشاش المذكور، بتاريخ 24 صفر 1250 / 2
يوليو 1834.

ولا أدل على هذا من انسحاب السلطان السريع من هذا الميدان، وعزوفه الكلي والنهائي عن البحر وأمواله، على إثر المواجهة الخاطفة التي دارت بين المقاتلين المغاربة وجند عدد من القطع البحرية والحرية النمساوية، أواخر شهر أبريل 1830، قرب مصب نهر اللوكوس، بمنطقة الهبط. وقد ألح المؤرخ الناصري إلى هذه الواقعة، في العبارات الآتية:

«... واعلم أن هذه الواقعة هي التي كانت سبباً في إعراض السلطان المولى عبد الرحمن عن الغزو في البحر والاعتناء بشأنه. فإنه رحمه الله، لما أراد إحياء هذه السنة، صادف إبان قيام شوكة الفرنج ووفور عددهم وأدواقم البحرية، وصار الغزو في البحر يثير الخصومة والدفاع والتجادل والتراع...»¹.

ومهما يكن من أمر، فإن مصطلح الجهاد ظل حاضراً وباستمرار في الكتابات المخزنية، على امتداد الفترة موضوع بحثنا هذا. فالسلطان المولى عبد الرحمن نفسه، إحدى عشرة سنة بعد هذه الأحداث، خاطب عامله على العرائش وطنجة، في شأن تحرشات وتهديدات الفرنسيين بشنّ هجوم عنيف ومفاجئ على موقع من مواقع البلاد الساحلية، في العبارات الآتية:

«... الجهاد في سبيل الله خصوصاً أرباب الثغور، لا بد من أن يكونوا على أهبة واستعداد للجهاد بنية صادقة... وما بقيت الثغور، وحصنت الأبراج والصقائل العامرة بالمدافع والمهارز واللائق، وتعلم الطَّبِجَةِ الضرب، إلا بقصد الجهاد...»².

وواضح أن لفظة "جهاد" قد استعملت هنا في معناها الدفاعي، لا في مفهومها المعتاد في الاصطلاح التاريخي، وذلك بحمل الآخر، عن طريق الترغيب أو

1- الناصري، مرجع سابق، ج 9، ص. 25.

2- خ. س، مع. رقم 40/8 ك 4، وثيقة بتاريخ 20 ذي القعدة 1256 / 13 يناير 1841.

الترهيب، على الاعتقاد في الكلمة الحق، واتباع سبيل الهداية والرشاد، الأمر الذي كان يقتضي الدخول معه في مجاهدة ومكابدة، وفي حرب ومواجهة، خارج الوطن، بعيداً عن الأهل والأولاد.

فالمقصود هنا من استعمال هذا المصطلح في هذا السياق، أي في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وكذلك في سياقات من جاء بعده من السلاطين إلى غاية سنة 1912، هو اتخاذ الأهبة والاستعداد للدفاع فقط عن النفس وعن الوطن، ولصد الهجمات المحتملة "للعُدو الكافر".

قال صاحب "منتهى النقول ومشتهى العقول"، في هذا الصدد، ما يلي:

«... لما رءا نصره الله (السلطان المولى الحسن) أن الأمر بالجهاد يؤدي إلى مفسدة عظيمة، تؤدي إلى قطع الدين، فقال بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين لازم، لأن جده ووالده أمر بالجهاد... فأكل المسلمون بعض بعضاً، وأكلوا من استغاث بهم من المسلمين، فاجتمع عليهم عذابان، عذاب الكفار وعذاب إخوانهم...»¹.

وإلى هذا المعنى أشارت رسالة قائد قصبة المهديّة، محمد بن منصور المهداوي والموجهة إلى الحاجب أحمد بن موسى، حيث قال رداً على ما توصل به من العتاد الحربي:

«... فقد ورد علينا أمر مولانا الشريف بما أنعم به علينا من البارود والكُور من خزين ثغر سلا حرسها الله، لتزول ذلك هنا بالخزين، والاحتفاظ عليه، يبقى حبساً في سبيل الله بقصد الجهاد...»².

1- السملالي، علي بن محمد السوسي، منتهى النقول ومشتهى العقول، مخ. س. ع رقم 633 د، ضمن مجموع، ورقة رقم 43.

وتبنى المؤرخ الناصري نفس الموقف، إذ كان يرى أنه لا قدرة ولا استطاعة للمغرب وقتئذ، في خوض غمار حرب ضد إحدى الدول الأوروبية، مهما كان حجمها ووزنها، بسبب تخلفه المادي والتكنولوجي بالنظر إلى تفوق هذه الدول، في كافة المجالات.

- الاستقصا، م. س، ج 9، ص. 189.

2- مخ. س، مح. ح رقم 164، وثيقة بتاريخ 5 شوال 1305 / 15 يونيو 1888.

ويتعارض طبعاً مفهوم المخزن هذا حول مسألة الجهاد مع وجهة نظر ومقاصد بعض أرباب الزوايا، وبالخصوص شيوخ الطريقة الدرقاوية الذين ما انفكوا، منذ انتهاء حرب تطوان، ينادون بالجهاد، ويحرضون الناس على محاربة الفرنسيين، والتصدي إلى محاولاتهم ومخططاتهم التوسعية على حساب الأراضي المغربية.

إلا أن المخزن إدراكاً منه لخطورة مثل هذه الدعوات، واقتناعاً منه بعدم قدرة الجيش المغربي ومتطوعة القبائل، على مواجهة أيّ كان من الجيوش الأوربية، كان يبادر إلى إسكات وقمع من كان يثبتها في القبائل من أتباع الشيخ محمد العربي بن الهاشمي الدرقاوي، كما حدث ذلك سنة 1888، حيث أصدر المولى الحسن رسالة دورية إلى عدد من قواد القبائل، يأمرهم فيها بالتصدي إلى هؤلاء الدعاة، وعدم الالتفات إلى كلامهم، وطردهم من إياهم¹.

على أن الأبراج والتحصينات التي نقصدها هنا، هي تلك البنايات والحصون الموجودة في المدن الساحلية، على امتداد الواجهة الأطلسية على الخصوص، والتي يعود تاريخ تشييدها إلى عهود خلّت، اللهم ما كان منها قد تم بناؤه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، على عهد السلطان المولى الحسن. وأما تلك الحصون والقلاع التي كانت موزعة على عدد من المدن والمراكز العسكرية داخل البلاد، فسوف يأتي الحديث عنها في فصل لاحق من هذا البحث، تحت عنوان: "القصبات، والإدالات، والتّراتل".

وأما النقاط التي سنحاول التعرض لها هنا، فهي على النحو الآتي:

- توزيع الأبراج في المدن الساحلية وتسليحها.

¹ - خ. س، مع. ح رقم 160، وثيقة بتاريخ 27 رجب 1305 / 9 أبريل 1888.

- حالتها وتفقدها من قبل المخزن.

- استنتاجات.

فبالنسبة للنقطة الأولى، وكتمهيد لها، لا بأس أن نستأنس بما أثبتناه من معلومات ومعطيات حول أبراج وتحصينات عَدَدٍ من مراسي الواجهة الأطلسية، في الجدول الآتي:

الجدول رقم 32: أبراج وتحصينات مراسي الواجهة الأطلسية

أماكن الأبراج	عددها	عدد المدافع بها	المصدر والتاريخ	ملاحظات
طنجة	5	20	- م. و. م. ر، مع طنجة، وثيقة بتاريخ 6 محرم 1311/ 20 يوليو 1893. - الكرودوي، أحمد بن محمد: "التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الأصبيلية". المطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص. 25 وما بعدها. - ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس...، ج 2، ص. 481 وما بعدها. A.G.V, 3 h 3, Rapp. du mois de Mars 1882. (Edward Silva) وتقنين آخر من جبل طارق بترميم وإصلاح برج القصة، ثم وضع المدافع في أماكنها. وكان يساعد ويتابع سير هذه الأعمال كُلُّ من قائد الطبحية إدريس بن عبد الواحد الفاسي، والطالب المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج الفاسي. هذا، فضلاً عن 42 مدفعاً أخرى	أسماء هذه الأبراج هي كالاتي: - برج المرسى - برج البارود - برج الريشة - برج النعام - برج طيانة.

				<p>كانت بنفس المدينة سنة 1311/1893-1894، وتسميها الوثائق المخزنية "مدافع فراجية"، أي التي كانت تستعمل لرمي قذائف في الأعياد والمناسبات المماثلة.</p>
العرائش	14	148 من النحاس والحديد	م. س، ك 218، ص. 120.	<p>احتوى برج سيدي علال العسكري على مهرانين، وبرج الكبيبات الكبير على ثلاثة، فضلاً عن المدافع التي كانت بمها، بينما وضع 46106 من "الكور"، و4963 من "البونب"، بسقالة الكبيبات، كما كانت تفتزن في عدد من هذه الأبراج آلات وأدوات كان يستخدمها طيحية البلد كالبارود، والخفيف، وملح البارود، و"القناييض" (كانت تقلس بواسطتها عيارات المدافع)، و"السيونجات"، وموازن الماء...</p>
أصيلا	12	30	خ. س، ك 328، ص 4 وما بعدها، وثيقة بتايخ رجب /1307	<p>سبعة من الأبراج وهي أبراج سقالة دار المخزن، والقماري، وسيدي أحمد بن منصور، والياز، والمجموع، والخومر، والمخاطف، كانت أفواه مدافعها مصوبة نحو البر، وهذا ما نفهمه من وثيقة أخرى، بنفس السجل بمحتة، ص. 10، ولكن بتاريخ 16 صفر 1307، الموافق لـ 12 أكتوبر 1889، أي في وقت كان فيه السلطان المولى الحسن في طريق العودة من رحلته الشهيرة إلى مراسي الشمال، قاصداً مدينة فاس.</p>
سلا	4	17	— "الإنحاف الوجيز"، ص. 62.	<p>من بين هذه الأبراج والسقالات، برج الدموع أو برج القائد، والذي يقول عنه محمد بن علي الدكالي ما يلي: «...وكان أعظم هذه الأبراج</p>

				وأحسنها، وأممحها شكلاً وضحامة وارتفاعاً واتساعاً، برج الدموع بالسور المربع من الجهة الغربية بين ضريح ابن عاشر وابن الجراد...».
الرباط	4	<p>— خ. س، ك 328، حجة 1307/ أواسط غشت 1890.</p> <p>— إتحاف أعلام الناس...، ج 2، ص. 489.</p> <p>- A.G.V, 3 h 3, Rapp n° 63, du 22 Novembre 1882, p. 10.</p>	<p>ذكر الضعيف الرباطي في تاريخه أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد شيد وجدد بناء عدد من القصبات والأبراج بمدينة رباط الفتح، كبرج حذيرة، وبستون آخر مقابل لمدينة سلا، وبرج السراط، وسقالة بن عيشة.</p> <p>— تاريخ الضعيف، تحقيق محمد العماري، ص. 167.</p> <p>ويأتي طبعاً في مقدمة هذه الأبراج، البرج الكبير الذي بناه المهندس الألماني روتنبورغ (Rottenbourg)، على ساحل هذه المدينة، ابتداء من سنة 1885 / 1303.</p> <p>وخمس سنوات بعد هذا التاريخ، توجه الأمين محمد الزكاري، والوزير سكيرج السابق الذكر، والمهندس الألماني، وبعض كبار الطبجية إلى مدينة إيسن (Essen) بألمانيا للتفاوض في شأن الحصول على المدفعين الضخمين من عيار 260 م/م اللذين سبق للسليمان أن طلب من مسؤولي معمل كروب مده بهما. ومعلوم أن الذي كلف بالإشراف على أعمال البناء هو المختص الشهير عبد الخالق فرج الرباطي الذي نقرأ في أحد تقاريره في هذا الشأن، أنه في الفترة المتراوحة ما بين 6 شوال 1305 ونهاية سنة 1307، الموافق لـ 16 يونيو 1888</p>	

				<p>وأواسط غشت 1890، أي في مدة 28 شهراً بالتقريب، بلغ مجموع ما أنفق في بناء البرج المذكور 400949 مثقال وأوقيتان إلا ربع الأوقية، أي حوالي 12337 ريال أو حوالي 61685 فرنك ذهبي.</p> <p>وذكر بيتر كليلن (P. Guillen) في كتابه "ألمانيا والمغرب..." أن المدفعين العملاقين من نوع كروب واللذين لم يَسْلُمَهُمَا المغرب إلا سنة 1893، قد بلغ ثمنهما 1065045 فرنك - ذهبي، ومعهما طبعاً لوازمهما وذخيرتهما، في حين بلغت النفقات على تشييد مكان وضعهما وخدمات أخرى 838456 فرنك - ذهبي، الأمر الذي يعطينا فكرة عن المجهود الكبير الذي بذله المخزن من أجل تعزيز القدرات الدفاعية عن حوزة الوطن.</p>
الدار البيضاء	07	47	خ. س، ك 412، ص. 338 وما بعدها.	<p>بسبب حداثة عهد تأسيسها ولاشك، فإن عدد أبراجها كان قليلاً نسبياً، والمعلومات التي أثبتناها بحنته وردت في محضر تفويت المهام بمرسى هذه المدينة، بين الأمناء عبد الرحمن لحلو الفاسي، وبوبكر بن جلون وعبد الرحمن بركاش الرباطيين والذين تم تعيينهم للعمل بها، مكان الأمنيين إدريس برادة الفاسي، ومحمد هارون التطواني.</p> <p>والبرج اليزيدي هو أهم أبراج هذه المدينة، إذ كان به 27 مدفعاً لوحده، فضلاً عما كان به مخزوناً من الذخيرة وأنواع أخرى من العتاد الحربي.</p>
الجديدة	06	17	خ. س، ك 437، وثيقة بتاريخ شعبان 1317 / دجنبر 1899.	

أزمور	05	05	خ. س، ك 443، ص. 281.
أسني	17	93	خ. س، ك 225، ص. 10، وثيقة بتاريخ أواخر صفر 1314 / 9 غشت 1896
<p>28 مدفعا من العدد الوارد ذكره بمئته من معدن النحاس، والباقي، أي 65 من معدن الحديد، بالإضافة إلى 8 مهاريز. هذا، وقد أشير في هذه الوثيقة كذلك إلى أن خزنة البارود التي كانت توجد بمعرض هذه المدينة قد احتوت على 568 "برميلا"، بلغ وزن بارودها 601 قنطاراً و30 رطلاً، علماً بأن القنطار هذا يساوي حوالي 50 كيلوغراماً.</p>			

ولكن، ماذا عن أبراج وحصون الواجهة المتوسطية، شمالي المغرب، وما الحامل والداعي لنا إلى عدم إدراج أسماء بعض مدنها وقراها في جدولنا هذا؟ الحق أننا لا نعثر إلا نادراً على معطيات ومعلومات في وثائقنا حول هذا الموضوع؛ وحتى إن ظفرنا ببعضها، فأغلبها عن مدينة تطوان ومرساها مارتيل، وما عدا ذلك، فلا شيء يذكر، اللهم ما يرد من حديث عن عدد من الحاميات العسكرية والقصبات، بدءاً من قصبة جنادة، قرب مدينة مليلة السليبية غرباً، وانتهاء بقصبة عجرود في الحدود المغربية الجزائرية شرقاً. وما السهولة الكبيرة والسرعة الفائقة اللتين ميزتا اقتحام مركز مارتيل من قبل جحافل القوات العسكرية الإسبانية سنة 1859، إلا خير دليل على ما نقول وشاهد على عراء الساحل المتوسطي المغربي بأكمله من أدنى منشأة عسكرية، قمينة وقادرة على الصمود في حالة تعرضها إلى اعتداء خارجي.

ومن الملاحظ كذلك في هذا الصدد، سواء تعلق الأمر بالمنشآت العسكرية على الساحل الأطلسي، أو التي كانت في الواجهة المتوسطية، أن ما كان بها من سلاح وعتاد حربي كان لا يفي بالغرض المطلوب، وعدم الفائدة

والنفع، وقد لا نبتعد عن الحقيقة، ونحيد عن الصواب، إذا ما قلنا إن المدافع التي كانت تشغل بدون مشكل وتؤدي مهمتها، هي التي سبق وأن أشرنا إليها أي المدافع «الفراجية»، وأما سواها، فلا اعتماد عليه. ولنا في الاعتداءات المتكررة، طيلة القرن التاسع عشر، والتي استهدفت بعض كبريات المدن الساحلية كطنجة، والعرائش، وسلا، والصويرة، من قبل السفن والبوارج الحربية الأوربية، دون أن تستطيع مدفعية هذه المدن التصدي إليها والدفاع عن نفسها، خير دليل على ما نقول¹.

وقد صور أحسن تصوير هذا الواقع المزري الخليفة سيدي محمد، في رسالة إلى والده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، من خلال ما وقف عليه ورآه شخصياً أثناء تفقده لأبراج وحصون مدينة الرباط، حيث قال:

«... ويعلم مولانا أنا لما مررنا على رباط الفتح، كنا وصلنا لمواقع المدافع والمهايرز بقصد التبرك بمواقع الجهاد، فالفينا جل العجلات مكسوراً لا تليق لشيء، فمن رءاها من بعيد، ظن أنها صحيحة؛ ومن أمعن النظر فيها واختبرها، وجدها كلا شيء، بل وجدنا في بعض المدافع الماء داخلها، وهي مفرطة غاية التفريط، غير مصقولة ولا محفوظة، وظهر لي أن نخبر مولانا ليكون على بصيرة...»².

وهذا الراهب الفرنسي الخطير شارل دي فوكو (Charles de Foucauld) يكتب متهاكماً وساخراً مما أمكنه مشاهدته من عتاد حربي بمدينة تطوان، بعد زيارته لها، ما يلي:

¹ - الناصري، م. س، ج 9، ص. 62، حول اعتداء قطع من الأسطول الحربي الفرنسي على مدينة سلا في مهل شهر صفر من سنة 1268/ 26 نونبر 1851.

² - خ. س، مع. م. ع. ر، وثيقة رقم 26/4 ط 5، بتاريخ 29 جمادى الأولى 1255/ 31 غشت 1837.

«... وقد وضعت مدافع عائية، في جنبات كل باب من أبواب المدينة، وهي تكشر بأنبيائها، وكان المقصود من نصبها هناك هو إرهاب الناظرين إليها...»¹.

وفيفيد ملخص رسالة سلطانية إلى أمناء العرائش، بتاريخ رجب 1307، الموافق لشهري يراير ومارس 1890، في شأن تعيين نائب عنهم للتوجه إلى مدينة أصيلا المجاورة، للوقوف في عين المكان على واقع وحالة المنشآت العسكرية والعناد الحربي بها، بأن:

«... نحو الستين مدفعاً حديداً مطروحة، وإن كان كذلك، فَتَقْدُوا ذلك، بعد جعل سرائر بمحل تركيبها...»².

وإلى نفس الموضوع، أشارت رسالة أخرى وجهها هذه المرة السلطان المولى عبد العزيز إلى عامل الدار البيضاء وقتئذ، القائد عبد الرحمن بركاش، حيث خاطبه قائلاً:

«... فقد بلغ علمنا الشريف ما هي عليه سائر المدافع وغيرهم من الآلات الجهادية بالأبراج السعيدة، وخزائنها بذلك الثغر المحوط بالله المكلف بمقابلتها المهندس هناك من التفريط، وعدم الإصلاح، لعدم مسارعة الأمناء ثمه إلى ما يشير به عليهم من الإصلاح والتجديد...»³.

يتضح لنا مما سبق ذكره، ومن وثائق أخرى مماثلة قد يضيق المجال هنا لاستغلالها كلها، أن السلطان كان يعهد، بين الفينة والأخرى، إلى شخص

1- Foucauld (Charles de), Reconnaissance au Maroc. 1883 - 1884, Société d'édition géographique maritime et coloniale, Paris, 1888, p. 4.

2- خ. س، ك 328، ص. 4.

3- خ. س، مح. م. ع. رقم 3/421، الوثيقة بتاريخ 7 صفر 1312 / 10 غشت 1894.

واحد أو أكثر بمهمة تفقد الأبراج وأحوالها، ومباشرة أعمال إصلاح العتاد الحربي، وترميم البنايات والأماكن التي قد يكون تسرب إليها الخراب نتيجة الإهمال وسوء التدبير، وذلك طبعاً بتعاون مع عامل البلد وأمنائها.

وهكذا، تفيد رسالة السلطان المولى الحسن إلى عامل مدينة أسفي الطيب بن هيمة، وهي بتاريخ 16 شعبان 1291، الموافق لـ 28 سبتمبر 1874، أن الطالب محمد بن عبد الله بن أحمد البخاري، ويتعلق الأمر هنا بابن أخي الحاجب موسى بن أحمد، قد عين:

«للقوف على الأمور الجهادية هناك من إصلاح سرائر المدافع، وتجديد المدافع بل المتلاشي منها، وإصلاح الأبراج والصور...».

وورد في نفس الرسالة أن السلطان كان قد أمر عامل الرباط عبد السلام السويسي، وأمناء هذه المدينة، وأمناء جارتها سلا، بتوجيه عدد من أمهر الصنائع في حرفة النجارة، «العارفين بإصلاح تلك العدة والعدد الذي يكفي لذلك...»، إلى مدينة أسفي طبعاً، فضلاً عن الأمر الصادر إلى الأمير مولاي عثمان، صنو السلطان وخليفته بمدينة مراكش:

«بتوجيه المعلم محمد أشريكان الرباطي صحبته لينظر السور والأبراج، ويقدر هو والأمناء ما يصير على إصلاحها...»¹.

يتبين لنا إذن، مما سبق ذكره، أن مدينة أسفي، شأنها في ذلك شأن جل المدن والمراسي الكبرى على الخصوص، كانت تفتقر إلى أطر كفأة ومتخصصة في الصناعات المرتبطة بالبحر، وبتشييد وترميم وإصلاح المنشآت العسكرية،

1- م. و. م. ر، مح 1.

وبسلاح المدفعية كذلك، وهو الأمر الذي يرد ذكره باستمرار في الوثائق، والإشارة إليه. وقد قال عن هذا الجانب الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن، في نفس الرسالة التي تحدثنا عنها قبل قليل، في سياق الحديث عن حالة الأبراج والعتاد الحربي بمدينة رباط الفتح ما يلي:

«... أما الخطة الجهادية فقليل من يفهم ضرورتها في الطبخية الذين رأينا هناك، وقد صارت نسياً منسياً في سائر المراسي. وقد كنا توجهنا بطبجي رباطي معنا لغيثة، فما كان يُخسَنُ حتى رمي الكور في الهواء ليلاً على العادة، وكم من مرة سقط الكور وسط المحلة، وما رأيت أحسن من رجل اسمه عمر السربوت الصوري...»¹.

ونلمس نفس الظاهرة مما ورد في رسالة السلطان إلى عامل طنجة القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي، في شأن من كان مكلفاً بتعهد وتفقد المدافع الجديدة التي نصبّت مؤخراً في أبراج القصبة بهذه المدينة، حيث خاطبه قائلاً:

«... وكنت تعتمد في أمر الأبراج على عبد الرحمن مشنين وصاحبه إدريس. ولما توفي مشنين، صرت تقف بنفسك، ولا تتكل على أحد، وذكرت أنه كان يستنيب عبد السلام بن القائد المختار، فتركته على حاله من النيابة حتى تطلع علمنا الشريف، وأنه لم يبق من المعلمين اليوم إلا الحاج عبد الرحمن المفرج لاكنه عجز عن الخدمة...»².

ثم إن ما تسمح باستقرائه واستنتاجه أيضاً وثائقنا، أن معظم هؤلاء الخبراء والصناع المهرة ينتسب إلى العدوتين، رباط الفتح وسلا، كما يتبين لنا

¹ - خ. س، مح. م. ع. ر، وثيقة رقم 26/4 ك 5، بتاريخ 29 جمادى الأولى 1255 / 31 غشت 1837.

² - خ. س، ك 347، ص. 178، وثيقة بتاريخ 16 جمادى الثانية 1301 / 14 مارس 1884.

ذلك من الرسالة التي وجهها السلطان إلى عاملي هذين المدينتين، عبد السلام السويسي، ومحمد بن سعيد السلاوي، وأمنائهما بتاريخ مهل ذي القعدة 1300، الموافق لـ 3 سبتمبر 1883، يُخبرهم فيها بتعيينه مجموعة من الطبيجين والمهندسين، وهم على التوالي إدريس بن عبد الواحد (الفاصي)، وإسماعيل الرباطي، والتهامي بن حمادي الزراري، ولحسن بن محمد البخاري (طبيجون)، والمختار الرغاي ومحمد بناني (مهندسان)، وأمرهم بالتطواف على كافة مراسي البلاد، والوقوف في عين المكان على:

«أبراج الثغور، وتفقدتها واختبار أحوالها ثغراً بعد ثغر... وكذا المطافي وما هو من ذلك مفتقر للإصلاح، وقدر ما يقام به بتقدير أرباب البصر العارفين بذلك الاصطلاح، ويعرفوا عدد المدافع في كل برج والمهارس، وفرمة كل منهما، وكوفهما مدبراً وخالص النحاس، والصالح والفاسد، والمستعمل والكاسد، وعدد المدافع المنبودة في الفضاء والأزقة على أنها فاسدة...»¹.

يبد أن كل هذه الإجراءات والتدابير كانت لا تنفع ولا تجدي في شيء، إذ بالرغم من حلول أفراد هذه البعثات والوفود المخزنية بالمدينة أو المراسي المقصودة، ومعاينة أحوال وأوضاع هذه المنشآت العسكرية، وتفقد ما كانت تحويه من عتاد حربي وذخيرة، فنادرأ ما كانت تنجز أعمال الإصلاح والترميم على الوجه المطلوب.

1- خ. س، ك 117، ص. 87.

وانظر كذلك ما جاء في وثيقة مماثلة لهذه، وهي عبارة عن رسالة سلطانية إلى عامل أسفي القائد الطيب بن هيمة، في نفس التاريخ.

- خ. س، ك 688، ص. 2.

ولاشك أن هذا راجع إلى عدد من العوامل والأسباب، نحمل أهمها في

النقط الآتية:

(1) لم تكن عمليات التفتيش والمراقبة هذه منتظمة في الزمان ولا في المكان. ولنا فيما أوردناه هنا عن مدينة أسفي خير دليل على ما نقول، حيث مرت تسع سنوات كاملة على وفادة محمد بن عبد الله بن أحمد على هذه المدينة سنة 1291 هـ، قبل أن يحل بها، أواخر سنة 1300 هـ، وفد إدريس بن عبد الواحد الفاسي.

(2) مركزية مفرطة في تدبير الأمور واتخاذ القرار، إذ كان كل شيء، كبير أو صغير، يتوقف على موافقة السلطان، وصدور أوامره، قبل الشروع في العمل، مهما كان نوعه وأهميته.

(3) تعدد الجهات المسؤولة عن الاعتناء بالأمور «الجهادية»، إذ كان معنياً بالأمر كل من عامل البلد، وأمنائها، وقائد حاميتها العسكرية، فضلاً عن شخص آخر أو أكثر، كانوا ينضافون إلى هؤلاء الأعوان المخزنين، كما يتضح لنا ذلك، مما نقرأه في رسالة وجهها عون مخزني يدعى محمد بن أحمد المكناسي، مكلف بتعهد أبراج مدينة الدار البيضاء وما كان بها من عتاد حربي، إلى قائد الطبجية مولاي أحمد بن عبد الله الصويري، حيث كتب ما يلي:

«... وحين صححت وقويت على السير، تفقدت الأبراج بعد أن كان أخي نائباً عني في تفقدهم بالتنظيف فقط، وجدت مدفعين قد سقطا لتلاشي بعضء الألقما، نبهت الأمناء على رفعهما بعد تقويم سريرهما...»¹.

¹ - خ. س. ق. ح. مح. ح رقم 14، وثيقة بتاريخ 4 ذي القعدة 1311 / 9 مايو 1894.

4) ضالة المبالغ المالية التي كانت ترصد لإنجاز أعمال الصيانة، والترميم، والإصلاح، الأمر الذي يفسر ورود أوامر وتعليمات مخزنية في وثائقنا في الصيغة الآتية:

«... وعلى إصلاح خزين برج الباز، وإصلاح برج المهرز، وبرج النعام بالقصبة إصلاحاً خفيفاً بما لا بد منه موجهة البحر...»¹.

فلا غرو والحالة هذه أن تتدهور بعض المنشآت العسكرية، ويتسرب إليها الخراب، وتصبح مرتعاً لعدد من الممارسات والاستعمالات البعيدة كل البعد عن الغاية التي شيدت من أجلها، والأمثلة، في هذا الصدد، كثيرة وجد معبرة.

وما دمننا في منطقة الهبط، لا بأس أن نذكر هنا ما ورد في وثيقة مخزنية أخرى، يدور موضوعها حول ما كان ينبغي القيام به من إصلاحات وترميمات في أبراج مدينة أصيلة، وما يجب اتخاذه من تدابير وقرارات لإعادتها إلى حالتها الطبيعية، كالعمل على:

«... انتزاع أساري برج الباز، وبرج ابن منصور من أهل البلد، ورده لأصله كما كان أولاً، وعلى تحويل برج باب البحر الذي أدخل في فندق الأحباس ورده لخله الأصلي، وعلى بناء برج طاقة ابن الشرقي الذي كان تهدم قبل، وجعل دار هي الآن لابن عزوز على حالته الأولى، حذوا بحذو...»².

وكان الباشا محمد ولد أب محمد الشرقي قد كتب إلى السلطان، قبل التاريخ، واصفاً له الحالة المزرية التي أصبحت عليها أبراج مدينة العرائش

1- خ. س، ك 328، ص. 4، وثيقة بتاريخ شعبان 1307/ مارس - أبريل 1890.

2- نفس المرجع السابق.

ومدافعها إذ «عال أمرها إلى التلاشي والخراب...». ثم ختم رسالته ملتصقاً من
العاهل العمل على:

«إحياء ما عفا واندرس من هاتيك الرسوم، وإصلاح ما شيده
السلف...»¹.

ولكن، ماذا عن حالة هذه المنشآت العسكرية، وما كان بها من عتاد
حربي وذخيرة، في جهات أخرى من البلاد؟ وهل كانت شبيهة أو أسوأ من
تلکم التي ألحنا إليها بالنسبة لكل من العرائش وأصيلة؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه من خلال استنطاق وثيقة غنية، ومغرية بما
تضمنته من معلومات ومعطيات حول حالة أبراج وحصون مرسى من مراسي
منطقة الحوز، ويتعلق الأمر بمدينة أسفي.

فقد جاء في تقرير بتاريخ أواخر صفر 1314، الموافق لـ أواسط يوليو
1896، عن حالة عدد من هذه البنايات، ما يلي:

«... أبراج المرسى ثلاثة صغيرة فيما بين السلوقية وباب المرسى تضرب
للبحر على ترسية المراكب، وهي مخربة ولا مدفع فيها، ومادة السور التي
منها إلى برج الرملية كلها مفتقرة للإصلاح...».

ووصف أصحاب التقرير برجاً آخر في نفس المدينة، وهو صقالة الزاوية، في
العبارات الآتية:

«... مستطيلة، جيدة، صحيحة البنيان... وفي براحها الأول، داخل الباب
الأول، قبور بها متوى الفساد الذين قتلوا في وقعة إسلي (أي سكان المدينة الذين

¹ - خ. س، ك 117، ص. 62، وثيقة بتاريخ 26 شوال 1300 / 6 غشت 1883.

تمردوا في صيف سنة 1844، على إثر وقوع المعركة المذكورة في هذا التاريخ) ما يزيد على المائة، وهذا المخل من محلات الجهاد، ينبغي تطهيره من ذلك...».

ونستفيد من نفس الوثيقة أن برجاً آخر ويحمل اسم أبلأط، يرجع تاريخ تشييده إلى فترة احتلال المدينة من قبل البرتغاليين في القرن الخامس عشر، وهو حال من المدافع، صار الآن يعرف ببرج المستاري، «... حيث هو بيد أولاد المستاري، نازلون في دويرة بداخله من قديم. وقد حدثوا ببابه الأولى بيتاً، وعقدوا في تقويسة الباب باباً بخوختها...».

وأما مخزن البارود بنفس المدينة فلم يسلم هو كذلك من عواقب الإهمال والتفريط، إذ كانت المياه تتسرب عبر سطوحه، كلما أمطرت السماء، متسببة طبعاً في إفساد البارود الذي كان يتحول إلى "الوخل". وقد تم إصلاح جميع المرافق التي كانت في حاجة إلى إصلاح وترميم، ولكن، يرى أصحاب التقرير، أنه لا بد من بناء سور، «... يكون حائطاً براحها بباب له، لتحفظ حينئذ باب الخزنة من الأزيال، ويكون هذا البرج يتسعون فيه الطُّبَّجِيَّة وقت مناولتهم البارود، فإنه الآن فارغاً ترمى به الأزيال والغبار، ويكون به الدواب والبقر، ولا يحفظه من ذلك إلا هذا السور...»¹.

3 - 2 القصبات، والإدالات، والترزالات

رأينا في الفصل السابق، ما كان المغرب يتوفر عليه من أبراج وتحصينات، في القرن التاسع عشر، على امتداد واجهتيه البحريتين، الأطلسية والمتوسطية، كما ألحنا إلى حالة بعضها، وإلى أي حد كان من الممكن التعويل عليها في الدفاع عن حوزة البلاد، والذود عن حماها، في حالة تعرضها إلى اعتداء خارجي.

1- خ. س، ك 225، ص. 4 وما بعدها.

وأما الآن، فسنحاول التعرض إلى جانب آخر من نفس الموضوع تقريباً، ولكن هذه المرة في بُعدِهِ الداخلي، ونعني به طبعاً القصبات، والثرالات، والقلاع المنبئة في جهات مختلفة من البلاد، في الجبال وقدمها، وكذلك على امتداد المسالك الكبرى التي كانت تمثل الممر الطبيعي والضروري للقوافل التجارية، والمسابلة، ولكتائب الجيش¹.

على أن وفرة المعلومات والمعطيات في الوثائق المخزنية، أو ندرتها وصمتها عن هذه المنشآت العسكرية، فيما يرجع إلى القرن التاسع عشر، لهما علاقة بالظروف السائدة وقتئذ من جهة، وباهتمامات وانشغالات المخزن بما كان يجري في جهات معينة من البلاد من جهة أخرى. فمثلاً، في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، يرد الحديث بكثرة وباستمرار عن قصبات وإدالات طنجة وسبتة، وتطوان، وبادس، والنكور، ووجدة، وعيون سيدي ملوك، وتازة، وغمارة

1- حول هذا الجانب، أنظر ما يلي:

- الزباني، أبو القاسم أحمد بن علي: البستان الطريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، مخ.

ك. أ ر رقم 173.

- المشرفي، محمد بن محمد بن المصطفى، م. س، مخ. خ. ع رقم د 1463، ورقة 70.
- Dziubinski (Anderzej): L'Armée et la Flotte de Guerre à l'époque des Sultans Saadiens. Hesp. – Tam., Vol. XIII, Fasc. Uniq., 1972, p. 66. p.
- Delmas (Cap. Fort) : Etudes sur les Guiches Marocains. Paris, B.G.R, 1948, n° 1409. p. 6 et suiv.
- A.G.V, 3 h 4, Rapp. n° 2 du Cdt. Levallois en date du 1er mars 1884, p. 2 et suiv.
- A.G.V, 3 h 21, Rapp. du cap. Larras intitulé l'Occupation du Maroc 25 mai 1900, p. 17 et suiv.

وصحيرات القرنفل، كما تشير هذه الكتابات المخزنية أيضاً إلى عدد من التلال
في بلاد الحياينة، والشراردة، وبني أحسن، وأعراب الرباط...

وأما في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، فيبدو أن هاجس تقوية
وتدعيم القدرات الدفاعية لعدد من المدن والمراسي، كان مستأثراً باهتمام المخزن،
كطنجة، والعرائش، ووجدة، وتازة والعدوتين سلا ورباط الفتح، والصويرة...

وأما في عهد السلطان المولى الحسن، فقد ازداد اهتمام المخزن بالقصبات
والإدالات، وتم بناء وترميم العديد منها، في جهات مختلفة من البلاد، ويشهد
على ذلك كثرة الوثائق المخزنية حول هذا الموضوع، والتي ترجع إلى عهد هذا
السلطان، وعهد ابنه وخلفه المولى عبد العزيز. على أن الحديث يرد بكثرة
وباستمرار، خلال هذه الفترة، عن مناطق الأطراف وبالخصوص منطقة سوس،
والساحل الأطلسي جنوبي هذه الناحية، بسبب دسائس وتدخلات عدد من
المغامرين الأوربيين في هذه المناطق، ومساعدتهم الرامية إلى ربط علاقات تجارية
وشخصية مع أهاليها، وتشديد منشآت تجارية في بعض النقاط الساحلية، دون علم من
المخزن ولا إذن منه ومن ممثليه¹.

1- نلمس جانباً من الآثار السلبية لترويج السلع والمنتجات المهربة على عيش السكان، مما كتبه إلى
السلطان ثلاثة قواد من قبيلة تكنة أيت بلة بمنطقة سوس، حيث سبق وأن أخبرهم:
«بالضرر الكثير والغلاء الفادح الذي حل بالمسلمين من أجل جلب الخيل، والبغال، والبقر،
والغنم، والصوف، والزرع لتلك النواحي الساحلية، وإذ ذلك لنا، إذا عثرنا على شيء من
ذلك، أن نأخذه بأجمعه، ونقبض على من وجدته بيده، المال لنا، والرقاب لسيدنا أن توجه
لقلعة تزنت...».

وبعد أن أكدوا للسلطان أن إخوانهم لا دخل لهم فيما ذكر، خلصوا إلى القول إن:
«قبيلتنا لا يتصرفون في تلك النواحي، ولا يسلكونها، وإنما يتصرف فيها قبيلة أيت الجمل أولاد
سيدي عبد الله أسلم ومن معهم من أيت الحسن وغيرهم، يبيعون للنصري ويشترون

وبالإضافة إلى حاميات وإدالات تيزنيت، ورودانة، وطرفاية، وأكلميم، وسيدي إفني، وأيت باعمران، ووادي نون، تذكر هذه الوثائق كذلك إدالات الرّيصاني، والأقصاي، وأوطاط، وفكيك، وعين بني مطهر، وتاوريرت، وعيون سيدي ملوك، ووجدة، وعجروود (سعيدة)، وشراعة، وسلوان، وجنادة، والنكور، وبادس، وتطوان، وسبتة، وأمسون، وتازة، وتيجنة أو تاجنة (ببلاد الحياينة)، وألميس (أيت يوسي)، وصفرو، وعين اللوح، وأزرو، والحاجب، وأكورا، وخنيفرة، وشقير، وأمريت، وأولماس، وبني ملال، والزيدانية، وإغرم الأعلام، وقصبة أيت الربيع، وقنطرة على أوغدي (ببلاد بني أحسن)، وتمارة، وصخيرات، القرنفل...¹.

عندهم، وأن أبناء بيروك هم الذين يأخذون عشر الداخل والخارج من مرسا الطرفاية، وكل ما خرج من المرسا المذكورة، فلا يدخل إلا في قرية أكلميم. وعليه، فنحن عند أمر سيدنا إن أذن لنا في خراب أكلميم...».

- خ. س. مح. ج. رقم 92، وثيقة بتاريخ 25 جمادى الأولى 1313 / فاتح مارس 1886.
 1- لا يتسع المجال لذكر كل الوثائق التي استقينا منها هذه الأسماء، إلا أن هذا لا يمنع من ذكر نماذج منها هنا، على سبيل الاستئناس، وهي كالآتي:
 - م. و. م. ر، مح. مولاي سليمان، سجل رقم 17420، وثيقة بتاريخ 13 ذي الحجة 1207 / 22 يوليو 1793 (قصبة أكورا).

- خ. س. ق. ح. مح. س. م، وثيقة بتاريخ 2 ذي القعدة 1277 / 12 مايو 1861 (إدالة صفرو).
 - خ. س. مح. ح. ر. ق. 70، وثيقة بتاريخ 14 رجب 1296 / 4 يوليو 1879.
 - خ. س. ك. 152، ص 113، وثيقة بتاريخ 23 ذي القعدة 1306 / 21 يوليو 1889 (قصبة الحاجب).

- ح. س. مح. ح. رقم 141، وثيقة بتاريخ 16 شوال 1307 / 5 يونيو 1890 (إدالة شقير).
 - خ. س. ك. 175، ص. 130، وثيقة بتاريخ 5 رمضان 1308 / 14 أبريل 1891 (أمسون).
 - خ. س. مح. ح. رقم 112، وثيقة بتاريخ 14 رمضان 1308 / 23 أبريل 1891 (ألماس).
 - خ. س. ق. ح. مح. ح. رقم 13، وثيقة بتاريخ 20 رجب 1309 / 19 يراير 1892 (تازة، أمسون، وادي زا (عجروود، ألماس).

ما يمكن ملاحظته مما سبق ذكره، هو الانتشار الواسع للقصبات والإدالات، الأمر الذي يعكس، ولاشك، إرادة المخزن القوية، وسعيه الحثيث، بهدف إثبات حضوره، وإحكام قبضته على كافة أنحاء البلاد.

بيد أن هذه الرغبة والستراتيجية كانت تصطدمان بعوائق وعراقيل شتى، بشرياً وتنظيمياً ومادياً وطبيعياً. وهذا ما سنحاول التعرض إليه في مبحثنا هذا، ومن خلال ما تفيده مجموعة من الوثائق المخزنية، في هذا الصدد وغيره، قد توفرت لدينا وثائق حول عدد من هذه الإدالات والقصبات، كجنادة، وسلوان، وعيون سيدي ملوك، والقصابي، وإغرم الأعلام، والزيدانية، وأيت الربع، وبني ملال، وأيت باعمران مثلاً.

وغالباً ما كانت تتمحور الموضوعات والقضايا الوارد ذكرها في هذه المراسلات، بين السلطان ومخاطبيه من قواد القبائل، أو قواد الحاميات العسكرية، حول ظروف عيش وعمل رجال هذه الإدالات، وعلاقاتهم بالقبائل المجاورة لهم، أو احتياجهم إلى المؤونة مثلاً التي كانت تنقطع عنهم مدة شهرين أو أكثر، أو اللباس، أو السلاح والذخيرة. وما من شك أن المؤونة، أي الراتب، كان هزياً، ولا يكفي البتة لسد حاجياتهم اليومية، الشيء الذي كان يؤدي إلى فرار بعضهم، ويدفع بالبعض الآخر إلى البحث عن أي عمل يمكنهم من التغلب على تكاليف العيش ومتطلباته، كما نتبين ذلك مما ورد في رسالة عامل قسبة عيون

-
- خ. س، ك 707، ص. 4، وثيقة بتاريخ 13 محرم 1311 / 27 يوليو 1893 (عين بني مطهر).
- خ. س، و. ز. مج 27، وثيقة رقم 70، بتاريخ 23 محرم 1311 / 6 غشت 1893 (أوطاط).
- خ. ص. س، سلسلة III، حرف - أ -، مج 11، وثيقة رقم 1688، بتاريخ 9 صفر 1328 / 20 يراير 1910 (صفرو).

سيدي ملوك، قرب مدينة وجدة، القائد محمد ويده السوسي إلى السلطان، في شأن سوء تصرف وعسف الأغا الحاج علي الباعمراني وجند طابوره، عند حلولهم بالمنطقة حيث نقرأ ما يلي:

«... فلما رجعت محلة سيدنا السعيدة من وجدة، وحللت قصبة العيون، صار يخسر في العسكرية حتى خرجوا ثلاثة من القصبة، وحازها عنده حتى كسر سوق سيدنا نصره الله، وشوش المتسوقين من القبائل، وحظر اللطف... ورحل وكل من وجده من العسكرية بعيد من القصبة قبضه واحد بفرسه، والآخر كان في يديه حوائج الناس يدللهم، وحازه بحوائجه...»¹.

وهذا ما حدا بنا إلى الاختصار على معالجة النقط الآتية فقط:

- الرواتب والمؤن والأعداد.

- علاقات هذه القصابات والإدالات مع جاراتها من القبائل.

- أسماء عدد من ولائها، ودلالة اختيارهم واختيار جندهم.

- أهم المسالك المطروقة في مغرب القرن التاسع عشر.

¹- خ. س، مح. ح رقم 257، وثيقة بتاريخ 20 رمضان 1307 / 10 مايو 1890.

وانظر كذلك ما كان قد أمناه قائد تجريدة كيش أولاد دليم بقصبة أيت باعمران، بحبي بن الطاهر الدليمي إلى السلطان، في شأن طريقة توزيع المؤونة على مستحقيها من الجنود وقوادهم، حيث نقرأ ما يلي:

«... وصل جوابك عما أمرناك به في شأن قواد الأراحي العسكرية، هل يقبضون المؤونة على عددهم أو على الحاضر، بأنهم يقبضون على عددهم، غير أنهم لما طالبت إقامتهم، صار جلهم أهل بيع وابتياح، يحضر جميعهم مرة، ويحضر الجل مرة أخرى...».

- خ. س، ك 707، ص. 98، وثيقة بتاريخ 13 جمادى الأولى 1310 / 3 دجنبر 1892.

بخصوص النقطة الأولى، تبرز مصادرها جملة من الحقائق والممارسات، سواء تعلق الأمر بمدى اهتمام المخزن بهذه الجوانب وغيرها، أو بظروف وأوجه عيش عناصر الكيش والعسكر وحراك القبائل الذين كان يتم تجنيدهم للعمل في هذه القصبات والإدالات.

وقبل أن ندلي ببعض الأمثلة والبيانات في هذا الصدد، لابد من الإشارة إلى أن عدد الجند المعين للرباط في هذه الحاميات العسكرية، وبالتالي ما كان يرصده المخزن من أموال، ويوفره من أقوات لبعضها، ويقدمه من سلاح وذخيرة لجميعها، كل هذا كان مقترناً بالدرجة الأولى بأهمية الموقع الجغرافي والإستراتيجي لهذه القصة أو تلك، وبطبيعة ونوعية العلاقات التي كانت تربطها بالقبائل المجاورة لها، هل كانت علاقات خضوع وانقياد، أم علاقات نفور وابتعاد، وأخيراً بأنماط ووسائل كسب وعيش السكان المجاورين لها.

وهذا ما يجعلنا نُقرُّ بأنه كان لكل إدالة أو مجموعة من الإدالات شخصيتها المتميزة، ومشاكل خاصة بها، ومهام محددة كان يتعين على رجالها الاضطلاع بها، بهدف إنجاح خطط ومشاريع المخزن هنا وهناك، الأمر الذي يترأى لنا وبكل وضوح من المصادر، ولا سيما من التي تخص نواحي جبال الريف وكلمية، والمغرب الشرقي، والأطلس المتوسط، وسوس.

على أننا نعني بالمؤونة هنا، ما كان المخزن يقدمه من دقيق إلى جنود بعض إدالات الأطراف وليس كلها، كجنادة، وعجروود، والقصابي، وأيت باعمران، زيادة على الأجر الذي كانوا يتقاضونه نقداً، ويتساوى فيه الأنفار والأطر، مع جنود باقي الإدالات الأخرى.



قصة تلوات مقر سکنی و حکم آل الکلاوي

ومن الملاحظ في هذا الصدد، وفيما يتعلق بالنصف الأول من القرن التاسع عشر، تولي أمناء المراسي الكبرى كسطوان، وطنجة، والعرائش، والعدوتين الرباط وسلا، بالإضافة طبعاً إلى فاس ومراكش، تسديد مؤن ورواتب جنود هذه الإدالات. ولكن، في النصف الثاني من نفس القرن، طرأ تغيير في هذا المجال، إذ تقلص عدد هذه المراسي، وانفرد تقريباً أمناء البنيقة المراكشية، ونظرائهم بدار عديل بفاس، وكذلك أمناء مرسى الصويرة، بأداء هذه الأجور والمؤن. وهكذا، صارت إدالات تافيلالت، والقصابي، وأوطاط، وعين اللوح، وأزرور، والحاجب، وتازة، وأمسون، وتاوريرت، وعيون سيدي ملوك، ووجدة، وعجروود، تتوصل بها من أمناء الصائر بفاس، في حين كان على بيت مال مراكش أدائها لكل من إدالات بني ملال، وأيت الربيع (قصة تادلة)، وإغرم الأعلام، والزيدانية، وتسرافت، وزاوية الشيخ، وزيان، وعلى أمناء مرسى الصويرة إيصالها إلى حاميات تيزنيت، وردانة، وأكدير، وأيت باعمران، والأمثلة في هذا الصدد جد عديدة ومتنوعة.

وهكذا، تشير مصادرنا إلى مقدار الراتب اليومي الممنوح لأفراد هذه الحاميات العسكرية، أنفاراً وأطراً، وهو الأجر نفسه الذي كان يعطى لباقي جنود الكيش والعسكر، اللهم ما كان يقدمه المخزن من قمح وشعير، على رأس كل شهر، إلى عناصر بعض إدالات الأطراف والتخوم، كجنادة، والقصابي، وفكيك، وتافيلالت، وأيت باعمران مثلاً. ثم إن هذا الأجر الذي كان هزياً وزهيداً، لم يكن يعطاهم بانتظام، بل كثيراً ما كان ينقطع عنهم مدة شهور عديدة، فضلاً عن توصلهم به في شكل قرارات، أي هذه القطع النقدية النحاسية والصغيرة التي ما فتئت تفقد من قيمتها على امتداد القرن التاسع عشر، وبالسعر الرسمي الذي يحدده السلطان والأمناء لا بالسعر التجاري الذي كان العمل جارياً به في أسواق

القصبات المذكورة أو أسواق القبائل المجارة لها، وهذا دون الحديث عن ارتفاع
أثمان المواد والسلع المطرد في هذه المناطق المنعزلة والنائية. وإليك أمثلة تصب كلها
فيما ذهبنا إليه. ففي موضوع انقطاع المؤونة، كتب الحاجب موسى بن أحمد إلى
أخيه باشا فاس العتيق عبد الله بن أحمد ما يلي:

«... فإن عسكر إدالة الأقصاي لا زال يردد الكتابة في أمر المؤونة،
ويذكر تأخرها عنهم أربعة أشهر حتى تشتت العسكر، وضاعت الخيل،
وصاروا يتفرقون في قبائل البربر يتكففون... وأما مؤونة الدقيق، فتبقى
منفذة لهم على يدك من فاس...»¹.

والملاحظ في هذا الصدد كذلك، أن رؤساء هذه الإدالات كانوا لا
يترددون في إثارة مثل هذه القضايا والمشاكل في كتاباتهم، وعرضها على أنظار
السلطان وأعوانه الكبار، والتنبيه إلى عواقبها الوخيمة على ظروف عيش وعمل
رجالهم، ملمحين إلى أن كل تأخير أو انقطاع في أداء الرواتب والمؤن، قد يؤدي لا
محالة إلى عدم انضباطهم، وتعاطيهم إلى نشاطات أخرى غير الجندية، وهروبهم من
الخدمة، وقيامهم بأعمال النهب والسطو على متاع الغير.

فهذا مثلاً القائد الأغا محمد بن الفكاك، وبصفته قائداً عسكرياً لإدالة
قرية أكلميم الواقعة على بعد حوالي 55 كيلومتراً من مصب وادي نون، وفي
تراب قبائل تكنة، يخاطب السلطان في العبارات الآتية:

«... ونطلب من سيدنا أعزه الله ونصره أن يجود بنفع لنقضي ما ذكر
(تكليفه بمهام التسخير لدى قواد المنطقة عساه يتمكن من جمع القدر الكافي

¹ - خ. س، و. ز، مج 25، وثيقة رقم 30، بتاريخ فاتح رمضان 1295 / 29 غشت 1878.

من المال وهو 600 ريالاً والذي كان قد استسلفه من الغير)، وأسعار هذه النواحي غالية ومصروفها كثير، وأهل المروءة والمعاملة قليلون...»¹.

وهذا عامل مدينة تازة، القائد عبد السلام بن يط الجامعي، وبعد وصوله إلى مقر عمله الجديد، وانتهائه من تقصي الحقائق حول من يتحمل المسؤولية قبل غيره، في إيقاد نار الفتنة والافتتال بين بعض سكان المدينة ومن ناصرهم من قبائل غياثة وبني بوقيطون من جهة، وأفراد الحامية العسكرية بها من جهة أخرى، يكتب ما يلي:

«... ولما صرنا نتلاقوا مع الصادر والوارد ونسنله عما كان حل بها من الفتن داخلاً وخارجاً، وجدنا ذلك بهتاناً كبيراً وجله افتراء، وسبب ذلك اتفاق وقع مع من هو مائل إلى الجوار، اتفقوا على الإداية للعسكر لينشأ عن ذلك ما يوجب اضمحلاله وهلاكه، ليتوصلوا لغرضهم الفاسد وهو خلاء البلاد، ويبقى الجوار يفعلون فيها بئرائهم مع أن روحها هو عسكرها، وهو قائم بحراستها في الأبواب والأسواق، وقد حصل لهم الضرر بسبب قطع المونة...»².

وأما القائد أحمد بن محمد المومني، وهو من أبرز القواد العسكريين في العهدين الحسيني والعزيزي، وبصفته وقتئذ عاملاً على القصابي، فقد عبر عن رأيه بكيفية مبتذلة وبلغية في نفس الآن، حول ضرورة الاعتناء بالجند وبشؤونهم، ولا

1- خ. س، مح. خ رقم 444، وثيقة بتاريخ 8 شوال 1310 / 25 أبريل 1893. وانظر في شأن أكلميم:

- الولائي (ت 1912 / 1330)، محمد يحيى بن محمد المختار، الرحلة الحجازية، تخرّيج وتعليق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص. 86.

2- خ. س، مح. ح رقم 308، الوثيقة بتاريخ 5 جمادى الأولى، 1309 / 7 دجنبر 1891.

سيما من كان منه مرابطاً وسط قبائل ليس من عاداتها الإذعان إلى الأوامر
المخزنية، حيث كتب ما يلي:

«... إن هاذة البلدة ضعيفة الحال، بادية الاستقلال، مع كثرة الغلاء بها،
وقد اكتفتها البرابر من كل ناحية، ولا تَنَالُهَا الأحكام المخزنية كما في
علمك، ومن كان بهذه المثابة، فالأنسب لها المَدَدُ الكثير، والتقويم الجزيل.
وتعلم أن الناس لا يَأْلِفُونَ إلا بالشيع في بطونهم، والكسوة لظهورهم،
والنعال لأرجلهم، وإن خلى شيء من هذا، ذهبت الناس سهلاً وفرت،
ولا نافع إلا ما ذكر...»¹.

وإذا كان القواد والرؤساء يشتكون من زهد وهزال رواتبهم هذه، إذ كانت لا
تمكنهم قط من مواجهة تكاليف العيش وضرورياته، فما بالك بمن كان من مطلق الجند،
وهو يرى أن الذي كان يتقاضاه راتباً لا يسمن ولا يغني من جوع؟

وها هي ثلاثة نماذج جد معبرة، اخترناها من بين عشرات الحالات،
نوردها هنا للدلالة على ما ذهبنا إليه من القول.

فبعد أن كان أجر الفارس العادي 6 موزونات في اليوم، أي أوقية واحدة
ونصفها، بالنسبة لكل واحد من تجريدة الخيالة الذين كانوا في رفقة القائد محمد
بن عبد المالك الريفي، إدالة ببادس والنكور بمنطقة الريف، وذلك في غضون شهر
جمادى الثانية من سنة 1262، الموافق لشهر يونيو 1846، ها هو يرتفع إلى 4 أواق
للفارس ونصفها للرامي، في شهر رمضان من سنة 1284، الموافق ليناير 1868، يُجَدَّدُ
في ذي الحجة 1313، الموافق لشهر مايو 1896، في 20 أوقية للأول ونصفها للثاني.

¹ - خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 6/410، الرسالة موجهة إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، وهي
بتاريخ 23 محرم 1313 / 15 يوليو 1895.

وهذا يعني أن ما بين سنتي 1846 و1896، أي في مدة نصف قرن، لم يتضاعف راتب عموم الجند إلا خمس مرات، في حين سجل النقد المغربي، خلال نفس الفترة تقريباً، انخفاضاً في قيمته مقابل سعر العملة الأجنبية، الريال والبسيطة الإسبانيين والريال الفرنسي على الخصوص، انخفاضاً يقدر بحوالي %700، فضلاً عن ارتفاع أسعار المواد والبضائع المطرد، وغلاتها في مناطق الأطراف¹.

1- استقيناه هذه المعطيات من الوثائق الآتية:

- م. و. م. ر، مح طنجة رقم 1، وثيقة رقم 17800، وهي عبارة عن رسالة وجهها بوسلهام بن علي أزطوط إلى الوزير محمد بن إدريس، في التاريخ المذكور أعلاه.

- خ. س، ك 10933، ص. 147.

كانت إدالة تازة هذه وقتئذ، تتكون من ثلاث تجريدات وهي:

1) تجريدة من العسكر قوام رجالها 200 شخصاً، من بينهم ستة عشر فارساً، وأربعة عشر قائداً، كان راتبهم على النحو الآتي:

- المقدم : 4,50 أواق.

- قائد المائة : 5 أواق.

- المتوسط : 7,50 أواق.

- قائد الأرحى : 12,50 أوقية.

2) فرقة مكونة من أشخاص يدعون أولاد علوش، وكان عددهم 39 فرداً، فيهم فارسان، ومقدمان، وقائد مائة.

3) وأخيراً "فرض من الكيش" بلغ عدد رجاله 54 شخصاً، مما يعطي لهذه الإدالة في مجموع الجند المرباط بها 293 نفراً.

- خ. س، ك 422، ص. 32.

أشير في هذه الوثيقة إلى أجر الأطر على النحو الآتي:

- المقدم : 30 أوقية.

- قائدة المائة : 40 أوقية.

- المتوسط : 50 أوقية.

- قائد الأرحى : 125 أوقية.

ومهما يكن من أمر، فلا بأس أن ندلي هنا ببعض الأرقام والملاحظات حول أعداد جند بعض هذه الإدالات والقصابات، إذ من شأن ذلك أن يساعد على استشفاف الأهمية التي كان يوليها المخزن إلى بعضها، إما بسبب موقعها الجغرافي المتميز والمتوغل مثلاً في بعض الجهات الجبلية، أو الواقعة في أطراف وتخوم البلاد، كما هو الشأن بالنسبة لسلسلة مراكز الحراسة والمراقبة المنتشرة في سواحل منطقة سوس وقبائل أيت باعمران.

الجدول رقم 33: مراكز الحراسة والمراقبة المنتشرة في جهات مختلفة من البلاد

المرسل	الجهة المقصودة	الإدالة	الأعداد	التاريخ	المصدر	ملاحظات
السلطان	بريك الخيشي	ناقبالات	30	23 ربيع الثاني 1276	م. و. م. ز. م. ج. 1.	
		نازة	436	شوال 1297/	خ. س. ك. 347، ص. 81.	يتعلق الأمر بظاہر تكانة الذي كان إدالة في هذه المدينة. وكانت مؤونة عناصره على النحو الآتي: - الخيالة - 7 أواق للواحد (عددهم 20) - الرجالة - 3 أواق للواحد - المقدمون - 6 أواق للواحد (عددهم 26) - قواد المائة - 10 أواق للواحد (عددهم 7) - خلائف - 20 أوقية للواحد (عددهم 2) - قائد الرعي - 26 أوقية للواحد.
	بني مكيلد (نصف أيت عدي)		1348	12 جمادى الثانية 1306	خ. س. ر. ق. ح، مح. ح رقم 18	تضمنت الوثيقة التي استقينا منها هذا الرقم المعطيات الآتية: 1) أسماء القواد الذين أمدهم المخزن بعدد من هؤلاء الجنود. 2) حوالي 71 % من رماة الإدالة المكييلدية، وعددهم 1260 رامياً، و 66 % من حيالها، هم من قبيلة

دكالة، ويمثلون الفرق الآتية: الحوزية، أولاد بوعزيز، أولاد عمرو، أولاد بوزرارة، أولاد عمران، العونات، في حين تقاسم كل من أولاد حريز، ومديونة (شلاوية)، وكلمية (ناحية مركش) العدد الباقي.					
(3) أربعة من القواد عشرة الذين كانوا على رأس قبيلة بني مكيد وبنو لا إدالة عندهم؛ بينما كان القائد محمد أعراب المكيدي العرفاوي والذي برز ذكره باستمرار في الوثائق، إذ كان الساعد الأمين للمخزن في هذه الديار الجبلية، يتوفر على إدالة بلغ عدد رحاله 273 نفرًا بقرية أزرو التي كانت مقر قيادته.					
(4) دُيِّلت وثيقتا فواد نصف ثاني الذي كانت تتكون منه قبيلة بني مكيد ويدعى أيت أمناصف، وجميعه "لا عسكر عندهم الآن". ¹					

- 1- نعلم من رسالة وجهها القائد أحمد بن دحمان البوعزيزي إلى السلطان، وهي بتاريخ 10 رمضان 1307، الموافق لـ 30 أبريل 1890، أن عدد إخوانه الذين أرسلوا إدالة في قصبة أزرو، بإيالة القائد محمد أعراب المذكور قد بلغ 400 مجنداً خ. س، مع. ح رقم 252. وما يدل كذلك على مكانة وحظوة هذا القائد عند السلطانين المولى الحسن والمولى عبد العزيز، الموافقة على تشييد مجموعة من اندكاكين، و"البنائق"، والأبراج بقصبة أزرو، نزولاً عند رغبة القائد أعراب، ابتداء من سنة 1307، الموافق لسنة 1890، إلا أن أشغال البناء هذه قد استغرقت سنين طويلاً، حيث وردت الإشارة إليها في رسالة للسلطان المولى عبد العزيز إلى المعني بالأمر، وهي بتاريخ 16 قعدة 1316، الموافق لـ 28 مارس 1899، حيث نقرأ ما يلي:
- «وصل كتابك طالباً تنفيذ القرطوس والخزائن، والإنعام عليك ببلاد للحرث ودار بفاس، وتنفيذ المعلمين لكمال بناء قصبة أزرو وصار بالبال. فأما القرطوس فنفذناه لك، ويصلك صحبته. وأما البناءون، فقد أمرنا خليفة باشا مكناش بأن يتفذهم لك، وكتابنا الشريف نه يصنك صحبته. وأما الدار والبلاد للحرث، فقد أمرنا بتعيينهما وإطلاع جنابنا الشريف بهما بقصد التنفيذ لك إن شاء الله...».
- خ. س، مع. م. ع. ع رقم 2/400. وانظر كذلك:
- خ. س، مع. ح رقم 157، وثيقة بتاريخ 4 رمضان 1307 / 24 أبريل 1890، في شأن طلب بناء ما ذكر في القصبة المكيديّة.

السلطان	محمد أحمد الزباني	زيان	332	12 جمادى الأولى	خ. س. ك 707، ص. 97.	هذا القائد، هو الأخير، كان يحترق من القواد المرموقين والنافذين الكفنة في الدوائر المخزنية، في عهد السلطانين المولى الحسن والمولى عبد العزيز، إذ كان يعول عليه كثيراً في إثبات وترسيخ الوجود المخزني في الأطلس المتوسط، وفي كسر شوكة قبيلة أيت شحمان التي كان يستعصي أمر بإذعانها إلى سلطة المخزن وأوامره. وفي مقابل ذلك، كان هذا الأخير لا يخلع على حليفه، بمدد بالجنود، والعناد الحربي والذخيرة، لتدعيم مركزه، ومخاربه أعدائه. ويكفي أن نشير هنا إلى أن السلطان المولى الحسن كان قد وضع رهن إشارته، بغيره من العسكر والكنيش قوامها حوالي 900 رجل، طيلة الفترة للفترة ما بين ذي القعدة 1298 ورمضان 1300 متكهلاً بمؤناتها وعتادها الحربي.
علي بن الجليلي الراشدي	المعطي بن العربي الجامعي	ردانة	400	27 ذي القعدة /1310	خ. س. مع. ح رقم 423	يتكون هذا العدد من 150 نفرًا من تنظيم الكنيش، والباقي من العسكر.
		أيت باعمران				يضم هذا العدد أرقماً حول العناصر الآتية: (1) جند قبائل الدبر ويدعون "الديارة" وعددهم 160 من الخيالة. (2) جند قبائل حاحة وهم 97 من الخيالة كذلك. ²

= - خ. س. مع. م. ع. رقم 8/410، وثيقة بتاريخ 5 صفر 1313 / 28 يوليو 1895، حيث ذكر فيها بأن الأمين عبد الرحمن التراب المكناسي هو الذي عين للإشراف على أعمال البناء في القصبة المذكورة.

- A.G.V, 3 h 9, Rapp. du cdt Schlumberger du mois d'Avril 1895, p. 3.

¹ - خ. س. ك 626، ص. 1 - 38.

² - ورد في وثيقة بتاريخ قعدة 1309، الموافق ليونيو 1892، ذكر قبائل الديارة، وكم كان على كل واحدة منها تسليمه من الخيالة للعمل بقصبة أيت باعمران، وكذلك أسماء قواد حاحة وما كانوا يحركون به لنفس الغاية على النحو الآتي:

(1) متوكة (20)، الدويراني (4)، المزميري (8)، نفيفة ودمسيرة (8)، سكساوة (4)، كدموية (20)، فروكة (4)، وازكية إخوان الجرجوري (4)، السجتاني (4)، غيغاية وتدرارة (8)، الوريكي (4)، أجلاوة (8)، مسفيوة (20)، تكانة (4)، الدمناتي (40)، أي 160 حاركا. =

3) أولاد دليم وعدد نجيلتهم 30					
4) عسكر الشياظمة أي الرحالة وعددهم 293 شخصاً.					
5) الضحية وعددهم 25 رجلاً بقيادة القائد عبد الرحمن النبطي.					
يتوزع هذا العدد على الأصناف الآتية: - نخالة - 47 نفرًا. - رحالة - 852 نفرًا. - مقدمون - 76 نفرًا. - قواد المائة - 31 نفرًا. - متوسلون - 0. - قواد الأرحى - 08. إلا أن نستظن، وبعد أن لاحظ أنه كلما وقع استعراض الجنود، إلا وكان	خ. س. ك 347، ص. 81.	حجة 1311 / يونيو - يوليو 1894	1015	أبت باعمران	

2 - الزلطني (30)، السخافي (20)، الكلولي (40)، البوزيادي (10).

خ. س. ق. ح. مع. ح رقم 11.

1- وجاء في أخرى بتاريخ 27 رجب 1310، الموافق لـ 14 يناير 1893، ذكر أسماء قواد قبيلة الشياظمة وقتئذ، وما كان يجنده كل واحد منهم من الرحالة للعمل في الإدالة المذكورة، غنى النحو الآتي:

ق. محمد التلوي (48)، ق. العربي (47)، ق. علال الدروي (48)، ق. علال العساوي (47)، ق. الطاهر الحاحي (48)، ق. محمد الأكرمي (22)، ق. التهامي الحرتي (26)، ق. محمد الدجيحي المنصوري (32)، ق. محمد الدرعي (27)، أي 345 رجلاً من هذه القبيلة.

ويرجع الاختلاف الملاحظ في الأرقام المدلى بها أعلاه، بحسب الاعتماد إما على ما هو مسجل في السجلات المخزنية من أرقام أصلية كان يتعين على كل قائد تقديم العدد المفروض عليه من المجندين، أو بحسب الفرز الذي كانت تؤدي إليه عملية الاستعراض وعدد الحاضرين منهم، على يد أمين أو أكثر وقواد يعينهم السلطان للقيام بهذه المهمة، علماً بأن عدد الحاضرين منهم فعلاً، كلما أجريت عملية استعراضهم إلا وكان أقل وبكثير من عددهم الأصلي، إما لغياب بعضهم خارج القصة في مهمة مخزنية كلفوا بقضايتها، أو فروا من الخدمة لسبب من الأسباب. وتفيد نفس الوثيقة التي أشرنا إليها في الهامش رقم 127 أن المخزن كان يستعمل معظم أفراد عسكر الشياظمة في الحراسة والمراقبة ببعض النقاط الساحلية بهذه النواحي السوسية، للحيلولة دون استئصال تجارة التهريب على يد بعض المغامرين الأوربيين، وتسريحهم السلاح والذخيرة إلى داخل البلاد، فكان يربط في مرسى سيدي إفني 48 عسكرياً، وفي سيدي محمد بن عبد الله 47، وفي أركسيس، 64، وفي أكلو 45.

عدد الخاضعين منهم أقل بكثير من العدد الأصلي، أمر بإسقاط 666 نفرًا من عناصر هذه الإدارة والاحتفاظ فقط بـ 349 نفرًا منهم.					
من بينهم 25 من الخيانة إلا أن السلطان أمر بإسقاط نصف هذا العدد والاحتفاء بالباقي.	خ. س، ك 347، ص. 81.	24 حجة 1311 / 28 يونيو 1894	363	تيزيت	
أمر السلطان بالنسبة هذه الإدارة كذلك إسقاط 346 رجلاً من هذا العدد، قواد وأنفاراً والاحتفاظ فقط بـ 395.	" "	حجة 1311 / يونيو - يوليو 1894	741	أكليم	
من بينهم 29 من الخيانة، و 45 إطاراً.	خ. س، ك 446، ص. 68.	شوال 1318 / يوليو - مارس 1901	267	تيزيت	
	" "	شوال 1318 / يوليو - مارس 1901	366	أيت باعمران	
	خ. س، م. ح. رقم 73	شوال 1318 / يوليو - مارس 1901	20	أكادير	

1- في رسالة موجهة إلى القائد محمد بن القرشي الأوركي، بصفته مسؤولاً عن هذه الإدارة، نعلم بأن السلطان قد عين أفراد تجريدة جديدة من عسكر الكيش، بلغ عددهم 340 نفرًا، وقع اختيارهم على النحو الآتي:

- 100 من أولاد دليم.
- 100 من حربيل.
- 140 من المناهجة، وذلك للعمل بهذه القصبة "بدل إداة العسكر السعيد الذي هنالك بتلك الإدارة البوعمرانية..."

هذا، وقد أمر السلطان، في نفس الرسالة، كلاً من الأمين محمد بن أحمد بولياس الروداني، والقائد يحيى بن الطاهر الدليمي بالحضور إلى جانب القائد بالقرشي المذكور، أثناء عملية استعراضهم، بغور وصولهم إلى القصبة، وتوجيه العسكر القدام إلى الحضرة، وبأن لا يتركوا "أحدًا منهم ثمة، خصوصاً الذين تأهلوا..."

- خ. س، م. ح. رقم 436، وثيقة بتاريخ 15 شوال 1311 / 21 أبريل 1894.

من جهة أخرى، قد تكون لشظف عيش السكان ومعاناتهم اليومية في سبيل كسب قوتهم اليومي وقوت ذويهم، بسبب ضعف التقنيات والأساليب المستخرة في خدمة الأرض، فضلاً عن طبيعة وخصوصيات التنظيمات الاجتماعية في الوسط القروي، وبالأخص في المناطق الجبلية وفي الجهات النائية، انعكاسات مباشرة على بلورة نوعية العلاقات التي كانت تربط رجال هذه المنشآت العسكرية بأهالي القبائل المجاورة لهم. فلا الأراضي الزراعية كانت متوفرة بالقدر الذي كان يسمح لجميع الأسر والعشائر بإنتاج ما كانت في حاجة إليه من حبوب ومنتجات فلاحية أخرى، ولا المراعي هي كذلك كانت كافية لاستقبال قطعان الجميع من الماشية وعلى امتداد فصول السنة، ولا حركة تبادل المنتجات والخيرات كانت نشيطة ومتطورة.

وقد ينضاف إلى هذه الملاحظات ملاحظة أخرى لا تقل أهمية عنها، وهي أن معظم سكان هذه المناطق، بل كل المناطق، كانوا لا ينظرون نظرة ارتياح وطمأنينة إليها وإلى أصحابها، ويرون فيها مصدر إزعاج ومضايقة، غرست في أراضهم لحراستهم والتجسس عليهم، وترقب حركاتهم وتحالفاتهم. ومن ثمة حدوث نزاعات وخصومات بين الجانبين، كانت تنتهي أحياناً باللجوء إلى السلاح الناري، مما كان يسفر عن خسائر في الأرواح والممتلكات. وكانت مشاعر العدا، ومظاهر الرفض تطفو علانية على السطح، حين كانت امتيازات ومصالح ذوي الجاه والنفوذ تتعرض إلى الخطر، في جهة من الجهات. وهذا ما نلمسه في رد فعل سكان قصر القصابي على قرار عامل منطقة تافيلالت، محمد بن الشادلي بتعيين خليفة عنه بها، اختاره من "ممالك" السلطان، أي من الوصفان، الشيء الذي زاد في امتعاضهم، وأذكى مشاعر الكراهية والحقد في نفوسهم. فقد كتب القائد المذكور، في هذا الصدد ما يلي:

«...أفهي لكريم علم سيدنا ما قاسيناه من الشدائد، وما خرق علينا شرفاء
القصابي من العوائد، حيث أقدمنا مع فساد ءايت إزدگ بمحلة سيدنا
السعيدة، وقد أذن لنا سيدنا بنصب خليفة بالأقصاي. فلما تم غرض
الفساد بكلمة سيدنا النافذة، نصبت رجلاً خليفة بالأقصاي ذا مروءة
وسياسة يسمى القائد قاسم ابن الطيب، من خيار ممالك سيدنا مع اثنين
من المخزنية إعانة له على تنفيذ الأوامر، اشمازت قلوب الشرفاء منه،
وأنكروا توليته ببلدهم، وأنفوا منه إنافة كلية حتى حجروا عليه وجوه
أسباب المعيشة، فبقي وصاحبا يموتون جوعاً، وتوَلَّى مولاي عبد السلام
المدلس على سيدنا حكومة البلد...»¹.

والحق أن القصابي هذه والتي يقول عنها اللجائي (الغالي بن محمد
العمري) في مؤلفه "مقمع الكفرة..." بأنها تتكون من «مداشر متقاربة في قبيلة
ءايت إزدگ...»، كانت تمثل أهم تجمع سكاني في حوض ملوية العليا، على
سفوح الأطلس الكبير الشرقي، شمالي أيت مرغاد، ووادي زيز الأعلى، وتحتل
موقعاً استراتيجياً متميزاً وبالغ الأهمية، كان يسمح لها بمراقبة فج تيزي ن- تلغمت
انفضي مباشرة إلى منطقة تافيلالت، أي أن قبيلة أيت إزدك هذه كانت تتحكم
في أحد المسالك الهامة للتجارة الصحراوية، بين فاس والمناطق الجنوبية الشرقية
للبلاد، ومن ثمة تضايق أبنائها وغيرهم من أبناء القبائل المجاورة، من وجود

¹ - خ. س، و. ز، مج 4، وثيقة رقم 30، بتاريخ 21 شوال 1274 / 4 يونيو 1858.

وبعد هذا، نصب الشريف المذكور في الفقرة أعلاه "نكاساً" تولى قبض المكس على السلع
ورؤوس الماشية بسوق القصبة، بحسب 5 أواق على حمل من التمر، ومثقال على الثور
والبقرة، وثمانية موزونات على الشاة... وبعد أن وافق على خروج ممثل المخزن وعونه من
"دار الحكومة"،

«... قام مولانا عبد السلام، وجمع بوسوسته أهل الفساد من البلد، وعمدوا إلى دار المخزن
وخربوها، وأخذ مولاي عبد السلام أبواها وأنقاضها...».

قاعدة عسكرية مخزنية بين ظهرائهم، وتضييقها الخناق عليهم مما حدا بهم إلى شن الهجمات عليها باستمرار.

وترد في وثائقنا إشارات ومعلومات عديدة حول مثل هذه الحالات، إذ تحدثت واحدة منها عن وقائع ومخلفات الهجوم العنيف الذي تعرضت له القصابي على يد فريق من قبيلة تنتمي إلى اتحادية أيت يَفْلَمَان، بعد أن قتلوا القائد محمد والطالب اليوسي بقصر طط، وهو من أبرز قواد قبيلة أيت يوسي، ومن كان المخزن يعول عليهم في تدبير شؤون هذه النواحي الجبلية. وأما الاقتتال الذي دار بين المتمردين وعسكر وأهل القصابي، فقد أسفر عن انهزام أنصار المخزن الذين فقدوا في المعارك مائة شخص، فضلاً عن الخسائر المادية التي ألحقت بمباني ومنشآت القصبية وأعمال النهب والسطو التي تعرضت لها ممتلكات سكانها، مدنيين وعسكريين¹.

1- خ. س، ك 172، ص. 110، رسالة الأميرين المولى الرشيد بن محمد بن عبد الرحمن (أخو المولى الحسن) والمولى سليمان بن عبد الرحمن بن هاشم (عمه)، بتاريخ 16 محرم 1308 / 26 غشت 1890، إلى السلطان بصفتها خليفته في ناحية تافيلالت.

من جهة أخرى، بعد مقتل القائد محمد والطالب اليوسي، عين السلطان المولى الحسن ابنه عمر قائداً على أيت يوسي الغرابة مكانه.

- خ. س، ك 148، ص. 118.

وقد حدث هذا كله في وقت كان السلطان متواجداً في هذه النواحي، على رأس حملة هامة، قاصداً أخذ ثأره من قبيلة أيت شخمان العنيدة ومن كان يؤازرها من القبائل المجاورة لها، وذلك منذ شهر صفر 1308، الموافق لشهري سبتمبر وأكتوبر 1890، وبمشاركة كل من وزير الحرب محمد الصغير الجامعي وابن المودن السرغيني، ومحمد أَحْمُ الزياتي، في صفوف الجيوش المخزنية طبعاً.

- خ. س، ك 178، ص. 148 وما بعدها.

وذكرت وثيقة مماثلة لهذه تفاصيل اعتداء آخر تعرضت له نفس القسبة، دبرته فصائل من اتحادية أيت يَفْلَمَان، بضعة شهور بعد هذه الأحداث، إلا أن عاملها وعسكرها، هذه المرة، تمكنوا من صد الهجمات على قريتهم، مرغمين خصومهم على التراجع والرحيل إلى جهة أخرى، ويتعلق الأمر بأيت عياش، حيث «هدموا قسبة المخزن التي كان بناها اليوسي...».

ويبدو أن المخزن، أمام هذه الهجمات المتتالية، وفراغ يد الجنود المرابطين بالقسبة من كل سلاح حديث ومتطور، وانشغاله بقضايا أخرى غداة وفاة السلطان المولى الحسن، قد فقد سيطرته على هذه القسبة إذ أشار رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في تقرير له بتاريخ فاتح سبتمبر 1898 إلى الاستعدادات الجارية وقتئذ بفاس لتهيئ وتجهيز طابور من الكيش والعسكر للتوجه إلى هذه المنطقة بهدف استرجاع السيادة على القصابي¹.

وهذا قائد قسبة عجرود ابن منصور البخاري، يطلع السلطان المولى الحسن على ما تعرض له من نهب وإتلاف المخزون من زرعه وزرع المخزن، على يد عناصر من جماعة أولاد منصور، أثناء وجودهم خارج القسبة المذكورة، إذ كانوا جميعاً في ركاب الأمير مولاي عمر الذي كان قد أرسله والده إلى منطقة وجدة، على رأس تجريدات من الكيش والعسكر وحراك القبائل. وبالرغم من إقرار واعتراف شيوخهم وكبرائهم بما حدث، وبتعهدهم بغرم ما سرقه إخوانهم من قمح وشعير مباشرة بعد الانتهاء من عملية الحصاد والدراس، فإنهم لم يوفوا بوعودهم، وظلوا يماطلونهم، كما أنهم لم يؤديوا إلا جزء ضئيلاً مما في

1- A.G.V, 3 h 11, Rapp. du Cdt Burkhardt du 1er septembre 1898, p. 3.

ذمتهم من واجب الزكاة والأعشار، بل أدى بهم الأمر إلى التنكيل بالقائد وجنوده، وهذا ما عبر عنه بقوله:

«... واحرقونا من وحدانيتنا وقلة جيشنا، وتركونا نبيعوا حوائجنا ونفقوا ثمنهم على أهلنا ومائتنا. وحاصله وصيف سيدي منسوب على مقام سيده، فكيف يضام مع وجود سطوة سيده العالية وخير سيدي كثير وجيشه موجود...»¹.

لاشك أن الخسارة، في مثل هذه الحالة، قد يهون أمرها نسبياً، ويسهل تدارك سلبات عواقبها، ما دام الأمر قد اقتصر على أعمال النهب والسطو، بخلاف ما كانت تشهده بعض الجهات من أحداث أكثر خطورة وفظاعة، كالتي ذهب ضحيتها "جل" أفراد الحامية العسكرية الذين كانوا إدالة عند أحد قواد قبيلة بني مكيلد، على يد بعض الخارجين عن طاعته من إخوانه والذين بادروا إلى قتله هو الأول، قبل اعتراف جرمهم².

1- خ. س، مع. ح رقم 405، وثيقة بتاريخ متم محرم 1310 / 24 غشت 1892.

2- خ. س، مع. ح رقم 18، رسالة القائد رح الشريف المكيدي إلى السلطان بتاريخ 20 شوال 1306 / 19 يونيو 1889.

وهذا قائد قبيلة أيت إسري، والتي كانت تتكون من أيت ويرة أو ورة وأيت عبد اللولل أوائل، وأيت سعيد، وأيت محمد (خ. س، ك 12059، ص. 32)، محمد أسعيد البراوي يكتب إلى السلطان في شأن:

«فساد أيت الربع، يعني أيت سمكت، وكطاي، وبني معدان، ومن معهم من إخواننا أيت إسري الذي تحزبوا معهم على الفساد والإفساد نزلوا بالحلة على زرع مدك السعيد الذي كان في إغرم اللعالم، وزرع قبيلتنا أيضاً بقصد أن يفسدوه ويأكلوه...».

- خ. س، مع. ح رقم 453، وثيقة بتاريخ 5 رمضان 1311 / 12 مارس 1894.

وحسب ما ورد في رسالة وجهها القائد رح والشريف المكيدي المذكور، قبل التاريخ أعلاه ببضعة شهور، نعلم أن القائد المحنى عليه هو أخ له، إذ كتب ما يلي:

وماذا عن إدالات أيت الربع، والزيدانية، وغرم الأعلام؟

الحق أن وثائقنا لا تتحدث إلا عن هذه القصبات الثلاث، في أعالي سفوح الأطلس الكبير الشرقي والأطلس المتوسط، اللهم ما يَرِدُ من إشارات عابرة إلى بعض القصبات، كأوطاط الحاج، وعين اللوح، وأكواري، والحاجب، وتسرافت، وانكزميز...، وفي فترات متقاطعة من عهدي السلطانين المولى الحسن والمولى العزيز، وهي عبارة عن رسائل موجهة أو صادرة عن القائد محمد أسعيد اليرايوي، يتمحور موضوعها دائماً حول النقاط الآتية:

- استماتة وتجنيد القائد المذكور وإخوانه، والجند المخزني، أنفاراً وقواداً، وفي مقدمتهم القائد زيدان الغيغائي بغرم الأعلام، والقائد الجيلياني بن يعقوب بقصبة تادلة، من أجل الدفاع عن النفس، وتأمين حركة التنقل عبر المسالك والطرق التي كانت تخترق مجاهم.

- التصدي إلى هجمات القبائل العاصية والممتنعة عن أداء ما كان يترتب عليها من واجبات الزكاة والأعشار، والقيام بالوظائف والكلف المخزنية

= «... غير أن مولانا أيده يعلم أن الذين قتلوا أخي خديم مولانا احدان بن محمد، فروا لعمال أيت إسكك محمد بن عمر، ومحمد بن الطيب، ومحمد أقبلي العبدوسي، وشدوا لهم العضد على البغي والفساد...».

- خ. س، مح. ح رقم 183، الوثيقة بتاريخ 29 ربيع الثاني 1306 / 2 محرم 1889. ويبدو مما جاء في كتاب وجهه القائدان محمد بن قاسم منون والغازي بن المكي، وهما من تنظيم كيش البخاري، إلى السلطان، وتحذراً فيه عن تمرد جل أتباع القائد رح المذكور ضده، أن قرية عين اللوح كانت في إباله هذا القائد، حيث نقرأ ما يلي: «وهو ناجع عن بلاده، ونزل مع إخوان القائد لحسن هو ومن معه، وليعلم سيدنا فإن هذا العسكر النازل في عين اللوح كله فر من الخدمة، ولا بقي إلا القليل...».

- خ. س، مح. ح رقم 199، وثيقة بتاريخ 3 رمضان 1306 / .

المفروضة عليها وعلى غيرها من القبائل، حيث ذكر القائد اليرايوي، في رسالة له إلى السلطان، مجموعة من هذه القبائل وهي أيت أسعيد، وأيت أم البخت، وأيت عبد اللولي، وأيت مح، وأيت هودي، وأيت كطيف¹.

- طلبات هذا القائد المتكررة، وغيره من قواد المنطقة من السلطان لمدهم بالسلاح والقرطوس، وعدم قطع أو تأخير المؤونة والراتب عن أفراد الإدالات، إذ كتب نفس القائد المذكور، في هذا الصدد، ما يلي:

«... وأردنا من الله ثم من سيدنا أن يكتب للأمناء يعجل لنا بدفع المنونة للعسكر السعيد لأنهم يتركونه دون منونة، ويؤخروهم، وأنت تعرف بلاد البرابر كثيرة الأشجار وقليلة الزرع. وأحبينا من سيدنا أن يمن علينا بما طلبت لك من إضافة العسكر على زيدان بن علي (الغياي). ومحمد الشاوي لأنهما وقفان معنا وقوف الجدد كما هو الظن، وهما يعرفان طيعة البرابرة، ويسرون معهم بالملاطفة وكثرة السياسة، يزل أحد منهما معنا ياغرم العلام، والآخر نتركه بقصبة سيدنا مع أولادنا...»².

وكانت بعض هذه المواجهات بين أنصار المخزن والمناوئين له، تسفر في بعض الأحيان عن خسائر في الأرواح والدواب، كما نتبين ذلك مما كتبه اليرايوي المذكور إلى السلطان، حيث قال:

«... وتلقينا معهم في يوم شديد، وقامت عليهم على ساق وجد إلى أن دخلناهم المداشر. وقتلنا منهم خمسة وثلاثين رقبة وإثنا عشر جواداً من الخيل والجوارح لا يحصى عددهم إلا الله. ومات منا ستة عشر وعسكرياً

1- خ. س، مح. ح رقم 297، الوثيقة بتاريخ 8 شوال 1309 / 6 مايو 1892.

2- خ. س، مح. ح رقم 182، رسالة القائد محمد أسعيد اليرايوي إلى السلطان، بتاريخ 19 شعبان 1310 / 8 مارس 1893.

وحدا من إخوان القائد زيدان... ونحب من الله ومن سيدنا أن يمن علينا بستة
أجمال من القرطوس بشوكة، لأننا في خدمة الجبل، لا نغفل عنها أبداً حتى
نموت على الخدمة، وأيضاً شيء من قرطاس ستة عشر أن يأتينا في أثر...»¹.

من جهة أخرى، فقد سبق وأن أوردنا أسماء مجموعة من قواد الجيش
والقبائل، في سياق الحديث عن قصبات وإدالات بعض الجهات من البلاد، وتبين
لنا أن المخزن، إذا كان يعتمد على عناصر من فرق الكيش، كالشراردة،
وشراكة، وأولاد جامع، وعبيد البخاري، للرباط في كل من تازة، والقصابي،
وأوطاط الحاج، وعيون سيدي ملوك، وسلوان، وجنادة، فإنه كان يفضل تجنيد
أبناء عدد من القبائل الحوزية، كدكالة، والشاوية، والشيظمة، وحاحة،
والديارة، إلى جانب كتائب من كيش الوداية، وأولاد دليم، والمناهجة، وحربيل،
وأيت عمور، وأخرى من العسكر النظامي، للرباط في عدد من الإدالات بمنطقة
تادلة، والأطلس المتوسط، في كل من زيان، وبني مطير، وبني مكيلد، وأيت
يوسي، وأيت الربع، ومنطقة سوس، والسواحل الأطلسية الجنوبية للبلاد، وهذا
يعني على الخصوص أن قبائل الغرب، لم تكن تزود المخزن قط بمحاجياته من
العساكر للخدمة في الإدالات والقصبات في الجهات الشمالية، أو المناطق
الجبليّة، الأمر الذي يؤيد الفكرة التي عبر عنها، بأسلوبه السجعي المنمق،
صاحب كتاب "التنبيه المغرب..." حيث قال في هذا الصدد ما يلي:

«... وغالب أهل الغرب متمرّدون عن الأحكام، وممتنعون عن الانقياد
لأوامر الإمام، بخلاف أهل الحوز، فإن دأهم الطاعة والانقياد للأحكام،
وللعمل وإعطاء الوظائف، والقيام بالتكاليف على ما ينبغي...»².

¹- المرجع نفسه الوارد في الهامش رقم 138.

²- بوعشرين، الحسن الطيب، مرجع سابق، ص. 94.

ونستشف من الوثائق كذلك، سَعْيُ المسؤولين عن هذه الإدالات، مدنيين وعسكريين معاً، في جهات مختلفة من البلاد إلى كسب دعم وتأيد فريق أو أكثر من الفرق القبلية المجاورة للإدالة العسكرية، والتي كان معظمها في لفوف وتكتلات، متنافسة ومتعارضة. ونلمس جانباً من هذه الظاهرة، فيما تضمنته رسالة القائد هدي بن العربي الحمري، من قبيلة حمير في أحواز مدينة مراكش، والذي كان قد أوفده السلطان المولى الحسن إلى ناحية سوس، للوقوف في عين المكان، والعمل على تقصي الحقائق، بعد أن تَوَاتَرَت الأخبار بأن أعمال عنف واقتتال، بين أفراد الحامية العسكرية وفصائل قبلية من أيت باعمران، شهران ونيف قبل سفر القائد المذكور إلى وجهته السوسية، قد وقعت فعلاً بين الجانبين وأسفرت عن خسائر بشرية ومادية في صفوفهما معاً¹.

وبعد أن ذكر بأنه بفور وصوله إلى الجهة المقصودة، شرع في تلقي الشهادات، والاستماع إلى مختلف الروايات، سيما وأنه وجد الفرقاء على أهبة الاقتتال من جديد. إلا أنه، بعد أن قرأ عليهم رسالة السلطان الموجهة إليهم جميعاً، فهموا مغزاها ومقصدها، وأعلنوا التزامهم الهدوء والسكينة، وتسوية خلافاتهم، والإذعان إلى الأوامر والنواهي المخزنية. ثم أضاف قائلاً، وهذا هو الذي يهمننا هنا:

«... نعم سيدي، الفرقة التي تستظهر مع القائد أحمد العبوي من أيت باعمران فهم أيت إخلف، وأيت إغْبَلْ، والأخصاص، ويزاد عليهم لفهم

¹ - خ. س، مع. ح رقم 75، رسالة القائدين مسعود بن محمد الراشدي الجامعي (عامل رداة) ومحمد بن حمادي أحسون التزنيقي (قائد تيزينت) بتاريخ فاتح جمادى الثانية 1302 / 18 مارس 1885.

وهم أكَلوا، وماسة، وبنوا أحمد، واصبوية، والجل من إذا أبراهيم، وكبير
هاذه الفرقة القائد أحمد أهم. والفرقة التي تستظهر مع القائد العربي بن حم
القائد إبراهيم بن سعيد البوبكري، وأيت النصف، وأيت الخمس، وأهل
السّاحل، وترنت، وعال باعقيلة، وفرقة من أيت أبراهيم، وفرقة من مجاط
في آخر الأمر، وكبيرهم القائد إبراهيم أسعيد المذكور...»¹.

من المعلوم أن مغرب ما قبل سنة 1912، لم يكن يتوفر لا على طرق
سالكة معبدة، ولا على مراكب ذات عجلات، حيث ظلت وسائل التنقل
مقتصرة على الدواب، البغال والإبل على الخصوص، عبر شبكة من المسالك، في
السهول كما في الجبال، طرقها الإنسان منذ أقدم العصور.

وبسبب انعدام الأمن، وتفادياً للوقوع في قبضة اللصوص وقطاع
الطريق، فإن تنقل السكان ونقل أمتعتهم وبضائعهم كان يتم في إطار قوافل
كانت تربط بين أهم مدن وجهات البلاد، وذلك لأن ظاهرة العنف والسطو
على ممتلكات الغير وأمتعته، والاعتداء أحياناً على حياته، وخصوصاً في بوادي
البلاد وقرائها، شكل ضرباً من ضروب الانحراف والتسيب الذي كان متفشياً
في المجتمع المغربي وقتئذ².

¹- خ. س، مح. ح رقم 73، وثيقة بتاريخ 11 رمضان 1302 / 24 يونيو 1885.

²- التسماني، عبد العزيز: جوانب من تاريخ جباله المعاصر: القائد أحمد الريسوني وإسبانيا.

مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996، ص. 4 وما بعدها.

- Le Coz (Jean): Le Gharb. Fellahs et colons. Rabat, 1964, T. 1, P. 354. p. 354.

وكان أفراد الكيش والعسكر أنفسهم لا يسلمون من إرهاب وجور قطاع الطريق
واللصوص، إذ كانوا هم كذلك يتعرضون إلى أعمال النهب والسلب، بل الجرح والقتل.
ونلمس هذا مما ورد في رسالة القائد الأغا الحاج علي الباعمراني الذي كان مخيماً، على رأس
طابوره، بدار القائد ولد حجاج بالشاوية، إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، حيث أخبره
بما يلي:

وبالفعل، ما أكثر الوثائق التي ترد بها معلومات وإشارات إلى هذه الظاهرة، إذ لا تخلو أية فترة من فترات القرن التاسع عشر من مثل هذه الأعمال، مهما بلغت قوة الدولة من هيبة وسلطان. وإن ما كان يتخلل عهد السلطان المولى الحسن من وقائع وأعمال من هذا القبيل، لخير دليل على ما نقول، وهو العهد الذي بلغت فيه سطوة المخزن أوجها، وعم نفوذه كافة أطراف البلاد. ومع ذلك، نقرأ في رسالة وجهها قواد من قبيلة بني مكيلد، وهم محمد أعراب المكيّلي العرفاوي، وحسين وزروال المكيّلي، ومحمد بن سعيد المكيّلي، بالإضافة إلى أغا العسكر الذي كان إدالة عندهم بقصة أزرو ويدعى بوشعيب البوعزيزي، إلى السلطان، ما يلي:

«... ينهى لكرم علم مولانا خلد الله ملكه أن الطريق من الحاجب إلى أزرو انقطعت وفسدت. قبل التاريخ بيومين، خرجوا أناس كثير من مكاس ومعهم سلاع وبهائم ورقاص الأمين القبصة، وقطعوا عليهم الطريق، وقتلوا منهم تسعة أناس، ونهبوا لهم متاعهم...»¹.

= «... واعلم سيدي رعاك الله وحفظك وأنا كنا وجهنا اثنين مقدمون من العسكر الذين كانوا قدموا بمتروك الفقيه سيدي البشير رحمه الله (أخو أحمد بن موسى). ولما توجهوا للمحلة السعيدة، وقربوا الدار علال الشرقاوي (بالسراغنة) وتراموا عليهم القطار بالطريق، وقتلوا منهم اثنين عساكرية بعدقهم، وأربعة عساكرية مكشطين والسوق معمر بدار علال الشرقاوي، والأسيرة (السيبة) بالطريق لا ناهي ولا منتهي، ووجد من المكشطين وصل كله مفرشخ من رأسه ويدهم حوائج لنا وجههم معهم أخينا من مراكشة كشطوهم...».

- خ. س، مع.م.ع. رقم 9/404، الوثيقة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1315 / 7 أكتوبر 1897.

¹ - خ. س، مع. ح رقم 268، وثيقة بتاريخ 20 ذي القعدة 1307 / 8 يوليو 1890.

وها هو مثال آخر لا يقل دلالة عن السابق، ولكن هذه المرة يتعلق الأمر بمنطقة سوس، ومفاده أن عناصر من فرقة أولاد يحيى، إحدى فرق قبيلة هوار، وهم من إيالة القائد الجعيدلي، اقتربوا ذات يوم من أسوار مدينة ردانة، واستولوا على عدد من الأبقار كانت ترعى على قرب أحد أبوابها، بعد أن قتلوا راعيها، وألقوا بجثته في هوة عميقة، ثم حفروا ثقباً كبيراً في جدار دكان من دكاكين سوق المدينة، وتسللوا إليها، وأفرغوه عن آخره مما كان يحتوي عليه من سلع وبضائع، ليلوذوا بالفرار بعد فعلتهم هذه، دون أن يعترض سبيلهم أحد، علماً بأن ما لا يقل عن 400 نفرًا من الكيش والعسكر، كانوا إدالة هناك¹.

وكان هذا يحدث، في الطرق والمجموعات السكنية، بالرغم من حرص المخزن ومساعيه الهادفة إلى ضمان الأمن والسلامة في هذه المسالك، وذلك بترتيب مجموعة من التزالات على امتدادها، وتحديد مواقعها وأعدادها، بالاعتماد على القبائل للقيام بمهام الحراسة والمراقبة، واستخلاص نوع من الضريبة من أرباب السلع والبضائع، عند مرورهم أو مبيتهم بها، ولكن قدرها وكيفية أدائها كانا من اختصاص المخزن الذي كان يحددها، كأن يكون العطاء مثلاً بالنقد الوطني، أو الأجنبي، أو عيناً أي بمواد أولية، كما ورد ذلك في وثيقة تحت عنوان: "التزائل التي ببلاد آيت يوسي وغيرهم"، يدور موضوعها حول ترتيب "إنزالات" في بلاد آيت حلي، مع ذكر أسماء القواد الثلاثة الذين كانوا وقتئذ على رأس هذه القبيلة، وهم محمد بن الحاج العثماني، ومحمد بن كُرُّ الخزاني، وعلي الحسن المجلدي، وعدد "إنزالات" عند كل واحد منهم، ومواقعها،

¹ - خ. س، ك 467، ص. 34، رسالة السلطان إلى القائد محمد بن بوشنى بن البغدادي بتاريخ 29 ذي القعدة 1310 / 14 يونيو 1893.

والقدر من المال المسموح بفرضه على المسافرين وعلى الدواب المحملة بالسلع والبضائع، مع إثبات أسماء أعيان كل فريق في طرة الكتاب، بصفتهم شهوداً على ما ذكر وملتزمين باحترام وتنفيذ مقتضياته. ومن شأن الجدول الآتي، أن يعطينا فكرة عن هذا الجانب:

الجدول رقم 34: ترتيب "انزالات" في بلاد أيت حلي (من قبيلة أي تيوسي)

أسماء القواد	أسماء الترائل	ما يعطى في كل واحدة منها على الراجلين والدواب الموقورة	ملاحظات
		الراجلون البغال الخمر	
1) محمد بن الحاج العثماني	- دار الطمع - شايف النعام - النواله - تشرشاي	8 موزونات 1 بسيطة 4 موزونات نصف بسيطة 4 أواق وخيرة 2 أواق ونصف خيرة 8 موزونات 1 بسيطة	نصف بسيطة كرش
2) محمد بن كمر الحزاني	- أم جنيبة	5 أواق	أوقيتان ونصف
			"... والدرك عليكم في كل ما وقع أو يقع من هب أو غيره، أو مطالبة انقوافل بكتر مما عين لكم قبضه منهم..." ¹
3) علي الحسن المكيدي	- تاغزوت - سبب العيا	1 بسيطة 5 أواق	نصف بسيطة

نرى من خلال هذا الجدول أن أكبر عدد من الترائل وأهمها كان يوجد في إيالة القائد الأول، محمد بن الحاج العثماني، وأن الرسوم كان يستخلصها القيمون على الأشخاص، والسلع والمنتجات في هذه التزالات، وكانت تختلف تسعرتها من نقطة إلى أخرى، وهذا داخل نفس المجال الترابي كما هو الشأن هنا عند قبيلة أيت حلي، وليس فحسب في مجالات وجهات متباعدة، مما يحملنا على الاعتقاد بأن

1- خ. س، ك 467، ص. 259، الوثيقة بتاريخ 6 ربيع الأول 1311/ 17 سبتمبر 1893.

الظروف الأمنية، والأخطار التي كانت تحدق بهذه القافلة أو تلك، فضلاً عن نوعية العلاقات التي كانت تربط القبائل المجاورة لها بالمخزن، كانت تؤخذ بعين الاعتبار عند تحديد تسعرة الرسوم المذكورة. ويعني هذا طبعاً أن مراكز الحراسة والمراقبة هذه كانت تختلف، من حيث حجمها وأهميتها، ووضعيتها من مكان إلى آخر، وتتأثر بعدة عوامل طبيعية، ومجالية، وسياسية، بمعنى أنه كلما ابتعدت عن المجال الجغرافي الذي كان يراقبه فعلاً المخزن وبتحكم في شؤونه، كلما ساءت أحوال هذه "القوافل" واستعصى أمر التحكم فيها.

على أنه كان يحدث مراراً ألا يحترم القواد وأعوانهم ما سمح لهم باستحلاصه من رسوم، إذ كانوا يفرضون على السلع والمسافرين مقادير تفوق بكثير ما كان قد قرره المخزن في هذا الشأن. وعن هذا الجانب، تحدثنا رسالة أمناء وأشياخ إيالة القائد المحجوب الجلولي الحاحي إلى السلطان، وهي بتاريخ 11 جمادى الثانية 1304، الموافق لـ 7 مارس 1887، حيث لم يكتف هذا القائد بالزيادة فيما كان يؤديه أصحاب القوافل، بل أقدم على إنشاء "قوافل" أخرى، دون إخبار المخزن، ولا الحصول على إذنه. ويقول هؤلاء المشتكون، في شأن ما كان يقبضه أصحاب القوافل في القوافل، ما يلي:

«... واطر سيدنا في طواهرته الشريفة بأيدينا ثمان موزونات في الجمل الموقور، وفي البغل موزوتان، وفي الرقيق ثمان موزونات للراس إذا بات كلهم في نزالة وإلا فلا. وصار يقبض ثمانية أوجوه لكل بهيمة جائزة في الطريق حاملة الحمل، تبيت أو لم تبيت، سواء كانت بصرف بسط تسعة أواق، وريال بحساب خمس وأربعون أوقية إلا الرابعة الفرخسية يقبض بصرف بسط اثنين وعشرون أوقية وريال إحدى عشر مثقال... وفي سابق العادة مدة إذ بهي (القائد عبد الله أهي) يقوم السكان لكل نازلة يقبضون موزوتين في الجمل الحامل والبائت لا غير، يقومون أنفسهم

بالمعيشة زمان سكنهم فيهم إلى أن تولى الحاج الحسن إتكزرين، وانتقلهم، وتولى فيهم القبض هذا العدد المحدث، وتولاه أنفلس، وتبعهم قائد المحجوب...»¹.

وورد في وثيقة صادرة عن قواد أعراب الرباط الثمانية وقتئذ، أن إخوانهم المكلفين بالترائل المرتبة في بلادهم، كانوا يقبضون على الجمل، سواء قضى صاحبه ليلته بها أم لا، ست أواق، عوض "ثمانى موزونات للجمل في المبيت فقط"².

1- خ. س، مع. ح رقم 115، وثيقة بتاريخ 11 جمادى الثانية 1302 / 28 مارس 1885. نزالة الفرخسية هي النزالة الرابعة التي أنشأها القائد المحجوب الجلولي، بالإضافة إلى الثالثة واسمها أمسنس، والثالثة القانونيتان، فكانت أولاهما في "أسفل جبل بني تامر"، وثانيهما في المونكاري.

وحسب ما تضمنته رسالة القائد عبد المالك المتوكي إلى السلطان، وهي بتاريخ 25 شوال 1318، الموافق لـ 15 يناير 1901، وكانت قبيلة جسيمة القرية من مدينة أكادير وقتئذ تابعة لإيالة هذا القائد، فإن خليفته هناك كان قد أذن للمتولين الحراسة والمراقبة بنزالة بئر النصراني بقبض المقادير الآتية:

- بسيطتان على "الجمل الحامل".

- نصف ريال على "الجمل الفارغ".

- بسيطة واحدة على "البغل الحامل أو الفارغ".

إلا أن المتوكي نفى ذلك، وأضاف قائلاً:

«... والمأخوذ فيها (أي نزالة بئر النصراني) شيء قليل أجرة الذين يجرسونها خوف وقوع مكروه بها على المارة لا يقرب من هذا العدد الذي أخبر به مولانا...».

- خ. س، مع. م. ع. رقم 1/407.

2- خ. س، مع. م. ع. ع، الوثيقة بتاريخ متم شوال 13، الموافق لـ فاتح يونيو 1897، وأسماء هؤلاء القواد هي كما يلي:

الحاج عباس الفرتوتي الدهمي.

المواري بن قاسم العقباني.

العايدي بن محمد العبودي.

الغالي بن محمد المحرزي.

محمد بن العربي المحرزي.

والملاحظ كذلك، في هذا الصدد، محاولات العديد من قواد القبائل وفي مقدمتهم ولاية قبيلة بني احسن، التملص من فريضة التخييم والحراسة في الترائل التابعة إلى إياهم، مدعين أن الأمر لا يهمهم، وإنما يهم غيرهم من قواد الجوار. وعن هذا الجانب وغيره، يدور موضوع سبع وعشرين وثيقة مخزنية، يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة 1295 هـ/ 1878 م، وتاريخ أحدثها إلى سنة 1321 / 1903-1904.

فمن خلال ما تضمنته من أسماء "الترايلات"، في جهات مختلفة من البلاد، أمكننا التعرف على أهم المسالك التي تستأثر باهتمام المخزن من جهة، وترتيبها حسب عدد الوثائق الخاصة بكل واحد منها من جهة أخرى، والذي كان على النحو الآتي:

المحور الأول:

من سلا إلى مكناس، عبر أراضي قبيلة بني احسن حيث خص بسبع وثائق.

المحور الثاني:

رباط الفتح - الدار البيضاء، خص بست وثائق.

المحور الثالث:

رباط الفتح - منطقة تادلة، عبر أراضي قبيلة زعير بخمس وثائق.

المحور الرابع:

فاس - تافيلالت، عبر أراضي بني مطير وبني مكيلد، خص بأربع وثائق.

المحور الخامس:

فاس - مكناس، خص بثلاث وثائق.

المحور السادس:

الصويرة - أكادير، عبر تراب قبيلتي الشياظمة وحاحة، خص بوثيقتين.

الفصل الخامس

الحركة وضوابطها

1) الحركة في الزمان والمكان

1 - 1 دلالاتها

ظهرت، منذ عشرين سنة بالتقريب، مجموعة من الدراسات والأعمال الجامعية حول ظاهرة الحركة في مغرب القرن التاسع عشر، إلا أن معظمها اهتم، على الخصوص، بعهد السلطان المولى الحسن. ولئن كان قد وقع التركيز على الجوانب التقنية والكمية في فترة حكم هذا السلطان، حيث عمل أصحابها على تطعيم بحوثهم بأرقام وبيانات إحصائية عن أعداد رجال الجيش، وحراك وعساكر القبائل، والرواتب والمؤن، ومسارات الحملات العسكرية السلطانية، والوقت الذي كانت تستغرقه كل واحدة منها، بحسب الجهة المقصودة والأهداف المتوخاة من القيام بها، وكذلك المجهودات والتدابير المتخذة من قبل المخزن بهدف تحديث وتطوير قطاع الجيش، فإننا نظن أن ظاهرة الحركة لم تكن تقل أهمية ووزناً واعتباراً في العهود السابقة، وهذا ما جعلنا نهتم بها هنا، في عهد السلطانين مولاي عبد الرحمن بن هشام وابنه وخلفه سيدي محمد، فضلاً طبعاً عن العهد الحسني¹.

¹ - حول هذا النوع من الدراسات، أنظر:
- Nordman (Daniel): Les Expéditions de Moulay El HASSAN, Essai Statistique, Hesp - Tamuda, Vol. XIX, Fasc. Uniq, 1980-1981, pp. 123-152.
- Rollman (Wilfrid John): «The New Order» In a- Precolonial Society, Military Reform in Morocco 1844-1900. Ph. D, University of Michigan, 1983.

وأما في العهدين العزيري والحفيظي، فلا شيء يذكر في هذا الصدد، إذ كان لتغير الظروف والأحوال، وتراكم المشاكل والأهوال على الدولة، انعكاسات وآثار سيئة وسلبية في كافة القطاعات، وفي مقدمتها قطاع الجيش، اللهم إذا ما استثنينا الست سنوات الأولى من عهد المولى عبد العزيز، أي حتى وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في 13 مايو 1900. فبعد هذا التاريخ، تسرب الخلل، ودبّ الوهن وعدم الانضباط إلى صفوف الحراك، جنداً وغيرهم من مقاتلي القبائل، وصارت الحركة عبارة عن حشود من أخلاط القوم ظل شغلهم الشاغل هو القيام بأعمال السلب والنهب، لا الإسهام في استتباب الأمن ونشر الطمأنينة والسكينة في أرجاء البلاد.

هذا، بالإضافة طبعاً إلى الحركات الفرعية التي كان يتولى قيادتها أفراد من قرابة السلطان أو ثلة من كبار القواد العسكريين، وولاة القبائل، ضد القبائل المتمردة، أو لقضاء غرض من الأغراض المخزنية، كالعمل على فض النزاعات التي كانت تنشأ بين القبائل هنا وهناك، أو استخراج ما تخلد بذمة بعضها من ضرائب ومستحقات أخرى لفائدة المخزن، إلى غير هذا من المهام والنوازل التي كانت تستوجب الحضور الفعلي للسلطان أو ممثليه في عين المكان، الأمر الذي سنعمل على استبياناه وتوضيحه من خلال ما تجمع لدينا من وثائق حول هذا الموضوع.

وخلافاً لما كانت تروجه كتابات وتقارير الملاحظين الأجانب، وفي مقدمتهم ضباط البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، بدءاً من النقيب بايرن (Cap

= - أعيف (محمد)، الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان، مجلة ك. أ. ر، عدد 7، 1981، ص. 47 - 75.

- برادة (ثريا)، الجيش المغربي وتطوره في القرن XIX، مساهمة في دراسة الإصلاحات العسكرية. منشورات ك. أ. ر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

(Payenne)، وانتهاء بالعقيد مانجان (Col. Mangin)، حول الحركة وشؤونها من تشويه، واستخفاف، وتحقير، فإنها كانت تكتسي أكثر من دلالة، وترمز إلى أكثر من معنى، بالنسبة لسلطان البلاد ورعاياه على حد سواء.

ثم إننا نعلم جيداً أن المخزن كانت تعوزه، في الفترة موضوع بحثنا هذا، الوسائل المادية والتقنية الناجعة لمراقبة كافة مناطق البلاد مراقبة مستمرة وفعالة. ومن ثم ظاهرة تنقل السلطان باستمرار والتي لاحظها المغاربة، كما لاحظها الأجانب. وقد كتب، في هذا المعنى، السفير البريطاني ويست ريدجواي (West Ridgeway)، بمناسبة زيارة رسمية قام بها للمغرب، في غضون سنة 1893، ما يلي:

«... لقد سمعت عدة شكاوى من الطريقة التي يستقبل بها السلطان الوزير الأجنبي لدى قدومه إلى البلاط، إذ بينما يكون السلطان ممطياً صهوة جواده، يقف الوزير عاري الرأس، في فناء مكشوف يكتظ بالقواد. وقد دفعني البحث في هذه المسألة إلى عدم الاقتناع بتلك الشكاوى. ففي المغرب، فرس السلطان هو عرشه... ولا أرى كيف يكون ذلك أكثر مهانة من الانحناء في قاعة العرش، كما جرت العادة بذلك عندنا في أوروبا...»¹.

ويتبين لنا كذلك من الوثائق أن الحاجة لم تكن تدعو، وبالحاح كبير، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، إلى تنقل السلطان باستمرار على رأس جيوشه. بيد أن هذا التنقل قد أصبح ضرورة حتمية وأكيدة، في النصف اللاحقة وحتى سنة 1912، بسبب المستجدات الحاصلة، سواء داخل المغرب، أو على مستوى تعامل وعلاقات البلاد مع عدد من الدول الأوروبية الاستعمارية، وفي مقدمتها فرنسا وإسبانيا. ومن ثمّة يصبح تنقل السلطان إجراءً طبيعياً، يقتضيه

¹ - روجرز، ب. ج، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، ترجمة يونان ليب رزق، مطبعة دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، ص. 293 - 294.

الحزم واليقظة والإقدام، الأمر الذي يجعل من الحركة وسيلة لتسيير شؤون البلاد، ويستهدف منها، في نفس الوقت، جباية الضرائب، وتأديب القبائل العاصية والمتمردة، واستظهار قوة المخزن، والتمهيد للدخول في مفاوضات، وتحديد الروابط والشائج بين عاهل البلاد والسكان¹.

ومهما يكن الأمر، فإن العمليات الحربية لا تبدأ إلا بعد استنفاد جميع الطرق الأخرى لتحقيق الهدف المنشود.

يقول جاك بيرك (Jacques Berque)، في سياق حديثه عن ظاهرة الحركة، على عهد السلطان المولى الحسن على الخصوص، مشيراً إلى ما كانت تختزله من رموز ثقافية، ودينية، وأدبية، ومعقبات على كلام صاحب "البستان الجامع لكل نوع حسن..." "محمد بن إبراهيم السباعي، في هذا الشأن، ما يلي:

«... إن العاهل، عند حلوله بتراب قبيلة عاصية على رأس جيوشه، كان لا يعتبر نفسه غازياً متسلطاً، ونفس الإحساس كان يشاطره إياه أهل المكان أنفسهم. ذلك أن التهديد، والتلويح باستعمال القوة، إلى جانب الطرق السلمية، والتفاوض، والوعظ والإرشاد، ومحاولة تكسير وحدة الجماعة، كلها أساليب وممارسات كانت تكتسي، في أعين المخزن، أهمية أكثر مما كان يعول على القوة والعنف، في معالجة عصيان القبائل...»².

1- أنظر، على سبيل المثال لا الحصر، ما خاطب به السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن نائبه بمدينة طنجة محمد الخطيب، رداً على طلب السفير الإنجليزي جون دراومند هاي الاستقرار بإحدى الخواضر الكبرى داخل البلاد، حيث قال له:

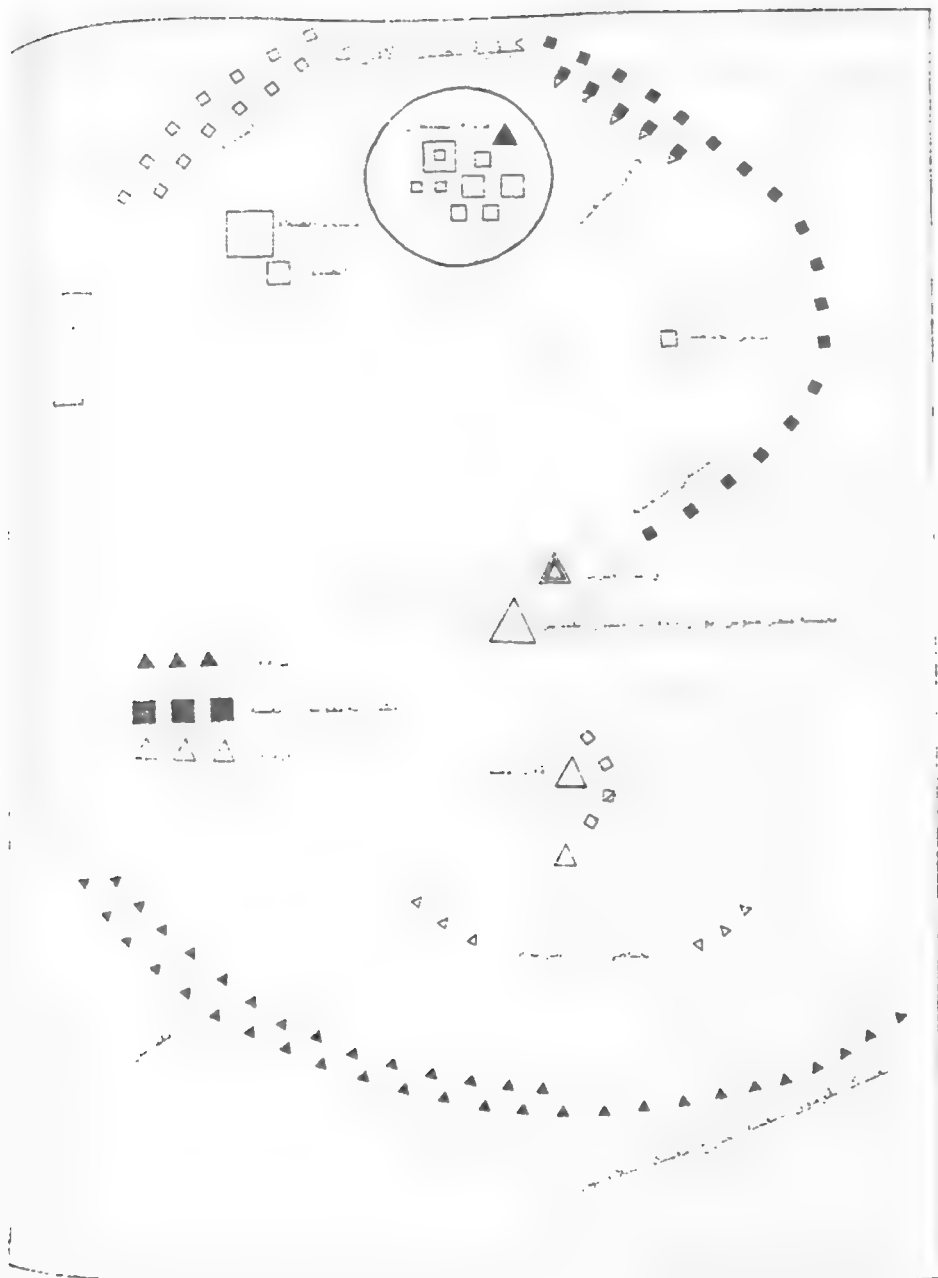
«... فاعلم أنا لا نستقر بفاس، ولا بمكناس، ولا بمراكش. فتارة هنا، وتارة بإحدى المدينتين المذكورتين، وتارة حاركن للقبائل المتعاصية (هكذا)...».

أورده خالد بن الصغير في: المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون دروماند هاي مع المخزن 1846-1886، مطبعة ولادة، الدار البيضاء، 1992، وثيقة رقم 42، ص. 82، بتاريخ 28 شوال 1276/19 مايو 1860.

- Nicolas (Michel): L'Approvisionnement de la Mehalla au Maroc au XIX^e siècle, Hesp-Tam., Vol. XXIX, Fasc. 2, 1991, pp. 313-340.

2- خ. س، مح. ح رقم 242، وثيقة بتاريخ 24 رجب 1307/12 مارس 1890.

رسم رقم: 6



1 - 2 وظيفتها

يقودنا هذا إلى القول إن هناك تقاليد مرعية، وثوابت واضحة، وعوائد عريقة في سياسة المخزن، خلال القرن التاسع عشر، كانت تقضي بعدم اللجوء إلى استعمال القوة ضد من كان يعصي أوامره، إلا بعد استنفاد كافة الوسائل الدبلوماسية والسلمية، للوصول إلى الغاية المنشودة. ونلمس هذا السلوك وهذا الحرص، من خلال العديد من الوثائق المخزنية في هذا الشأن، إذ كثيراً ما نعثر على مثل هذه التأكيدات:

«... كتاب شريف بتاريخ 22 (رجب 1280) فيه تقدم الإعلام بكتاب ليقراً على قبائل أهل سوس، تطبيقاً لنفوسهم، وأن الحملة وجهت بقصد قبض الواجب لا بقصد التطويع...»¹.

وتحدثت عن نفس الموضوع، ولكن بشيء من التفصيل والتوسع، رسالة وجهها الحاجب السلطاني موسى بن أحمد، إلى أخيه عبد الله بن أحمد، عامل فاس العتيق وقتئذ، مبنياً ورأساً له الخطة الواجب اتباعها، لمعالجة نازلة قبيلة غيثة التي اشتهرت وعرفت بعصيانها وتمردتها ضد المخزن، على امتداد القرن التاسع عشر بأكمله، مما يزيد استشهادنا قوة ووضوحاً، ويزيل كل مجال للشك والتساؤل، إذ يقول الحاجب:

¹ - خ. س. ك 47، ص. 16.

وجاء في صفحتي 13 و15 من نفس السجل أن القائد مالك الشرقي قد وجه كبيراً على 500 فارساً "ترهيباً لمن وراء وادي ولغاس وغيرهم، والأمر باستعمالها إن احتيج إليها... وأن المقصود الأهم من الوصول لوادي ولغاس وأنه لأجل بيروك التكني، وصدور الأمر بالمشاورة به أمرهم والسعي في دمارهم...".

«... فإن مولانا المنصور بالله، بعدما كتب لكم في شأن قضية أهل تازة، وبين أيده الله لكم الوجه الذي تباشرونها به، إن كانوا هم الظالمين، وما يكون فيها إن كانوا مظلومين، أمرنا أيده الله بالكتابة لكم بأن تركنوا للسكينة، وتحرصوا على جعل سداد بينه وبينهم وتأويل، وتؤخروا أمر الحركة بكل ما أمكن، بحيث يستقر العامل، ويقع بينه وبينهم الصلح، وتطفأ نار الفتنة، وتجري الأمور على سداد...».

وبعد أن ذكر له أسماء الشخصيات التي تقرر إيفادها رفقة لقضاء هذا الغرض المخزني، ويتعلق الأمر بالقائد علي الراشدي، أو بقائد الكيش بوعزة بن العربي الأودي، وواحد من الأشراف العلويين من قرابة السلطان، إما من مكناش، أو من فاس، فضلاً عن الشريف مولاي إدريس بن زين العابدين، خلص إلى القول:

«وإذا توجهت الحركة، فأوصوا الكبير المتوجه معها بأن يهددهم ويرهبهم، ويضيق بهم لا غير، ولا يضربهم بالبرود، ولا يطلق للمحلة يد الضرب به ولا بد... وإذا لم يجد الإرهاب والتهديد شيئاً، فحينئذ يكون الضرب بالبرود والحاصل، يكون ضربهم هو آخر وجه مباشرة أمرهم...»⁽¹⁾.

لقد نصت هذه الرسالة بكل دقة ووضوح، علاوة على ضرورة التريث قبل استعمال القوة، على مجموعة من المبادئ والترتيبات، تمت دراستها بعناية فائقة، وهي التي كانت تراعى، قبل انطلاق كل حملة عسكرية، وبالخصوص حين يكون السلطان بعيداً عن مسرح الأحداث، كما هو الشأن في قضية تازة هاته.

فقد ذكر فيها اسم كبير المحلة، علي بن الجليلي بن عيسى الراشدي، أحد قواد كيش أولاد جامع وقتئذ، قبل أن يصبح عاملاً، فيما بعد، على كل من

1- خ. س. و. ز. مج 25، الوثيقة رقم 28 بتاريخ 27 شعبان 1293 / 17 سبتمبر 1877.

تازودانت، وفاس، والعرائش. وإذا تعذر تكليفه بهذه المهمة، فيعين محله القائد العسكري الشهير بوعزة بن العربي الأودي، والرجلان معاً يعتبران من أبرز الشخصيات المخزنية في العهدين الحسني والعززي¹.

كما نصت الرسالة كذلك على اسم الشريف الذي يرافق الحركة، لإضفاء طابع القدسية والحرمة على الوفد المخزني، بسبب ما كانت للمقومات الفكرية والثقافية من أهمية بالغة في المجتمع المغربي في هذه الفترة، وقيامه، إذا اقتضت الظروف، بدور الوسيط المفاوض بين سكان المدينة والمخزن، وتعزيزه بشريف آخر، أي مولاي إدريس بن زيد العابدين، عسى أن يفض النزاع الدائر بين عامل تازة وسكانها، بتراض بين الطرفين، علماً أن هذا الشريف الأخير وعائلته كانا يتمتعان بمحظوة كبرى ونفوذ واسع، في قبائل غياثة، وبني سادن، والتسول، والبرانس، وهوارة، والحياينة، أي في مجال حوض إيناون بكامله، وكذا القبائل الجبلية المطلة عليه. على أنه لا بد من الإشارة هنا إلى أنه في 27 شعبان 1293، أي تاريخ تحرير الرسالة، كان السلطان المولى الحسن في الجهة الشمالية - الشرقية من البلاد، وبالضبط عند بني يزناسن، قادماً لها من مدينة تازة نفسها، حيث ألحقت قبائل غياثة بالحملة السلطانية هزيمة نكراء، ذهب ضحيتها مئات الجنود، كما أتلقت لوازم وأدوات وتجهيزات وبنادق ودواب عديدة، أثناء المعارك التي جرت في النصف الثاني من شهر جمادى الأخيرة من نفس السنة².

¹ - بوشعراء، مصطفى بن أحمد، "الاستيطان والحماية..."، مرجع سابق، ج 3، ص. 1147.

² - الناصري، مرجع سابق، ج 9، ص. 158 - 159. وكذلك:

Berque (J): L'Intérieur du Maghreb, XV-XIX Siècle. Paris, Gallimard, p. 485.

يقول الفقيه محمد بن الحسن الحجوي، متحدثاً عن بداية أمر بوحمارة في هذه المناطق، واستجابة جل قبائلها، وفي مقدمتها قبيلة غياثة لدعوته، ومعقياً على سياسة المخزن تجاهها، على إثر هذه الأحداث، ما يلي:

«... وكان مولاي الحسن... أراد إخضاعها أول ولايته، فذهب إليها بجيوشه، ولكن سوء تدبير وعدم معرفة وزير الحرب بطرق تحريك العساكر، وحرب الأوغار وقعت عليه كرة واحدة، أفلت السلطان عنها بشق الأنفس، فرأى أن يتركها على فسادها طيلة أيامه، ويجعلها حصناً بينه وبين الحدود الجزائرية، فكانت هي فاتحة باب الاحتلال...»¹.

على أن هذا لا يمنع من اللجوء إلى القوة والعنف ضد القبيلة أو الفرقة التي كان يستعصي أمر إخضاعها إلى الأوامر المخزنية، عن طريق التفاوض والإقناع، كما نلمس ذلك مما كتبه أحد قواد حوز مدينة مراكش، القائد الهاشمي بن قدور الزمراني، إلى السلطان، قائلاً:

«بأن العقاب والتأديب في حق جلاوة قد بلغ حده، وأنهم هربوا إلى شواحق الجبال، بعد أن أكلت زروعهم ومواشيهم، وأحرقت مداشرهم، وتفرقوا في الجوار...».

1- الحجوي، محمد بن الحسن: انتحار المغرب بيد ثواره. مخ. خ. ع. ر. رقم ح 123، ص 8. وانظر كذلك ما ورد في رسالة الخليفة السلطاني بمراكش، الأمير مولاي محمد، إلى الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي، في شأن أوامر السلطان وتعليماته حول ما كان ينبغي إنجازها من قبل الحركة التي كان يقودها في بلاد حاحة، حيث نقرأ ما يلي: «... وصل كتابك بأن مولانا دام تأييده أمر بحض الحملة هنا وتخريضهم على الزيادة في التخريب، والتحريق، والهدم، والتضييق، وإخلاء الديار، ومحو الآثار، وانتهاز الفرصة في الفساد بالقتل والأسر...».

- خ. س. مح. ح رقم 78، وثيقة بتاريخ 20 شوال 1313 / 22 يوليو 1886.

لهذا، يرى القائد المذكور أنه من اللازم إنهاء هذه الحملة العسكرية وإصدار الأوامر إلى المشاركين فيها للتوقف عن القتال، والعودة إلى ديارهم، لأنه:

«... إذا انقضى ما كانت تذبحه المحلة، وتاكل منه من متاع جلاوة، ولم يبق شيئاً (هكذا)، وأصابها الجوع، وإذا جاءت المحلة، فلم تبقى فيها فائدة...»¹.

ومن العوائد المخزنية كذلك، ولا سيما إذا كانت القبيلة المستهدفة سهلة المنال، ولا تمثل أدنى خطر لا على المحال المخزنية، ولا على مقاتلي القبائل الحليفة، فإن السلطان كان يكلف هؤلاء بعمليات التأديب، والتنكيل بها، كما نلمس ذلك من الفقرة الآتية:

«... فقد وصل كتابكم مستأذنين في بيان ما يكون عليه عملكم، بعد أن ذكرتم أكل جميع أمراس فساد النعاسة، وعرفنا ذلك. فبعد استيصالكم زروعهم اليباس والأخضر، تأمركم أن تنهضوا عنهم إلى وقت آخر...»².

1 - 3 فصولها

ما من شك أن العوامل الطبيعية والمناخية كانت تقيد حرية السلطان في التنقل، على رأس جيوشه، من جهة إلى أخرى من البلاد. فالوسائل المادية والتقنية والتنظيمية البسيطة التي كانت في متناوله وقتئذ، كانت لا تسمح لا بنقل الجنود والعتاد الحربي والأمتعة بالسرعة المطلوبة، ولا باقتحام ومواجهة أهوال وغضب الطبيعة، وقت قحط

¹ - م. و. م. ر، مح. مراكش، وثيقة بتاريخ متم شوال 1266 / 7 سبتمبر 1850.

² - خ. س، ك 370، ص. 58، رسالة السلطان المولى الحسن إلى عمال قبيلة بني أحسن بتاريخ 14 محرم 1303 / 23 أكتوبر 1885.

والنعاسة الوارد ذكرهم هنا هم بطن من بطون فرقة أولاد يحيى التي هي بدورها قبيلة من قبائل بني أحسن.

الأمطار وسقوط الثلوج، وحدثت الفيضانات في الأودية والأنهار. إن توقيت الشروع في الحركة كانت تدخّل في تحديده كذلك اعتبارات سياسية ومعيشية. لقد كان المخزن يعد لها العدة، لما قد يكون لها من تأثير مباشر على نجاح أو فشل الحملة العسكرية المخزنية. ومن ثمة كان يتعين على السلطان وجنوده انتظار حلول فصل الربيع للشروع في رحلة جديدة، قد تطول ملقاً وقد تقصر، بحسب الجهة المقصودة، والتأكد من موقف القبيلة أو القبائل المستهدفة من المخزن، ونوع وخطورة المشاكل والقضايا المطروحة. وكان كل شيء ينتهي، في غالب الأحيان، مع إطلالة فصل الخريف، أو بعد مرور الأسابيع الأولى منه. على أن هذا كان لا يمنع من أن تضطر الكتائب والتجريدات المخزنية إلى البقاء في ميادين القتال، حتى وقت يتقدم من فصل الشتاء، كما حدث ذلك، عدة مرات، أيام السلطان المولى الحسن على الخصوص¹.

ثم إن الخصوصيات الطبيعية والاقتصادية لكل جهة من جهات البلاد، كانت تؤخذ بعين الاعتبار، قبل التاريخ النهائي لانطلاق الطلائع الأولى للجيوش المخزنية في اتجاه الناحية المستهدفة. فإذا تعلق الأمر بمنطقة جبلية مثلاً، كأن يقصد

1- Michel (Nicolas): L'Approvisionnement de la Mahalla, op. cit., p. 103.

وفي هذا المعنى، يندرج كلام الوزير الصدر أحمد بن موسى، مخاطباً الشريف محمد المراني الذي كان يقود إحدى السرايا المحاربة وتعتد لفرق من قبيلة الأعشاش بناحية الشاوية، بعد أن استنقل الأعذار المقدمة إلى السلطان والممانعة من متابعة ومواصلة المحجمات ضد هذه الفرق المتمردة، حيث قال: «... وأن برودة الفصل وعدمه لا تعتبر مع تحصيل الغرض. وأين أنت من حركة سيدنا المقدس بالله للناحية الشرقية في دجنبر الأجم وتراكم الأمطار الهائلة حتى كاد أن تعدم الأرض الجافة التي يمكن فيها الإيقاد؟ وأين أنت من الحركة الأولى السوسية التي كاد أن يعدم القوت فيها بالكلية؟ وأين أنت من حركة مولانا المنصور بالله الحوزية التي أولها شهر شتنبر وعاخرها شهر مارس...».

- خ. س، ك 234، ص. 68، الوثيقة بتاريخ 23 جمادى الثانية 1315 / 19 نونبر 1897.

بالحملة العسكرية قبائل بني مكيلد، أو أيت شخمان، أو أيت الربع مثلاً، فإنه كان يتعين الحلول بتراهم اعتباراً من بداية مايو وحتى نهاية أكتوبر، أي في وقت تخضر فيه الأراضي في المرتفعات، ويكثر الكلاء في المراعي¹.

هذا طبعاً حين تكون السنة الفلاحية عادية، أي أن البلاد لم تعرف لا جفافاً، ولا أسراباً من الجراد، ولا نقصاً كبيراً في المحصول الزراعي، وإلا اتخذت كامل الاحتياطات والترتيبات لضمان غذاء الرجال، وعلف بهائمهم ودوابهم، كما حدث ذلك خلال رحلة السلطان المولى الحسن الثانية إلى ناحية سوس سنة 1886.

وأما في غير هذه المناطق الجبلية، فإن السلطان كان يحاول دوماً الوصول إلى أراضي القبائل التي يعتزم تأديبها وحملها على الإذعان إلى الأوامر المخزنية، في الوقت الذي تكون فيه سنابل الزرع وشيكة الاصفرار، ولم يشرع بعد الأهالي في

1- إن الأمثلة في هذا الصدد عديدة ومتنوعة. انظر مثلاً نموذجاً منها فيما ورد في رسالة الحاجب أحمد بن موسى إلى عمه باشا فاس عبد الله بن أحمد، بتاريخ 25 رمضان 1303، الموافق لـ 30 يوليو 1886، في شأن حلول السلطان بمنطقة تادلة في التاريخ المذكور، وتمكنه من تطويع قبيلة أيت الربع:

«... التي كانت عن فجح الاستقامة عادلة، ألزموا بإعطاء ذعيرة لها بال، ويعدد من الخيل والرجال، إحياء لما كانوا عليه من القيام بالوظيفة المخزنية...».

- خ. س. و. ز، مج 26، وثيقة رقم 20.

وهذا ما نلمس كذلك من الجواب الذي رد به القائد قدور بن الحسين الجامعي، عامل القصاي، في شأن طلب محمد والطالب اليوسي بشد عضده ضد المتمردين عليه من أتباعه، حيث كتب يقول إلى السلطان:

«... ويعلم سيدنا أيده الله هذا إبان البرد والثلج، والحركة بمفصلها، يكون الحال سخون، ويكون الزرع موجود، وما تاكل المحل، ولم يفروا الناس على أمتعتهم. وحين يوصل الإبان، إن اقتضى نظر سيدنا السديد، يكتب سيدنا على أعيان هذه القبائل وعلى الخديم، ونفوض مع سيدنا أيده الله في المسئلة الذي تناسب الوقت...».

- خ. س. مج. ح رقم 155، الوثيقة بتاريخ 5 جمادى الأولى، 1305/ 19 يناير 1888.

عمليات الحصاد والدراس¹. وإذا كان التوقيت الذي أومأنا إليه أعلاه موافقاً ومناسباً لشن العمليات الحربية ضد الفرق والجماعات القبلية، في الجبال كما في السهول، والتي لم تكن دائماً طَوَّع يد المخزن وممثليه، أو بسبب ما يكون قد صدر عنها من أعمال العصيان والشغب، فإنه كان عليه كذلك مراعاة مصالح التفاصيل القبلية الخاضعة لأوامره، والمناصرة لقضاياه، وذلك بتجنب الظهور في بلاده، أو مطالبته بمده بالحرّك والمجندين من أبنائها، إبان انهماك الجميع في أشغال الحرث والحصاد وإلا غيرت موقفها منه.

والواقع أن المخزن كان واعياً كل الوعي بهذه الحقيقة، ويأخذها بعين الاعتبار، ما دام أن الأغلبية الساحقة من جنوده وعساكره، فضلاً عن حرّك القبائل، كانوا من فئة المزارعين، ومن قال عنهم السلطان المولى الحسن إنهم من «أهل البادية، إذ لا منفعة لهم في غير الزرع والضرع، وأصل ذلك كله ومنشأه الأرض ومرجعه إليها...»، علماً بأن العاهل كان يقصد وسائل وأوجه الكسب و"المعاش" بالنسبة لسكان "الإيالة المغربية" قاطبة².

ونلمس كذلك حرص المخزن على مراعاة مصالح القبائل من جهة، واختيار الظروف الملائم والأنسب للتدخل هنا وهناك من جهة أخرى، مما كتبه السلطان المولى الحسن إلى صنوه وخليفته بمدينة مراكش الأمير مولاي عثمان، في شأن العدول موقتاً عن تقديم الدعم وشد عضد أحد القواد ضد أتباعه، حيث نقرأ ما يلي:

¹- A.G.V, 3 h 2, Rapp. Erckmann n° 20, p. 1.

²- مقتطفات من رسالة وجهها السلطان المولى الحسن إلى قائد قبيلة الشياظمة سعيد بن العياشي الشياظمي، أورده الصديقي في مؤلفه "إيقاض السريرة..."، مرجع سابق، ص. 116 - 117، الوثيقة بتاريخ 16 جمادى الأولى، 1300 / 25 مارس 1883.

«... فما قدمناه لك من شد عضد خدينا القائد العربي بن الشرقي
الرحماني بما يحتاجه من الحركة لأولاد ابن السبع، لا عمل عليه لأن هذا
الوقت ليس هو إبان الحركة، فإذا طلبه منك، فسوفه، وأخره حتى يصل
إبان الحركة، ويظهر ما يكون إن شاء الله...»¹.

وهذا القائد عمر بن محمد والطالب اليوسي يطلب صراحة من السلطان
إرجاء مطالبته بتجهيز حراك إخوانه وتحمي مؤونتهم إلى وقت لاحق، إذ إن:
«الوقت ضعيف أمره في هذه الساعة من قلة الشعر لأجل السنة قد
انصرمت...»².

(2) الاستعدادات الأولية

2 - 1 استنفار الجند وحراك القبائل

تحدث الوثائق المخزنية بإسهاب عن الإجراءات والتدابير التي كانت
تتخذ، شهوراً عديدة قبل أن يغادر السلطان مقر استقراره، على رأس جيوشه،
قاصداً الجهة التي يكون قد عقد العزم على معالجة عدد من مشاكلها، إلا أن الجزء
الأكبر من هذه المصادر خاص بعهد السلطان المولى الحسن الذي اقترن اسمه بظاهرة
الحركة في ذاكرة المغاربة حتى مطلع القرن العشرين، مما يدل على تطورها الإيجابي
وتحسين مردوديتها وفعاليتها من جهة، وعلى غمط وطريقة فريدين في ممارسة الحكم
والسيطرة على الأوضاع وبجريات الأحداث من جهة أخرى، والأمثلة في هذا
الصدد كثيرة ومتنوعة.

¹- خ. س، مح. ح. س 1290، الوثيقة بتاريخ 5 ذي القعدة 1290 / 25 دجنر 1873.

²- خ. س، مح. ح رقم 417، وثيقة بتاريخ 12 شوال 1310 / 29 أبريل 1893.

ففي عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وحتى في فترة حكم ابنه وخلفه سيدي محمد، أصبحت المدة الزمنية التي تستغرقها عمليات الإعداد والاستعداد للقيام بالحركة، أكثر مما كانت تتطلبه أيام السلطان المولى سليمان. أما الوسائل البشرية والحربية، والمادية فظلت متواضعة نسبياً بالنظر إلى مثيلاتها المسخرة في العهد الحسني، وهو الأمر الذي نتبينه من الوثائق، وبالأخص فيما يرجع إلى اعتماد السلطانين الأولين، أي المولى عبد الرحمن وسيدي محمد، على فرق الكيش، وتنظيم عبيد البخاري، في تركيبة التجريدات والكتائب التي كان يعهد إليها بشن العمليات العسكرية ضد القبائل العاصية، أكثر من اعتمادها على مقاتلي القبائل، أي حراكها، في حين حدث تغير ملموس في هذا المجال على عهد السلطان المولى الحسن، إذ صار إسهام أبناء القبائل لا يقل أهمية ووزناً عن إسهام عناصر العسكر النظامي وقبائل الكيش. وسواء تعلق الأمر بأفراد الكيش، أو العسكر النظامي، أو حراك وعسكر القبائل، فإن المخزن كان يستعمل الجميع في قضاء أغراضه، عسكرية كانت أم مدنية، وفي مقدمتها المشاركة في الحركة السلطانية.

ولاشك أن هذا التطور كان مرتبطاً بالأساس باهتمامات وانشغالات المخزن الظرفية، وبدرجة تحكمه في زمام الأمور، ونفاذ كلمته وإشعاعها في القبائل. فإذا أخذنا مثلاً عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، فإننا نلاحظ أنه باستثناء الحملة العسكرية الكبرى التي كان قد جهزها سنة 1828، ومشى على رأسها، قاصداً شراردة زاوية عبد الله بن ساسي، في حوز مدينة مراكش، ومتزعمهم المهدي بن محمد الشرادي الثائر ضد حكمه، فإن تحركات وتنقلات هذا العاهل تكاد تهم كلها تقريباً المناطق الوسطى والشمالية من البلاد، إذ اقتصر ترأسه مع آل أشعاش، محمد وولده عبد القادر بصفتهم عاملي مدينة تطوان، ومع بوسلهام بن علي أزروط، عامل

العرائش وطنجة، قبل أن يحجب عنهم الأنظار الأمين محمد بن عبد الله الخطيب، عند تعيينه نائباً للسلطان بمدينة طنجة. فكانت عمليات التهيء وإشعار الجند والحراك بالاستعداد للمشاركة في الحركة لا تدوم إلا أسابيع معدودات على حد ما نفهم مما ورد في الرسالة التي وجهها السلطان المولى عبد الرحمن إلى عامل العرائش عبد السلام السلاوي المكتاسي، حيث أخبره بأن:

«... يوم السبت غد تاريخه يضرب أفراك بظاهر مكناسة... فبوصوله إليك وجه حراك الخلط، وطلق، ووصفان العرائش...»¹.

على أن جهود المولى عبد الرحمن بن هشام، في هذا الصدد، قد انصبت، قبل كل شيء، على إخماد تمردات وفتن قبائل زمر وتطويعها، فضلاً عن تنظيم حملات عسكرية في جهات أخرى من البلاد، ضد قبائل الحياينة، وبني أحسن، ودكالة، وأيت أعتاب مثلاً، معتمداً في غالب الأوقات على الخليفة سيدي محمد، أو ثلة من كبار قواد الكيش والقبائل، كالباشا الجليلي بن بوعزة البخاري، وابن العواد، وإدريس بن المكّي، وإدريس بن حمان الجراري، وابن يشو الغرباوي، والحسين بن الفاضل الجرواني، ومحمد بن الطالب الهنتيفي، والمعطي بن المزوار (أولاد بوزرارة من دكالة)، والصادق بن الفقيه (أولاد فرج من دكالة كذلك)².

وتنطبق الملاحظة نفسها على الخطة المتبعة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، استعداداً للتوجه إلى جهة من الجهات، على رأس جيوشه،

¹ - خ. س، مح. ر رقم 5/5/ك 5، الوثيقة بتاريخ 4 ذي القعدة 1247 / 5 أبريل 1832.

² - م. و. م. ر، مح. مراکش، ملف رقم 2، وثائق ترجع إلى سنة 1262 / 1846 بالنسبة للهنتيفي وقواد دكالة.

- الناصري، الاستقصا...، مرجع سابق، ج 9، ص. 15 وما بعدها.

- ابن زيدان، إتخاف أعلام الناس...، مرجع سابق، ج 5، ص. 22.

بالرغم مما أُنجزه هذا العاهل من تحسينات وما أدخله من تعديلات وترتيبات على مرافق عديدة من دواليب الدولة، وفي مقدمتها مؤسسة الجيش. وهذا يعني أن الحركة لم ترسخ قواعد أساليب التهيئ والتمهيد لها بدقة وعناية فائقتين، فضلاً عن تخطيط وتدبير أطوارها مسبقاً، إلا في العهد الحسني.

ففي بطاقة بتاريخ 30 جمادى الأولى 1297، الموافق لـ 10 مايو 1880، دون أحد كتاب الخليفة السلطاني بمدينة مراكش الأمير مولاي عثمان، ويدعى الفقيه ابن عزوز، ما شاهده وحققه وجمعه من معلومات وأخبار عن الطريق المؤدية من أكادير إلى الصويرة، حيث قال:

«... توجه كاتبه بإذن الخليفة لمعينة الطريق المرور عليها من سوس إلى الصويرة، ونظرها هل هي مأمونة مسلوكة أم لا، في رفقة الحاج عمارة، والحاج علي القاضي، وأنفلوس، خروجنا من الصويرة مع الجادة إلى أكادير...»¹.

1- خ. س، ق. ح، مح. ح رقم 21.

المقصود هنا بالحاج عمارة. القائد عمارة بن محمد بن عبد الصادق عمارة الذي كان قد عين باشا على مدينة الصويرة في 5 صفر 1285، الموافق 28 مايو 1868، وبقي في هذا المنصب إلى أن وافته منيته في 27 صفر 1300، الموافق لـ 7 يناير 1883. وأما الشخص الثاني المذكور هنا، أي الحاج علي القاضي، فيتعلق الأمر بالفقيه علي بن محمد الثاني الحاحي، الذي كان تولى منصب القضاء بنفس المدينة ما بين 14 شوال 1290 وفتح جمادى الثانية 1292، الموافق لـ 5 دجنبر 1873 و5 يوليو 1875. وقد توفي في شهر محرم من سنة 1298، الموافق لشهر دجنبر 1880، بينما كان في زيارة إلى الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد التمكديشي الذي تربطه به علاقة عائلية، ويعتمد عليه السلطان المولى الحسن في نشر وتدعيم النفوذ المخزني في الديار السوسية. وأخيراً يقصد بأنفلوس هنا القائد مبارك، واحد من قواد حاحة البارزين وقتئذ. أنظر في هذا الشأن:

- الصديقي، محمد بن سعيد، إيقاض السريرة...، مرجع سابق، ص. 97.

يتبين لنا إذن، مما ورد في الفقرة أعلاه، أن المخزن ومنذ هذا التاريخ، كان يعد العدة، ويتخذ التدابير والإجراءات، تمهيداً ولاشك للرحلة الأولى التي قام بها المولى الحسن إلى منطقة سوس، اعتباراً من 25 مايو 1882، حيث غادر في هذا التاريخ مدينة مراكش، على رأس جيوشه. طبعاً، لم تكن الفترة الزمنية التي كان يتطلبها تهيئ رحلة سلطانية إلى جهة من الجهات تستغرق كل هذه المدة الزمنية. ولكن الذي يهمنا هنا أكثر من غيره، هو الإلحاح على طابع الحزم والجدية والإتقان والحيلة كذلك الذي كانت تكتسيه عمليات الإعداد لكل تنقلات العاهل خارج إحدى عواصمه الثلاث، فاس، مكناس، ومراكش.

والملاحظ، في هذا الصدد، أن "الكنانيش" أي السجلات المخزنية زاحرة وحافلة بالمعلومات والبيانات عن الحركة وشؤونها، أكثر مما هو الشأن بالنسبة للمحفظات، إذ ينص فيها على أدق التفاصيل والإجراءات التنظيمية، والمادية حول الحركة المزمع القيام بها، فضلاً عن أطوارها ووقائعها، وما أسفرت عنه من نتائج ومكاسب بالنسبة للمخزن وممثليه، كما نتبين هذا كله أو بعضه مما ورد في وثيقة من هذا النوع، تحت عنوان:

«زامام تقييد المكاتب الشريفة في شأن الحركة السعيدة في 17 ربيع النبوي
عام 1298».

ويتعلق الأمر هنا بالرحلة الثامنة للسلطان المولى الحسن، والتي قادته من مدينة مكناس إلى مدينة مراكش، مروراً برباط الفتح. ففي مرحلة أولى، أي في التاريخ أعلاه، وجهت رسائل الاستعداد للمشاركة في هذه الحركة إلى قواد الشاوية، ودكالة، وتادلة، وباقي قبائل حوز مراكش. وقد بلغ عدد هؤلاء جميعاً 76 قائداً،

ذكرت أسمائهم وإيالتهم، كما نص على أسماء أفراد الحناطي والمسخرين الذين كلفوا بتسليم الرسائل المذكورة إلى أصحابها، وعددهم 49 شخصاً.

وفي 11 ربيع الثاني من نفس السنة، الموافق لـ 13 مارس 1884، وجهت رسائل مماثلة إلى قواد ناحية الغرب. ثم بعد مضي شهر كامل على هذا التاريخ، أي في 11 من جمادى الأولى، وجهت "المكاتب الشريفة في شأن الإبل..." إلى قواد الحوز، في حين أمر نظراؤهم بالغرب، ثلاثة أيام بعد هذا التاريخ، أي في 14 جمادى الأولى، بإرسال ما كان مودعاً عندهم من أبل المخزن، وكذلك الخيول. وبعد هذا، صدرت الأوامر للجميع بالتأهب للنهوض للحركة، وإعداد المؤونة، علماً بأن السلطان لم يغادر مدينة مكناس، في اتجاه مدينة الرباط، إلا أواخر شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة¹.

وأما "حركة مراسي الغرب سنة 1306" والتي زار خلالها السلطان المولى الحسن مدينتي تطوان وطنجة على الخصوص، فهي واحدة من الحركات التي كان لها الصدى الواسع والوقع العميق في نفوس المغاربة، وأثارت اهتمام العواصم الأوربية، إذ استهدفت كلها ثغور البلاد وتخومها، دفاعاً عن حوزة الوطن، وصوناً لوحدة أراضيها ومصالح أهاليها، ونعني بها طبعاً، السفرة الرابعة إلى وجدة ونواحيها سنة 1876، والسفرة الثامنة عشرة إلى تافيلالت سنة 1893، والسفرتين التاسعة سنة 1882، والثانية عشرة سنة 1886 إلى منطقة سوس ونواحي وادي نول. ومن ثمة الشروع في عمليات التهيئ في وقت مبكر من السنة المذكورة. ففي 24 ربيع الثاني 1306، الموافق لـ 28

1- خ. س، ك 113، ص. 3 وما بعدها.

دجنبر 1888، صدرت الأوامر السلطانية في شأن ما ينبغي «أن يكون العمل عليه في فرض الحراك على من يذكر من القبائل»¹.

هذا وقد أعقب هذه الخطوة الأولى، وبعد أن وجهت دعوات مماثلة إلى قواد منطقة الحوز، اتخاذ التدابير الآتية:

- الأمر لعمال وقواد الغرب والحوز بتفقد "الهوائر السعيدة"، وذلك في 12 جمادى الأولى 1306 / 14 يناير 1889.

- الأمر لهم "بتخليف الضائع وتعويض الراك من الإبل"، في 15 جمادى الأولى 1306 / 17 يناير 1889.

- صدور الأمر إلى عمال الريف ووجدة وناحيتها بالتأهب للحركة، في 14 جمادى الثانية 1306 / 15 يراير 1889.

- صدور الأمر إلى عمال الغرب والحوز بالتأهب للحركة، في فاتح رجب 1306 / 3 مارس 1889.

- أمر العمال بتوجيه ما عندهم من بغال المخزن في 11 شعبان 1306 / 12 أبريل 1889.

- نصب أفراك خارج أسوار المدينة في 16 شعبان 1306 / 17 أبريل 1889.

- الكتابة إلى عمال الغرب والشاوية مرة أخرى للنهوض إلى الحركة في 20 شعبان 1306 / 21 أبريل 1889.

¹- خ. س، ك 160، ص. 1 وما بعدها.

- تجديد الأمر إلى عمال الريف ووجدة بالنهوض إلى الحركة في 15 رمضان 1306 / 15 مايو 1889.

- في 17 من شوال 1306، الموافق لـ 16 يونيو 1889، غادر السلطان مدينة فاس، وبذلك تكون المدة الزمنية التي تطلبها التهيئة لهذه الحركة قد استغرقت خمسة شهور ونصف بالتقريب، الأمر الذي يدل على أهميتها من جهة، وعلى ما تم تجنيده وتسخيره من وسائل بشرية ومادية لإنجاحها من جهة أخرى¹.

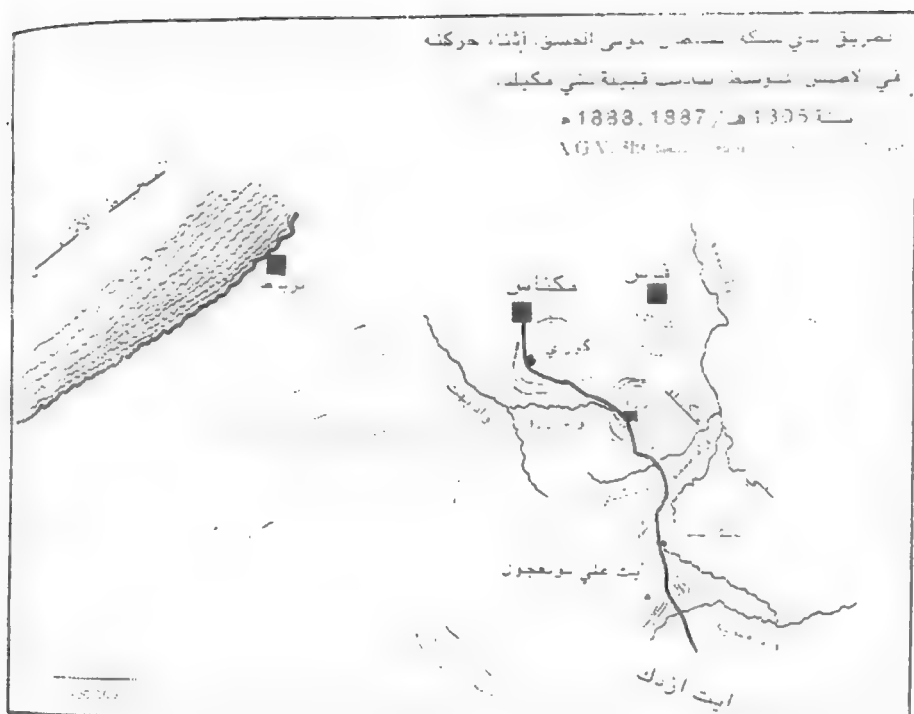
¹ - مرجع سابق أعلاه، في 8 محرم 1307، الموافق لـ 4 سبتمبر 1889، دخل السلطان إلى مدينة تطوان، وبقي بها حتى 23 من محرم المذكور، حيث غادرها متوجهاً إلى مدينة طنجة ثلاثة أيام بعد هذا التاريخ الأخير.

وأما حركة تافيلالت، فقد دامت مدة التهيئة لها ستة شهور ونيف، إذ صدرت الأوامر الأولى إلى قواد مدينة فاس في 4 ذي الحجة من نفس السنة، أي في 19 يونيو 1893.

هذا فضلاً عن الحركة الفرعية التي تكونت حول الخليفة السلطاني بمدينة مراكش، الأمير مولاي محمد، والتي تحركت نحو نفس الاتجاه، عبر الأطلس الكبير الغربي في فاتح حجة 1310.

- خ. س، ك 160، ص. 82 وما بعدها.

الخريطة رقم : 13



وها هو نموذج آخر لما كان يسبق القيام بالحركة من إجراءات وأعمال، ولكن هذه المرة يتعلق الأمر بحركة السلطان المولى عبد العزيز التي استهدفت قبيلة الأعشاش بالشاوية سنة 1315 هـ / 1897 - 1898 م، وهذا ما تحدثت عنه الوثائق المخزنية¹.

وهكذا، فمنذ 12 شوال 1314، الموافق لـ 16 مارس 1897، بدأت الاستعدادات الأولية لتهئ الحركة، إذ وجهت رسائل إلى عدد من الأمناء، وبخاصة إلى أمناء أزموور والدار البيضاء، في شأن العمل على شراء "التلايس" و"الشواريات". بعد ذلك، صدرت الأوامر إلى القواد الذين كانت في حوزتهم دواب المخزن قصد صيانتها، من بغال، وخيول، وإبل بتفقدتها وتهيئها لتكون في أحسن حال عند المطالبة بتوجيهها إلى الحضرة.

وهكذا، كتب لعمال الشاوية وكان عددهم وقتئذ 19، وعمال دكالة (20 عاملاً)، والرحامنة (9 قواد)، وعبدة (5 قواد)، وحمير (5 قواد كذلك)، والسراغنة (قائدان)، وزمران (قائدان كذلك)، والشياطمة (قائدان)، وقائدي دويران، ومزوضة، وسكساوة، ومسفيوة، والوريكي، ومحمد ويده السوسي، وعبد المالك المتوكي، والطبيب الكتتافي، والمزميزي، والمطاعي، والمجاطي، والأكلاوي، والدمناتي. وجددت الكتابة لهؤلاء بتاريخ 25 شوال من نفس السنة. ثم في الفترة المتراوحة ما بين 2 ذي القعدة 1314، الموافق لـ 4 أبريل 1897، وفتح صفر 1315،

¹- خ. س، ك 234، ص. 1 وما بعدها.

كل الأرقام والبيانات التي ندلي بها هنا حول هذه الحركة مأخوذة من هذا السجل. وفي حالة اللجوء إلى غيره من الوثائق، فسوف نخيل عليه في حينه.

الموافق لـ 2 يوليو 1897، صدرت الأوامر لقواد الشاوية، والرحامنة، وحاحة، وزمران، وعبدية بتوجيه ما عندهم من بغال وعددها 567 بغلاً، في حين وجه قواد الشاوية 145 جملاً، وقواد دكالة 126 جملاً.

وأما قبائل الغرب، والشمال، والأطلس المتوسط، فبالإضافة إلى 772 جملاً التي كانت مودعة عند قواد قبائل هذه المناطق، ورد الحديث عن "بغال الديوان"، والقصد منها عدد معلوم من البغال، أو الجمال، أو غيرها من الدواب كان يتعين على القبائل تقديم عدد معين منها إلى المخزن لحمل أثقاله، كلما صدرت الأوامر بذلك، حسب "ديوان" القبيلة. وقد أمكن للسلطان الحصول على 308 بغلاً بهذه الطريقة، من قبائل الدير وحدها، ناب القائد ابن المودن السرخيني مثلاً 32 بغلاً بالنسبة لإيالاته أيت أعتاب، و32 بغلاً عن إيالاته هنتيفة، في حين كان على قواد حاحة تسليم 59 بغلاً، والرحامنة 188 بغلاً، وعبدية 111 بغلاً كذلك، بالإضافة إلى 257 بغلاً مما كان دفعه قواد سوس، وسلم لقواد قبيلة حمير بهدف صيانه.

وبالموازاة مع ذلك، صدرت الأوامر لاكتيال كميات من القمح والشعير، وتم تعيين الأمناء الذين عهدت إليهم هذه المأمورية، وكذلك مناطق الاكتيال. والوثيقة الآتية تعطينا فكرة عن هذا الجانب:

«الأمين السيد أحمد الركينة وبعد، فنأمر أن تدفع لكل واحد من الأمناء الثلاثة المبين طرته (وهم الحاج عبد السلام بن جلون المراكشي، والحاج أحمد بن الغالي الشكور، والحاج عبد الله بن عيسى المراكشي) خمسة آلاف ريال. فالأول منهم من السكة السالمة الجديدة، والآخران الباقيان

من السكة الغير السالمة بما تروج به من غير زيادة، بقصد اكتيال الشعير
بتادلا لجانب المخزن...»¹.

وتلى هذه الخطوة إشعار عدد من قواد القبائل وعمال المدن الذين كانت
تابعة لحكمهم بعض قبائل الجوار، بالتأهب للمشاركة في حملة السلطان
العسكرية، دون الإفصاح لهم طبعاً عن موعد انطلاقها، على الأقل في هذه
المراحل الأولى من التهيئ، ولا عن الجهة التي سوف تقصدها.

وهكذا، وابتداء من 5 ذي القعدة 1314، الموافق لـ 7 أبريل 1897،
كتب إلى كل من عامل فاس إدريس بن العلام، وقواد الغرب، وأيت يوسي،
وجروان، وزيان، واشقير، وزمور، والحياينة. ومما يثير الانتباه كذلك في هذه
الكتابات والخطابات المخزنية الموجهة إلى هؤلاء العمال والقواد، اختلاف

1- خ. س، م. س أعلاه، ص. 14، الوثيقة بتاريخ 3 ذي الحجة 1314 / 5 مايو 1897.

يثير هذا النص، بالرغم من اقتضابه عدداً من التساؤلات، والملاحظات. فنرى أولاً أن السلطان
نفسه يقر علانية بأن قطعاً نقدية زائفة كانت تروج في البلاد، ويتداولها السكان في مبيعاتهم
ومشترياتهم، بل كان المخزن هو الآخر يستعملها في قضاء أغراضه. ثم إن ما يثير الانتباه كذلك
فيما ورد في الفقرة أعلاه أن الأمين ابن جلون الذي عينت له قسبة أيت الربع مكاناً لوضع
كميات الشعير المكتالة من طرفه، قد أعطاه المخزن نقداً سالماً من كل عيب أو زيف، في حين
أعطي زميلاه نقداً زائفاً، وحددت لهما مجالات أخرى للاكتيال. ولعل هذا راجع إلى
الخصوصيات التي كانت تنفرد بها قبيلة أيت الربع، وتتميز بها عن غيرها من قبائل المنطقة. فهي
تتكون، كما هو معلوم، من جماعات بني ملال، وسمكت، وبني معدان، وإكطاي، وتعد خمساً
من أخماس قبائل تادلة. ثم إنها كانت كذلك تعتبر من قبائل الكيش، إذ كانت تزود المخزن، بين
الفينة والأخرى، بعدد من أبنائها للعمل في الجندية. بيد أنه مع هذا كله، لم تكن دائماً تنصاغ
إلى الأوامر المخزنية، بل العكس هو الذي كان يحصل. ولعل هذا هو ما يفسر سياسة المخزن في
تعامله مع قبائل المنطقة.

محتواها وأسلوبها، بحسب مكانة المخاطب، ونوعية العلاقات التي كانت تربطه بكبار أعوان الدولة، وأهمية إيايته سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وإخلاصه وتفانيه في تنفيذ أوامر المخزن والإسهام في إنجاح سياسته في القبائل.

ولم يخل أي عهد من عهود سلاطين القرن التاسع عشر من الأعوان المخزنين المرموقين. فقد أشرنا إلى بعضهم في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن كمحمد بن رشيد الحرزي، وعبد الكبير بن المدني المازمي، والغزواني بن محمد ولد زيدوح، وبوزكري لعميري، وابن بلة الرحماني، وعلال الشرقاوي، ومحمد بن صالح، ومحمد بن عمر البحتري، وعلي أحدو الدمناتي، وعبد الله أبيهي الحاحي¹.

وفي عهد السلطان المولى الحسن، برزت أيضاً أسماء بعض هؤلاء القواد، حيث يرد ذكرهم باستمرار في وثائق الفترة، كأبي بكر بن السهلي المهباي، وحمادة بن المختار البوزكاوي، والعربي الوليشكي، وعبد الكبير الثوري، وأبو بكر الحباسي، ومحمد وأطالبي اليوسي، ومحمد أعراب المكيدي، ورح الشريف السغروشي، وعبد السلام بن رشيد، والمعطي بن عبد الكبير المازمي، ومحمد بن أحمد المزاوي، وعيسى بن عمر العبدلي، وعبد الحميد بن الفاطمي الرحماني، ومحمد بن المودن السرخيني، ومحمد أحم الزياني الذي تبوأ مكانة خاصة عند السلطان وابنه وخلفه المولى عبد العزيز، في ربوع الأطلس الأوسط بأكمله، كما نلمس ذلك من الفقرة الآتية:

«... وبعد، فقد عزمنا على النهوض بحول الله وقوته لتدويخ هاتيك القبائل، وتفقد أحوالها والنظر في أمورها، وأصدرنا لك أمرنا الشريف

1- خ. س، ك 298، ص. 25، 28، 30، 33، 77، 80 وما بعدها.

خ. س، و. ز، مج 18، وثيقة رقم 324 بتاريخ متم صفر 1287 / 31 مايو 1870.

بالتأهب للحركة السعيدة. وحيث كنت لدى جنابنا المعتز بالله من الخدام النصحاء الذين يعتد بهم في مهمات الأمور، نأمرك أن تبين ما يظهر لك من ناحيتكم، وفي أي محل يكون ربطكم عند أمرنا الشريف لكم بالتهوض إن شاء الله. فلتطير الإعلام بما تقتضيه المصلحة في ذلك عزماً أصلحك الله والسلام...»¹.

2 - 2 لوازم الحركة والحراك، واختبار المسالك، واستصلاح بعضها

ومعلوم كذلك أن المؤرخين القدامى والمحدثين على السواء، مغاربة وأجانب، قد أطنبوا في الحديث عن الحركة وشؤونها وغيرها من المؤسسات والقطاعات المخزنية، على عهد السلطان المولى الحسن، أكثر من حديثهم عن سبقه من سلاطين القرن التاسع عشر. ولعل ذلك راجع، قبل كل شيء، إلى وفرة الوثائق وتنوعها حول عهد العاهل المذكور. ولا أدل على هذا من ما أورده في هذا الصدد وغيره مؤرخ مكناس مولاي عبد الرحمن بن زيدان، في مؤلفيه "إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس"، و"العز والصولة في معالم نظم الدولة".

على أن هذا لا يعني خلو مصادرها من معلومات وبيانات عن الحركة والحراك في الفترات ما قبل عهد هذا العاهل. فمن ذلك مثلاً ما ذكرته وثيقة تحت عنوان: "تقييد صائر الحركة السعيدة الميمونة، مقيداً في 4 محرم 1284"، مما تسلمه من مواد وأدوات "أصحاب الفراش"، و"أصحاب الماء"، و"أصحاب الأروى"،

¹ - خ. س، ك 234، ص. 16، الوثيقة بتاريخ 16 ذي القعدة 1314 / 18 أبريل 1897.
- خ. س، مح. ح رقم 257، رسالة العربي الوليشكي إلى محمد بن أحمد الصنهاجي، بتاريخ 20 جمادى الأولى 1307 / 12 يناير 1890، حيث نقرأ ما يلي:
«... لما توجهنا من الأعتاب الشريفة مصحوبين بالجيش السعيد قاصدين قبائل الريف، فانتقلنا مرحلة بعد مرحلة إلى أن وصلنا بني وافر...».

و"الفرايكية"، والمكلفين بمواد "الكمانية"، وأدوات الطبخيين، مع إثبات أسماء المواد والأدوات المذكورة، وأعداد كل صنف منها، وأثمنتها. وهكذا، تم صنع وشراء "الحنابل" و"التلايس"، و"الشواريات"، و"الساقات..." للحنطة الأولى، و"البراديع"، و"الدلوات"، و"الراوِيَّات"، و"الساقات" للثانية، و"طروح الصفيحة"، و"أربطات"، و"الأوتاد"، و"المياجم"، و"اشكلم"، و"اللحوم"، و"القرب" للثالثة، وجهزت الرابعة "بالقدومات"، و"الجراريف"، و"الفسان"، و"المناجل"، و"الأشفار"، و"الجلود"...

هذا وقد بلغ مجموع ما أنفق على شراء وصنع هذه المواد 73523,75 أوقية، علماً بأن قطعة من "خبز كبير"، خاص بغذاء السلطان قدر ثمنها بثلاثة أرباع الأوقية¹.

ومن المرافق ذات الأهمية البالغة والتي كانت تتطلب في إعدادها مواد وأدوات مختلفة مرتفعة الأعداد، ما كان يتكون منه مخيم السلطان، وبالخصوص أفراك الذي يقول عنه ابن خلدون ما يلي:

«... ويدير الأمير القائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجاً من الكتان يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان أهله أفراك، بالكاف التي بين الكاف والقاف، ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره...»².

وعن أفراك والفرايكية تقدم لنا وثيقة مخزنية تحت عنوان: "قائمة أسماء الفراجية الأحرار والوصفان وقيده فاتح" معلومات جد مفيدة عن أنواع

1- خ. س، ك 67، ص. 1 وما بعدها، يوافق التاريخ الهجري أعلاه 8 مارس 1867.

2- ابن خلدون، عبد الرحمن، "كتاب العبر..."، مرجع سابق، ج 1، ص. 479.

وكميات المواد والأدوات التي كان يتم صنعها وجمعها بهدف تجهيزه ونصبه. وبالرغم من خلو وثيقتنا هذه من أي تاريخ، فإننا نعتقد أنها ترجع إلى السنوات الأخيرة من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن أو السنتين الأوليين من عهد السلطان المولى الحسن، إذ ذكر فيها اسم "الفقيه العلاف"، تعييناً لوزير الحرب على عهد السلطان، المذكور عبد الله بن أحمد، وهو اللقب الذي انفرد به دون سواه ممن كلفوا بقطاع الجيش في القرن التاسع عشر، فضلاً عن أن المحفظة التي رتبت فيها هذه الوثيقة خاصة بعهد هذا العاهل.

وأياً كان الأمر، فقد بلغ عدد هؤلاء الفراجية 423 نفرًا، 91 من الخيالة، والباقي من الرماة، وينتسب جميعهم إلى عبيد البخاري و فرق الكيش الأخرى. ولكن الأهم من هذا كله، التقييد الوارد في ظهر الوثيقة والذي نص فيه على المراد والأدوات المختلفة التي كان يصنع منها ويجهز بها أفراك السلطان. وجاء في بدايته ما يلي:

«... عند الشروع في التهيء للحركة، يكتب للعمال بتنفيذ ما يحتاج

إليه الفراجيون، من جلود من عجول البقر، وجلود معزي، وبطائن،

والقنب الرقيق الفتل، وقنب الخياطة، وشرايط لربط الأحمال...».

وهذه أهم النقاط التي تضمنها، فضلاً عما ذكر فيه من مواد وأدوات:

- يكلف بالحراسة الليلية خارج أفراك عناصر من الفراجية ومسخري البخاري

إذ كان عليهم القيام بعمليات التطواف خارجه، بينما كانت تسند مهام الحراسة في مواقع معينة في أفراك وتدعى "الجلسات"، إلى سائر الأفراد من المسخرين والعساكرية.

- استعمال 16 وتدأ من الحجم الكبير، إذ كان طول كل واحد منها يبلغ مترًا واحدًا، فيما كان يبلغ عرض كل ضلع من ضلوعه الأربعة خمسة ستمترات، و16 وتدأ أخرى دون حجم السابقة، و540 وتدأ عاديًا تدعى "أبري"، و20000 وتدأ خشبياً.

- استعمال كذلك حبال ضخمة «لربط الكمائن الكبار وغالب هذه الحبال يصنع بالعرائش، يتوجه مقدم من الفراججية للشجر المذكور لذا الأمانة، ويقيم هنالك إلى أن يصنع العدد المذكور لا يقل وزن كل كمنة عن 80 كيلو، ولا يمكن أن يحمل على البغال أكثر من إثني للواحدة...».

- يتطلب حمل القبة السلطانية ما لا يقل عن إحدى عشر بغلاً¹.

وقبل أن ندلي بأرقام حول ما كان يتعين على القبائل تسليمه من هذه المواد إلى المخزن، وما كان يصنع منها ببعض المدن، على يد الأمانة والمحتسين، كلما توقف عليها، نشير هنا إلى أن السلطان نفسه كان يهتم شخصياً بمسألة اختيار موقع نصب أفراك والقبة السلطانية، كما يتضح لنا ذلك مما كتبه المولى الحسن إلى الباشا حم بن الجليلاني، حيث خاطبه قائلاً:

«... ونأمرك أن تختار للقبة السعيدة المحل الذي يناسب بناءها فيه، بحيث تكون في محل لا يستشرف عليها أحد، لا من الكور، ولا من القبائل على القاعدة إلى أن يكون عندك معيناً تعيناً تاماً، حتى إذا تقدم الفراججي بها، يتوجه لمحلها قاصداً مرشداً...»².

1- خ. س، ق. ح، مع. س. م رقم 433 / 2.

2- خ. س، و. ز، مع 23، وثيقة رقم 221 بتاريخ 11 شوال 1305 / 21 يونيو 1888. وكتب الحاجب أحمد بن موسى، في هذا المعنى، إلى الأمير مولاي العباس ما يلي: «... فيأمرك سيدنا أعزه الله أن تكلف الحملة هناك بحرق محل نزول مولانا، وها مقدم من الفراججية يرد عليك ليعين لك المحل المعلوم، ويقف على ذلك حتى يحرق ولا بد...».

- خ. س، و. ز، مع 26، وثيقة بتاريخ 24 محرم 1309 / 30 سبتمبر 1891.

يتبين لنا إذن مما سبق ذكره على الخصوص، أن المخزن قد اعتاد التوجه إلى القبائل للحصول على ما كان في حاجة إليه من أدوات ومنتجات لتجهيز جنوده ودوابهم. ففريق كان يمدّه بمواد وأدوات خشبية، أو صوفية، أو نباتية، كالتاليس، والأوتاد، والأقواس، والمياجيم، والعصي، مثلما كانت تفعل قبائل الجبل في الأطلسين الأوسط والكبير، وفريق آخر كان يزوده بحاجياته من المصنوعات النباتية كالقروش، والشواريات، كما هو الشأن بالنسبة لبعض قبائل الغرب والسهول الأطلسية الوسطى كالشاوية، ودكالة، وعبدّة على الخصوص. وما عدا هذه المناطق، كالريف مثلاً، أو المغرب الشرقي بأكمله، وتادلة، وسوس، فإسهام قبائلها كان متواضعاً إن لم يكن منعماً. طبعاً، كان صناع المدن، كفاس، ومكناس، وتطوان، والعرائش، والعدوتين الرباط وسلا، ومراكش يتولون صنع المنتجات التي لم يكن في طاقة وإمكان سكان البوادي صنعها.

ففي بطاقة بتاريخ 16 جمادى الثانية 1287، الموافق لـ 13 سبتمبر 1870، وجهها أمناء العدوتين إلى الأمين محمد بريشة، نقراً ما يلي:

«... صنع الخراطة من الأوتاد عدد 1350، منها 700 طلعت لحضرتكم السعيدة والباقي 650 لا زال هنا. وعليه فادفع لحامله أجرهم ست المائة يجب 81...»¹.

وكانت كبريات الحواضر تنفرد طبعاً بصنع أنواع مختلفة من المنتجات الرفيعة والدقيقة، كالتي كانت تستعمل مثلاً في تجهيز الفرسان، إذ هي رهينة توفر صانعيها على قدر معين من الدراية والمهارة، فضلاً عن تخصص كل واحدة

¹ - خ. س. ق. ح. مع. س. م رقم 18.

عبارة "ست المائة يجب 81" تعني أن صانع أو صناع هذه الأوتاد كان يعطاهم 6 أواق عن صنع كل 100 من الأوتاد.

منها في قطاع من قطاعات الصناعات اليدوية. فقد كتب، في هذا الصدد، محتسب مراكش مولاي عبد الله البوكيلي إلى الحاجب أحمد بن موسى ما يلي:

«... يصل سيادتكم التسعة تراشيح الذي صنعت على يدنا بقصد الجانب العالي بالله، وثنهم اثنا وسبعون ريالاً بحسب ثمانية ريال للواحد. فنحيك أن تنفذ لحامله أمين اللبادة ذلك...».

وكتب، في هامش الوثيقة، التوضيح الآتي:

«... نعم سيدي، التراشيح المذكورة جعلت سقوط سروج سيدنا التي وردت من فاس لكونها ترد بلا تراشيح، لأن تراشيح مراكش أتقن وأحسن من تراشيح فاس...»¹.

1- خ. س، مع. ح رقم 89، وثيقة بتاريخ 28 ربيع الأول 1303 / 4 يناير 1886. وانظر كذلك بطاقة محتسب مراكش المذكور أعلاه إلى الخليفة المولى الحسن، في شأن "صنع طرادتين من الكمخة" بنفس المدينة، وهو الأمر الذي أنجزه فعلاً، حيث أنفق 656 أوقية في اقتناء المواد وأجور الصانع.

- خ. س، مع. س. م رقم 42، الوثيقة بتاريخ 29 ربيع الأول 1290 / 6 يونيو 1872، أي قبل توجه الخليفة المذكور، على رأس حركة هامة، إلى ناحية حاحة. - Michaux-Bellaire (Ed.) et Salmon (G): Les Tribus Arabes la Vallée du Lekkous. Arch. Mar., Vol IV, 1905, pp. 83-87

حيث ذكر القطع والأدوات التي يجهز بها الفرس كالسرج، والركاب، والدائر أو الفكرون، والحزام، واللحام، والشركات.

- A.G.V, 3 h 1, Mémoire sur l'Empire de Maroc du cap. Burel, 1810, p. 6 et suiv.

حيث كتب ما يلي، حول لوازم الفرس كما شاهدها أثناء رحلته إلى المغرب في السنة أعلاه «..... لا فرق بين لوازم الفرس بالمغرب ومثيلاتها المستعملة بالمشرق، إذ كانت تتكون من السرج الذي يعلو مسنده وقربوسه بحوالي 10 بوصات (حوالي 30 سنتيم)، وتربطه قرايس عريضة إلى البهيمة، وتوضع فوقه 4 إلى 5 قطع من الثوب، تغطي بدورها بقماش من الصوف الأحمر اللون.

وأما الركبان، فكانوا أصغر مما كان يستعمل في الشرق، ولا يمكن استعمالهما كهمماز لحفز الدابة على الركود، حيث إن المغاربة كانوا يستعملون نوعاً من المسامر، طول الواحد منها 6 بوصات، كانت توضع في كعب حذائهم ويغرزونها في مؤخرة الدابة...».

وتقدم لنا الوثائق نماذج من الصفقات التي كان المخزن يبرمها مع بعض كبار أعوانه في قطاعي الأمانة والحسبة، يتولون شخصياً بمقتضاها صنع مقادير معينة من الخيام مثلاً، أو التلايس، أو الراويات، في حالة إدلائهم بلبغا بأثمنة مفيدة وملائمة. وهكذا، تطلعنا واحدة منها وهي بتاريخ رجب 1312، الموافق لشهر يناير 1895، على عروض الأثمان التي تقدم بها كل من أمين الصائر الشيخ التازي (محمد بن عبد الكريم)، ومحمد المقرئ، أمين البناءات المخزنية، ومحمد بن عزوز بنونة، أمين الداخل، بالإضافة إلى أمين مستفاد فاس وقتئذ والذي لم يشارك في عرض الأثمان هذا الذي كان على النحو الآتي:

الجدول رقم 35: عرض أثمان أحلاس ينوي المخزن شراءها

المصدر	حل الراوية "ياقانتها"	الحليس البري (غطاؤه من حلفاء)	الحليس البري (غطاؤه من صوف)	الحليس الشامي	المعدات أسماء المشاركين
خ. س، ك 227، ص. 10	12,25 ريال	3,25 ريال	4,25 ريال	4,75 ريال	الشيخ التازي
" "	11,25 ريال	" "	" "	" "	المقرئ
" "	11 ريال	3,50 ريال	" 4	" 5	بنونة

وجاء في نفس الوثيقة أن اللجنة التي أسند إليها أمر فحص هذه العروض وكانت تتكون من العربي بنونة، ومحمد بن عبد الله، وعبد السلام التازي، قد اختارت اقتراحات الشيخ التازي، إلا أن التعليمات السلطانية اقتضت غير هذا، حيث عهد للأمين المقرئ بمفرده بصنع الراويات، وأما الأحلوسة:

«فتقسم بين أمين الصائر، وبنونة، واحتسب أثلاثاً، بعد تسراد القديم منها، وإصلاح ما يقبل الإصلاح منها، وبين المتلاشي...»¹.

وسبق للأمين محمد المقري أن شارك أيضاً في عملية عرض للأثمان مماثلة لهذه، وذلك في فاتح رمضان 1310، الموافق لـ 19 مارس 1893، حيث كان المخزن في حاجة إلى 200 راوية بقيمة "13 ريالاً لإقامتها للواحدة"، الأمر الذي يستشف منه إرادة السلطان الواضحة في تشجيع وحفز أهم مساعديه على إقحام غمار عالم الصناعة والمال، وتحقيق أرباح ومكاسب مادية، إلى جانب مهامهم المخزنية، مكافأة لهم على ما كانوا يبذلونه من مجهودات، ويتحملونه من مسؤوليات.

على أنه بالموازاة مع هذا، كان المسؤولون المخزنون المحليون، وفي مقدمتهم الأمناء والاحتسبون يتولون الإشراف على صنع أو شراء المعدات واللوازم لتجهيز الحراك. فكانت مدن تطوان، والقصر الكبير، والعرائش، والدار البيضاء، وأزمور على الخصوص، فضلاً عن الحواضر الكبرى كفاس، ومكناس، والعدوتين رباط الفتح وسلا، ومراكش، تزود المخزن بأهم حاجياته من الشواريات، والقروش، والراويات، إلى غير هذا مما كان يتوقف عليه الجنود والحراك².

1- خ. س، ك 227، ص. 10.

2- خ. س، مح. ح رقم 153، رسالة أمين مستفاد القصر الكبير محمد بن سعيد إلى السلطان وهي بتاريخ 24 رجب 1305. الموافق لـ 6 أبريل 1888، في شأن توجيه: «أربع عشرة حملاً من الإبل حاملين الراويات، والشواريات، والقروش كما ذالك مفصلاً بطرته عدد كل جنس على حيدته...».

- خ. س، مح. ح رقم 457، رسالة أمين مستفاد مرسى الدار البيضاء بوبكر دينية إلى السلطان، مخبراً إياه بأنه نفذ الأوامر الصادرة له بالعمل على شراء 260 قرشاً و545 شوارياً، حيث وجه الكل واصلًا إلى الحضرة محمولاً على 30 دابة.

هذا إذن عن بعض مشتريات المخزن من لوازم ومعدات لتجهيز جنوده وحراكه، في عدد من المدن والحواضر. ولكن، ماذا عن إسهام القبائل في هذا المجال؟ الحق أنها، هي كذلك، وبخاصة الجبلية منها، نظراً لما كانت تتوفر عليه من رصيد غابوي، كانت تمده بمعظم حاجياته من الأدوات الخشبية والنباتية، كالعصي، والأوتاد، والتاليس والحلقات...، ولكن دون مقابل، إذ كان يعتبر ذلك نوعاً من أنواع الجباية غير المشروعة، جرت العادة بفرضها على سكان البوادي دون سواهم.

وهذا فعلاً ما تحدثنا عنه مجموعة من الوثائق. ففي أولاهها، وهي بتاريخ 18 شعبان 1306، الموافق لـ 19 أبريل 1889، وردت الإشارة إلى ما كان مفروضاً على عدد من القبائل تسليمه من التاليس إلى المخزن. وهكذا، كان يتعين على قبيلة جروان مده بمائتي تليسا، ونفس العدد كان مفروضاً على قبيلة زمور، بينما كان على بني مطير إعطاء 400 من هذه التاليس، وعلى أيت يوسي تقديم 500 منها¹.

= - خ. س، مرجع سابق أعلاه، بتاريخ 22 شعبان 1311.

- خ. س، مرجع سابق أعلاه، رسالة أمين مستفاد أزمو محمد بن عبد السلام جسوس إلى السلطان معلماً بشرائه 700 شوارياً و300 قرشاً، تنفيذاً لما أمر به في هذا الشأن، وهي بتاريخ 29 شعبان 1311.

¹- خ. س، ك 160، ص. 24، وك 154، ص. 1 وما بعدها.

قواد بني مطير الواردة أسماؤهم في الوثيقة هم:

البورزوني؛ بويزة النعماني؛ علي النعماني؛ محمد بن التهامي الولالي؛ وعبد الوهاب العياشي. وأما قواد جروان، فهم أنباصر الجرواني، وحدو محمد، وعبد السلام البوخلقي، والباشا حم بن الجليلاني عن فريق أيت إسحاق الذي كان تابعاً لإيالته.

- خ. س، و. ز، مج 13، وثيقة رقم 157 بتاريخ 23 جمادى الأولى 1307.

رسالة السلطان إلى الباشا حم بن الجليلاني في شأن ما نابه من التاليس عن أيت إسحاق، وسط قبيلة جروان.

- خ. س، مج، ح رقم 266، وثيقة بتاريخ 10 رجب 1307.

في نفس الموضوع أعلاه، ولكن بالنسبة لقائد من بني مطير.

وتضمنت وثيقة حول نفس الموضوع ما كان على مجموعة من القبائل تسليمه إلى المخزن من هذه المتوجات والمعدات، نحمله في الجدول الآتي:

الجدول رقم 36: أنواع المعدات واللوازم التي كانت تساهم بها مجموعة من قبائل الأطلس المتوسط في تجهيز الحركة

معدات قواد قبائل	أوزان	مجامم	عصى	أقواس	التاريخ والمصدر	ملاحظات
بنو مطير	10000	5000	5000	5000		لاشك أن تقدير أعداد المعدات والأدوات الخشبية التي كان على كل واحدة من هذه القبائل تسليمه إلى المخزن، كان يتناسب والرصيد الغابوي الذي كانت تتصرف فيه، الأمر الذي يفسر التفاوت الحاصل في الأرقام المثبتة بمحتته.
بنو وراين	1000	500	500	500	" "	وأما ما سجل هنا على سعيد بن فرجي، وولد أب محمد الشرقي، فهو برسم ما كان مفروضاً على القبائل التابعة لهذين القائدين، كرجوة، ومزيات، وهوارة "الحجر" وهوارة "الوطا" الذين كانوا تابعين للأول، أو البهاليل، وبني ورياغل، وقبائل جبلية أخرى كانت تابعة للثاني.
عايت يوسي	27000	2400	2400	2400	" "	
بنو يازغة	3000	400	2000	400	" "	
جروان	10000	500	500	500	" "	
بنو سادن	5000	500	500	500	" "	
الباشا سعيد بن فرجي	5000	500	500	500	" "	
الباشا عبد الكريم ولد أب محمد الشرقي	1000	1000	1000	1000	" "	
المجموع	62000	10800	12400	10800		

وأما حصص قبائل الحوز من هذه المواد، وبالحصوص الديارة، فنلمس جانباً منها من خلال ما أثبتناه في الجدول الآتي:

الجدول رقم 37: أنواع المعدات واللوازم التي كانت تساهم بها قبائل
الدير في تجهيز الحركة

المعدات القواد	أوتاد	مياجم	عصي	أقواس	التاريخ والمصدر
المرمزي	10000	1000	1000	1000	فاتح شعبان 1311 / خ. س، ك 739، ص. 70.
الجرجوري	2000	200	200	200	" "
النروزي	4000	400	400	400	" "
الكتافي	1000	100	100	100	" "
الشيظمي	4000	400	400	400	" "
الدويراني	2000	200	200	200	" "
الباشا ويدة	8000	800	800	800	" "
الوريكي	2000	200	200	200	" "
الدمناقي	22000	2200	2200	2200	" "
المجموع	55000	5500	5500	5500	" "

ومن الأعمال الأكيدة التي كان يتعين إنجازها كذلك خلال هذه المرحلة الأولى من التهيئة والاستعداد، قبل أن يتحرك الموكب السلطاني قاصداً جهة من الجهات، مسألة تفقد المسالك والمسارات، ومعاينة حالتها، وضبط مراحلها، وأماكن الماء والكلاء على امتدادها، ناهيك عن التقاط الأخبار والمعلومات عن القبائل والعشائر التي سوف يمر بأراضيها، إلى غير هذا مما قد يفيد ويساعد على ضمان سلامة الجنود والحراك، وإنجاح خطته ومساعيه.

طبعاً، كان للمخزن رجاله المتخصصون في هذه المجالات، ونعني بهم "المقاتلين"، و"المهندسين"، وعرفاء في عمليات التنقيب عن مكامن المياه الباطنية والكشف عنها، وآخرين كانت لهم دراية وتجربة في مجال عبور الأودية وبحاري المياه الأخرى، حيث كان يتم تعبئة هؤلاء الناس جميعاً عند عقد السلطان العزم

على التوجه إلى جهة من جهات البلاد. ففي مرحلة أولى، كان يعهد إلى عناصر من الفرائيجية معززين بتجريدة من الكيش أو العسكر، بالقيام بالتحريات الأولى في عين المكان، مثلما نستشف هذا مما كتبه الحاجب أحمد بن موسى إلى باشا مكيناس حم بن الجليلي، حيث خاطبه قائلاً:

«... فيصلك المقيدون بالطرة بمنته، وجههم مولانا أيده الله
للحاجب والربعة، واختبار طريق المدفع والجمال والروام، وغير ذلك من
الأنقال، والمسلك السهل من غيره. فعن الأمر الشريف، فإوضحهم في
ذلك، وعين من يدهم على اختبار ما يختبر ولا بد...»¹.

وبعد مضي حوالي خمسين يوماً على تاريخ هذا الكتاب، وبالضبط في 29 رمضان 1305، الموافق لـ 9 يونيو 1888، ها هو السلطان نفسه يكتب إلى وصيفه حم بن الجليلي المذكور، مستعرضاً عدداً من النقاط على النحو الآتي:

1 - قيام الباشا حم شخصياً بتفقد الطريق المؤدية إلى جبال بني مكيلد، انطلاقاً من موقع يدعى بوكماس، ومروراً بتاسمكت وأعليل، إلى أن وصل إلى كيكو، فألفاها «متسعة لا وعرف فيها ولا مشقة في المرور بها، عدى محل قريب فيه حجر أرضي...».

2 - لا ماء في هذه النواحي باستثناء ما تجمع من مياه الأمطار في عدد من "الضايات".

3 - إخلاء الأهالي مواطنهم، أمام الباشا حم وجنوده، واحتماؤهم بأعالي الجبال.

1- خ. س، و. ز، مج 13، وثيقة رقم 134 بتاريخ 10 شعبان 1305 / 22 أبريل 1888.

4 - أتباع وإخوان قواد بني مطير هم كذلك اختفوا عن الأنظار، ولم يقدموا له قط أدنى مساعدة.

واختتم السلطان رسالته هذه، كما جرت العادة في مثل هذه الكتابات والخطابات السلطانية، كلما تعلق الأمر بقبيلة من القبائل العاصية، والتي قلما كانت تنقاد إلى الأوامر المخزنية، ولا سيما بعد انتهاء العمليات العسكرية ضدها، بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، تزكي موقفه وتدعمه من الوجهة الشرعية والأدبية، وتبطل دعوى خصومه، حيث نقرأ ما يلي:

«... أما انجلاء الفساد عن البلاد فتلك سنة الله في أهل الزيف والعناد، فتلك ييوهم خاوية بما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون...»¹.

ولم تمض إلا خمسة أيام على رسالة السلطان هذه، حتى كتب الحاجب أحمد بن موسى إلى نفس الشخص أعلاه، مخبراً إياه بأن السلطان عين مهندسين يردان عليه مع كتابه هذا، بهدف اختبار:

¹ - خ. س. و. ز، مج 15، وثيقة رقم 294 بتاريخ 29 رمضان 1305 / 9 يونيو 1888. على أن ما يثير انتباهنا وكان ينفرد به السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام علي غيره من سلاطين الفترة نزعته إلى الاستشهاد باستمرار بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية، فضلاً عن أمثال العرب وحكمهم في كتاباته، كلما تغلب على قبيلة من القبائل العاصية. فيعد أن أوقع بقبيلتي هشتوكه والشياطمة انجاورين لمدينة أزموور، وكذلك عقاباً لهما على ما ارتكبه أهاليهما من قبيح الأفعال في أفراد وأمتعة ركب الحجيج أثناء مرورهم ببلادهم، كتب العاهل المذكور إلى قائد تطوان محمد بن عبد الرحمن أشعاش يخبره بالانتصار الذي حققه في محاربتهم، مختتما كلامه بما يلي:

«وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد. فتلك ييوهم خاوية بما ظلموا، وإنا إذا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين... فقد نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده...».

ومما جاء كذلك في خاتمة كتاب السلطان هذا أن المحلة السلطانية تمكنت من حز 104 رأساً من هؤلاء الناس، في حين تم أسر ما يزيد على 400 نفر منهم.

² - خ. س. و. ز، مج 1 / 24 / 4، الوثيقة بتاريخ 19 صفر 1244 / 31 غشت 1828.



السلطان مولاي الحسن في موكب رسمي، بعد أن أدى صلاة الجمعة بالمسجد الأعظم
بمدينة طنجة سنة 1889.

«... طريق المحلة السعيدة وهي التي على طريق ابن الفاسي، ويمران على عين تَشْرُصَتْ ومنها لأعليل، ويقسماتها ساعتين ساعتين ونصف، وأحد المهندسين يرجع من عين تشرصت والآخر يرجع من أعليل، وقد كتبنا لقواد بني مطير بمثل هذا...»¹.

مثل هذه الاحتياطات والتدابير، بل أكثر منها والتي كانت تتخذ في حالة اعتزام السلطان توجهه إلى منطقة جبلية، أو نائية، أو لا يمكن الركون والاطمئنان إلى أهلها، كان المخزن طبعاً في غنى عنها، كلما تعلق الأمر بمسلك من المسالك المطروقة باستمرار، كالطريق الرابطة بين العدوتين سلا ورباط الفتح ومدينة مكناس مثلاً عبر أراضي قبيلة بني أحسن، إذ كانت معاملها معروفة ومعلومة. وهذا ما نلمسه مما تضمنته الرسالة التي وجهها قواد أولاد يحيى والقائد الثوري، إلى محمد بن أحمد الصنهاجي، حيث نقرأ ما يلي:

«... فمرور سيدنا أسماء الله بقبيلتنا لا يكون إلا ببلاد أولاد يحيى، والصفافعة، وعامر، وغيرهم ليسوا على طريق مروره السعيد. فحينئذ لا تمكن المبيت لسيادته الشريفة إلا في المواضع المرسومة طرته، ليمون كل عامل بترابه على القاعدة المقررة...»².

¹ - خ. س، و. ز، مج 22، وثيقة رقم 275 بتاريخ 4 شوال 1305 / 14 يونيو 1888.

² - خ. س، مج. ح رقم 173، الوثيقة بتاريخ 6، دون ذكر الشهر 1305.

وأما ما أثبت في طرة الكتاب، فكان على النحو الآتي:

"المبيت الستة"

عمال أولاد يحيى بواد هت ويقوم معهم نصف المحمدي.

الثانية بسيدي عبّاد الخلدنم الثوري ونصف المحمدي أيضاً.

الثالثة بمشروع الرملة للمختاري.

الرابعة بسيدي عياش للمختاري أيضاً.

الخامسة بقنطرة (علي وعدي) للعمري.

السادسة بمهدية للعمري أيضاً.

ومثلما كان السلطان يعتمد على ثلة من الولاة المرموقين والثقة، في مناطق شمال ووسط البلاد، كالباشا حم المذكور، وسعيد بن فرجي، وعال أب محمد الشرقي، وابن عبد الصادق الريفي، ومح أحم الزباني...، فقد كان له كذلك، في منطقة الحوز، أمثال هؤلاء الأعوان المخزنيين الكبار، كقائد دمنات مثلاً علي أوحده وابنه وخلفه الجليلاني، وعبد الله أبيهي الحاحي، وعال الكلوي، وابن الموزن، وعبد الله الهنتيقي وابنه محمد، والكلوي، والمتوكي...

ولا أدل على ما نقول، مما نستشفه من مجموعة من الرسائل التي تبادلها السلطان المولى الحسن مع عدد من هؤلاء القواد، في شأن ضبط واختبار المسالك المختلفة الرابطة بين جبال ولتانة، وهنتيفة، ومنطقة تافيلالت من جهة، ومراكش ونفس الناحية من جهة أخرى، عبر ثنايا وممرات الأطلس الكبير الأوسط والشرقي. وكانت هذه العملية تتم على مراحل. ففي أول الأمر، كانت تصدر الأوامر إلى القواد الذين يعتزم السلطان التنقل عبر أراضيهم، ولا سيما من كان منهم في مناطق جبلية أو نائية، بتفقد مسالك إيالتهم، وهل تتسع لمرور الجنود والحراك، وعتادهم الحربي ودوابهم أم لا؟ ثم بعد أن يتوصل السلطان بتقارير وبيانات هؤلاء القواد في هذا الشأن، كان يعهد لعدد من الميقاتيين، والمهندسين، والفرايجية، وبعييتهم أنفار من الكيش أو العسكر، بالتوجه إلى المنطقة المعنية للتأكد من صحة أقوالهم ومزاعمهم أو عدمها. وإذا ما تبين أن هذه المسالك، أو أجزاء منها، كانت تفتقر فعلاً إلى إصلاح كإزالة الأحجار مثلاً عن عاقرتها، واجتثاث الأعشاب والأشجار عن جنباتها، وتسوية أديمها، فإن السلطان كان يأمرهم بإنجاز الأشغال الضرورية لإصلاح ما فسد منها.

وهذا ما تحدثنا عنه الوثائق، وبالأخص التي صدرت عن المخزن وممثليه في الأقاليم، وذلك بمناسبة الاستعداد إلى حركة السلطان الثانية إلى سوس سنة 1886، وحملة العسكرية ضد قبيلة بني مكيلد سنة 1888، ورحلته الشهيرة إلى ناحية تافيلالت سنة 1893.

وهكذا، خاطب السلطان المولى الحسن أحد القواد المدنيين المكلفين بإدالة قصبة أيت باعمران وهو القائد لحسن السكسيوي، قائلاً:

«... فقد أمرنا خدامنا المذكورين بطرته بإصلاح كل الطريق التي تمر بها محلنا السعيدة من بلادهم... فتأمرك أن تقف معهم على ذلك حتى يتم الغرض وفق المراد بحول الله، ويمثله أمرنا الخديمين الزلطني والدليمي...»¹.

1- خ. س، ك 370، ص. 196، الوثيقة بتاريخ 14 رجب 1303 / 18 أبريل 1886. القائدان الزلطني والدليمي المذكوران هنا هما أحمد بن مبارك الزلطني، أحد قواد حاحة المرموقين، ومحمد بن الطاهر الدليمي، أحد قواد الكيش بمنطقة سوس، وكلا الرجلين كانا وقتئذ مكلفاً بقصبة أيت باعمران، إلى جانب السكسيوي المذكور. وأما القواد المشار إليهم في طرة الكتاب والذين عليهم القيام بأشغال الإصلاح في الطريق المارة بتراب قبيلتهم، فهم: يحيى البريمي (طريق تيزي إلى تَغُوس)، ومحمد أهْمَانِي، والقائد بَاكْرِيم السَّمُورِي (طريق تَنْكَرْف)، والقائد لحسن الصَّبُوي "قطع شجر المهرجان من طريقي تكتان"، ولحسن بن عمر الساحلي (طريق ركبة تَلُوا). وأنظر كذلك:

- خ. س، مع. ح رقم 92، رسالة أحمد بن مبارك الزلطني الحاحي إلى السلطان بتاريخ 11 رجب 1303 / 15 أبريل 1886.

بالإضافة إلى رسائل أخرى، في نفس الموضوع، أي إصلاح طريق مرور حركة الخليفة مولاي محمد إلى سوس، عبر أراضي قبائل الكيش المستقرة غربي مدينة مراكش كالمناجاة مثلاً، وحاحة، حيث ذكر القائد أحمد بن العربي المنبهي أنه في:

«يوم الإثنين بكرة جمعنا الشواقيز والفيسان، وقدمت بها مع خدام سيدنا الإيالة وجينا مع الطريق حتى وسعنا ما ضيق في الطريق. وبعد إصلاحها، رحلت المحلة السعيدة...».

- خ. س، مع. ح رقم 79، وثيقة بتاريخ 16 شوال 1303 / 18 يوليو 1886.

رسم رقم : 7

[illegible]

وتعرض إلى نفس النقطة، أي القيام بإصلاح طريق المحلة، الحاجب أحمد بن موسى، في رسالة وجهها إلى الباشا حم بن الجليلي، مخبراً إياه بصدور الأوامر السلطانية إلى قواد بني مطير.

«بالقيام على ساق الجدة بقبيلتهم لخدمة الحبل المحجر بطريقة المحلة السعيدة، وتمهيد، وتوطئة، وتوجيه طائفة من العسكرية كبير حازم لإعانتهم على ما ذكر...»¹.

ونلمس بكل وضوح مما ورد في تقييد نموذجي في هذا الصدد نوع الأشغال وحجمها والتي كان المخزن يطالب القبائل بإنجازها، هنا وهناك، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ويتعلق الأمر بتمهيد السبيل لتتنقل محلة السلطان المرتقبة ما بين فاس ومراسي شمالي المغرب، إذ نقرأ ما يلي:

«قف، وفي 28 شعبان عام 1306 ويوافقه 18 من أبريل، صدرت المكاتب الشريفة للمقيدين أسفله بإصلاح طريق المحلة السعيدة بما نصه: خديما فلان... فنأمرك أن تكلف إياك بإصلاح الطريق التي تمر بها محلتنا السعيدة من الحبل الفلاني إلى محل كذا، وذلك بردم ما فيها من الشعب، وهد الهضاب، وإزالة الأحجار والأشجار وغير ذلك مما يتعذر ويتعسر المرور ببقائه بما حتى يتأتى السلوك بها من غير مشقة فادحة للجمال الحاملة لأمقاس المدافع وغيرها...»².

¹- خ. س، و. ز، مج 13، وثيقة رقم 133 بتاريخ 3 شوال 1305 / 13 يونيو 1888.

²- خ. س، ك 154، ص. 1، التاريخ الميلادي الموافق للهجري أعلاه، ليس هو 18 أبريل بل 29 منه 1889. وأما القواد الذين وجه لهم هذا الكتاب، فهم:

محمد العزيزي، الحاج أحمد الكردة الزروالي، القائد محمد بن عمر الملولي، الطالب عبد الرحمن الداودي، القائد علال الخميسي، الطالب بوبكر الحباسي، والقائد محمد بن أحمد الأخضر.

وقبل أن ننهي حديثنا هذا عن الحركة وشؤونها، لا بأس أن نشير هنا إلى ما كان يمثل من متاعب ومصاعب مشكل عبور الأودية والأنهار، كيفما كان حجم الجيش الحارك أو التجريدة العسكرية المتنقلة. وهذا راجع، كما هو معلوم، إلى أن هذه الوسائل المسخرة في هذا المجال وفي غيره من المجالات، كانت عتيقة ومتواضعة، لا تساعد قط على التغلب على مثل هذه العوائق والصعاب الطبيعية، إذ ظلت على حالها التكنولوجي الأول الذي عرفته منذ قرون خلت، بدون أن يطرأ عليها أدنى تحول أو تطور، الأمر الذي كان يثير دهشة واستغراب الملاحظين الأجانب الذين كان يتسنى لهم، بين الفينة والأخرى، مشاهدة عمليات عبور المحلة السلطانية، برجالها، ودوابها، وعتادها الحربي، لوديان وأنهار، كوادي سبو مثلاً، وأبي رقرق، وأم الربيع، ورافديه الرئيسيين وادي العبيد وتساوت، وفي مقدمتهم النقيب إركمان (cap. Erckmann)، والدكتور فايز جربير (Dr. Weisgerber)¹.

1- A.G.V, 3 h 2, Rapp. Erckmann du 16 Novembre 1879, pp. 4-5.

في سياق الحديث عن سفر السلطان من مراكش إلى مكناس، ثم إلى فاس، في ربيع نفس السنة، يقول إن عبور وادي أم الربيع قد مثل صعوبة جمة، وأن السلطان قد عبره بواسطة جسر وضع على قرب ملكت هواء.

- A.G.V, 3 h 7, Rapp. du cap. Thomas n° 99 du mois de Janvier 1893, p. 4.

حيث ذكر أشغال البناء والترميم، وتسوية الأراضي، ومن بينها تشييد جسر على وادي فاس، والتي كان ينجزها عناصر من سلاح المدفعية.

- A.G.V, 3 h 11, Rapp. n° 4 du mois d'Avril 1897, p. 6.

يقول صاحب التقرير، الرائد شولميرجي (Le cdt Schlumberger)، إن المحلة التي أمرت بالسفر إلى ناحية الشاوية، وأثناء عملية عبور وادي أم الربيع، قد أتلّف المشاركون فيها جزءاً من ذخيرة الطبعية والمشاة، ولوازم وتجهيزات الخيالة وكذلك قطعاً من سلاح المدفعية.

وكما هو الشأن بالنسبة للمسالك والطرق التي اعتاد الجنود، والحراك، والقوافل التنقل عبرها منذ أقدم العصور، فإن الأمر ينطبق كذلك على أماكن عبور هذه الأودية والأنهار، إذ كانت هي كذلك معروفة ومطروقة منذ القدم، بسبب انخفاض مستوى المياه فيها، وانفرادها بخصائص طبيعية أخرى. وكان في كل "مشرع من هذه "المشاريع" توجد مجموعة من "العوامة" كانوا يقدمون خدماتهم إلى المسافرين والقوافل للعبور من ضفة إلى أخرى، مقابل أجر معلوم. وكانت ترسو، في مصب الأنهار الكبرى، قوارب ومراكب يملك معظمها المخزن، وبالخصوص في مصب نهر أبي رقراق، وتسميها الوثائق "الفلائك الجمالية"، و"الفلائك الحجاجية".

يبد أننا نتبين مما ورد في رسالتي باشا مدينة سلا محمد بن سعيد، وجاره على الرباط محمد السويسي إلى السلطان المولى الحسن، أن عدد هذه القوارب والمراكب كان هزياً، إذ لم يكن من "الفلايك الجمالين" بعدوة سلا سوى أربعة، واحدة يملكها شخص سلاوي، والثلاثة الباقيات كانت لشخص رباطي، في حين بلغ عدد القوارب الصغيرة بعدوة الرباط عشرين قارباً بالتقريب، وأما ما كان بهذه الأخيرة من مراكب كبرى، فقد ذكر القائد السويسي:

«... أن عدد الفلايك الجمالية التي عندنا ستة عشر فلوكة ميسرة، منها أربعة تبقى في الوادي هنا، وإثنا عشر تتوجه لمهدية للعرض الشريف، وعندنا من الفلايك الحجاجية تسعون فلوكة، منها ستين تبقى هنا، ومنها ثلاثين تتوجه لمهدية كذلك...»¹.

¹ - خ. س، مع. ح رقم 140، رسالة قائد سلا بتاريخ 7 رمضان 1305 / 18 مايو 1888.

خ. س، مع. ح رقم 147، رسالة السويسي حررت يومان بعد التاريخ أعلاه. =

وكانت عمليات العبور هذه تستغرق حيزاً هاماً من الوقت، ولا سيما إذا صادفت تهاطل الأمطار بغزارة، وتردي أحوال الطقس، كما نلمس ذلك مما كتبه القائد سعيد بن عمر الشيطمي إلى السلطان، واصفاً له ظروف ووقائع تنقله، منذ أن غادر القبيلة، على رأس فريق من حراك إخوانه، قاصدين منطقة الشاوية، تنفيذاً للأوامر السلطانية، حيث قال:

«... فإذا به بلغنا واد تنسفت، فوجدناه مانع القد، وأقمنا نحو ثلاثة أيام حتى قطعناه بالمشقة. وقصدنا مشرع أبو الأعوان ببلاد دكالة، فحل بنا المطر الكثير، وأقمنا بها يوم. ويوم الكتابة قد خيمنا بمشرع أبو الأعوان، فوجدناه مانع القد علينا بما أعطى الله من المطر، ولا زلنا مقيمين به، وفيه معدية واحدة. ونحب من سيدي كلامه الشريف لخدم سيدنا الفرجي يأمر إخوانه العوامة يقوموا معنا على ساق الجلد في تقطيع المحلة...»¹.

= ونقرأ في رسالة أميني العرائش عبد المجيد بن علال التازي والعربي بن محمد بريشة إلى السلطان، بتاريخ 8 جمادى الأولى 1307، الموافق لـ 31 دجنبر 1889، ما يلي:

«... ورد علينا كتابه الشريف بأن نوجهوا لخدم مولانا القائد الحباسي ما يكفي من المعلمين العوادة لإصلاح القارين اللذين بمشرع بن القصيري وسبو، مع ما يتوقفون عليه لإصلاحها من الإقامة عاجلاً لحمل المكينات بهما من المشرع المذكور...».

ونلمس كذلك جانباً من هذه الصعوبات والمشاق مما ورد في تقييد ذكرت فيه مراحل تنقل محلة الأمير مولاي العباس ومحطات توقفها، ما بين "فضالة" ومدينة مراكش، حيث نقرأ ما يلي:

«... ثم لمشرع الشعير وقوفاً مع ما في الظهر، فلم نجد سبيلاً للعبور من كثرة الأمطار وهيجان الوادي، فافتضى الحال أن ملنا لناحية مشرع معلوم بمشرع الصفا، بعد أن أقمنا بمشرع الشعير يوماً واحداً لكثرة الأمطار. ووجهنا للمسكيني على الفلايك تأتي للمشرع المشار إليه، فلم تيسر له إلا فلوكة واحدة، فقطعت المحلة في يومين...».

- خ. س، ك 634، ص. 86، الوثيقة بتاريخ 20 ربيع الأول 1309 / 21 أكتوبر 1891.

1- خ. س، مح. ح رقم 251، الوثيقة بتاريخ 22 رمضان 1307 / 3 غشت 1890.

3) الحركة والقبائل

3 - 1 نماذج من حركات القرن التاسع عشر

3-1-1 حركات السلطانين مولاي عبد الرحمن بن هشام وابنه

وخلفه سيدي محمد

ما من شك أن استنطاق الوثائق المخزنية ذات الصلة بالحركة وشؤونها، في مغرب القرن التاسع عشر، يتيح فرصة تلمس بعض أوجه التحول والتطور التي قد تكون طرأت على هذه الظاهرة، في الفترة موضوع دراستنا هذه، سواء تعلق الأمر بعمليات استنفار الجند والحراك، أو بما كان يُتَّخَذُ من تدابير وإجراءات مادية وتنظيمية تمهيداً للحركة، والسلاح الذي يستعمل فيها، أو التاكتيك الحربي الذي سيتبع في ميدان المعركة. ولئن اقترنت ظاهرة الحركة باسم السلطان المولى الحسن، كما ألحنا إلى ذلك في فقرة سابقة، فإن هذا لا يعني البتة أن سلفيه المباشرين، والده سيدي محمد، وجده المولى عبد الرحمن بن هشام، كانا يخلدان إلى الراحة، ولا يبرحان مكان استقرارهما، بل لقد كان العكس هو الصحيح، إذ كان كلاهما يولي عناية فائقة ومستمرة للحركة وشؤونها، وينطبق عليهما معاً الحكم الذي أصدره النقيب إركمان (Cap. Erckmann) في هذا الصدد، في سياق حديثه عن سفيرة السلطان المولى الحسن السابعة سنة 1879، من مراکش إلى مكناس، حيث كتب ما يلي:

«... ينتقل السلطان باستمرار داخل الأمبراطورية، على نحو يستحيل معه استقرار الحكومة في مكان معين. وتمثل فاس ومراكش، وهما الحاضرتان الرئيسيتان في البلاد محطتين يتوقف بهما السلطان، ويقم بهما أحياناً مدة

طويلة، إلا أنه كان يغادرهما فجأة حين يستوجب الأمر ذلك. وقد اعتاد رجال المخزن على حياة الترحال باستمرار، دون أن يعرف سير العمل أي فتور، في مختلف المجالات والمصالح، كما لو تعلق الأمر بتصريف شؤون الدولة في مدينة من المدن...»¹.

وقبل أن نعرض لمجموعة من الحركات الحسنية التي توفرت لدينا وثائق في شأنها، نثبت، في جدولين منفصلين، أهم الحملات العسكرية التي قام بها كل من المولى عبد الرحمن بن هشام وابنه وخلفه سيدي محمد.

الجدول رقم 38: حركات المولى عبد الرحمن بن هشام

نقطة الانطلاق	الجهة المقصودة	التاريخ	المصادر	ملاحظات
مكناس	سهل سايس	شوال 1240 / مايو - يونيو 1825	إتحاف أعلام الناس... م. س، ج 5، ص. 22.	تأديب أعراب ذوي منيع، وأولاد نصير، ودخيسة. بلغ عدد الأسرى 100 شخصاً، فضلاً عن إلزامهم بإعطاء غرامة مالية، وتجنيد عدد من أبنائهم في صفوف العسكر.
مكناس	زمور الشلح	1242/10/29 / أبريل - مايو 1827	خ. س، مع. ر رقم 12/1 ك 4.	هذه الحملة استهدفت على الخصوص قبيلتي حُذْرَان وبني حُكْم، وأسفرت على ما يزيد على 400 من القتلى، والأسرى والجرحى، في صفوف مقاتليهما، بما في ذلك 100 رأس مقطوع وجهت إلى فاس ومكناس "شاهداً وعبرة..."
مكناس	جباية (بني زروال)	1241 / 1826 - 1825	إتحاف أعلام الناس... م. س، ج 5، ص. 22.	على إثر تمرد هذه القبيلة على قائدها بن يشو، قصدوا السلطان على رأس جيوشه، وتغلب عليها بكل سهولة، وقبل رحيله عن ترائها، عين قائداً عليها الطيب الوديني، أحد قواد كَيْش عبيد البخاري وقتئذ، والذي قال عنه ابن زيدان إنه كان "ظلوماً غشوماً..."
مكناس	الصويرة مراكش زمور	1241 / 1826 - 1825	إتحاف أعلام الناس... م. س، ج 5، ص. 22.	

¹- A.G.V, 3 h 2, Rapp. Erkmann n° 20, année 1879.

نقطة الإنطلاق	الجهة المقصودة	التاريخ	المصادر	ملاحظات
مكناس	وزان، تطوان، طنجة، العرائش	رمضان 1243/ مارس - أبريل 1828	Revue Africaine, 1 ^{er} trim., n° 268, 52 ^e année, 1908, pp. 24-73. - إيقاض السريرة... ص. 63.	بعد الانتهاء من جوله في مناطق شمال البلاد، والعودة إلى مدينة مكناس، شد الرحيل في نفس السنة إلى حوز مراكش، ماراً على رباط الفتح ومدينة أسفي على الخصوص، بهدف القضاء على تمرد المهدي الشرادي وأتباعه.
مكناس	هشتوكه والشياظمة (قبيلة دكالة)	19 صفر 1244/ 31 غشت 1828	خ. س. مح. رقم 1/ 24 ك 4. - الاستقصا... م. س، ج 9، ص. 18.	تمكن المقاتلون المخزنون من حز 140 رأساً ونيف، ومن أسر حوالي 400 شخص من أبناء الفرقتين الدكاليين، عقاباً هم على تعرضهم إلى ركب الحجاج المار من ترائهم، ونهب أمتعتهم، وتجريدهم من "المحيط والمحيط".
مكناس	زاوية الشرادي	17 ربيع الأول 1244/ 27 سبتمبر 1828	خ. س. مح. رقم 1/ 26 ك 4.	مئات القتلى في صفوف أتباع المهدي الشرادي، وأزيد من 500 أسير، فضلاً عن ترحيل من بقي منهم على قيد الحياة إلى منطقة أزغار، بعد هدم وتخريب مقر الزاوية
فاس	مكناس	أواخر سنة 1246/ يونيو 1831	إنحاف أعلام الناس... م. س، ج 5، ص. 25 وما بعدها.	تُمرّد الأوداية والقضاء على فتنتهم.
مكناس	جروان	12 محرم 1247/ 23 يونيو 1831	خ. س. مح. رقم 1/ 6 ك 4.	بعد أن تمردوا ضد قوادهم.

نقطة الانطلاق	الجهة المقصودة	التاريخ	المصادر	ملاحظات
مكناس	مراكش	جمادى الثانية 1247 / أكتوبر - نونبر 1831	إتحاف أعلام الناس... م. س، ج 5، ص. 31.	الانتقام من مديري فئة الأوداية، وذلك بإعدام بعضهم، واعتقال البعض الآخر. ثم ترحيل أوداية فاس إلى العرائش، ورباط الفتح، ومراكش.
مكناس	زمور الشلح	8 محرم 1250 / 27 مايو 1834	خ. س، مع. ر رقم 3 / 3 / 4.	قاد السلطان شخصياً هذه الحركة، وحشد لها مئات المقاتلين من عناصر الكش وحراك القبائل، وفي مقدمة هؤلاء قبيلة بني أحسن يترعهم قائدهم أبو بكر بن زيان، وقبيلة جروان بقيادة عاملهم الحسين بن الفاضل الجرواني الذي "أتفن... في المفسدين وأوغل حتى بلغ الخبيسات، واشتغلت محلة جروان بتطليع الأمراء، وإفساد الزرع الأخضر...".
مكناس	غيانة	9 ربيع الثاني 1254 2 يوليو 1838	خ. س، مع. ر رقم 6 / 35 / 4.	
مكناس	زمور الشلح	12 محرم 1255 / 28 مارس 1839	خ. س، مع. ر رقم 7 / 27 / 4.	يتغلب عليهم السلطان ويلزمهم بأداء ذعيرة قدرها 50000 مقلال.
مكناس	مراكش	20 جمادى الأولى 1255 / فاتح غشت 1839	خ. س، مع. ر رقم 4 / 25 / 4.	كان الهدف من هذه الحركة، تأديب قبيلة السراغنة المنتفضة ضد حكامها.
مراكش	حاحة	8 ربيع الأول 1256 / 10 مايو 1840	خ. س، مع. ر رقم 9 / 10 / 4.	الخليفة سيدي محمد هو الذي قاد الجيوش المشاركة في هذه الحملة العسكرية.
مكناس	زمور الشلح	أواسط سنة 1259 / يوليو	الاستقصا... م. س، ج 9، ص. 47.	التمرد ضد الحكام، رفض أداء الواجبات والقيام بالوظائف المخزنية، القيام بأعمال السلب والنهب...

نقطة الانطلاق	الجهة المقصودة	التاريخ	المصادر	ملاحظات
مكناس	طنجة...، الرباط	29 شعبان 1260 / 13 سبتمبر 1844	خ. س، مح. ر رقم 4 / 10 / 4 ك	في يوم 14 من شهر غشت سنة 1844، جرت أضوار وقعة إيسلي في ضاحية مدينة وجدة، بين الجيش المغربي بقيادة الخليفة سيدي محمد، وجحافل الجيش الفرنسي المتوغلة في الأراضي المغربية. وما أن مضت ساعات معدودات، حتى تشتت جموع المقاتلين المغاربة أمام نيران مدفعية القوات الغازية، تاركين الخيام والعتاد الحربي، وتجهيزات أخرى في يد العدو. بعدها بأيام قلائل، توجهت بوارج حربية إلى عرض سواحل مدينتي طنجة والصويرة، فأمطرهما كورا وقنابل، الأمر الذي يفسر إيقاد الأمير مولاي سليمان، أحد أبناء السلطان المولى عبد الرحمن، إلى مدينة طنجة، لمعاينة ما أحدثه من دمار وخسائر هذا الاعتداء الغاشم.
مكناس	جروان	20 شعبان 1263 / 3 غشت 1847	خ. س، مح. ر رقم 4 / 16 / 22 ك	ما أن علم السلطان بتمرد هذه القبيلة ضد قائدها الحسين بن الفاخيل الجرواني، حتى سارع إلى تجديده، حيث جهزت حركة على النفور، وأمرت بالتوجه إلى عين المكان لإعادة الأمور إلى نصابها. ونلمس حرص السلطان على أن تظل قبيلة جروان إلى جانب المخزن، عوض تعزيزها لصفوف القبائل العاصية والمناوئة له ولمعتليه، كقبائل زمور الشلح، وبني مكيد، وأيت شخمان مثلا، مما خاطب به السلطان المذكور الخليفة سيدي محمد، حيث يرى بأن جروان "كانوا على غاية ما يكون من الخدمة والاستقامة والامتنان لعاملهم، واليوم تخاذلوا معه، والنفاق أغلب عليهم. ومع هذا، فالاهتمام بمؤلاء الظالمين متعين..." ثم يختم رسالته هذه قائلا: «... والإنسان كالثاجر، يطلب الربح، ويحفظ رأس المال...».
فاس	وجدة، الريف	أوائل رمضان 1264 / أوائل غشت 1848	الاستقصاء... م. س، ج 9، ص 60.	

نقطة الانطلاق	الجهة المقصودة	التاريخ	المصادر	ملاحظات
مكناس	زمور الشلح	شوال 1269 / يوليو 1853	الاستقصاء...، ج 9، ص. 65 وما بعدها.	قبل أن ينهض السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام من مدينة مكناس، على رأس جيوشه، في بداية الشهر المذكور بمكنة، قاصداً قرية الخميسات، كانت الأوامر قد صدرت إلى الخليفة سيدي محمد بالتحرك من جهته من مدينة مراكش؛ للاستحقاق بولده واضحوم معاً على الثمردين. وهذا ما حدث فعلاً، ولكن الخليفة انتهر فرصة توجهه نحو الشمال، ليعرج على منطقة تادلة، حيث «قطع منهم (بني موسى) أربعة وستين رأساً، وقبض على مائة وخمسين مسجوناً. وكانوا قد قتلوا عاملهم أبا العباس أحمد ابن زيولوج...».
مراكش	زمور الشلح	أواخر سنة 1273 / العشر الأواخر من غشت 1857	الاستقصاء...، ج 9، ص. 65 وما بعدها.	بعد الإفراغ من تأديب ومحاربة هذه القبيلة مرة أخرى، تابع السلطان طريقه نحو مدينة مكناس، حيث استقر بها إلى أن وافته منيته في 29 محرم 1276، الموافق لـ 28 غشت 1859، في حين عاد الخليفة وجنده إلى مدينة مراكش.

الجدول رقم 39: حركات سيدي محمد بن عبد الرحمن

نقطة الانطلاق	جهة المقصودة	التاريخ	المصادر	ملاحظات
مكناس	الرحامنة - مراكش	ذو الحجة 1278/ يونيو 1862	- الاستعصا... ج 9، ص. 110. - إتحاف أعلام الناس... م. س، ج 3، ص. 479.	أثناء فترة انتقال الحكم إلى سيدي محمد، بعد وفاة والده المولى عبد الرحمن بن هشام في 29 محرم 1276، الموافق لـ 28 غشت 1859، وشروع الجيش الإسباني الغازي في اكتماح الأراضي المغربية، انطلاقاً من مدينة سبتة السليبية، خلع هؤلاء الرحامنة ربن الطاعة على قوادهم، ثم صاروا يتعاطون إلى أعمال السطو والنهب، وقطع الطرق... ولهذا، وبعد أن رتب السلطان أمور شمالي البلاد، وظفر بالجليالي الروكي، عقد العزم على التوجه نحو منطقة الحوز لإخماد تمرد الرحامنة، وإقرار الأمن والسكينة في هذه المنطقة التي عين الأمير مولاي الحسن خليفته بها، في نفس التاريخ بحسبه تقريباً.
مراكش	تادلة - الغرب	بداية ربيع الأول 1279/ أواخر غشت 1863	خ. س، ك 47، ص. 1 وما بعدها.	مر الموكب السلطاني على بلاد السراغنة، وأخذت التجريدات والكتائب من الكيش، والعسكر وكذلك من حراك القبائل، تتركز في مواقع ونقط مختلفة من أراضي القبيلة المذكورة، وهنتيفة، وتادلة... وخلال هذه المراحل الأولى من حركة السلطان هذه، ترددت عدة مرات أسماء ثلة من القواد المرموقين وقتئذ، وهم حمادي بن الطالب المتينفي، ومحمد بن صالح الشرفاوي، وعلال الشرفاوي (السراغنة)، وثلاثتهم قدموا للال واللون إلى السلطان وجنده. وهكذا، دفع مثلاً ثانيهم، في يوم واحد فقط 40000 مقال في حين قدم ثالثهم، ما بين 6 ربيع الثاني 1279 و19 شعبان من نفس السنة 134000 مقال. إلا أن هذا لم يمنع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن تسع سنوات بعد التاريخ أعلاه، أي في 26 محرم 1288، الموافق لـ 17 أبريل 1871، وبدون أن نعلم

خلفيات قراره، من إصدار أوامره إلى خليفته للمولى الحسن بإلقاء القبض على القائد علال الشرقاوي المذكور وتوجيهه في "الكبل والسلسلة للحضرة الشريفة"، كما جاء ذلك في الصفحة 55 من السجل المذكور بمحتته.				
شهدت الفترة المتراوحة ما بين 1280 / 1863 - 1864، و1285 / 1868 - 1869، تكاليف سلسلة من الجوائح والكوارث الطبيعية، كالجفاف والأمطار، وحلول الجفاف، وظهور الجراد وانتشار أسرابه، الأمر الذي جعل السلطان يعدل موقفاً عن تنقلاته الكبرى، ويكتفي بتكليف عدد من قواد الجيش أو القبائل المملوطين لديه، بشن هجمات ضد القبائل العاصية، فضلاً طبعاً عن الحركات التي كان يقودها الخليفة المولى الحسن مثلاً، في نواحي الحوز وتادلة.	خ. س، ك 299، ص. 40.	3 جمادى الأولى / 1284 2 سبتمبر 1867	مراكش	مكناس
قاد هذه الحركة الأمير مولاي المامون، أحد أبناء السلطان الذي خاضب العمال والقواد المشاركين فيها، في شأنه، في العبارات الآتية: «... فإننا وجهنا ولدنا الأرضي مولاي المامون، أصلحه الله، ليكون بركة في وسطكم، وتعلمون أنه لم يتقدم له عمل ولا استعمال فيما وجهناه إليه، فالمدار عليكم، ولا عليه في الأمور...».	خ. س، ك 298، ص. 184 وما بعدها.	5 صفر 1286 / 17 مايو 1869	تادلة - زعير	مراكش
	خ. س، ك 298، ص. 138. خ. س، ك 299، ص. 14.	أواسط 1287 / أواسط أبريل 1870	الغرب، عبر تادلة	مراكش
في التاريخ بمحتته، تحرك السلطان، على رأس جيوشه، في اتجاه الجنوب. وبعده بقليل غادر الخليفة المولى الحسن مدينة مراكش، على رأس حركة خاصة به، قاصداً قبائل تادلة وزعير التي كانت مستهدفة بمحلمي السلطان وخليفته العسكريين قبل غيرها.	خ. س، ك 47.	فاتح ربيع الأول / 1289 9 مايو 1872	مراكش	مكناس
وفي 26 جمادى الأولى 1289، التقى الجيشان بعين الزميت، من بلاد زعير.				

تثير دراسة هذين الجدولين الملاحظات الآتية:

- نلاحظ أولاً، أن عدد الحركات التي أنجزت على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يفوق وبكثير ما أنجز منها في فترة حكم ابنه وخلفه سيدي محمد. وهذا راجع، ولا شك، إلى ما اعترض سبيل هذا العاهل من مشاكل وعوائق طبيعية، وعسكرية، ومالية، أتهكت البلاد والعباد، تمثلت على الخصوص في تبعات وعواقب هزيمة الجيش المغربي في حرب تطوان سنة 1859-1860، أمام القوات الاستعمارية الإسبانية الغازية، ثم في القحوط، والأوبئة التي كانت تنكب البلاد، بين الفينة والأخرى.

- بلغ عدد هذه الحملات العسكرية الكبرى، في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام واحداً وعشرين حملة، سبع منها استهدفت قبيلة زمور وحدها، مما يدل على استعصاء أمر انقيادها إلى الأوامر المخزنية واهتمام وعزم السلطان المتواصلين على تطويعها وإخضاعها، في حين انشغل سيدي محمد بقضايا ومشاكل قبائل تادلة وزعير على الخصوص، بهدف تأمين السبل والمسارات العابرة لتراجمها، واستخراج ما تخلد في ذمم أهلها من واجبات ووظائف، وفروض.

- طبعاً، لا يتضمن الجدولان أعلاه كل الحركات والحملات العسكرية التي كان السلطان يعهد بقيادتها إلى أعضاء من أسرته، أو إلى ثلة من قواد الكيش والعسكر المرموقين، في جهات مختلفة من البلاد، كالريف، والتسول، وغياثة، وتادلة، وحاحة، وسوس...¹.

¹ - المشرفي، العربي بن عبد القادر، مشموم عرار النجد والغيطان، المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان، خ. س، مخ رقم 12082، ص. 61.

- مما يثير الانتباه كذلك، في هذا الصدد، خلو وثائقنا، في أغلب الحالات، من معطيات كمية وبيانات إحصائية، ولاسيما المتعلقة منها بعهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، الأمر الذي لا يساعد قط على رصد وتلمس أدنى حركة أو بصيص من التطور في تنظيم وتسيير، ومردودية الحركة والمشاركين فيها.

بيد أنه، انطلاقاً من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، صارت هذه الوثائق المخزنية تمدنا بمعلومات مرقومة جد ثمينة، عن عدد الخيالة والرماة، وحرّاك القبائل، والرواتب والمؤن، ومقادير علف الدواب، إلى غير هذا من اللوازم والتجهيزات التي كان يتوقف عليها المشاركون في الحملات العسكرية المخزنية.

- على إثر الهزيمة التي مني بها المغاربة في وقعة إيسلي سنة 1844، والتي كان قد حضر أطوارها ووقائعها سيدي محمد بن عبد الرحمن نفسه، بصفته وقتئذ خليفة لوالده المولى عبد الرحمن، فقد تبين للجميع واقع الجيش المغربي المتدهور. ومن ثمة التفكير في تحسين أوضاعه، والانكباب على أموره، والسعي إلى تطوير هياكله، وذلك بتأسيس نواة جيش نظامي جديد، إلى جانب التنظيمات العسكرية الموجودة، يكون في معظمه من الرماة والمدفعيين. ومنذ هذا التاريخ، أخذت نسبة الخيالة إلى الرجالة تتناقص وتقلص، لاقتناع السلطان بأن متطلبات الحرب الحديثة، وطبيعة ميادين القتال الجغرافية، كانت تفرض الاعتماد على الرماة والرجالة، والأسلحة النارية المتطورة، أكثر من التعويل على الخيالة وحرب الفر والكر، وهو الاقتناع الذي زادت في ترسيخه في نفس السلطان هزيمة المغاربة في حرب تطوان سنة 1859-1860.

يقودنا هذا إلى القول إن الحركة، في حد ذاتها، لم تعرف تحولات جوهرية تستحق الذكر، لا في طبيعة تكوينها وتركيبها، ولا في طريقة عيش وتنقل ومحاربة رجالها، اللهم ما طرأ عليها من حيث أعداد أفرادها، ووفرة وتنوع الأسلحة التي كانت تسخرها في عملياتها القتالية، إذ ظلت، على امتداد القرن التاسع عشر، عبارة عن "مدينة متنقلة"، بمقاتليها، وأعوانها المخزنين، ومرافقها الاجتماعية والاقتصادية، ودوايها، تمثل الوسيلة الوحيدة والناجعة في يد السلطان لفرض سلطته ومراقبة الوضع في البلاد، وتدبير وتسيير شؤونها.

3 - 1 - 2 حركات السلطان مولاي الحسن

من المعلوم أنه قد ظهرت، ومنذ مدة ليست بالقصيرة، أبحاث ودراسات حول حركات السلطان المولى الحسن، حيث تناولت بعضها، وبكثير من الدقة والتفصيل، جوانبها المادية والكمية، وخلفياتها الرمزية والسياسية، على أن هذا لا يمنع من أن تثير هنا بدورنا بعض قضاياها، سيما وأنا ننوي التركيز على هذه الحملات العسكرية التي كانت تناط بمسؤولية قيادتها بأفراد من أسرة السلطان¹.

وأياً كان الأمر، فإن عهد هذا العاهل يعتبر بحق عصر الحركة الذهبي، إذ خلاله، اكتملت عناصر قوتها وفاعليتها، تنظيمياً، وتجهيزاً وأداء. وبالرغم من

¹ - يرجع، حول هذا الموضوع، إلى الكتابات والمقالات الآتية:

- Nordman (D): Les Expéditions de Moulay El Hassan..., op. cit., pp 123 - 153.
- Rollman (W. J): The New order..., vol. II, p. 671.
- Michel (N): L'Approvisionnement de la Mehalla..., op. cit., pp. 331-340.
- Michel (N): Itinéraires de la Mehalla (1757-1900), Rev. Maroc-Europe, n° 7, 1994, Edit. la Porte, Rabat, pp. 81-116.

- أعفيف، محمد، الحركات الحسنية م. س.

- برادة، ثريا، الجيش المغربي وتطوره م. س، ص. 47 - 75.

كونها قد استمرت على نهجها المعهود، وحافظت على مصداقيتها، في السنوات الست الأولى من عهد السلطان المولى عبد العزيز، أي حتى وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى، في شهر مايو من سنة 1900، فإن أمورها قد تدهورت، وصار إلى الهوان مآلها، فيما تبقى من عهد هذا السلطان، والفترة الوجيزة التي تولى فيها مقاليد الحكم بالقوة أخوه وخصمه المولى عبد الحفيظ، عاكسة بذلك تدهور الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والمالية بالبلاد. وهذا ما نتبينه من ارتسامات شاهد عيان أمين، وعارف خبير بالمخزن وشؤونه، ويتعلق الأمر بالكاتب الحسن بن الطيب بليماني بوعشرين الذي كتب، متأثراً ومتمعضاً مما أخذت تصطدم به البلاد من مصاعب ومتاعب، غداة اشتعال حريق فتنة الروكي بوحمارة في ناحية مدينة تازة، ما يلي:

«... وبعد هذه الشدائد قامت الدولة لتجديد أسباب السفر لفاس، ونهضت من مراکش في اليوم الثامن من شعبان عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، ومرت على السراغنة والقلعة. ولما جاءت للمحل الذي تفرق فيه الطرق ومنه يتوجه السلطان لبلاد تادلة على العادة، ولأجل الميعاد المجمعول مع عمه مولاي الأمين، ظهر لهم الإعراض عن تادلة، والتوجه على طريق بني مسكين، وسطاط، وابن رشيد طلباً للسلامة والاختصار، وفراراً إلى النجاة من أولئك الأشرار...»¹.

وأما الحركات التي نعزم التعرض إليها هنا، وإثارة ما يكون قد اكتنفها من خلفيات وملابسات، على ضوء ما تسمح باستقراءه طبعاً وثائقنا في هذا الصدد، فهي على النحو الآتي:

1- بوعشرين، الحسن بن الطيب بليماني، التنبيه المغرب...، مرجع سابق، ص. 69.

- الحركة الخامسة عشرة، من فاس إلى مناطق الشمال الغربي من البلاد، في صيف سنة 1889.
- حركة الأمير مولاي عمر من فاس إلى وجدة وناحياتها، ما بين 22 ذي القعدة 1308 و22 شعبان 1309، الموافق لـ 29 يونيو 1891 و22 مارس 1892.
- حركة الأمير مولاي العباس من مراكش إلى مكناس، ما بين 22 شعبان 1308 وحوالي منتصف ذي الحجة 1309، الموافق لـ 2 أبريل 1891 وأواسط يوليو 1892.
- وأخيراً حركة مولاي عثمان، صنو السلطان مولاي الحسن سنة 1891-1892.

فبخصوص الحركة الأولى، أي التي قادت السلطان من فاس إلى مدينتي تطوان وطنجة في صيف سنة 1889، أشار تقرير للبعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب إلى عدد المشاركين فيها من عناصر الكيش والعسكر حيث بلغ حوالي 11000 رجل، وزعوا على النحو الآتي:

- الرماة : 7300 نفر.
- الخيالة : 2800 نفر.
- المدفعيون : 800 نفر.

وقد التحق بالركب السلطاني، في أثناء الطريق، حراك وجنود كانوا في رفقة كل من الباشا ولد أب محمد الشركي، والقائد الحباسي، وباشا تطوان وعددهم حوالي 1500 رجل، بين خيالة ورجالة¹.

¹- A.G.V, 3 h 5, Rapp. sur « La composition de la Colonne Expéditionnaire, pp. 1-40.

ومن حسن الحظ أننا عثرنا على وثائق مخزنية حول هذه الحركة، حيث تضمنت إحداها ما يلي:

«الجدول رقم 40: الحمد لله، صائر يوم السبت 13 صفر الخير عام 1307»¹.

الفرق	النفر والأطراف	مخيل	رمات	مقدمون	قواد المائة	مخلاف	قواد الرحى	الروام	المال (بالمشقال)
	مئونة الجيش والأحناطي جملة	2632	2201	576	185	47	28	314	20895
	والطبية والعسكر والحرابة	699	7340	751	285	110	36	1155	63811
	والحمارة والأعيان وعسكر الإدالة	444	3242	214	53	29	7	233	25565
	المجموع	3775	12783	1541	523	186	61	1702	110271

أنجز هذا الإحصاء، أثناء رحلة السلطان المولى الحسن إلى مراسي الشمال، انطلاقاً من مدينة فاس التي كان قد غادرها في 10 شوال 1306، الموافق لـ 9 يونيو 1889، وحل بمدينة تطوان في 8 محرم 1307، الموافق لـ 7 سبتمبر 1889. وبعد أن أقام بها مدة أسبوعين، وتفقد أبراجها وحصونها، غادرها في اتجاه مدينة طنجة. وقد أجري الإحصاء المذكور في 16 من شهر صفر 1307، الموافق لـ 12 أكتوبر 1889، أي في اليوم الذي غادر فيه السلطان مدينة البوغاز، عائداً إلى مدينة مكناس، على رأس جيش بلغ عدد رجاله، أنفاراً وأطراً، 18879 رجل².

1- خ. س، ق. ح، مع. ح، ملف رقم 9.

2- الناصري، الاستقصا...، مرجع سابق، ج 9، ص. 201 وما بعدها؛ أعفيف، محمد، الحركات الحسنية...، مرجع سابق، ص. 53 وما بعدها.

وتعتبر حركة السلطان المولى الحسن هذه، وكذلك الشأن بالنسبة لحركته الرابعة إلى وجدة وناحيتها سنة 1876، والتاسعة سنة 1882 والثانية عشرة سنة 1886 إلى منطقة سوس، والثامنة عشرة إلى تافيلالت سنة 1893-1894 من الحملات العسكرية الناجحة والتي كان لها الصدى الواسع والوقع العميق في نفوس المغاربة حيث نالت إعجابهم، كما أثارت اندهاش واهتمام العواصم الأوربية، الأمر الذي ساهم، ولاشك، في إفشال مخططات الاستعمار التوسعية، وإرجائها إلى حين.

وأما حركة الأمير مولاي العباس التي انطلقت من مدينة مراكش يوم الخميس 22 شعبان 1308، الموافق لـ 2 أبريل 1891، فكان القصد منها استخراج واجب الزكاة والأعشار، ومال الذعائر والغرامات، والفروض المخزنية على قبائل تادلة، وقبائل زعير، وأعراب الرباط على الخصوص، وضمت في صفوفها تنظيمات كيش قصبة المنشية بمراكش، وعسكر وحراك قبيلة السراغنة، وحراك قبائل ولثانة، وهنتيفة، وبني مسكين، وأيت بوزيد، وأيت عطة أومالو، وبني موسى، وبني عمير، و"جياشة" أيت الربع، وبني ملال، وسمكت، في حين عين الفقيه الكاتب المختار بن عبد الله، ابن عم الحاجب أحمد بن موسى، مرافقاً وكتائباً له، والقائد عياد المنبهي "كبيراً" للمحلة، والمكي الصبان أميناً لها¹.

¹ - خ. س، مح. ح رقم 270، وثيقة بتاريخ 28 شعبان 1308 / 8 أبريل 1891.

خ. س، و. ز، مج 6، وثيقة رقم 194 بتاريخ 3 محرم 1309 / 9 أكتوبر 1891.

ولم تكن مهمة الفقيه المرافق للأمير تقتصر على تحرير الرسائل الجوابية على كتابات السلطان أو أعوانه الكبار، وقراءة نصوص من روائع الأدب العربي، والتبصير والإرشاد في أمور الدين، بل كان يتعين عليه كذلك، وقبل هذا وذاك، القيام بدور المخبر الأمين بمجريات الأمور في ركب الأمير، في كل وقت وحين. ويبدو أن المختار بن عبد الله قد أغفل هذا الجانب، =

وفي 4 من رمضان من نفس السنة، حل الأمير وركبه بالقصبة الزيدانية، بعد أن توقفت في النقط الآتية: زاوية بن ساسي، رأس العين، تملالت، القلعة، الدشرة، ابزو، القنطرة، خميس ماسين، السبت، العين الزرقاء، الزيدانية.

وفي هذه المحطات، وغيرها من المواقع، كان الأمين المذكور يتسلم من قواد القبائل واجب الزكاة والأعشار، أو الغرامات والوظائف، إما "ناضاً" أي نقداً، أو "دفعاً" أي عيناً، من انعام ودواب، بحسب الصنف الذي تتكون منه الثروة الحيوانية للقبيلة. وهكذا، توصل من تسعة قواد من تادلة، وهم علال بن عبد النبي العميري، وبوعزة الحسوني، وولد العتري، والماضي، وصالح العبدلي، والكرزوزي، والعربي بن عبد الله، وأحمد النموي، والعربي الهاتني، بمائة وسبعين رأساً من الأغنام، وبثمانين بقرة، وب 2989 ريال، في حين دفع له المعطي بن عبد الكبير المزامزي، والولدي، والحمامي، ومحمد بن العربي الزيايدي، وعبد الله الأوطاوي، والزناقي، وجميعهم من الشاوية 492 رأساً من الأبقار، و1565 شاة، و15 فرساً و417 ريالاً.

ولكي لا يكلف المخزن نفسه عناء صيانة هذه الأنعام والدواب التي كان يتسلمها من القبائل، تسديداً لما كان عليها من ديون شتى نحوه، فإنه كان ينهج

= ولم يعره أهمية، الأمر الذي جعل ابن عمه الحاجب السلطاني أحمد بن موسى يتوجه له باللوم والعتاب، حيث خاطبه قائلاً:

«... فمئذ توجهت مع نجل سيدنا مولاي العباس حفظه الله لم يظهر منكم أثر كتاب في شيء من أحوال الإقامة والمسير، مع أن ذلك من أهم الأمور التي تعلم تشوق الأذان إليها، وهي من وظيفك وفي عهدتك... وعليه، فلا بد استيقظ من سنة الغفلة، وامتنع صهوة الخزم في تطهير الإعلام بالشادة والفاذة قبل كل أحد...».

- خ. س. و. ز، مج 26، وثيقة رقم 153 بتاريخ 13 ذي الحجة 1308 / 20 يوليو 1891.

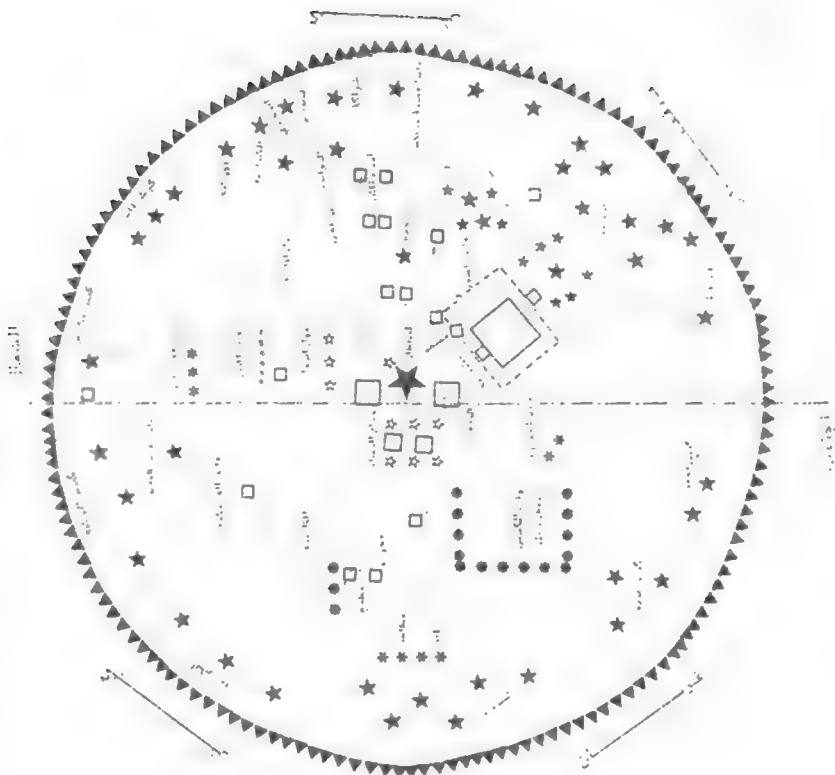
طريقة خاصة به، لا تنطوي على أدنى ضرر وحيث بالنسبة إليه، ولكنها محففة ومكلفة بالنسبة للسكان.

وعنوان ذلك أنه، كلما تجمع عدد معين من هذه الأنعام والبهائم في جهة من الجهات التي تكون بها المحلة السلطانية أو الحركة المخزنية، إلا وصدرت الأوامر للعرفاء والخبراء في هذا المجال للقيام بعملية تحديد ثمن كل بهيمة على حدة. وجرت العادة كذلك أن يتوصل السلطان بثلاث اقتراحات في هذا الشأن، كأن تنجز مثلاً على يد عريف من القبيلة والذي كان يختار من كبار مربي الماشية، وقائد من قواد القبائل الذين كانوا يحظون بثقة المخزن، ويؤخذ رأيهم بعين الاعتبار في عدد من النوازل والقضايا، وأخيراً محتسب، أو أمين من أمناء المدينة المجاورة لمسرح الأحداث. وبعدها، كانت توزع رؤوس الأبقار والأغنام على قواد القبائل، وبعض قواد قبائل الكيش كذلك، ولكن بزيادة الثلث في ثمنها الإجمالي، مع إمهالهم مدة ستة شهور قبل مطالبتهم بأداء المبلغ المالي المسجل على كل واحد منهم¹.

¹ - خ. س. و. ز، مج 23، وثيقة رقم 110.

رسم رقم: 8 معسكر السلطان المولى الحسن

معسكر السلطان



المعسكر السلطاني
 المعسكر السلطاني
 المعسكر السلطاني

والملاحظ في هذا الصدد أن المخزن كان مضطراً إلى التعامل مع هذه القبائل ومثيلاتها من قبائل الأطراف والتخوم، وكذلك المناطق الجبلية على هذا النحو، إن أراد استخراج ولو قدر بسيط مما يكون قد تخلد بدمتها من ديون لفائدته. فلا تخلو وثائق القرن التاسع عشر، كلما حلت حركة سلطانية، أو حملة عسكرية مخزنية بمنطقة كلعية والريف، أو جبالة، أو وجدة ونواحيها، أو الأطلس المتوسط، أو سوس، من معطيات وبيانات عن "دفع القبائل"، حتى ولو كان في شكل "كلايط" أي بنادق، في حين كان جل عطاء قبائل السهول الأطلسية نقداً، بسبب ما كانت تدره على قبائلها من أموال مبيعتها من الحبوب، والأصواف، والأنعام في أسواقها وأسواق مراسي الواجهة الأطلسية من جهة، وبسبب كذلك استحكام المخزن قبضته عليها دون عناء يذكر من جهة أخرى¹.

وبعد أن عسكر الأمير مولاي العباس ما يزيد على الشهرين بمنطقة تادلة، رحل عنها قاصداً منطقة الشاوية، حيث أقام معسكره بتراب قبيلة

1- تنطوي عملية تحديد أئمة رؤوس الماشية والدواب التي كانت تقدمها القبائل الدائنة إلى المخزن الذي كان يسلمها بدوره إلى قبائل أخرى، على كثير من الخيف والإجحاف، إذ كان يدفعها إلى القواد بثمان يفوق مرتين أو ثلاث مرات ثمنها الحقيقي. وهذا ما أثار استنكار أمين الأمناء محمد التازي والذي تَضَمَّنَتْهُ الرسالة التي وجهها إلى نائب الوزير الصدر محمد بن محمد الصنهاجي، خاتماً إياها بالعبارات الآتية:

«... فهذا تحمل كثير لا يرضاه سيدنا، ولا نفهم من جنباه الأسمى أعزه الله أن يقبله أو يُوافق عليه...».

- خ. س. مح. ح رقم 173، الوثيقة بتاريخ 4 صفر 1305 / 22 أكتوبر 1887.

موقف كهذا، دليل ساطع على سداد رأي المؤرخ الناصري في هذا الرجل، حين قال عنه إنه «من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان، وأشدّهم غيرة على الدين والوطن...».

الناصرى، الاستقصا...، م. س، ج 9، ص. 166.

بني مسكين، عند القائد الشافعي المسكيني. ومن ثمة، صارت الغارات و"السوكات" تنطلق ضد قبائل الأعشاش، كالأولاد، وأولاد مَحمد، وبني إيمان، والخزازرة... ثم في يوم السبت 25 ذي الحجة 1308، الموافق لفتح غشت 1891، حل بقصبة المعاريف بقبيلة أمزاب، إيالة القائد محمد بن أحمد المزاي، ومنها انتقل إلى الكارة عند القائد علي بن حجاج، ثم إلى مَكُون، فابن رابح عند القائد محمد بن العربي الزيايدي، ومنه إلى قصبة بوزنيقة التي اتخذت هي الأخرى نقطة انطلاق الحملات العسكرية ضد مداشر ومواقع قبيلة الدغمة، من أعراب الرباط، عقاباً لها على ما كانت تتعرض إليه من نهب وتكيد قوافل التجار والمسافرين المارة بأراضيها. وكان السلطان، قبل وصول الأمير مولاي العباس إلى هذه النواحي، قد أصدر أوامره بتحريك محلة الغرب، تحت قيادة خليفة القائد ولد أب محمد الشرقي، قاصدة رباط الفتح، ومنه إلى بوزنيقة، حيث تنضم إلى محلة الحوز. وكانت هذه المحلة الغرية تتكون من الفرق والقبائل الآتية:

كَيْش الأوداية، أشراكة، الشراردة، قبيلة بني أحسن، وبني مالك وسفيان، جروان، بني مطير، أعراب دخيسة، وأولاد نصير، أيت يوسي، والحياينة¹.

وبعد أن قضى وطره في هذه النواحي، تابع سيره نحو الشمال، قاطعاً المراحل إلى أن حل بمدينة مكناس، حيث أقام بها أياماً، قبل العودة إلى مدينة مراكش

1- خ. س، ك 634، ص. 64 وما بعدها.

وما أن التقى الجمعان، وتنفيذاً طبعاً للأوامر السلطانية، حتى بادر الأمير مولاي العباس إلى تسريح حراك قبائل الحوز، حيث لم يبق معه سوى «الحناطي»، والكاتب السيد المختار بن عبد الله، وجيش الغرب، والعسكر، والوصيف القائد إدريس خنيشيش. وما كان مكلفاً به المنبهي، يكلف به خليفة ولد أب محمد...».

الخريطة رقم: 14

التي دخلها يوم السبت 27 ربيع الأول 1309، الموافق لـ 31 أكتوبر 1891، وبذلك تكون مدة هذه الحركة الأميرية قد استغرقت حوالي سبعة شهور.

وبعد مضي حوالي أربعة شهور على بدء حركة المولى العباس هذه، وبالضبط في 22 ذي القعدة 1308، الموافق لـ 29 يونيو 1891، انطلقت حركة فرعية أخرى من مدينة فاس هذه المرة، قاصدة الجهة الشمالية الشرقية من البلاد، تحت قيادة الأمير مولاي عمر، ومعيته القائد محمد بن عبد السلام بن الخضر السلاوي، "رئيس مشوره وكبير محلته"، والفقير الكاتب العربي المنيعي، "وزيره"¹.

على أن ما دعانا هنا إلى الحديث عن هذه الحركة، وعن التي أسند أمر قيادتها إلى الأمير مولاي عثمان، صنو السلطان مولاي الحسن، للتوجه إلى منطقة الريف، اعتباراً من أواسط شهر شوال من سنة 1309، الموافق لأواسط مايو 1892، هو إتاحتها فرصة التعرض إلى عدد من الجوانب والقضايا، تكاد مناطق الأطراف تنفرد بها، كملص القواد والقبائل من تسديد ديونهم، والقيام بواجب تموين الحركة والاعتناء

1- ابن زيدان، إتحاف...، ج 5، ص. 497 وما بعدها حيث ترجم المؤلف للأمير مولاي عمر، مستعرضاً أهم أطوار حياته والمهام التي أسندت إليه، أيام والده السلطان المولى الحسن، مشيراً على الخصوص إلى موقفه الراض لتتصيب أخيه الأصغر مولاي عبد العزيز سلطاناً للبلاد، ونكبه من طرف أحمد بن موسى.

وكان محمد بن الخضر السلاوي المذكور هنا يشغل وقتئذ مهام عامل مدينة تطوان، وينتمي إلى أسرة من عبيد البخاري، زواج بعض أفرادها بين السيف والقلم وذلك منذ عهد السلطان المولى سليمان وحتى السنوات الأولى من عهد السلطان المولى عبد العزيز. حول هذا الجانب، يرجع إلى:

- بوشعراء، مصطفى، الاستيطان...، مرجع سابق، ج 2، ص. 651 وما بعدها.

بأمورها، وتمهيد السبيل لرؤسائها، أو كندرة المواد والأقوات وارتفاع أسعارها، وتعرض الحركة ورجالها لأنواع شتى من ضروب التضيق والتنكيل...¹.

وكما هو الشأن بالنسبة للحركات التي كان لا يقودها السلطان شخصياً، فإن مسار الحركة، وعدد مراحلها، ومدة التوقف والإقامة في كل محطة من محطاتها، وبيان أسماء القواد والعمال الذين يقدمون المؤونة، وكذلك المبلغ المالي المتعين مطالبة كل واحد منهم بأدائه، إلى غير هذا من التدابير والترتيبات، كل هذا كانت تنص عليه بكل دقة وتفصيل كتابات السلطان إلى المسؤولين السياسيين والعسكريين للحركة.

ففي كتاب موجه إلى الأمير مولاي عمر، وكبير المحلة محمد بن الخضر السلاوي، كتب السلطان ما يلي:

1- نستقي مثلاً على هذا، مما ورد في كتاب عامل قصبة عيون سيدي ملوك، القائد بوعزة السريفي، حول تصدي أهالي المنطقة إلى قوافل التجار ومنعها من الوصول إلى أسواق المحلة، الأمر الذي أدى إلى تقلص كميات المواد والمنتجات المعروضة، وبالتالي إلى ارتفاع الأسعار، وحدوث الغلاء، ولاسيما بعد أن تكالبت على هذه المناطق جحافل أسراب الجراد، مخلقة الخراب والدمار في المزارع والمغروسات.

- خ. س، مح. ح رقم 399، الوثيقة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1310 / 7 يناير 1893. أشار إلى نفس الظاهرة وغيرها من وجوه المعاناة، كبير المحلة محمد بن الخضر السلاوي، في رسالة إلى السلطان، حيث نقرأ ما يلي:

«... أن المحلة السعيدة لحقها الضرر الفادح، وضائق بتخيمها أرجاء هذه النواحي لغلاء الحبوب، وفقد التبن. فقد ضاعت خيل ويغال، وجمال، وتوالي فرار الحراك، حتى لم يبق معنا من القبائل إلا العمال، والخلائف في نحو ثمانين من الخيل، مع أن أصل عدد حراكهم ينيف على سبعمائة. وحين أيقن أهل البلد بفرار جل المحلة، اشتغلوا بإذابتها، والتضييق عليها بالتعرض لمن يتوجه منها مسوقاً، أو مسافراً، ونهبهم في الطرقات، وضرهم بالبارود...».

- خ. س، مح. ح رقم 435، الوثيقة بتاريخ 16 ربيع الثاني 1312 / 7 نونبر 1892.

«... فإذا وصلتكم بحول الله وقوته إلى هوارة الأحلاف، فخطابوهم بأداء ما رسم إزاء أسماء عمالهم يمنته من الواجب الذي بذمتهم، وشدوا عضد العمال على استيفائه منهم، وأقيموا عندهم بقصد ذلك نحو ثمانية أيام، وأزعجوهم للدفع. ثم إذا أكملتكم منهم القبض بحول الله، فافحصوا عنهم قاصدين قبيلة الأحلاف...»¹.

وتستمر الرسالة على هذا النحو إلى أن يحل الأمير مولاي عمر بمدينة وجدة. وأما المبالغ المالية التي كان عليه استخلاصها من قواد قبائل هذه المنطقة فقد وصلت إلى 115328 ريال، موزعة على النحو الآتي:

- هوارة الأحلاف، وعدد قوادهم 5 = 10050 ريال
- الأحلاف، وقائدهم المختار الكرومي = 2921 ريال
- بني بوزكوا، وقائدهم حمّادة بن المختار البوزكاوي = 18931 ريال
- قبيلة السجع = 9284 ريال
- بني يزناسن، وعددهم 9 = 27169 ريال
- عامل وجدة = 20093 ريال
- رمضان الزكراوي = 1937 ريال
- عامل قسبة عجرود، علّال بن منصور = 2815 ريال

¹- خ. س، ك 199، ص. 38.

تضمنت رسالة مماثلة لهذه، وجهها السلطان إلى أخيه الأمير مولاي عثمان ورؤساء محلة الريف العسكريين، نفس التعليمات، والبيانات حول كيفية تنقل وتوقف «المحلة السعيدة» بمحرد وصولها إلى منطقة كُرت، حول المفونة وأسماء القواد الذين يَمُونون في مواقع معينة، وحول مديونية كل واحد من عمال المنطقة وعددهم وقتئذ 24 قائداً، حيث كان على الأمير مولاي عثمان ومساعديه تسلم 173593 ريال من هؤلاء جميعاً.

⁻ خ. س، ك 199، ص. 18، الوثيقة بتاريخ 26 شوال 1309 / 24 مايو 1892.

- المهايوي = 18963 ريال

- عبد القادر بوترفاس = 3165 ريال

وبكل أسف، لم يرد قط في مصادرنا، ذكر للمبالغ المالية التي أمكن للمخزن الظفر بها، اللهم ما كان من بعض الإشارات القليلة إلى ما كان يَتَسَلَّمُهُ، من حين لآخر، من بغال، وخيول، وإبل من قواد المنطقة، كما هو شأن قبيلة السجع مثلاً التي قدمت لمسؤولي الحركة، بتاريخ 2 محرم 1310، الموافق لـ 27 يوليو 1892، 73 فرساً، وبغلاً واحداً، و62 جملًا¹.

وتتحدث وثائقنا أيضاً، سواء تعلق الأمر بحركة الأمير مولاي عمر، أو بحملة عمه مولاي عثمان، عن إرشاء قواد وقبائل مناطق الأطراف هذه لمسؤوليهما المدنيين والعسكريين معاً، إلى درجة أن القائد العربي الوليشكي وهو من قواد منطقة الريف المرموقين والمسموعي الكلمة في الدوائر المخزنية، قد كتب إلى السلطان يشكو:

«... من تراخي وتخاذل كبراء المحلة التي عندهم بالريف، بما فيهم مولاي عثمان، ويقبضون الرشوة، ويتفرجون...»².

وكتب القائد حم بن الهادي الكعداوي، في نفس الموضوع، ما يلي:

«... ونزلت علينا المحلة بقرب دارنا حتى تكلفنا بها، ودفعنا لهم ما يناسبهم رشوة كأمثالنا الذين يؤدونها على قضاء غرضهم، والباقي فيه خط يدنا، وصرفنا على المحلة أموالاً، فلم تحصل منهم فائدة، وذهب عملنا باطلاً...»³.

1- خ. س، ك 199، ص. 12.

2- خ. س، مح. ح رقم 409، الوثيقة بتاريخ 27 ربيع الأول 1310 / 19 أكتوبر 1892.

3- خ. س، مح. ح رقم 409، رسالة القائد المذكور إلى السلطان بتاريخ 17 صفر 1310 / 10 سبتمبر 1892.

وإذا ما صحت هذه الاتهامات الموجهة إلى رؤساء الحملة الريفية، مدنيين وعسكريين على السواء، وتأكد فعلاً أنها صارت:

«لا تضر ولا تنفع، وربما كان ضررها أكبر من نفعها...»، كما صرح بذلك القائد بوزيان السعيد في رسالة وجهها إلى السلطان، محملاً مسؤولية نفس وإبطال عمل الحملة وتردي أوضاعها إلى:

«وساويس الفساد المسطرين بالطرة بمنته، فأعطوا بما الطمع لكبار الحملة والكتاب وغيرهم، ممن له أمر ونهي في ذلك، حتى صار الخوف أمناً، وصار كل من لقيناه لا يستل إلا عن الدراهم، واختبروا ذلك بما أوقعوه بالضريح الحساني، ووقعة أخوي عمال مزوجة. فمن يومئذ والناس لا

= وإلى نفس المعنى أشار القائد عمرو ولد أجيل العتيكي، من بني يزناسن، في رسالة إلى السلطان، حيث تشكى من ممارسات وتصرفات كبير الحملة القائد محمد بن الخضر السلاوي، وقائد العسكر البخاري العربي بن حم، والفقير الكاتب العربي المنيعي، متهماً الجميع بالارتشاء، ومضيفاً بأنه «لم يبق أحد يخشى من الحملة السعيدة لتعرض كبارها للرشاوي...».

- خ. س، مع. ح رقم 369، الوثيقة بتاريخ 11 محرم 1310 / 5 غشت 1892.

وها هي شهادة أخرى في هذا المعنى، نستقيها مما كتبه الشريف إبراهيم بن محمد المراني إلى السلطان مولاي الحسن، بينما كان في رفقة الحملة المخيمة بفحص طنجة، بهدف تسكين وتهدئة الأوضاع المضطربة في قبيلة الأنجرة، بقيادة العباس بن محمد الجامعي، ابن الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي، متهماً هذا الأخير بالتلاعب والاختلاس في التعويضات التي دأب المخزن على تحويلها لمن يقتل أو يجرح من جنوده في ميادين القتال، حيث قال:

«... أن مولانا أعان عسكره السعيد بالزيادة في المئونة وتنفيد العلف، كما أنعم مولانا أعزه الله على من مات من العسكر السعيد وغيره مائة مثقال والمجروح خمسون مثقال، وازداد الناس قوة وفرحاً وسروراً بما جاد به مولانا أيده الله عليهم من جزيله. ثم بعد ذلك حصل لهم الفقير السيد العباس فيما نفذه مولانا للموتى والمجاريح. فمن استحي منه، أعطاه البعض من المنفذ وكثيرهم لم يقبض له درهم للفارس ومثله للرجلي، ويجتمع ذلك في المرساة ويحوز من الجمعة إلى الجمعة في الشعر كذلك. فبسبب هذا يفر عسكر مولانا أيده الله وجميع الجنوس يكتبون ذلك في الكريطات، ويخبرونه به...».

- خ. س، مع. ح رقم 386، الوثيقة بتاريخ 21 صفر 1310 / 14 سبتمبر 1892.

يزيدون إلا اعتوا ونفورا، وذاك هو الذي حمل إخوان الخدم حم بن الهادي (الكعداوي) على ضربه...»¹.

فإن هذا لا يعني أن السلطان لم يكن على بينة مما كان يجري ويكتنف الأحداث في هذه المناطق النائية وغيرها من البلاد، ولا سيما حين كانت تحط الرحال بها تجريدات وكتائب من الجند والحراك، بين الفينة والأخرى. ثم إن هم المخزن الوحيد كان لا يتمثل في جباية الضرائب وجمع الأموال فقط، بقدر ما كان حرصه شديداً على الظهور في نواحي الأطراف هذه، وجلب الأنظار إليه، والقيام بتهدئة الأوضاع واستكانتها ما وسعه ذلك. وبالرغم من حث السلطان المسؤولين عن الحركة على العمل بجدية على استخراج ما تخلصه بدم القواد والقبائل من ديون، إما برسم الواجب الشرعي، أو برسم التوظيفات والفروض، فإنه كان يتحاشى مؤاخذتهم أو عقابهم، إن هم رجعوا من وجهتهم فارغي اليد والوفاض.

وأياً كان الأمر، ولأسباب طبيعية، وسياسية، واجتماعية، فإن قبائل هذه المناطق، كالمهاية، وأنكاد، والسجع، وبني يزناسن، والتسول، والبرانص، وغيثة، وهوارة من جهة، وكبدانة، وكلعية، والريف، وعدد من قبائل جباله، والهبط، وفحص طنجة، وإيالة تطوان من جهة ثانية، نادراً ما كان المخزن يحصل معها على طائل مادي يذكر، أو كان يعول على تعاونها ومساعدتها، وأداء ما ترتب

¹ - خ. س، مح. ح رقم 392، الوثيقة بتاريخ 18 صفر 1310 / 11 سبتمبر 1892.

وأما الأشخاص الواردة أسماؤهم في الطرة، فهم:

الأمين الفقير ميمون، والأمين الحاج علال الفاكلاني، والحاج حد المزوجي، والخدم بوصفية الكبداني.

عليها من واجب شرعي، أو مطالبتها بالقيام بالوظائف المخزنية، كإعطاء الحراك مثلاً، أو المؤونة¹.

وتساعد على تملس جانب مما ذكر ما تضمنته وثيقة مخزنية عنوانها كالاتي:
«تلخيص مراجعة كناش الأمين الحاج محمد الحريشي فيما دخل عليه من
الدفع بالقطر الريفي، وبيان ما صيره من ذلك بعد مناقشة حسابه، في 4
رجب 1310».

ويتبين من هذه "المناقشة" أي المراجعة أن الأمين الحريشي، وخلال مدة
تخميم المحلة المخزنية بمنطقة الريف، قد توصل من قواد قبائلها بـ 53518,50
ريال، 4371,50 ريال من هذا المبلغ نقداً، والباقي فهو منتوج ما بيع من بغال،
وخيل و"كلايط"، ومكاحل.

وفي المقابل، بلغت النفقات على تموين الكيش والعسكر، وقضاء أغراض
مخزنية أخرى ما مجموعه 59429 ريال.

وإذا ما أضفنا إلى المبلغ الذي كان قد توصل به من أمناء دار عديل
بفاس، قبل انطلاق الحركة، وقدره 6500 ريال، وذلك: "بقصد مئونة العسكر
والجيش معه"، يكون قد بقي عليه "مدركا" لفائدة المخزن 589,50 ريالاً².

1- بعد أن تمكنت المحلة التي كانت مع الأمير مولاي عمر والقائد محمد بن الخضر السلاوي من
استخراج 73 فرساً، و62 جملًا، و2 من البغال من قبيلة السجع، وحلولها بجبال بني يزناسن،
ختم الرجلان رسالتهم إلى السلطان بالتعليق الآتي:
«... وهذه الناحية لا تقبل نزول المحلة أكثر من ليلة واحدة، لغلاء الأسعار، وجذب
البلاد...».

خ. س، ك 199، ص. 11 وما بعدها، الوثيقة بتاريخ 12 محرم 1310 / 5 غشت 1892.
خ. س، ك 409، ص. 4 وما بعدها.

خلال مدة تخميم محلة المولى عثمان بمنطقة الريف هذه والتي ناهزت الثمانية شهور، لم يتوصل
الأمين المذكور إلا بـ 120 فرساً و4 بغال، في حين تمكنت المحلات التي وجهها السلطان المولى =

وتضمنت وثيقة مخزنية أخرى، معلومات وبيانات كمية عن الجوانب المالية والمادية والتنظيمية على الخصوص، للحركة التي قام بها السلطان المولى الحسن إلى منطقة تافيلالت، أواخر سنة 1310، الموافق لأواخر شهر يونيو 1894، إذ بلغ مجموع النفقات والصوائر المختلفة وإلى غاية يوم الثلاثاء 9 من جمادى الثانية 1311، الموافق لـ 18 دجنبر 1893، أي لحظة دخول العاهل إلى مدينة مراكش، على رأس جيوشه 577627 ريال، في حين لم تبلغ المداخيل التي توصل بها الأمناء من القبائل والعشائر التي مر عليها الموكب السلطاني، أو قريباً منها، سوى 520821,50 ريال، أي أن المخزن قد "خسر" في هذه العملية 56805,50 ريال، وهذا يعني أن السلطان لم يكن يهتم بتحقيق الأرباح، ولا ابتزاز أموال الناس، بقدر ما كان يهتم الحفاظ على الأمن والسكينة داخل البلاد، والدفاع عن حوزتها وسيادتها¹.

= عبد العزيز إلى منطقة سوس، وغادرت مدينة مراكش في 23 يونيو 1896، وعهد بقيادتها إلى عمه المولى عثمان المذكور، وباشا مكناس حم بن الجيلاني، والقائد سعيد الكلوي، في الفترة المتراوحة ما بين 24 صفر و9 ذي الحجة من سنة 1314، الموافق لـ 4 غشت 1896 و11 مايو 1897، من إرسال الأعداد الآتية من البهائم التي توصلوا بها من القبائل السوسية:

الخيول = 1044.

الفرسات = 602.

البغال = 615.

الإبل = 1210.

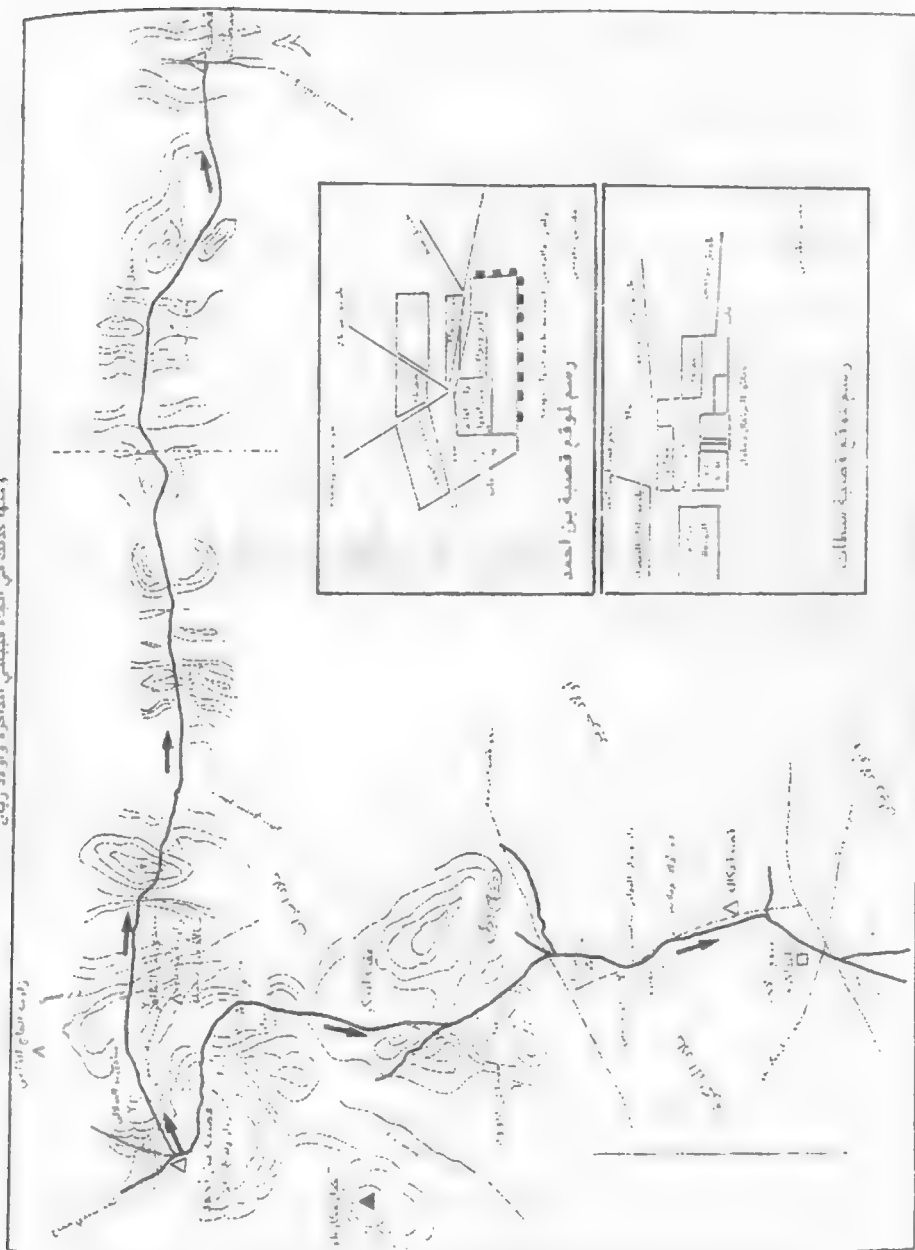
- A.G.V, 3 h 9, Rapp. du mois de Juin 1897, n° 80, p. 6.

¹ - خ. س، ك 201، ص. 2 - 19، ص. 16، وص. 43.

وقت تدوين هذه المعلومات، كان الريال الواحد قد وصل إلى 140 أوقية.

الخريطة رقم: 15

مسكنان من قصبة بن احمد إلى قصبة سطات
ومنها كذلك في اتجاه قبيلتي المذاكرة وأولاد زهران



3 - 2 عبء الحركة على القبائل

3 - 2 - 1 فريضة التموين

أشرنا آنفاً إلى بعض التوظيفات والكلف التي اعتاد المخزن فرضها على القبائل، كالتعويض عن التسخير الذي يتعين دفعه إلى الوافدين على القبيلة من أعوان المخزن، مدنيين وعسكريين، في مهمات وأغراض شتى، أو الحراك والعساكر من أبنائها الذين كان يتم تجنيدهم إلى حين، في صفوف التنظيمات العسكرية المخزنية.

يبد أنه لا مال التسخير وتوابعه ولا عملية التجنيد، وبالرغم مما كان يترتب عنهما من تضحيات ومعاناة، لم يكن ثقلهما يشد بخناق القبائل، كما هو الشأن بالنسبة للمؤونة التي قد يتجدد الأمر بالمطالبة بها عدة مرات في السنة.

ونعني هنا بالمؤونة هذه المقادير من المواد الدهنية كالسمن والزيت، والنباتية كالدقيق والشعير، أو الحيوانية كالحم الضان، والدجاج، أو مواد أخرى كالسكر، و"الأتاي"، وأقراص الشمع والتي كانت من حظ كبار قواد الكيش والعسكر وأعوان المخزن المرموقين.

وغني عن البيان أن هذا العطاء الإلزامي والتعسفي، كان يساهم وبكل تأكيد، في استنزاف الإمكانيات المادية والمالية لهذه القبائل، بل إنه كان يأتي على كل فائض في الإنتاج في حالة حدوثه، في هذا الوسط القروي الذي كان يشكو ويعاني باستمرار من الخصاصة، عاجزاً عن تحقيق أدنى تراكم يذكر في الإنتاج والخيرات لأسباب اجتماعية، وتقنية، وطبيعية، ومن ثمة استنجد القواد

بالسلطان، واستعطافه من أجل التخفيف على إخوانهم، مما طولبوا بأدائه نقداً أو عينا، أو إمهالهم إلى حين، ريثما تُنْفَرَجُ الأزمة، وتُنْمَحِي آثارُها.

فهذا، مثلاً، القائد محمد بن الطيب الدخيسي، من أعراب سايس، يستنجد بالسلطان ويرفع إليه شكواه وشكوى قبيلته التي:

«تركب عليها جميع الكلائف من دفع الأعشار والتبن، وخدمة الدوم وتقويم الواجب عليها في لحركة الموجهة لواد ملوية، ومنونة الخلة النازلة، ومنونة العشرة من الخيل النازلين قبلها. فاجل (هكذا) القبيلة ضعيف، لا شيء بيدهم، وقد لحقت الجميع المضرة. فإن أناساً توجهوا لدخول العسكر السعيد، وأناساً إخوانهم وقع فيهم الفرار...»¹.

على أن لفظة مؤونة قد تعني أيضاً، في بعض الكتابات، المبلغ المالي أي الراتب المخول للجنود المرابط هنا وهناك، كما نتبين ذلك من الفقرة الآتية:

«... وبعد، فهنا نحن وجهنا سي مصطفى بن إبراهيم لقبض المؤونة والدقيق على العادة عن ثلاثين يوماً...»².

ثم يذكر المرسل وهو القائد الأغا مبارك الحاحي، وكان إذاك مسؤولاً عن إدالة القصابي، كل فرقة على حدة وعدد رجالها، ورواتبهم أي مؤونتهم، و"أروامهم" أي دواب حمل أثقالهم، على النحو الآتي:

1- خ. س، مع. ح رقم 153، وثيقة بتاريخ 4 جمادى الأولى 1305 / 18 يناير 1888.

2- خ. س، و. ز، مع. 9، وثيقة رقم 277 بتاريخ 24 ربيع الأول 1295 / 28 مارس 1878.

الجدول رقم 41: عدد جند إدالة القصاي ومثونتهم اليومية، في شهر مارس

من سنة 1878

المؤونة حسب الرتبة	الفرق	العسكر	الطبية	المخازنية	ملاحظات
الخبانة	7,50 للواحد	7,50 للواحد	7,50 للواحد	وعدد جميعهم 161 فارساً	
الرماة	" 4	" 4	" 2	" 595 رامياً	
المقدمون	" 10	" 10	" 2,50	" 76 مقدماً	
قواد المائة	" 20	" 20	" 5	" 19 قائداً	
الخلايف	" 30	" 30	" 3	" 3 خلايف	
قواد الأرحى	" 40	" 40	" 3	" 3 قائدان	
"المرؤم"	" 2,50	" 2,50	" 2,50	وعددتها 68 بظلة وبغلاً	

وتقدم لنا الوثائق المخزنية مادة غزيرة ومتنوعة حول المؤونة وانشغال المخزن المستمر بأمورها، على امتداد القرن التاسع عشر، وبالاخص في النصف الثاني منه. فبالإضافة إلى أسماء قواد القبائل والجماعات، وصدور الأمر لهم بالعمل بكل جدية وحزم على تهيء غذاء الرجال، وعلف الدواب، كان ينص فيها وبكل دقة وتفصيل على موادها ومقاديرها، ومكان إنزالها، وطريقة توزيعها على المستفيدين منها، جنداً وحراكاً¹.

¹- خ. س، ق. ح، مع. س. م. ع، ملفات 1، و7، و16، حيث تضمنت وثائق وردت فيها المبالغ المالية التي كانت تُنفقُ يومياً في مؤونة فرق من الكيش. والحناطي، والعسكر، وعدد من قبائل حوز مدينة مراكش، في الفترة ما بين 11 رجب 1276، و9 ذي القعدة 1277، الموافق لـ 3 يراير 1860 و19 مايو 1861، أي في الأسابيع الأخيرة من حرب تطوان والسنة التي تلت انتهاءها.

وانظر كذلك ترتيب وضبط مراحل الحملة السلطانية من كتلة الفيلة (بتراب فرقة بني حكم من قبيلة زمور) إلى مدينة مكناس، ومن وجبت عليه فريضة المؤونة من القواد في كل واحدة منها، حيث كان على القبيلة المذكورة وحدها إعداد 2100 مد من الشعير خاصة بعلف البهائم.

خ. س، ك 117، ص. 150 وما بعدها، الوثيقة بتاريخ 12 ذي القعدة 1300 / 14 سبتمبر 1883.

فمثلاً خلال سفرة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن من مدينة مكناس إلى مراكش، مروراً بالعدوتين سلا ورباط الفتح، ثم الشاوية، والرحامنة، والسراغنة، قدمت جميع القبائل التي مر بترابها الموكب السلطاني مقادير معينة من الدقيق، والسمن، والشعير، ولحم الضأن. وهكذا، توصل العون المخزني المكلف بتسلم رؤوس الماشية من القبائل، ويتعلق الأمر بالقائد علال بن سالم الغنيمي، في مدة أسبوعين، ما بين 13 أكتوبر 1865 و28 منه، بـ 613 شاة، وزع منها على الجند والحراك 205 رأساً، في حين تسلم الجزيرة بصفتهم مكلفين بتزويد مطبخ السلطان وحاشيته باللحوم 124 رأساً، وضاع في الطريق 21 بهيمة، وبقي تحت يده 263 كبشاً¹.

وقبل هذا، أي قبل الوصول إلى ضفاف أبي رقرق، كانت المحلة قد توقفت بمشعر الرملة من بلاد بني أحسن، في 14 جمادى الأولى 1284، الموافق لـ 23 سبتمبر 1867، حيث توصلت من قائد المقاديد من أولاد نعيم، محمد بن الجليلاني بن القرشي بنصبيه من مؤونتها اليومية والمتكون من 115 كبشاً، و30 "ماعوناً" من السمن، في حين سلم زميله محمد بن العربي بن خدة الثوري، من بني ثور من الصفاة 190 كبشاً، و120 "ماعوناً" من السمن².

1- خ. س، ك 298، ص. 23.

2- خ. س، م. س أعلاه، ص. 10 وما بعدها.

نتبين من وثيقة شبيهة بالتي استقينها منها هذه المعطيات، ولكنها صدرت بعدها بسنوات عديدة، ويدور موضوعها حول «ما دخل على القائد الحسن الحرييلي من الشياه لمثونة المحلة والكشنة السعيدة من لدن سافر مولانا المؤيد بالله من حضرة مراكش في 8 من شعبان الأبرك عام 1304»، أنه خلال الفترة المتراوحة ما بين التاريخ أعلاه و 11 شوال من نفس السنة، أي مدة شهرين ونصف، بلغ عدد قواد القبائل الذين ساهموا في تموين الحركة، 39 قائداً، نيابة عن إخوانهم =

وعند حلولها ببلاد الشاوية، كان على كل واحد من سبعة قواد وهم عبد السلام بن محمد بن رشيد الحريزي، وإدريس بن مشيش، والأوراوي، والميلودي المديوني، وبوعزة والراضي الزياديان، والزناي، مدها بالمقادير الآتية:

200 = "قروش" من الشعير

052 = رؤوس الضان

052 = "مواعين" من السمن

وأما عاملا المزاب، بن العربي المعروف، وبن الشرقي المزابي، فكان عليهما إعطاء ما يلي:

250 = "قروش" من الشعير

200 = شياه

200 = "مواعين" من السمن

وواصلت المحلة طريقها نحو الجنوب، فكان على قواد الرحامنة، والسراغنة، وزمران تقديم مقادير معينة من نفس المواد إلى رجالها. فيوم حلولها بالقلعة، مدها القائد محمد بن صالح بما يلي:

= وأتباعهم كالرحامنة، ومسفيوة، وزمران، والسراغنة، وأيت أعتاب، وإينولتان، وتادلة... وقد تحمل في عدد ما توصل به المخزن من شياه 3246 شاة. ومن الملاحظ في هذا الصدد أن قائد دمنات، الجيلاني بن علي الدمناتي، ومحمد بن أحمد بن المودن السراغيني، قائد السراغنة، قدما لوحدهما من هذا العدد، الأول 500 رأساً، والثاني 670 رأساً. أي % 36 ونيف من المجموع. وأما عدد "مواعين" السمن التي توصل بها العون المكلف باستلام هذه المادة وغيرها، واسمه الطاهر الجراي، فقد بلغ عددها، في 10 رمضان من نفس السنة 10200 إناء، أعطت ما مجموعه من السمن 10724 كلغ.

- خ. س، ك 144، ص. 1 وما بعدها.

241	=	"قروش" من الشعير
400	=	"خناشي" من القمح
300	=	"أحوالة"
250	=	"قلاليش" من السمن

وكان زميله علال الشرقاوي، القائد الثاني لقبيلة السراغنة وقتئذ، قد سلم للمحلة، مدة توقفها بإيالته، ما بين مطلع شهر جمادى الثانية 1284، و15 منه، المقادير الآتية:

548	=	"قروش" من الشعير
700	=	"خناشي" دقيق
600	=	"حوالة"
600	=	"مواعين" من السمن

ودفع القائد عمر الزمراني من جهته، المقادير الآتية:

54864	=	"خناشي" دقيق بحسب نصف قنطار.
أو 50		رطلاً في كل كيس.

501	=	"قروش" من الشعير
610	=	"حوالة"
540	=	"مواعين" من السمن

وقد وزع من هذه المواد، في يوم 15 جمادى الثانية 1284 مثلاً، ما يلي:

221	=	"قروش" من الشعير
-----	---	------------------

"حناشي" دقيق = 304

"حوالة" = 200

"مواعين" من السمن = 250

ونستفيد مما تضمنته وثيقة وردت تحت عنوان:

«ما يجب من مئونة شعير، ودقيق، وسمناً، ولحماً بوجهه، أو الثمن

بالسعر الموجود، وقيد في 24 ربيع الثاني 1285...»، أن توزيع هذه المواد

قد تم على النحو الآتي:

الدقيق = 10 رطلاً لمائة رجل.

الشعير = ربع اللد لكل بهيمة (دواب الخيالة وحمل أُنقال

رجال الكيش والعسكر).

الشيء = إثنان لكل مائة رجل.

وبلغ ثمن الواحدة منها وقتئذ 50 أوقية.

السمن = 15 رطلاً لمائة رجل¹.

ونبين من وثيقة أخرى ولكن تاريخها يرجع إلى 26 ربيع النبوي 1292،

الموافق لـ 2 مايو 1875، في شأن استعراض أفراد الحركة المتوجهة وقتئذ إلى

ناحية الريف، تحت قيادة الأمير مولاي علي، أحد أبناء السلطان المولى الحسن،

أن ما تقرر تقديمه مؤونة إلى هؤلاء، كان على النحو الآتي:

¹- خ. س، مرجع سابق أعلاه، ص. 90.

يتعلق الأمر بمحلة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن التي كانت قد حلت، في هذا التاريخ، بناحية تادلة، قادمة إليها من مدينة مراكش، بعد أن توقفت بقبيلة السراغنة، أواخر شهر محرم 1285، الموافق لأواخر شهر مايو 1868، قدم لها القائدان بن صالح وعلال الشرقاوي المؤونة المعهودة.

الدقيق = 5 أمداد لكل مائة رجل، وكان ثمن المد وقتئذ 35 أوقية.
 الشعير = ربع مد لكل دابة، بحسب 25 أوقية للمد الواحد.
 الأكباش = 5 لكل مائة رجل، بحسب 100 أوقية لكل رأس.
 السمن = 5 أرطال لكل مائة رجل، بحسب 18 أوقية لكل رطل¹.
 وفي حالة تعذر تقديم هذه المواد إلى مستحقيها، فيتعين تعويضها بالمبالغ
 المالية الآتية:

الفارس = 6 أواق

الراجل = 3 "

المقدم = 10 "

قائد المائة = 20 أوقية

قائد الرحى = 10 "2.

وكانت المؤونة تسلم يومياً إلى أصحابها، وطيلة الفترة التي تظل فيها
 المحلة معسكرة بأراضي القبيلة المعنية.

ومن حسن الصدف أن عثرنا على وثيقة تفيد بأن المخزن كان يتخذ من
 الدوار وحدة قياسية في فرض مقادير مواد المؤونة على القبائل.

ولسنا ندرى هل كانت هذه الطريقة هي الوحيدة المعمول بها في هذا
 المجال، أم كانت هناك أيضاً مساطر وأساليب أخرى في فرضها؟

وأياً كان الأمر، فقد ارتأينا إثباتها هنا كاملة، واستغلال ما تضمنته من
 أرقام، بهدف تسليط المزيد من الضوء على ظاهرة المؤونة وشؤونها:

1- خ. س، ك 751، ص. 3.

2- خ. س، ك 306، ص. 234.

«الحمد لله، مونة أعراب الرباط كافة على دواورهم في جمادى الثانية 1296»¹.

الجدول رقم 42.

اسماء القواد	الدواور ومواد المؤونة	دواور	تاليس شعير	أحوالة	مواعين	ملاحظات
الحاج موسى	2,50	33	33	33	33	يتبين لنا إذن من هذه الأرقام أنه كان على كل دوار
والحاج عبد الله	"	"	"	"	"	من دواوير أعراب الرباط والتي بلغ عددها في التاريخ
العربي بن صالح	3	39	39	39	39	أعلاه 23 دواراً، دفع 13 "تليسا" من الشعير، و13 شاة، و13 "ماعونا" من السم، وبذلك لم يكن هناك
عبد الله أذروش	"	"	"	"	"	فرق أو تميز بين الدواوير الآهلة بالسكان والأخرى
الغازي أدهمي	4	52	52	52	52	التي كان سكانها أقل عدداً، وبين كبار الفلاحين
بويزة العكباني	"	"	"	"	"	ومربي الماشية مثلاً وغيرهم من السكان البسطاء،
الحمياني الدغمي	2	26	26	26	26	كالأجراء، والخماسة، والرعاة...
عبد الله اللماعي	1	13	13	13	13	والسويسي المذكور هنا هو عبد السلام بن محمد
الحاج عمر	"	"	"	"	"	الذي كان متولياً ولاشك على صخيرات
السويسي	23	300	300	300	300	القرنفل، في أحواز مدينة رباط الفتح، وانتهت
المجموع						ولايته بوفاته سنة 1885، وهي عادة كان معمولاً
						بها في القرن التاسع عشر، حيث كان يسند
						المخزن أمر تسيير قبيلة واحدة أو أكثر إلى
						باشوات وعمال الحواضر الكبرى، ككتطوان،
						وطنجة، ووجدة، وتازة، وفاس، ومكناس
						والعلوتين سلا ورباط الفتح، ومراكش...

على أن القائد أو القواد الذين كانوا يتمكنون من تسديد ديونهم أو الجزء الأكبر منها، كانوا يعفون مباشرة من أداء المؤونة، حتى وإن ظلت المحلة السلطانية أو الحركة المخزنية مُرابطةً فوق أراضيهم.

¹ - خ. س. ق. ح. مع. ح. ملف رقم 13، والتاريخ الهجري أعلاه يوافق 3 يونيو 1879.

فهذا مثلاً قائد قبيلة المهاية، الحاج بوبكر بن السهلي المهيوي، وبعد تذكيره السلطان بأنه قد سلم 10405 ريال إلى أمين المحلة التي كان يرأسها الوزير المعطي بن العربي الجامعي المخيمة الآن قرب قصبة عيون سيدي ملوك، يكتب ما يلي:

«... وأما المثونة، فالعادة فيها هي من أدى جميع ما عليه، تسقط عنه وترد على من لم يدفع، إظهار للمزية المعجل بالتنفيذ واستنهاضاً للنازليين عليه في شأن ذلك والسلام...»¹.

ومن مظاهر عناية المخزن بحراك القبائل، وتشجيعهم على الانضمام إلى حملاته العسكرية هنا وهناك، وبالخصوص في الأماكن النائية، منحهم مواد المؤونة كاملة، أو على الأقل جزءاً منها، كما نستشف ذلك مما كتبه قائد قبيلة السُّبْحَاثَرَة من عبدة، محمد بن عمر العبدى إلى السلطان، حيث نقرأ ما يلي:

«... فليعلم سيدي وأن مخازنية خدام سيدنا عبده، فمن عاقدتم مع سيدنا أنهم حين تكون المؤونة كثيرة من القبائل، يقبضون مؤونتهم، لأنهم من جملة الجيش السعيد...»².

1- خ. س، ك 162، ص. 36، الرسالة بتاريخ 23 رجب 1307 / 15 مارس 1890. وكانت تسلم، لمن يطلبها من القواد، شهادة بترثة الذمة، كانت تحرر على النحو الآتي: «الحمد لله، توصل كاتبه سامحه الله من القائد حميدان السجعي بمثونة المحلة السعيدة عند مبيتها عنده، وقام بالواجب من ماله الخاص...».

خ. س، مح. ح رقم 264، الوثيقة بتاريخ 23 ربيع الثاني 1307 / 17 دجنبر 1889. ووقع على هذا الإشهاد المعطي بن العربي بن المختار الجامعي السابق الذكر. وإلى نفس المعنى أشار أحد قواد قبيلة بني موسى من تادلة، في كتاب موجه إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى، حيث نقرأ ما يلي: «...ومن أدى ما وجب عليه من الواجب، تسقط عنه المثونة...».

خ. س، مح. م. ع. رقم 1/414، الوثيقة بتاريخ 27 محرم 1315 / 28 يونيو 1897.

2- خ. س، مح. س. م. ع. رقم 42، الوثيقة بتاريخ 16 ربيع الأول 1289 / 24 مايو 1872.

وكان يحدث أيضاً ألا تتوصل الحملة بالموثونة.

«لا دراهم، ولا طعام، لذكر الأمين المال انقضى له، وكان النهب في زرع غيثة...».

كما كانت الكميات الممنوحة للجند والحراك من مواد الموثونة تتغير بحسب المقادير التي كان يتمكن المخزن من استخراجها من القبائل. فإن كانت وفيرة، استفاد الجميع منها، بل كان يزداد لهم فيها أحياناً، وإن تقلص حجمها، اقتصر التوزيع على الجند النظاميين فقط، مع تخفيضها. وهذا ما حدث فعلاً لأفراد هذه الحركة نفسها، عند حلولهم بموقع عين زورة ببلاد المطالسة، حيث قبضوا.

«الحوالي بحسب 3 للمائة فقط... والدقيق بحسب 4 للمائة، والسمن بحسب 2,50 (أرطال للمائة طبعاً)، والضأن بحسب 1,75 (أي كبشان إلا الربع للمائة كذلك)...»¹.

وبما أن الموثونة كانت مرتبطة بظروف القبائل المعيشية والمالية، أي بتوفر المحاصيل الزراعية ورؤوس الماشية أو نقصانها، فإن المخزن كان مضطراً إلى التكيف مع هذه الظروف، وأخذها بعين الاعتبار، قبل الشروع في توزيعها على الجند والحراك، ومن ثمة التغير الذي كان يطرأ على مصادير المواد الممنوحة، والتي كانت تعطى نقداً، إما بأتمها أو جزء منها، كما يتبين لنا ذلك من الفقرة الآتية:

«...وفي 12 منه (صفر 1285)، قبضت الحملة الموثونة دراهم على العادة، إلا أن الرجل (أي الرامي) قبض نصف الموثونة لكونه قبض حوالي والدقيق...»².

¹ - خ. س، ك 772، ص. 35، وص. 81 وما بعدها، الوثيقة بتاريخ 4 رجب 1292 / 6 غشت 1875.

² - خ. س، ك 298، ص. 285.

ومن الملاحظ في هذا الصدد كذلك، أن المخزن كان يعتني أكثر بعناصر
الكتائب والتجريدات التي كان يتم إرسالها إلى الجهات النائية من البلاد والصعبة
المنال. وهذا ما تكشف النقاب عن بعض جوانبه رسالة الوزير الصدر أحمد بن
موسى إلى أمين المحلة التي كانت معسكرة بتراب قبيلة بقيوة بمنطقة الريف
الأوسط، محمد الغناوي، حيث بين له فيها قدر ما يعطى يومياً إلى رجالها البالغ
عددهم 935 شخصاً، قواداً وأنفاراً، خيالة ورجالة، على النحو الآتي:

الخيالة:	13,50	أوقية للواحد، بالإضافة إلى الدقيق وعلف الفرس.
الرجالة:	8,50	أواق " " "
المقدمون:	10	" " " "
قواد المائة:	20	أوقية " " "
خلائف:	30	" " "
قواد الرحي:	40	" " "

وكان جميع هؤلاء الحراك ينتسبون إلى طوابير عسكرية تمثل عدداً من
قبائل حوز مدينة مراكش كالسراغنة، وزمران، ومزوضة، وحاحة، ومتوكة.
وكان حظ كل واحد منهم من الدقيق 5 أرطال في اليوم، الأمر الذي يعطينا
فكرة عن الريادة في هذه المادة أو غيرها والتي كانت تحدث هنا وهناك، بحسب
الظروف والملابسات¹.

¹ خ. س، ك 734، ص. 69. الوثيقة بتاريخ 20 شعبان 1317 / 24 دجنبر 1899.

وبديهي أن مقادير مواد المؤونة التي كان المخزن يفرضها على القبائل هنا وهناك، كانت تحدد بالنظر إلى أعداد رجالها ودوايها، والأهداف المتوخاة من الحملة العسكرية، ونوعية العلاقات التي تربط المخزن بالقبيلة أو القبائل المقصودة، وظروف عيش السكان وإمكاناتهم المادية والمالية، إلى غير هذا من الاعتبارات والمعطيات التي كان المخزن يأخذها مأخذ الجد وينسج على ضوئها خيوط سياسة تعامله مع مختلف مخاطبيه. الأهم من هذا وذاك، أن يشعر الجميع "بحرارة المخزن"، حسب تعبير العباس بن محمد بن العربي الجامعي الوارد في رسالته إلى السلطان، يطلعه فيها على أوضاع المحلة التي كان على رأسها في فحص طنجة سنة 1310¹. وهذا ما يفسر أيضاً عدم انتظام توزيع المؤونة على عناصر الكيش والعسكر، وتوصلهم بها أحياناً، وانقطاعها عنهم أحياناً أخرى.

وبخصوص المؤونة التي كان يتسلمها قواد الكيش والعسكر، عند حلولهم بجهة من الجهات، في مهمة مخزنية كانت تقتضي تنقلهم على رأس كتيبة من خيالة ورجالة فرقهم، فتنطبق عليها هي كذلك نفس الملاحظات التي سبق وأن أبديناها حول نوعية وكثرة مادتها والتي كان يستفيد منها المشاركون في المحلات السلطانية، والحركات المخزنية.

وأما الخصومات، والمنازعات، والشكاوى التي كانت تتسبب في خلقها للمؤونة وشؤونها بين مختلف الفرقاء المعنيين بأمرها، مخزناً كان، أم قواداً وقبائل، ويتكرر الحديث عنها في مصادرنا، فيمكن إجمال أهمها وأخطرها في النقاط الآتية:

- عبء المؤونة على السكان.

¹ - خ. س، مح. ح رقم 310، الوثيقة بتاريخ 11 محرم 1310 / 5 غشت 1892.

- معاناة الجند والحراك من عدم انضباط أمرها وانتظام مواعيد التوصل بها.

- اختلاس موادها وتلاعب بعض المسؤولين العسكريين وغيرهم بشؤونها.

فيما يتعلق بالنقطة الأولى، أي بتشكي قواد القبائل من إئقال كاهل إخوانهم بشئ أنواع العطاءات والتوظيفات، وفي مقدمتها مطالبتهم كل مرة بالمؤونة، فإننا نتوفر على مئات الوثائق التي يرد بها الحديث عن هذه الجوانب، نكتفي هنا بإدراج فقرات من بعضها. ففي واحدة منها، وهي عبارة عن رسالة جماعية وجهها إلى السلطان المولى الحسن قواد قبيلة التسول الأربعة، نقرأ ما يلي: «... نعلم سيدنا أن المحلة كلها كانت تخرج لإيالتنا، خيل وعسكر، واستفعت كلها بالسخاري. وحتى القياد كانوا يخرجون أصحابهم باليابة عنهم بالسخرة لقييلتنا مع قبيلة البرانيس. واليوم ما بقي من نقبض شيئاً، لأن القبيلة كلت وضعفت من كثرة دفع المؤونة، وطال بها الحال، وفر كثير منها للقبائل، وهذه مدة تزيد عن شهر ونحن نمون من عندنا خاصة، وقد أقل ما بيدنا من الطولة، ولا بقي لنا ما نعالج به...»¹.

وعبر عن نفس الإحساس والواقع الشيخ عبد القادر بن محمد الهواري، وأمينان معه، باسم إخوانهم من قبيلة هواة "الوطا"، وهواة "الحجر"، في رسالة إلى عاملهم الباشا سعيد بن فرجي، يستعطفونه فيها لكي يرق قلبه من حالهم، ويرحمهم، نظراً لضعفهم وقلة ما بأيديهم، بعد أن تكالب الجراد على بلادهم، وأتى على الأخضر واليابس، وإساءة القبائل المجاورة إليهم وتضييقها الخناق عليهم، سيما وأن:

1- خ. س، مح. ح رقم 244، وثيقة بتاريخ 12 رمضان 1301 / 6 يوليو 1884.

«... هذا العسكر النازل علينا تعرف حاله، ومثوته غليظة، ولا عذر فيها، ولا وجدنا من يعطي شيئاً، والقبيلة دخلها الفرار والهروب...»¹.

ويبدو أن العامل لم يستجب قط إلى نداء محكوميه، حيث ورد في إشهاد بإمضاء أمين الداخل علي بالحاج بأنه توصل منه بمبلغ مالي قدره 1200 ريال، وذلك «قبال المال الموضف على هواره الوطا...»².

وعن معاناة الجند والحراك في المناطق النائية، المعروفة بضعف وهزال إمكاناتها ومواردها الفلاحية، أو التي لم يكن دائماً أهاليها منقادين تماماً إلى الأحكام والأوامر المخزنية، فحدث ولا حرج، إذ يكاد موضوع التراسل بين المخزن وممثليه في هذه الجهات، كلما دار الحديث عن الحركة والحراك، يقتصر على مسألة المؤونة وشؤونها.

فبالإضافة إلى تهرب القواد وتملصهم من القيام بفريضة المؤونة، وامتناع أتباعهم كذلك بتقديم أدنى كمية من مواد الغذاء والعلف، الأمر الذي كان يؤدي لا محالة إلى انقطاعها عنهم أياماً وأسابيع، ولاسيما حين يكون أمين الحركة خالي الوفاض من المال للتغلب على هذه الصعاب، فإن ظاهرة غلاء السلع والمنتجات، وقتلتها في هذه الجهات تكاد تكون مزمنة، فتساهم بدورها في تشديد الخناق على الجند والحراك معاً، فيتحول بعضهم، إن لم يكن جلهم إلى قطاع الطريق، ينهبون القوافل، ويسطون على المداشر والقرى، ويسلبون الناس أمتعتهم ومدخراتهم.

¹ - خ. س. ق. ح. مع. ح. ملف رقم 10، الوثيقة بتاريخ 28 شعبان 1309 / 28 مارس 1892.

² - نفس المرجع أعلاه، والوثيقة بتاريخ 25 ذي الحجة 1309 / 21 يوليو 1892.

فهذا مثلاً القائد رح أسعيد السغروشي، كبير المحلة التي كانت قد توجهت إلى ناحية وجدة، ومعهن الوزير المعطي بن العربي الجامعي والتي سبق أن ألقنا إليها في فقرة سابقة، سنة 1306 هـ، وبعد أن أطلع السلطان على وقائع سفرهم إلى أن حلوا وسط قبائل المنطقة، طالب قواد أنكاد وبني يزناسن بتقديم المؤونة وتوابعها، إلا أنه لم يحصل معهم ولا مع غيرهم على طائل، اللهم ما كان قد توصل به من القائدين حمادة بن المختار البوزگّاوي، ومحمد ويدة السوسي. ولما طال انتظاره، وأعيته مراوغاتهم، ويئس من أمرهم بعد أن «امتنعوا من دفع القائمة الشعير، والدقيق، والسمن، والحولي، وأرادوا دفع مؤونة الدراهم فقط...»، تركهم وشأنهم، محتتماً رسالته بالإشارة إلى أن:

«الريال بوجدة ونواحيها ب 25 أوقية، والعلف متاع الفرس سوم

22 فاسي، والخبزة ثمنها 3 أواق، والسمن بنصف ريال، واللحم بفرنك

للرطل الصغير¹...» .

ويبدو أن أوضاع هذه المحلة لم تزد، مع مرور الأيام بل الشهور إلا تدهوراً وتفاقماً، إذ لا أحد من أهالي المنطقة قد التفت إليهم، ورق من حالهم، ولا السلطان وأعوانه الكبار قد مدوها بما كانت في حاجة إليه من مال وغذاء، بل تركوها ومصيرها المتدني، إذ نقرأ في رسالة أخرى وجهها نفس القائد إلى السلطان، في 4 شعبان 1306، الموافق لـ 5 أبريل 1888، أي بعد مضي أربعة شهور بالتقريب على رسالته الأولى، ما يلي:

¹ - خ. س، مع. ح رقم 174، الوثيقة بتاريخ 5 ربيع الثاني 1306 / 9 دجنبر 1888.

«... أن المحلة السعيدة ءال أمرها إلى الضياع. فهذه خمسة وثلاثون يوماً لم قبضت المونة، والبلد أسعارها غالي... والله، يا سيدي، إلا جميع المخزني يبيعون التاليس الذي يتغطون بهم، ويبيعون رسن الخيل...»¹.

وما دمنا في هذه المناطق الشَّمالِيَّة الشرقية، لا بأس أن نذكر هنا التجربة المرة والقاسية التي عاشها قائد آخر مع قواد هذه الربوع وقبائلها، ويتعلق الأمر بالقائد محمد بن الخضر السللاوي الذي سبق أيضاً وأن تحدَّثنا عن مجيئه إلى وجدة وناحتيتها، في ركب الأمير مولاي عمر سنة 1309-1310هـ.

1- خ. س، مع. ح رقم 182.

أشار القائد حمادة بن المختار البوزكَاري، في معرض حديثه عن مئونة هذه المحلة وما وجب عليه منها، إلى أن الواجب على كل واحد من قواد "الوطن" الذين كان عددهم وقتئذ عشرين قائداً، هو 72 ريالاً في كل يوم، وأنه قد أدى ما كان عليه تقديمه منها.

- خ. س، مع. رقم 185، الوثيقة بتاريخ 16 جمادى الثانية، 1306 / 17 يراير 1889. وتضمن تقييد لأمين هذه المحلة حول نفس الموضوع، أسماء ولاية "الوطن"، كالحاج بوبكر السهلي المهايوي، ورمضان الزكراوي، وحمادة بن المختار البوزكَاوي المذكور، والحاج محمد ويده السوسي، وعبد المالك السعيد (عامل وجدة وقتئذ)، والحاج محمد ولد البشير أمسعود اليزناسني وميمون ولد لهليل، وعبد القادر بوترفاس...، ومن قدم المؤونة منهم ومن لم يفعل، وكم من مرة في حالة الدفع، محتتماً تقييده على النحو الآتي:

65	«فجميع ما صيرت على المونة قدرها
21	يحط منه ما قبض بمنته

41	يبقى.....
----	-----------

8631	وجب فيها ريال، سوم 72 للمونة
0800	وبعلمك سلف للحاج السهلي وغيره

« 3968

جميع هذا

- خ. س، ق. ح، مع. ح، ملف رقم 17.

ويبدو مما ورد في رسالته إلى السلطان، حول معاناة ومحن الحملة ورجالها، أنهم يمرون بظروف حرجة وصعبة، حيث هلكت الدواب من قلة العلف، بل من انعدامه، ولاذ حراك القبائل بالفرار إلى درجة لم يبق منهم مع الحملة سوى ثمانين فارساً، من أصل سبع مائة ونيف من الخيالة. والأدهى، يضيف بن الخضر السلاوي، أن أهالي "الوطن"، حين أيقنوا:

«فرار جل الحملة، اشتغلوا بإذابتها، والتضييق عليها بالتعرض لمن يتوجه منها مسوقاً أو مسافراً، ونهبهم في الطرقات، وضربهم بالبارود...»¹.

وهذا يعني أن هيبة الحملة قد ذهبت أدراج الرياح، وانقلبت الموازين، وَخَفَتْ صوت المخزن في هذه الأصقاع والتخوم الشرقية بصورة قد لا تبعث على الارتياح.

وليت الأمر كان يقتصر على هذه الجوانب ولم تكن تنضاف إليها عوائق ومتاعب أخرى، تنصدها على الخصوص ظاهرة ارتفاع أثمان المواد والأقوات في هذه النواحي النائية، مما كان يؤدي حتماً إلى تقلص القدرة الشرائية للقواريط التي كانت تسلم إلى الحاركين من عناصر تنظيمات الكيش والعسكر.

فقد أثار هذه المسألة وغيرها النائب السلطاني محمد بن العربي الطريس، في رسالة وجهها إلى وزير البحر محمد المفضل غريط، بمناسبة وصول قائد الرحى محمد الشاوي وجنده من الفرسان والرماة إلى مدينة طنجة، وشروعهم في مباشرة العمل الذي كلفوا بإنجازه في عين المكان. ولكن، ما أن مضت بضعة أيام على ذلك، حتى جاءه القائد العسكري المذكور، متشكياً مما لحقه ورفقائه من ضرر

¹- خ. س، مع. ح رقم 435، وثيقة بتاريخ 16 ربيع الثاني 1310 / 7 نونبر 1892.

فادح، بسبب هزال ما كان يعطاهم في مؤونتهم اليومية، وهو ست أواق للنفر، مضيئاً بأن من شأن ذلك أن يؤدي إلى هلاك الدواب، وفرار الأصحاب، وبالتالي إفشال المأمورية المخزنية التي كلف بقضائها، وكلها أمور لا ينبغي السكوت عنها، لاسيما وأن «العلفة من الشعير هنا الآن بسبعة وثلاثون أوقية ونصف، والخبزة بستة أواق. فمؤنة الفارس عن مدة أيام 7، إنما تكفيه لعلفة واحدة وخبزة واحدة. وهذا الأمر يرسمه الأعادي في الجوازيط، فيشمتون بنا، فلتقف في تحية ذلك ولا بد...»¹.

وعلاوة على هذه العيوب والنقائص، ينبغي الإشارة هنا، قبل أن ننهي حديثنا عن المؤونة، إلى ظاهرة تدخل قواد الكيش والعسكر، وكذا بعض أعوان المخزن الكبار المرافقين للمحلة في شؤونها، وإصرارهم على الانفراد بعملية توزيعها على مستحقيها، بهدف اختلاس مقادير من موادها، أو الاستحواذ على كميات هامة منها وترك الباقي يقتسمه الأنفار والحراك، أو الاحتفاظ بأنصبة المتغيين، أو الفارين، أو القتلى من رجالها، مبعدين بذلك الأعوان المختصين في هذا المجال، وهم "العلافة" الذين كانوا يعملون تحت إمرة "العلاف" الكبير أي وزير الحرب.

¹ - م. و. م. ر، مح 2، وثيقة بتاريخ 25 جمادى الثانية 1309 / 26 يناير 1892.

ورد في رسالة مماثلة لهذه، وجهها الطريس المذكور إلى السلطان، يوماً واحداً بعد التاريخ أعلاه، أن عدد الخيالة الذين كانوا في رفقة القائد الشاوي هو مائتا فارساً، وأن الرجال الذين كانوا معه كذلك كان يعطاهم في مؤونتهم اليومية عشر موزونات، في حين كان يدفع في علف الدابة اليومي خمس أواق، وأن الريال في طنجة وناحياتها يصرف ب 125 أوقية، وأن فمن المد من الشعير يصل إلى مائة وخمسين أوقية، وأن ثمن القطعة الواحدة من الخبز بليون واحد، أي ست أواق وربع.

- خ. س، نفس المرجع أعلاه.

ومن أغرب الحالات التي عثرنا على أثر لها في الوثائق، ما أقدمه باقتراحه من مخالفة في هذا الصدد الفقيه الكاتب والوزير الصدر فيما بعد، ابن عم الحاجب أحمد بن موسى، المختار بن عبد الله بن أحمد الذي نقرأ عن تصرفاته، بينما كان في ركب الأمير المولى العباس، ما يلي:

«...فقد بلغ للعلم الشريف أسماء الله، أن المؤنة التي ترد من العمال المكلفين بدفعها تحوز لنفسك نصفها تستبد به، وجميع الجيش والعسكر السعيدين يحوزون النصف، وحزت جميع مؤنة آيت الربيع حيث كان العمال هنالك، وما دفعت لأحد منها شيئاً، وتركت الجيش والعسكر للضياع...»¹.

3 - 2 - 2 فريضة حمل أثقال المخزن

تعرضنا آنفاً، إلى رصيد المخزن من دواب الحمل والركوب، ومن الأنعام كذلك، وقلنا إن بعضها كان يودع في العذائر المنتشرة في ربوع البلاد، وبالخصوص في السهول الأطلسية وناحيي الهبط وفحص طنجة، وأما البعض الآخر فكان يسلم إلى عدد من قواد القبائل بقصد صيانتهم إلى وقت الاحتياج إليه.

فهذه الدواب، الإبل والبغال على الخصوص، بالإضافة إلى سواعد الرجال في بعض الحالات، كانت تمثل الوسيلة الوحيدة بيد المخزن والتي كانت تسخر في نقل العتاد الحربي والذخيرة، ولوازم الجند وأدواتهم العسكرية، وأمتعتهم، ومواد المؤونة وعلف الدواب، إلى غير هذا مما كان يتوقف عليه عملهم، ومتطلبات تسيير شؤون الدولة ومرافقها، إذ لا أثر في البلاد للعجلات والعربات وما شابهها².

1- خ. س، و. ز، مج 6، وثيقة رقم 190، وهي عبارة عن رسالة نائب الوزير محمد بن أحمد

الصنهاجي إلى الفقيه المختار بن عبد الله، بتاريخ 4 شوال 1308 / 13 مايو 1891.

2- A.G.V, 3 h 1, Cap. Burel, op. cit., p. 11 et suiv.

يقول النقيب إركمان في هذا الصدد، متحدثاً عن نوع وحالة الطرق والمسالك التي كان يتوفر عليها المغرب وقتئذ، وبالخصوص المسلك الرابط بين مكناس ومراكش، عبر العدوتين سلا ورباط الفتح، بأن الوسيلة الوحيدة التي يمكن التعويل عليها في حمل العتاد الحربي الثقيل، أي المدافع والمهاريس هي الإبل، ولكن شريطة ألا تتعدى حمولة البهيمة الوحيدة 200 كلغ¹.

على أن مسألة حمولة الإبل والبغال على السواء، كان السلطان وأعوانه يولونها عناية خاصة واهتماماً متواصلاً، كثيراً ما نجد لهما آثاراً متعددة في الوثائق. فقد ورد في رسالة السلطان المولى الحسن إلى قائد قبيلة هنتيفة الجبلية، عبد الله بن محمد الهنتيفي، رداً على ما كان قد أخبره به هذا الأخير، في شأن عصيان "فساد زناكة"، وما اتخذته حتى الآن من تدابير وإجراءات لحملهم على الطاعة والإذعان إلى الأوامر المخزنية، ملتصقاً مده بمهراس، ما يلي:

1- A.G.V, 3 h 3, Note du 16 Novembre 1879, p. 5.

يبدو مما تتضمنه وثائقنا أن الوزن الأقصى الذي ذكره هنا هذا الضابط الفرنسي، هو الذي كان يعمل به المخزن في نقل أثقاله على ظهر الإبل. فقد جاء في وثيقة بتاريخ 9 رجب 1290، الموافق لـ 2 سبتمبر 1873، أن «أربع قناطير من البارود يحملها جملان...».

- خ. س. ق. ح. مع. س. م. ع رقم 41، رسالة الحاجب موسى بن أحمد إلى الخليفة مولاي الحسن.

وأشارت وثيقة أخرى، حول نفس الموضوع، إلى «أن الخمس والأربعين جملاً التي أمر عامل الشياظمة بتنفيذها إلينا لحمل المثونة للمحلة السعيدة، قد عجلَ بتنفيذ ثلاثين منها، ووقرنها بما تسع حملة من ذلك وهو ستون قنطاراً مناصفة بين الكسكسون والدقيق فتوجهت...»، أي أن حمولة كل بهيمة هو قنطاران.

- خ. س. مع. ح رقم 105، رسالة أمناء الصورة محمد بن عبد الرحمن بريشة، ومحمد بن زاكور، وعبد الرحمن بن الحسن، بتاريخ 10 رجب 1303 / 4 أبريل 1886.

«... وأما المهراس، فها نحن نفدناه لك من مراکش مع العارفين بحربه والذي يستعمله من هنا. وعليه، فوجه الظهر لحمله، إن كان الإبل فأربعة 4، وإن كان البهائم (أي البغال) فثمان 8، وأصلة لوصيفنا الحاج أحمد أمالك...»¹.

وهذا الحاجب موسى بن أحمد يكتب إلى أخيه الفقيه عبد الله بن أحمد، باشا فاس، مخبراً إياه بتشكي:

«الحمارة بنقل ما تحملون لهم على البهائم، وطلبوا أن يقتصر على قطار ونصف للبهيمة لطول الطريق، وحرارة الوقت، فالعمل على ذلك...»².

وإذا كانت عملية نقل لوازم وأدوات الجنود والحركة، من نقطة إلى أخرى، بما في ذلك البنادق والذخيرة، تتم دون عناء كبير وجهود مضنية، فإن الأمر كان على خلاف ذلك، حين كان يتعين نقل الأسلحة الثقيلة، كالدفاع ذات الأحجام والقياسات الكبرى، أو أجزاء وقطع الآلات التي صار المخزن يجلبها من أوروبا، ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في إطار مساعيه الرامية وقتئذ إلى تحديث عدد من القطاعات الصناعية، والعسكرية في البلاد. وهكذا، كان نقل مدفع واحد من نوع كروب (Krupp) الألماني الصنع، يتطلب توفير ما لا يقل عن ستة عشر جملاً، وهذا طبعاً في السهول والمناطق الوطيئة فقط.

وأما في المناطق الجبلية، والتي كانت تكثر فيها الانحدارات الشديدة، والأودية العميقة، فلا سبيل لاستعمال لا الإبل ولا البغال في حمل أي نوع من العتاد الحربي الثقيل، وإيصاله قريباً من مواقع تمنع وتَحَصِّن المتمردين، بهدف تدمير معانقلهم، وإخراجهم من مخابثهم، وإرغامهم على الاستسلام والإذعان إلى

1- خ. س، مع. ح رقم 145، الوثيقة بتاريخ 17 شوال 1301 / 10 غشت 1884.

2- خ. س، و. ز، مع 10، وثيقة رقم 284 بتاريخ 5 رجب 1293 / 25 يوليو 1876.

أوامر قوادهم. فما كان ينفع ويُمكنُّ من تحقيق المراد حُمِّلَت أجزاؤه على
أكتاف الرجال، أو جُرَّتْ بالأيدي والسواعد.

ففي رسالة للقائد مَحمد بن الطالب الهنتيفي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن
بن هشام، بتاريخ 28 شوال 1266، الموافق لـ 6 سبتمبر 1850، يطلعه فيها على
سير العمليات الحربية ضد "ظلامة أنفسهم"، أي المتفضين من أتباعه، نقرأ ما
يلي:

«... وربطنا في بلد أيت بُؤْلِي (فرقة من إيالة القائد علي أُوْحْدُو الدمناتي)،
وطلبنا من سيادة مولانا الخليفة حفظه الله إمدادنا بالبوز مع إقامته، وعجل
لنا به أعزّه الله وأبقاه لنا عزة وعمدة، وبعثه لنا على طريق دمنات، ورفع
على أعناق الرجال في كل هذا الجبال إلى أن بلغ أيت بُؤْلِي. ولما تحقّقوا به،
وثبت لديهم أنه المؤثر في قصر بني مَسَّاط، وقصور بني عَتَّاب فيما مضى،
ذهلوا، وشغلوا، وما قدرُوا على مقابلة ولا على مقاتلة...»¹.

وأشار السلطان المولى الحسن إلى نفس الظاهرة، في رسالة وجهها إلى
"وصيفه"، عبد الله بن أحمد، باشا فاس، حيث خاطبه قائلاً:

«... فنأمرك أن تكلف الزراهرة من إيالتك أن يجروا بالأيدي الكريطة
الواصلة إلى تراهم إلى أن يخرجوها إلى تراب من يليهم...»².

وأياً كان الأمر، وسواء ساهمت القبائل بسواعد رجالها، أو بدواب
"الديوان"، أي التي يتعين عليها تقديمها إلى المخزن برسم الفريضة، أو "الصيانة"،
أي التي كانت قد تسلمتها من ممثليه بهدف الاحتفاظ عليه إلى وقت الاحتياج
إليها والذي غالباً ما كان يصادف نفوذ السلطان إلى الحركة، فإنه يتراءى لنا

¹- م. و. م. ر، مع مراکش.

²- خ. س، و. ز، مج 29، وثيقة رقم 205 بتاريخ 27 محرم 1303 / 5 نونبر 1885.

من المصادر، وبكامل الوضوح، أن مجموعة من القبائل كالسراغنة، والرحامنة، وعبددة، ودكالة، والشاوية، وبني أحسن، وبني مالك، وسفيان، وأعراب سايس، كانت تغطي معظم حاجياته من الإبل على الخصوص، في حين نجد أن قبائل الدير مثلاً، وجباله، وتادلة... كانت تتولى أمر تزويده بالبغال¹.

وأما باقي القبائل، وما أكثرها، فكان يكتفي بمطالبتها، بين الفينة والأخرى، ولاسيما حين كانت المحلة السلطانية أو الحركة المخزنية، تحل بأراضي إحداها، بمد ممثليه من الأعوان، أو من قواد الكيش والعسكر بعدد من الإبل والبغال، لاستخدامها في نقل أثقاله².

1- خ. س، مح. م. ع. ع رقم 1/407، وثيقة بتاريخ 12 ذي القعدة 1318 / 3 مارس 1901، حيث أمر القائد محمد أثقلس بإعداد ما وجب عليه من "جمال الديوان" وما كان مودعاً عنده من "جمال الصيانة".

وعن القبائل التي كانت تزود المخزن بأكبر عدد من الإبل، انظر على سبيل المثال لا الحصر:

- خ. س، ق. ح، مح. ح، ملف رقم 4، الوثيقة بتاريخ 5 ذي القعدة 1304 / 27 يوليو 1887.

2- هذه الوثيقة هي عبارة عن رسالة وجهت إلى خليفة الباشا سعيد بن فرجي، على قبيلتي مزيات ورغوية، والسلطان المولى الحسن في طريقه إلى مراسي الشمال، قادماً إليها من مدينة فاس. ونقرأ فيها، على الخصوص، ما يلي:

«... وليكن إتيانهم (إخوانه) بحركتهم على زيهم المعلوم من الطبول والمزامير، ولتصحب قبيلة مزيات معها 10 من البغال وجبت عليهم وسط القبائل الجبلية بأحلاسها، وقبيلة رغوية يأتون ب 6 من البغال كذلك...».

خ. س. مح. ح رقم 179، وثيقة بتاريخ 28 شوال 1306.

وأما المثال الثاني، فنقتبسه من رسالة نفس السلطان إلى مسعود السلاسي، وهي بتاريخ 12 ذي القعدة 1306، الموافق لـ 10 يوليو 1889، أي أنها حررت في ظروف تحرير الرسالة السابقة أعلاه، حيث خاطبه قائلاً: «...عند ورود المائتين والأربع وخمسين من الإبل الحاملة لأثقالنا السعيدة، نأمرك أن تعينها بمائتي بغلة من إياتك حتى يغادروا تراب قبيلتك...».

ومن العوائد والأعراف، في هذا الصدد، والتي كانت تضبط تعامل المخزن مع عدد من القبائل، وخاصة النائية منها، ما ورد في رسالة الوزير الصدر أحمد بن موسى إلى أحد قواد قبائل الحوز، حيث خاطبه قائلاً:

«... وصل كتابك بتضرر الجمالة المتوجهين صحة الخلة حاملين المدفع السعيد وإقامته، وقش مولاي عثمان وطلبهم التسريح طالباً ما يكون عليه العمل في ذلك، وأهيننا ذلك لمولانا أعزه الله، فأجاب دام علاه بأن العادة في حمل أثقال الخلة السوسية هو أن الجمال التي تحملها من حضرتها الشريفة بالكراء، ثم... أول حلول الخلة بتراب سوس تسرح لحاها، وأهل التراب يحملون بدلاً عنها من تراب إلى تراب وهكذا...»¹.

ومن صور هذه العوائد والأعراف أيضاً إسهام قبائل الكيش، هنا وهناك، في نقل أثقال المخزن. فقد كان يتعين على شراردة أزغار القيام بهذه الفريضة، على الأقل في عهد السلطان المولى الحسن، كلما توقفت الخلة السلطانية بمدينة رباط الفتح، قادمة إليها من الجنوب، كما نفهم ذلك مما جاء في رسالة القائد عبد الله بن علي الزراري إلى العاهل المذكور في هذا الشأن، حيث قال:

«... ورد علينا الكتاب الشريف... بما هو مقرر عندنا ومعلوم أنه إذا رجع من الحوز للغرب بالسلامة، نعين الخلة السعيدة بثلاثمائة من الإبل من إبل القبيلة تحمل أثقالها، بحيث إن حلال بالرباط يجدها موجودة أو جلها ميسرة وفق المراد...»².

¹ - خ. س، ك 776، ص. 159، وثيقة بتاريخ 2 صفر 1314 / 13 يوليو 1896.

² - خ. س، مح. ح رقم 131، وثيقة بتاريخ 20 قعدة 1304 / 10 غشت 1887. وأمر القائد علال بن الشليح الشراي بإعطاء ما نابه من عدد الإبل المذكور، أي 300 جملاً، وسط عمال الشراردة.

خ. س، مح. ح رقم 129، وثيقة بتاريخ 5 ذي الحجة 1304 / 25 غشت 1887. =

وعن تقسيط دواب الحمل على عناصر الكيش، والعسكر، والحناطي، قبيل انطلاق موكب السلطان، تحدث تقييد بتاريخ 15 رجب 1284، الموافق لـ 12 نونبر 1867، حيث كان ينفرد كل مائة رجل بخمسة بَعَالٍ أو "روام" لحمل معداتهم وأمتعتهم. ونعلم أيضاً مما ورد في هذا التقييد أن عدد عناصر "المسخرين جملة"، أي الكيش والحناطي معاً، والذين شملتهم عملية التوزيع هذه قد بلغ 3568 رجل، في حين وصل عدد العسكر إلى 7567 نفر، الأمر الذي قد تطلب توفرهم على حوالي 112 بهيمة¹.

وفي مقابل هذا، كان المخزن يلزم قواد الفرق التي يتلف إخوانهم بهيمة أو أكثر من البهائم، خارج ميادين القتال، أو في قضاء غرض لا علاقة له بالخدمة المخزنية، عسكرية كانت أم تسخيرية، بغرم أئمتها، فيعمل العلفة والأمناء على استخلاص القدر من المال المستحق من رواتبهم، إما مرة واحدة، أو مقسطاً على عدد من الشهور، في حين كانت الدواب التي يتسلمها من القبائل، بعد أن يكون القواد قد فرضوا ثمن شرائها أو كرائها على إخوانهم، حيث يهلك عدد منها أو يضيع، في الطريق، أو في مخيم المحلة، فإن الخسارة كانت تتحملها القبائل التي كانت تصدر إلى قوادها الأوامر على الفور بتوجيه

= ونقرأ في رسالة أميني البنيقة المراكشية، محمد القباچ وعمر لبريس إلى الحاجب أحمد بن موسى، في هذا الشأن، ما يلي:

«... والعادة، في ذلك، أن ما يجب على هَلْ سُوس لَمَنْتِهِي، وَحَرْبِيل، وَتُكْنَه، وَدَاوْبِلَال، وَأَوْلَاد دُلَيْم، يقطع لهم من رواتبهم وهو كراء اثنا عشر جملاً، وما يجب على عايت بمرور هو كراء ثمانية عنها ريال 64، يؤدونه عمالهم...».

- خ. س، مح. ح رقم 127، الوثيقة بتاريخ 16 جمادة 1304/ إما 10 يراير أو 12 مارس 1887.

1- خ. س، ق. ح، مح. س. م. ع، ملف رقم 3.

بديلها إلى حضرة السلطان، ليساق من ثمة إلى جبهات القتال. وإلى ذلك، أشار قائد فرقة أولاد بوزرارة من قبيلة دكالة، المعطي بن المحجوب الزراوي في رسالة موجهة إلى السلطان، حيث قال:

«... والإبل كما يعلم سيدنا نصره الله في كل حركة تضع على الكمال،
ونحتاج إلى تخليف آخر، والخيال المقيدة علينا في الكناش كلها أيضاً
ضائعة، ما عدا ثمانية منها دفعتها عام حركة بني مجيلد...»¹.

3- 2- 3 الامتناع عن المشاركة في الحركة

من خلال تتبعنا لعدد من المواضيع والقضايا كالتجنيد، والمشاركة في الحركة والحملات العسكرية الأخرى، وتقدم المؤونة والقيام بأعمال وخدمات لفائدة المخزن وممثليه في القبيلة والجماعة، تبين لنا أن جل هذه الفروض والتوظيفات والكلف المخزنية، إن لم تكن كلها، كانت تقع على عاتق سكان البوادي دون غيرهم. أضف إلى هذا استثناء و"تحرير" الفئات الميسورة وذات النفوذ المعنوي والمادي في المجتمع القروي نفسه، كأصحاب الخطط الشرعية، والدينية، والعلمية، والمخزنية، والأشراف وذويهم طبعاً، بالإضافة إلى طوابير المحميين الذين انضافوا إليهم، وصاروا يستفيدون من هذه الامتيازات، اعتباراً من أواسط القرن التاسع عشر، وبالنسبة بعد أن اضطر المغرب إلى التوقيع على وفق بكلار (Beclard) سنة 1863، إذ لم يكن جميع هؤلاء المحظوظين معينين بهذه الفروض والتوظيفات، اللهم ما كان من واجب الزكاة والأعشار الذي لم يكن باستطاعة أحد إعفاؤهم منه. ومن ثمة تحمل الفئات الشعبية وحدها، من صغار

¹ - خ. س، مع. ح رقم 203، وثيقة بتاريخ 12 رجب 1307 / 4 مارس 1890.

الفلاحين، والأجراء، والرعاة، و"الخماسة" هذه الأعباء، إذ كان يسخر ويستخدم أفرادها بدون شفقة ولا رحمة. وهذا طبعاً دون الحديث عما كان يتزل بساحتهم من آلام، وحرمان وبؤس، وما يتكبدونه من خسائر في النفوس، والضروع والزروع، حين كانت تتكالب على البلاد جائحة الجفاف وانحباس الأمطار، وما كان ينتج عنهما من خصاصة في الأقوات، وظهور المجاعة، وتفشي الأمراض المعدية والأوبئة.

ولا بأس أن نذكر هنا أن ظهائر "التوقير والاحترام" التي كان يخص بها السلاطين ذوي الحيشات الفكرية والمادية في المجتمع المغربي وقتئذ، في الحواضر كما في البوادي، تقدم لنا نماذج من الكلف والتوظيفات التي كانوا يعفون من إعطائها أو القيام بها. وينضاف إلى هذا الصنف من الوثائق، بالنسبة لسكان البادية نوع آخر يتمثل في هذه الإشهادات العديدة التي كانت تحرر على يد العدول، بمحضر أمين مرموق كان يحظى بثقة المخزن في المنطقة المعنية، وممثل عن العامل أو القائد، بمناسبة فرض قدر من المال على القبيلة، لمواجهة نفقة من النفقات الطارئة عليها، إذ كان ينص فيها مثلاً على إعفاء أو:

«طرح واجب طلبية العلم الشريف، والزواوي، والأساتيد الذين لم تجر عليهم عادة من الجناح العالي بالله...¹.

وكان يحدث هذا كله طبعاً مع أن الواقع الاجتماعي يشهد على أن هؤلاء الناس المحظوظين، كانوا يملكون وحدهم وسائل الإنتاج المختلفة، من أراض، وعقارات، وبهائم وأنعام، وكافة مصادر الكسب والاكتساب.

¹ - خ. س، مع. ح رقم 241، وثيقة بتاريخ 26 ذي القعدة 1307 / 14 يوليو 1890.

ونلمس فكرة عن هذا الجانب مما كتبه شيخ جماعة القُلَيْعَة من قبيلة الزراهنة، واسمه محمد بن عبد القادر القليعي إلى باشا فاس القدم عبد الله بن أحمد، بصفته متولياً على القبيلة المذكورة أيضاً، في شأن ما أمر هو وإخوانه بالقيام به من كلفة لفائدة المخزن حيث قال:

«... اعلم سيدي أن العوام لا بهيمة لهم كبيرة ولا عندهم إلا القليل من الحمير. وأما البهائم الكبار إلا عند الشرفاء والمرابطين... وأما إخواننا العوام لا يملكون بهيمة كبيرة أبداً قط...»¹.

أوردنا هذه الملاحظات، في بداية عرضنا هذا عن ظاهرة امتناع بعض القبائل عن المشاركة في الحملة السلطانية أو الحركة المخزنية، بهدف التمهيد لتساؤلنا عن الخلفيات والملابسات التي كانت تكتنف مثل هذه المواقف الراضية لكل تعاون مع المخزن وممثليه من قبل أناس لا حول ولا قوة لهم إلا فتوتهم، وموقع مناطقهم، وطبيعة أراضيهم الجغرافية.

ترى، ماذا عن الجهات والقبائل التي تتحدث مصادرنا عن رفض أبنائها المشاركة في الحملات العسكرية المخزنية؟ وهل كانت لهذه الجهات خصوصيات جغرافية واجتماعية كانت تنفرد بها دون غيرها، وتشجعها على الإصرار في عدم الإذعان إلى أوامر حكامها؟

الواقع أن معظم القبائل كانت تنفر من الحركة وشؤونها، ولا تتقبل بصدر رحب، ولا بارتياح كبير الدعوة للمشاركة فيها، إذ كان الناس لا يستجيبون لها إلا عن مضض، وتحت الضغط والتهديد. ثم إن ذوي الملاء

¹ - خ. س. و. ز. مج 9، وثيقة رقم 54 بتاريخ 29 صفر 1301 / 30 دجنبر 1883.

والوجاهة والنفوذ في سائر جهات البلاد، كانوا ينجحون دائماً في التملص من الحركة والإعفاء من الذهاب إلى جبهات الاقتتال، الأمر الذي كان يؤدي، لا محالة، إلى تجنيد بسطاء القوم وعامتهم.

وسوف ننطلق، في حديثنا هذا، من القائمة الآتية، أثبتنا فيها أسماء مجموعة من القبائل ذكرت وثائقنا أن أبناءها، في فترة من الفترات، تكاسلوا وتمارضوا في تقويم وتجهيز حركتهم، على سبيل الاستئناس فقط لا الشمولية والاستقصا، وهي على النحو الآتي:

الزبايدة، جاحة، السهول، هواره "الوطا"، صنهاجة "الجيل"، كبدانة، أيت سفروشن، بني يزناسن، أنكاد، المهايية، بني بوزكو، الزكارة، التسول، بني سادن، زناتة، أيت الربع، أهل سوس بقصبة مراكش، زمور، غمارة، بني مزكلدة، بني شكّال من قبيلة بني عَمير بتادلة، أولاد عاجة من أولاد عليان من قبيلة الحياينة.

واضح مما ذكرناه هنا من أسماء القبائل والتي استخرجناها من وثائق مخزنية يرجع تاريخ معظمها إلى عهد السلطان المولى الحسن، أن أغلبيةها العظمى تمثل الجزء الشمالي من البلاد، أي هذه المناطق التي كان المخزن ومثله لا يحكمون قبضتهم عليها، والتي كان أهلها يعيشون ويشغلون في ظروف طبيعة صعبة، الأمر الذي كان يساهم، ولاشك، في إضعاف القاعدة المادية لنشاطهم الزراعي، والتجاري، والرعوي.

وأما الملاحظة الثانية التي توحى لنا بها هذه القائمة، فتتعلق بالقبائل والجهات الأخرى من البلاد والتي لا ذكر لها هنا، وكأن أهلها كانوا جميعهم أداة طيعة في يد المخزن وأعوانه، يأتمرون بأوامرهم، وينتهون بنواهيهم. والواقع،

أن ظاهرة الامتناع عن المشاركة في الحركة، كانت متفشية في كافة أنحاء البلاد، وأنه كلما كانت الظروف مواتية ومناسبة إلا وسارع أبناء القبائل، أملياءهم وبسطاءهم، إلى الانفلات والتخلص من تقديم المال بالنسبة لبعضهم، ومن حمل السلاح والالتحاق بميادين القتال، بعيداً عن الأهل والأوطان، بالنسبة للبعض الآخر، في حين يظل فريق ثالث يناور، ويسوف، ويتماطل، متشبثاً بأعذار واهية، إلى أن يكل القائد ويعمل، ويستسلم إلى الأمر الواقع، فيجهز نفسه وفرسه، ويركب بهيمته، تاركاً الجميع وشأنه.

ونلمس هذا الأسلوب في التعامل مع الحركة وشؤونها، مما نقرأه في رسالة القائد عبد القادر بن رزوق الغماري إلى السلطان المولى الحسن، حيث أطنب وتوسع في الحديث عن مراوغات أتباعه وتحايلاتهم، في حين ظل هو سياسيسهم، ويفاوضهم، ويستميلهم إلى القبول والإذعان، إلى أن أعياه أمرهم، فكتب يقول:

«... إلى أن أتيت داري منتظراً وعد لحوقهم قبل إطلاعي على ما أكنته سرائر كبرائهم في الحل والعقد، فلم نخرج منهم على مخبر ولا مرغوب، ولا ظفرت من طاعتهم للأمر العالي بالله بمرغوب، بل كانت مواعدهم مواعد عرقوب، إذ لم يعدوا أولاً لما خامر قلوبهم رعباً، من الحركة الميمونة مع الركاب السعيد خلال بيوتهم، وحيث لم يعاينوا، بل أمروا بالوفود من بعيد، استحالوا وصول سيدنا أيده الله بحشوده إليهم عادة وعقلاً، وركدوا في ظل الأمن من عقوبته نهاراً وليلاً...»¹.

ويفيد نوع آخر من الوثائق في هذا الصدد، أن عدم الاكتراث بأوامر القائد ونداءاته، لم يكن مقتصرًا على عامة الناس وحدهم، بل كان يحذو

¹ - خ. س، مح. ح رقم 139، وثيقة بتاريخ 16 شوال 1305 / 26 يونيو 1888.

حذوهم، ولربما حرضهم على التمادي في العصيان، عدد من أمناء وأشياخ القبائل، هنا وهناك، الأمر الذي كان يزيد من مهمة القائد تعقيداً وصعوبة.

ونلمس جانباً من هذه الظاهرة مما رواه القائد أُحَدُو بن علي السَّادِي إلى السلطان، عما بذله من مجهودات ومساعي في سبيل حمل إخوانه على تعيين حراكهم وتجهيزهم، ولكنه لم يحصل معهم على طائل، واستطرد قائلاً:

«... قدمنّا بأنفسنا إلى سوقنا المعلوم بِتُوْدَة، وبرحنا بالسوق حتى اجتمع علينا كل من مسوق قريب وبعيد، والعدول وغير ذلك، وأعيان القبيلة والأمناء والأشياخ... ولا وجدنا من يمثل معنا الأمر الشريف لا من الأمناء، والأشياخ، ولا من القبيلة...»¹.

وهذا القائد أحمد أمالك، باشا قصبة المنشية بمراكش، يخبر السلطان المولى الحسن برفض 38 نفرًا من مسخري أهل سوس المشاركة في الحركة، حيث "كسروها". وقد تمكن من إلقاء القبض على بعضهم، عثر عليهم أعوانه بالمدينة، ووجههم إلى "الحضرة" أي إلى مكناس، في انتظار الظفر بمن بقي منهم هارباً².

وكتب قائد آخر، لم يتمكن من قراءة اسمه ونسبه لعدم وضوحهما في الوثيقة، يشتكي أولاً من تراخي أمناء وأشياخ القبيلة في القيام بمهامهم، وتقلص العون له وشد عضده في أمور الحركة وغيرها، إلى درجة اضطر، في آخر المطاف، إلى بيع بهائمه، واستسلاف المال الضروري لمواجهة مختلف النفقات والصوائر المترتبة على إخوانه، برسم ما كان يفرضه المخزن عليهم من

1- خ. س، مع. ح رقم 111، وثيقة بتاريخ 29 ربيع الثاني 1303 / 4 يراير 1886.

2- خ. س، مع. ح رقم 136، وثيقة بتاريخ 22 ذي القعدة 1304 / 12 غشت 1887.

توظيفات، وكلف، وفروض. وبما أنه لم يستجب لنداءاته وأوامره أحد، لا من الأعوان، ولا من الأتباع، لم يسعه إلا أن ختم رسالته قائلاً:

«... وها أنا قادم للحضرة العالية بنفسي وفرسي ياذن الأمر الشريف على السمع والطاعة...»¹.

ونقرأ نفس الجواب تقريباً في رسالة القائد أحمد بن يَشُّ الكَبْدَانِي إلى السلطان، حيث اصطدم هو كذلك بنفس العراقي، ولم يجد من يصغى إلى كلامه ويساعده من إخوانه على تعيين فريق منهم يرافقه إلى فاس، قصد الانضمام إلى الحملة العسكرية الكبرى التي كانت على وشك التوجه إلى ناحية تافيلالت، مكتفياً بالقول، في اختتام كتابه:

«... وأما عبيد مولانا برأسه وفرسه سامع، مطاع. وأما رعايات خدام سيدنا كافة أهل الريف فقير خاف عن مولانا جموحهم عما يرد من هنالك...»².

ومن الأمثلة الدالة والمعبرة عن أوجه اعتذار القبائل عن الإسهام في الحركة ما كانت تدعيه مجموعة من القبائل، في جهات مختلفة من البلاد، من قيامها بحراسة المسالك العابرة لأراضيها، مؤدية بذلك خدمة جليلة وقيمة إلى المخزن، إذ كان من شأن ذلك أن يساهم في ضمان سلامة المسافرين، وحماية أموالهم وأمتعتهم ضد أعمال اللصوصية، والنهب، والسطو، وبالأخص في المناطق

¹ خ. س، مع. ح رقم 186، وثيقة بتاريخ 262 رمضان 1306 / 26 مايو 1889.

² خ. س، مع. ح رقم 409، سنة 1310 / 1892-1893. لم يرد في الوثيقة ذكر لا لليوم ولا للشهر. وبما أن السلطان المولى الحسن قد غادر مدينة فاس في اتجاه مناطق الجنوب الشرقي من البلاد في 14 ذي الحجة 1310 / الموافق لـ 29 يونيو 1893، فبالضرورة تكون رسالة القائد يَشُّ قد حُرِّرت قبل هذا التاريخ.

التي تكثر فيها الانحدارات الشديدة، والأودية العميقة، والغابات، حيث يتخذها اللصوص أوكاراً للاختباء والاختفاء. وسوف تقتصر هنا على مثالين إثنين، أولهما اقتبسناه مما ورد في رسالة عامل طنجة القائد عبد السلام بن عبد الصادق الريفي إلى السلطان، في شأن تجهيز وإرسال حركة "إخوانه قبيلة أهل الساحل إلى الحاضرة" وتنفيذاً للأوامر، استدعى العامل أعيان القبيلة وكبراءها، وقرأ عليهم رسالة السلطان، إلا أنهم أجابوه:

«... بعدم القدرة على ذلك لضعف حالهم، وعدم وجود الخيل في بلدهم، وتكليفهم بالعة في سواحل البحر من أصيل (هكذا) إلى العرائش، وحفظ الطريق المارة بوسطهم من العرائش إلى طنجة مما يحدث في غابتها من قطع الطريق على من يمر بها في غالب الأيام...»¹.

وأما المثال الثاني، فتحدثنا عنه رسالة عامل رباط الفتح القائد أحمد السويسي إلى السلطان المولى عبد العزيز، وهي بتاريخ 7 شوال 1320، الموافق لـ 7 يناير 1903، في شأن إعفاء أعراب الرباط من الحركة، وذلك:

« بقصد مقابلتهم لحراسة طرقات تراثهم، ورعاية المارين بها، وتقدير الصلاح والاستقامة والهناء بقبيلتهم، فأمرهم سيدنا أن يكونوا عند الظن بهم في رد البال، وصيانة الطرقات، وحفظ نواحيهم...»².

¹ خ. س، مح. م. ع. م. ع. رقم 586.

² نفس المصدر السابق أعلاه.

نفهم مما كتبه السويسي، بعد الفقرة أعلاه، أنه كان متولياً على أعراب الرباط، من دغمة ولماعة، أو على الأقل كان يلعب دور الوسيط بينهم وبين المخزن، إذ هو الذي أبلغ قوادهم قرار السلطان، «فقبلوه وقبلوه، وعلى الرأس والعين وضعوه...». ويضيف القائد السويسي قائلاً:

«... وقد كنت وردت علينا قبل سبعة عشر فرسا (هكذا) من كبراء زعير، كل واحد من فرقة، وترافدنا معهم على حفظ الطرقات، كل واحد متحمل بإخوانه...».

الباب الثالث

محاولات تحديث الجيش، الوسائل والنتائج

الفصل السادس

الحاجة إلى التحديث، العون الأجنبي ومشاكله

1) انكشاف واقع الجيش المغربي بعد هزيمتي إيسلي وتطوان

لقد حاولنا، في البابين الأولين من دراستنا هذه، معالجة عدد من القضايا والمواضيع ذات الصلة بمؤسسة الجيش، في مغرب القرن التاسع عشر، وبالأخص ما ارتبط منها بتنظيماته وفرقه، وعدد رجاله، ورواتبهم، ومؤتمهم، ولباسهم، وسلاحهم، إلى غير ذلك من طرق وأساليب التنظيم والتسيير، كما انصب اهتمامنا أيضاً على إبراز أنواع الخدمات والمهام التي كانت تناط بهم، وفي مقدمتها الإسهام في استتباب الأمن، وقمع الانتفاضات والتمردات، وتنفيذ الأوامر المخزنية، ناهيك عن ظاهرة الحركة وأهميتها في تدبير شؤون البلاد.

وسواء تعلق الأمر بالوسائل المادية والتقنية التي كان يسخرها الجنود في أداء مهامهم وإنجاز أعمالهم، أو نظرنا إلى المؤهلات العسكرية والثقافية لهؤلاء الجنود أنفسهم، فإننا ندرك بدون أدنى تعب أو عناء، أننا أمام جيش بلد تقليدي ذي بنى اقتصادية، واجتماعية، وذهنية عتيقة.

وهذا يعني أن جيشاً من هذا القليل، ربما يكون ذا فاعلية وفائدة عندما يكون خصمه في مستواه التقني والمادي والتنظيمي، أو عندما كان يؤمر رجاله بالزحف ضد الأهالي العزل، وقمع تمردات القبائل. وأما إذا اضطرت الظروف إلى منازلة جيش حديث،

مدجج بالعتاد الحربي المتطور، ومدرّب على فنون الحرب الحديثة، ومؤطر بذوي الخبرة في التخطيط المحكم للمعارك والعمليات الحربية، وفي قيادة الرجال في ميادين القتال، فإنه لن يستطيع الصمود في وجهه، ولو لبضع ساعات، حدث ذلك فعلاً في وقعة إيسلي سنة 1844، وحرب تطوان على يد الإسبانيين سنة 1859-1860.

والحق أن الجيش المغربي كمؤسسة للدولة عبر العصور، قد ظل على حاله، لم تتطوّر قط صيغ وأسس تنظيمه، ولا أساليب تجنيد، وتدريب، وتكوين عناصره، ولا طرق قتاهم ومحاربتهم للعدو، اللهم ما كان قد تحقق من تطور وتحول في هذه الميادين، ولا سيما في بعضها كالسلاح الناري، والتاكتيك الحربي على عهد دولة السعديين، أيام عزها وامتداد نفوذها في النصف الثاني من القرن السادس عشر على الخصوص¹.

ومن اللافت للانتباه في هذا الصدد، أن ما ذكره الباحث البولوني دزيوبنسكي (Dziubinski) في مقاله حول "الجيش والأسطول الحربي المغربيان على عهد سلاطين الدولة السعدية"، حول ترتيب الجنود وحراك القبائل في ميادين القتال، وبالأخص حين كانت تجري وقائع المعركة في منطقة سهلية، والذي كان يتم حسب الطريقة المتبعة وقتئذ من طرف الأتراك العثمانيين، أي

¹- Dziubinski (A): «L'Armée et la Flotte de Guerre...», op. cit., p. 76 et suiv.

بخصوص طريقة العرب والمغاربة في حروهم ضد خصومهم أو فيما بينهم، أنظر:

- ابن خلدون، عبد الرحمن، "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير..."، مرجع سابق، مج 1، ص. 480. حيث نقرأ ما يلي:

«... وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين، نوع بالزحف صفوفاً، ونوع بالكر والفر. وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب، وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر، وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه الصفوف كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة...».

"ترتيب الخيالة على شكل نصف دائري، على الطريقة التركية..."، نجد أن الجيش المغربي كان يطبق نفس الخطة التاكتيكية، على الأقل في بعض معاركه، في حدود التسعينات من القرن التاسع عشر. وهذا ما نفهمه مما ورد في رسالة الأمير مولاي محمد إلى والده السلطان المولى الحسن الذي كان قد أسند إليه أمر قيادة حركة جهزت لتأديب فرقة بني عمرو من قبيلة زمور، بعد أن كان قد انضم إلى ركابه كل من قبيلة عامر، وحصين، والسهول على أن يكون كبيرها القائد عبد الكبير الثوري الذي أمر:

«... بالنهوض من التويرسة بجميع إبلاته الصفافعة، ومن في حكمهم، والنزول معنا أيضاً، وأمرني سيدي بالمفاوضة معه في ترتيب نزول بني حسن ومن معهم من حِينِيَّة الاجتماع والافتراق، وما أشار علي به نفذه، وأنه مأمور بالإشارة علي بما فيه مصلحة، وأن يصبرني بأولئك إلا الضرب، والنهب، والنهوض فلا نقدم على شيء منها إلا بأمر شريف...»، حيث أطلع السلطان على الكيفية التي تم بها توزيع حراك القبائل في الميدان، فكان:

«نزول السهول من الناحية الجنوبية بالنسبة للمحلة السعيدة، ثم حصين برمتهم، ثم التزوطي، والقائد بوغزة السلامي في قِبْلَةِ المحلة، ويليها ل ناحية الشمال بالنسبة المذكورة ابن الشيخني، والقائد لحسن بن بوغزة معاً في محل واحد، ثم بن العروسي على حدته، ثم الثوري، فجاء تخييمهم على نصف دائرة، وبينهم وبين المحلة قدر ما يمشي الراكب ثلث ساعة...»¹.

ومن الملاحظ في هذا الصدد أن معظم الأخباريين المغاربة الذين تحدثوا، في كتاباتهم عن طريقة قتال المغاربة وسير عملياتهم الحربية في ميادين القتال، قد دأبوا

¹ - خ. س، مح. ح رقم 267، الوثيقة بتاريخ 16 ذي القعدة 1307 / 4 يوليو 1890.

على ترديد قولة ابن خلدون، في "مقدمته"، عن "قتال الزحف" و"قتال الكر والفر" كالناصرى مثلاً، أو علي بن محمد السملالي السوسي الذي كان دون مشاهداته وارتساماته، أثناء الرحلة التي قام بها إلى مدينة وجدة والتخوم الشرقية، في ركاب صنو السلطان المولى الحسن، الأمير مولاي عرفة سنة 1301 / 1884، في مؤلفه "منتهى النقول ومشتهى العقول"¹.

ولم يفت الملاحظين الأجانب طبعاً، وفي مقدمتهم ضباط البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، أن لاحظوا هذه الظاهرة وعلقوا عليها بكامل السخرية والازدراء، على غرار ما نسب من قول، في هذا الصدد، إلى قائد الجيش الفرنسي في وقعة إيسلي، المارشال بيجو (Le Maréchal Bugeaud) وحشود المغاربة تتراءى له من بعيد، «ليس هذا جنداً، إنما هو غوغاء»².

وهذا مثلاً النقيب لاراس (Cap. Larras)، وفي سياق الحديث عن تنظيمات الكيش والعسكر، وعن حراك القبائل، أي ما كان بوسع السلطان

1- الناصري، الاستقصا، مرجع سابق، ج 9، ص. 87.

2- المنوني، محمد بن عبد الهادي: مظاهر يقظة المغرب الحديث. مطبعة المتوسط، بيروت، 1985، ج 1، ص 16 وما بعدها.

في هذا الجزء من كتابه، يقف المؤلف عند بعض أوجه الضعف والخلل في قطاع الجيش وغيره من أجهزة ودواليب الدولة الأخرى، والتي ساهمت في استفحالها هزيمة المغاربة في إيسلي، وما أعقبها من ضغوط سياسية واقتصادية وعسكرية على المغرب، من قبل الدول الأوربية الاستعمارية، مستشهداً بما قاله صاحب "الاستقصا..." في هذا الصدد، ومستعرضاً مواقف وردود الفعل الصادرة عن ثلة من المتفقيين والناهين المغاربة، كالوزير الأديب والشاعر محمد بن إدريس العمراوي (ت. 1847)، وابنه الكاتب إدريس بن محمد بن إدريس (ت. 1878)، وابن عزوز المراكشي، ومحمد بن عبد القادر الكرودوي (ت. 1852)، مع ذكر بعض النماذج من شعرهم ونثرهم في الموضوع.

استنفاره من المقاتلين، والتعويل عليه من المحاربين، في حالة اندلاع نزاع مسلح بين المغرب وإحدى الدول الأوروبية المهتمة بالقضية المغربية، أو قل إن شئت عند عقد هذه الأخيرة العزم على احتلاله، مستعرضاً مجموعة من الفرضيات حول الخطة الأنسب والأبجع لإنجاز مشروع الاحتلال هذا، يكتب ما يلي:

«... إنني لا أقول إن الجيش المغربي سوف يهزم لا محالة، إذ لن تكون هناك على الإطلاق معركة. فبمجرد إطلاق الشرارة النارية الأولى يتشتت الجنود، تطيقاً للمبدأ الوحيد في مجال التكتيك الحربي الذي كان يؤمن به المغاربة، والذي لطالما سمعت العديد من المغاربة يُردّدونه ويؤكدونه، والذي يمكن تلخيصه في العبارات الآتية: عندما يتعلق الأمر بأناس لا قدرة لهم على الدفاع عن النفس، فإننا نتقدم، ونههب؛ ولكن إذا ما قاوم الخصم، وصمد في وجهنا، فإننا نلوذ بالفرار...»¹.

ثم يواصل هذا الضابط حديثه على هذا المنوال، فيتعرض إلى المؤهلات المهنية للجنود وضباطهم، وإلى مستواهم الثقافي، مُقِرّاً بأن قلة قليلة هي التي كانت ملمة بعض الشيء بالمبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وبأن لا أحد منهم قد سمع بفنون الحرب الحديثة، ومن ثمة جهلهم التام بتقنيات التصويب، واستعمال السلاح الناري الثقيل، منتهياً إلى القول إن المغاربة أنفسهم كانوا يعتبرون جيشهم «خليطاً من النهاب والسراق...»، لا يمكن الاطمئنان إليهم، ولا الاعتماد عليهم.

والحق أن المغاربة قد ظلوا يتوارثون، جيلاً بعد الآخر، تقاليد وخطط السلف الحربية، دون أن يطرأ عليها أدنى تغيير أو تحول، فتتخذ بطولات الأجداد وآثارهم،

¹- A.G.V, 3 h 21, Cap. Larras, «L'Occupation du Maroc», 3 Mars 1900, p. 14 et suivantes.

وأقوال العرب المأثورة، ومذاهبهم وحكمهم في هذا المجال وغيره، مثلاً أعلى، ونموذجاً أسمى، ينبغي الاقتداء به، والسير على هديه.

ونجد لهذه المرجعية أصداء وآثار عديدة ومعيرة في الوثائق المخزنية، وكذلك في كتابات المتفقيين من المغاربة في القرن التاسع عشر. ومن ذلك ما نقرأه في رسالة السلطان المولى عبد العزيز إلى أخيه وخليفته بمدينة مراكش الأمير مولاي العباس الذي يبدو أنه كان قد خاطر بنفسه وبأرواح من كان في رفقته من الجند والحراك، حيث توغل على رأسهم في عمق أراضي قبيلة الرحامنة المنتفضة ضد المخزن وقتئذ، دون التفكير في اتخاذ ما كان يلزم من الاحتياطات، لضمان خط الرجعة عند الاقتضاء، حيث خاطبه قائلاً:

«... من المقرر المسلم بالإجماع أن الحرب خداع، ومعناه أنه كلما وجد الإنسان انتهاز فرصة، وتَجْرِيع العدو غصة من غير كفاح ولا قعقعة سلاح إلا وجنح لذلك، وسلكت هاتيك المسالك، حتى تكون السلامة مغنمة والظفر مكسبة، لأن المحارب المتدبر العارف المتبصر كالتاجر، فإنه إن لم يبع بالربح، فلا أقل من رأس المال...»¹.

وتابع السلطان حديثه على هذا المنوال، مستدلاً بمثل من أمثال العوام في فضائل ومحاسن التريث والتأني، قبل التوغل في أراضي الخصم تارة، وبمواقف بعض مشاهير العرب، والعارفين بالحرب ومكايدها، كالمهلب ابن أبي صفرة وما صدر عنه حين استعجله أميره في الهجوم على الخوارج تارة أخرى².

1- خ. س، مح. م. ع. رقم 3/431، الوثيقة بتاريخ 12 ذي القعدة 1312/ 6 يونيو 1895.

2- هو أبو سعيد ظالم ابن سراق الأزدي العتكي، دُعي المهلب ابن أبي صفرة (7 - 83 هـ/

628 - 702 م). من أشهر رجال السياسة والحرب على عهد دولة بني أمية الأول. ناصر

عبد الله ابن الزبير أول الأمر، ثم انحاز إلى دعوة عبد الملك ابن مروان، حيث بايعه بالخلافة، =

والحق، أنه منذ أمد بعيد، اختل ميزان القوة المادية في جميع جوانبها، ولا سيما الجانب التنظيمي، والتكنولوجي، والحربي، بين دول أوروبا الغربية من جهة، وبقية بلدان العالم من جهة أخرى. فعندما واجه المغاربة هجوم البرتغاليين وطغمة الصليبيين في معركة وادي المخازن، كانت أوروبا الغربية قد بدأت تحقق هذا التفوق في ميدان القوة المادية، ومنها قوة السلاح والتنظيم العسكري، ولكن التفاوت كان في حدود أمكن للمغاربة تعويضه بقوة حماسهم، وإيمانهم بالمقدسات التي كانوا يدافعون عنها.

وأما في منتصف القرن التاسع عشر، فإن الأوروبيين كانوا مسلحين بثمار ثلاثة قرون من التقدم في ميدان العلم، والصناعة، والنظام، فلا عجب أن يضغطوا على المغاربة في وادي إيسلي، ويعتدوا على أراضيهم وسيادته في حرب تطوان، كما ضغطوا على المصريين في معركة رشيد، أو العديد من المعارك التي كانت بداية اقتحام بلدان مطمئنة، واثقة بنفسها، مستسلمة راضية على تقاليدها وقيمها. فأما معركة إيسلي، فكان قد خطط لها دهاقنة الاستعمار بالجزائر منذ مدة، بعد أن يئسوا من استجابة المغاربة إلى نداءاتهم لكي يتخلوا عن مساندة أشقائهم وإخوانهم في الدين بالجزائر والتنكر لهم، والكف عن إمدادهم بأي عون مادي أو معنوي. ولما لم يرضخ المغاربة لمطالبهم، استدعوا لمعركة كبرى، بعد أن

= وحارب الخوارج الأزارقة طيلة تسع عشرة سنة بكاملها، قبل أن يهزمهم ويتزل بساحتهم أوجه التعذيب والتقتيل. وقد نال عن ذلك ولاية بلاد خراسان التي وصلها سنة 79 هـ، والتي وافته منيته بها أربع سنوات بعد هذا التاريخ. انظر: - الزركلي، خير الدين، "الأعلام..."، بيروت، 1997، الطبعة 12، ج 7، ص. 315.

أقاموا عدة مرات بضرب مدينة وجدة، والتوغل في جهات بني يزناسن، والتضييق بقبائل المنطقة.

وكانت الدولة المغربية على علم بكامل مخططاتهم، وقدرت خطورة الأهداف المتوخاة منها، كما كانت على بينة من تحركات ودسائس وتحركات الإسبانيين شمالي البلاد، انطلاقاً من مدينتي سبتة ومليلية السليبتين، وهذا ما تنبئ به مما جاء في رسالة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامل تطوان القائد محمد بن عبد الرحمن أشعاش، وهي بتاريخ 6 ربيع الثاني 1260، الموافق لـ 25 أبريل 1844، أي أربعة شهور بالتقريب قبل وقعة إيسلي، وحوالي خمس عشرة سنة قبل حرب تطوان سنة 1859.

فبعد أن خبّر السلطان بالاستعدادات الجارية وقتئذ في كل من الجزيرة الخضراء، وطريفة، وسبتة، حيث كانت سلطات مدريد آخذة في حشد آلاف الجنود والمجندين من السكان، وفي تجهيز مئات دواب النقل والجر، وإنزال كميات معتبرة من العتاد الحربي والذخيرة بهذه المحطات الثلاثة، تأهباً لشن عدوان على المغرب، أو على الأقل لإرهاب أهاليه، وتخويف حكامه، وإرغامهم على الرضوخ إلى إرضاء مطالب السلطات الاستعمارية بسبتة ومليلية، أشار العاهل المغربي إلى ضرورة التزام الحيلة والتيقظ، والاستعداد الدائم للدفاع عن حوزة الوطن، وتعبئة السكان، وحثهم على:

«أخذ الحذر وعدم الاغترار، وأن يكون الناس على أهبة واستعداد ليكون لهم أجر ذلك ذخيرة في صحائفهم، وأن يكونوا دائماً على نية الجهاد في سبيل الله...»¹.

1- خ. س. مح. ر. رقم 13/40/ك 4، وثيقة بتاريخ 6 ربيع الثاني 1260 / 25 أبريل 1844.

فإذن، في الوقت الذي كانت تخطط فيه طغمة العسكريين المدعمين من طرف أرباب الأعمال والأوساط الاستعمارية بالجزائر وفرنسا على السواء، تمهيداً للقيام بمغامرة في المغرب، كانت نفس الدوائر بإسبانيا تسعى إلى تحقيق وبلوغ نفس الهدف منذ هذا التاريخ، وكأن الدولتين الاستعمارييتين كانتا تتباريان من أجل الفوز بقصب السبق في الاعتداء على المغرب، إلا أن فرنسا كانت سباقة إلى المبادرة باكتساح الأراضي المغربية، انطلاقاً من الغرب الجزائري، بهدف تحقيق مكسبين أساسيين على الأقل، أولهما يتمثل في إرغام المغرب على التخلي نهائياً عن مؤازرة الأمير عبد القادر بن محيي الدين ورفاقه من المجاهدين الجزائريين، وثانيهما إجباره على التفاوض في موضوع فتح مراسي الواجهة الأطلسية للتجارة مع أوروبا.

وما أن تأكدت النوايا الحقيقية للفرنسيين، حتى بعث السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام بنوأة من الكيش لكي تُلْتَفَّ حولها قبائل المغرب الشرقي على عادة المخزن في استنفار السكان للحرب¹.

1- انظر، حول حرب إيسلي، المصادر الآتية:

- خ. س، مح. ر، وثائق سلسلة ك 4، وسلسلة ك 5.
- الحجوي، محمد بن الحسن، "مختصر الابتسام..."، مرجع سابق، ص. 413.
- الناصري، "كتاب الاستقصا..."، مرجع سابق، ج 9، ص. 49 وما بعدها.
- المشرفي، محمد بن محمد بن المصطفى، "الحلل البهية..."، مرجع سابق، ورقة 106.
- ابن زيدان، عبد الرحمن، "إتحاف أعلام الناس..."، ج 5، ص. 51 وما بعدها.
- المنوني، محمد، "مظاهر يقظة..."، مرجع سابق، ج 1، ص. 23 وما بعدها، حيث يورد فقرات مما قاله الكروودي، في وقعة إيسلي، في مؤلفه "كشف الغمة ببيان حرب النظام حق على هذه الأمة".
- برادة، ثريا، "الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر"، منشورات ك. أ. ر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص. 197.

وبالرغم من تضارب الأرقام حول عدد المقاتلين الحقيقي في هذا المعسكر أو ذاك، فإنه من الأكيد أن المغرب قد استنفر لهذه المعركة آلاف الجنود المتطوعة قدرت عددهم بعض المصادر العربية بحوالي 30.000 محارب، بين جند الكيش وعبيد البخاري، وعناصر الحناطي، ومتطوعة وحراك القبائل، في حين تراوح عدد أفراد الحملة العسكرية الفرنسية ما بين 5000 و10.000 رجل بالتقريب حسب نفس المصادر، علماً بأن معظم المقاتلين المغاربة كانوا من الخيالة، في حين كَوَّنَ الجنود المحترفون وعناصر اللفيف الأجنبي النواة الصلبة والعمود الفقري للجيش الفرنسي الغازي والذين التف حولهم محاربو القبائل الحليفة¹.

ونستفيد من وثيقة مخزنية، حررت ثلاثة أسابيع بالتقريب قبل اندلاع الحرب بين الطرفين، وعنوانها كالتالي:

«بيان عدد الخيل والرمات، ومقدمين وقواد المائة، وقواد أراحي بالخلعة السعيدة يوم أنعم عليهم سيدنا الخليفة أعزه الله بدرهمين للفارس ونصفه للرامي يوم خيمنا بالعيون بتاريخ 19 راجب عام 1260...»²، ما يلي:

1- حول هذه النقطة، يرجع إلى:

- "اختصار الابتسام..."، مرجع سابق، ص. 425، حيث قال إن السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام جهز جيشاً بلغ عدد رجاله حوالي 30000 وأسند إلى ابنته وخليفته سيدي محمد، في حين بلغ "عدد عسكر الرومي من النصاري 2200، وعدد الأعراب معهم 3300...".

- الناصري، "كتاب الاستقصا..."، مرجع سابق، ج 9، ص. 50 وما بعدها، حيث كتب ما يلي:

«فاجتمع للسلطان رحمه الله (المولى عبد الرحمن بن هشام) في هذا الاستنفار ثلاثون ألف فارس، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً، فيها الجند وحصص القبائل...».

2- م. و. م. ر، مع رقم 1، ملف 19.

1) كان الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن في التاريخ أعلاه، على رأس الجيش المذكور المتكون من الوحدات الآتية:

- فرق من الكيش وعبيد البخاري و"مسخريهم"، باستثناء فرقة الأوداية التي كان السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، على إثر تمرد لها ضده في مطلع سنة 1247، الموافق لأواسط يونيو 1831، قد:

«أسقط هذا الجند الودي من الجندية، وأعرض عنه بالكلية سنين، ثم استردهم في حدود الستين كما سيأتي...»¹.

وقد بلغ عدد هؤلاء 4583 نفر، 2426 منهم كانوا من الخيالة، فضلاً عن قوادهم الذين وصل عددهم إلى 431 قائداً.

2) إلى جانب هذه العناصر من الجند المخزي، كان في ركاب الخليفة أيضاً حراك القبائل الآتية: سفيان، بني مالك، أولاد الحاج (ناحية فاس)، هوار (ناحية تازة)، كروان، زمور، شقيرن،، بني مطير، أيت يوسي، ومجاط (ناحية مكناس).

وقد بلغ عددهم 2030 مقاتل، من بينهم 1548 فارس. وفي 20 من الشهر المذكور، الموافق لـ 5 غشت 1844، انضم 291 فارساً من الحيانة إلى هذه المحلة، ليصل مجموع مقاتليها إلى 7335 رجل.

ولم تمض سوى أيام قلائل على حلول الخليفة سيدي محمد بالقصبة المذكورة، حتى اندلع القتال بين الجانبين، فانهزم المغاربة وانتهى كل شيء. وقد

¹ - الناصري، "كتاب الاستقصا..."، مرجع سابق، ج 9، ص. 40.

تحدث صاحب "الخلل البهية..." عن وقعة إيسلي هذه، كما ذكرها من عاصرها من الأخباريين المغاربة أو جاؤوا بعدها بكثير من المرارة والحسرة، وقال إن المغاربة لم يستطيعوا الصمود في وجه العدو إلا ساعة واحدة فقط، قبل أن ينسحبوا من الميدان وسط فوزى عارمة، ويتشتتوا في كافة الآفاق، تاركين أسلحتهم، وعتادهم، وأمتعتهم وراءهم، مضيفاً بأن هزيمتهم هذه:

«كانت من أعظم المصائب على المسلمين، وأكبر الخن على هذه الدولة السعيدة، وأول إهانة لقبائل المغرب...»¹.

والحق أن وقعة إيسلي هذه قد كان لها أبلغ الأثر وأعظمه في نفوس المغاربة قاطبة. فما كادت المعركة تنتهي حتى تبين للجميع واقع الجيش المغربي المتدهور. وما لاشك فيه كذلك، أن الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن، الحاضر وقتئذ في ميدان المعركة، قد لمس عن قرب درجة الفوضى العارمة السائدة في المعسكر المغربي، كما أمكنه أن يشاهد ويتابع من موقعه، ما كانت تحدته من رعب، وهلع، ودمار قتابل العدو، في صفوف المحاربين المغاربة، وهم يتساقطون كأوراق الشجر الميتة، تحت وابل الأسلحة النارية الفتاكة. ثم ما كادت كذلك الساعات الأولى من بداية المواجهة تنقضي، حتى أخذت الجموع تنفض من حوله، هاربة بنفسها من موت محقق.

على أن ما ألحنا إليه هنا، لا يعني بتاتاً أن المقاتلين المغاربة كان قد استولى عليهم الخوف، ولم يصمدوا أمام زحف القوات الفرنسية، بل إنهم أبانوا عن شجاعة وإقدام كبيرين في خوض المعارك ومهاجمة العدو، وإنما قصدنا الإشارة إلى

1- المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى، "الخلل البهية..."، مرجع سابق، ورقة رقم 107.

ما كان يعترى القوات المغربية، مخزنية كانت، أو من حراك القبائل، أو من المتطوعة، من نقائص وعيوب وخلل في التنظيم والتدبير، وطريقة القتال أثناء المعركة، وهذا يعني أنه لا قدرة لجيش على شاكلة الجيش المغربي وقتئذ، على منازلة جيش أوربي، كان يخضع تنظيمه، وتكوين رجاله، وتسليحهم، وتدبير شؤونهم المعنوية والمادية، إلى أساليب ومناهج وفنون الحرب الحديثة، وهو الأمر الذي كان يفتقده المغرب ويجهله قادته ومسيروه.

ويا ليت الأمر كان يقف عند هذا الحد ولا يتعداه، حيث يتم تفرق هذه الجموع دون إذابة أهالي الجوار، والدفاع عن حماهم، بل كان الأمر يفضي إلى نهب أمتعتهم وممتلكاتهم، وهتك أعراضهم وحرُماتهم.

وهذا ما نفهمه وما أدانه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام نفسه، بعد أن علم باعتداء الأسطول الحربي البحري الفرنسي على مدينة طنجة، في انتظار القيام بنفس العملية العدوانية ضد مدينة الصويرة، أياماً معدودات قبيل وقعة إيسلي، حيث خاطب عامله على العرائش وطنجة، في هذا الشأن، قائلاً:

«... فقد بلغنا ما اجتمع بثغر طنجة كلاًه الله من جموع المسلمين، وكثرة عَدَدِهِمْ وَغَدَدِهِمْ، زَكَّى اللهُ أَعْمَالَهُمْ، وبلغهم آلامهم، غير أنهم فوضى من غير رؤساء يهدوهم للجهاد، ويكفونهم عن العبث والفساد، حتى حدث منهم ما حدث من نهب دور التجار وغيرها، وهذا من عدم الضابط وفقد الترتيب، وإن بقوا على ما هم عليه، لا يحصل منهم ما يراد منهم من المعونة، وملازمة الرباط، وإنما يحصل منهم الهرج والمرج والاختلاط، فهؤلاء الذين هم على هذه الصفة، إنما هم شفارة وليسوا بمجاهدين...»¹.

¹ - خ. س، مح. ر رقم 14 / 35 / ك 4، وثيقة بتاريخ 26 رجب 1260 / 11 غشت 1844.

ففي هذا السياق الذي انكشف فيه الواقع المتدهور للجيش المغربي، حيث احتجبت عنه فجأة حالة المناعة والغلبة التي كانت تلاحقه منذ معركة وادي المخازن سنة 1578، اضطر السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى اتخاذ مجموعة من التدابير والترتيبات، في مجال تكوين عناصره، وتحصين وتسليح عدد من المراسي والمواقع، وتأسيس نواة أولى من الجند النظامي تتكون أغلبية عناصره من الرماة والمدفعيين، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في فقرة سابقة من هذا البحث، اقتداء بما كان قد قهياً للأتراك العثمانيين والمصريين من النجاح في هذا الصدد، في مطلع القرن التاسع عشر. والحق أن تحديد وتوثيق الصلات بالإخوان في الملة والدين في بلاد آل عثمان وبلاد الكنانة يرجع إلى سنوات عديدة قبل حدوث انكسار الجيش المغربي بإيسلي، إذ كانت قد ساهمت في إحيائه وانتعاشه بداية الحملة العسكرية الفرنسية في الجزائر سنة 1830.

وهكذا، اغتبط السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام أيما اغتباط بمبعوث السلطان عبد المجيد العثماني، يوسف بن بدر الدين المدني، وابتهج بمقدمه، وخصه باستقبال كبير وحفاوة فائقة. فكان من بين المواضيع التي ناقشها الجانبان، استعداد الباب العالي لتقديم كافة المساعدات إلى المغرب فيما يتعلق بمبادئ ومناهج وأساليب التدريب والتكوين في الفنون والتخصصات العسكرية الحديثة، كما نتبين ذلك مما كتبه العاهل المذكور، في هذا الصدد، إلى عامل تطوان القائد محمد بن عبد الرحمن أشعاش، حيث قال:

«... وطلب من الرسول عند ملاقاته أن يعلمه بما نتوقف عليه ونحتاج إليه من الإمداد بالعدد والعدد من مدافع، ومهارز، وءالاتما، والمعلمين بصنع ذلك، والعارفين بالرمي والضرب، وتعليم مكائد الحرب، إعانة للإسلام،

وتأكيداً لأخوة المسلمين. وقال له إن أراد أن ندخله في شروط دولتنا مع الكُرانات، ليكون خيره خيرنا، وغيره غيرنا، فله ذلك منا...»¹.

ومن مظاهر ارتياح السلطان واستحسانه لاقتراحات العاهل العثماني والتي أبلغه إياها المبعوث المذكور، اغتنامه الفرصة لمحاولة التأثير نفسياً ومعنوياً في نفوس رجال السياسة والحرب في كل من الجزائر العاصمة وباريز، أن ختم رسالته هذه قائلاً:

«... وهذه المواصله في الله والأخوة في ذاته مما يفرح لها أهل الإسلام، وتفيظ عبدة الأصنام، فينبغي إظهارها، وإشاعتها على ألسن الخاص والعام. فإذا قرأت كتابنا هذا، مُر بإخراج عشرين مدفعاً في المرسى، وأبراج المدينة، شكراً للنعمة، وزيادة في شهرة هذا الخبر ليبلغ الشاهد الغائب...».

وقد زاد في تقوية وترسيخ رغبة المغاربة وقناعتهم بنجاحة سياسة التوجه إلى الإخوان في الديار العربية والإسلامية بالمشرق، للاستفادة من تجربتهم وخبرتهم في الميدان العسكري، والمضي قدماً في الاستعانة بضباط وعسكريين من الجارتين تونس والجزائر، النكسة الكبرى التي ابتلى بها المغرب، على إثر العدوان السافر الذي شنته على أراضي طغمة العسكريين الإسبانيين سنة 1859، وكأن حنين حروب الاسترداد كان يراود أذهانهم، ويلهب حماسهم، ويذكي مشاعرهم وأحلامهم الصليبية.

على أن هذا التوجه، وهذه الرغبة المشتركة في إقامة تعاون مثمر ومفيد لكلا الجانبين، لم يتمكن لا المغاربة ولا إخوانهم في المشرق، من بلورتهما إلى

¹- خ.س، مع. ر رقم 7 / 2 / 5، وثيقة بتاريخ 29 جمادى الثانية 1258 / 7 غشت 1842.

أرض الواقع، والالتزام بواسطة موائق وأوافق مكتوبة تحدد، وتقنن أوجه التعامل والتعاون بينهم في هذا المجال والمجالات الأخرى، ثقافية، وسياسية، وتجارية، وذلك لأسباب عديدة ومعقدة، لم تكن المعارضة الشديدة ولا الدسائس المقيّنة للدول الأوربية الكبرى، وعلى رأسها إنكلترا، وفرنسا، وإسبانيا، أقلها شأنًا وأهمية في هذا الصدد.

وأياً كان الأمر، فقد اعتنى المولى عبد الرحمان بن هشام، ومن بعده ابنه وخلفه سيدي محمد بالتنظيم العسكري الجديد، وعملا على ترغيب واستمالة الناس للانخراط في صفوفه، مستأنسين بالتجربة المشرقية في هذا المجال، حيث حل بالبلاد فعلاً مدربون عسكريون من تونس والجزائر على الخصوص، مكونين في المدرسة الحربية التركية، إذ كان من المستحيل الاعتماد على العون الأوربي في هذا المجال، غداة وقعة إيسلي، وهزيمة تطوان. ويبدو أن المخزن كان راضياً، على الأقل في المراحل الأولى لهذه التجربة، على كفاءة الأطر العسكرية الساهرة على تكوين عناصر جيش "النظام"، حيث ألححت رسالة وجهها القائد بوسلهم بن علي أزطوط إلى السلطان، إلى هذا الجانب، في العبارات الآتية:

«... ولا نكره من مولانا مساعدته... في إتيان عيال حمودة الجزيري، قائد العسكر، ليطمئن باله في التعليم، ويجد في ذلك، لأننا ما وجدنا من يضبطه في تعليم الحرب سواه، كما قدمنا ذلك لمولانا...»¹.

¹ - م. و. م. ر، مح رقم 1، الوثيقة بتاريخ 10 شوال 1265 / 29 غشت 1849.
- خ. س، مح. ر رقم 11 / 33 / ك 5، رسالة السلطان إلى أشعاش بتاريخ 25 شعبان 1261 / 29 غشت 1845، حيث سبق وأن أمره بدفع 30 مثقالاً إلى أهل هذا الضابط المستقرين وقتئذ بمدينة تطوان.

وأما في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وهو الخبير بالجيش وشؤونه، والمطلع على واقعه وأحواله وقدراته القتالية، سيما وأنه عاش تجربتين قاسيتين في حياته، ونعني بهما حضوره شخصياً في وقعة إيسلي، بصفته قائداً عاماً للجيش المغربي وقتئذ، وحرب تطوان التي اضطر إلى خوضها ضد الإسبانيين، ولم تنصرم إلا بضعة شهور على اعتلائه عرش البلاد، فقد حظي قطاع الجيش باهتمام متواصل من قبله، في إطار سياسته العامة، الهادفة إلى تحديث وتطوير عدد من أجهزة الدولة، وفي مقدمتها مؤسسة الجيش التي أسند مهام الإشراف على شؤونها، إلى شخصية بارزة من حاشيته، عبد الله بن أحمد البخاري، أخي الحاجب موسى بن أحمد.

وعندما آل الأمر إلى المولى الحسن سنة 1873، أولى عناية خاصة واهتماماً متواصلاً بجيش النظام، ووسع نطاق استقطاب عناصره، وخصص له اعتمادات مالية هامة لتدبير شؤونه.

ومن الإشكالات التي طرحت على هذا العامل، قضية النموذج العسكري الممكن تبنيه والافتداء به لتحديث قطاع الجيش بصفة عامة، وفرق عسكر "النظام" بصفة خاصة، هل النموذج الشرقي، ممثلاً في المدرسة الحربية التركية، أم النموذج الغربي؟ وكثيرة هي الدول الأوروبية الممكن الاعتماد عليها في هذا المجال، على أن إنجلترا وفرنسا هما الدولتان العظيمتان الأكثر حظوظاً للفوز بمهمة تكوين وتأطير الجيش المغربي.

هذا، وقد حسم الأمر منذ البداية، حين أسندت مهام التكوين والتدريب إلى ضباط إنجليزين وفرنسيين. وقد أدى استقرار أعضاء البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، وتكليفهم بتدريب فرق من الجيش، في سلاح المدفعية

والرماية، ابتداء من خريف سنة 1877، إلى تقلص وتراجع النفوذ التركي، أمام تنامي وتكريس أساليب ومناهج المدرسة العسكرية الفرنسية والإنجليزية، في تكوين وتمرس المغاربة على فنون الحرب الحديثة.

وباختيار المغرب الاعتماد على أوروبا، فيما يرتبط بقطاع الجيش، سواء في مجال التكوين والتدريب، أو في مشترياته للأسلحة والذخيرة، أو بناء معامل لصنع العدة والقرطوس وتشديد تحصينات وأبراج في مواقع ساحلية، كما حدث ذلك بمدينة طنجة على يد الإنجليز، أو بمدينة رباط الفتح على يد الألمان، تكون قد دشت صفحة أخرى، في سجل علاقات البلاد بالدول الأوروبية.

ولكن قبل هذا وذاك، لا بأس أن نتحدث في الفقرة الموالية عن مجهودات الدولة الرامية إلى تأسيس صناعة وطنية للأسلحة والذخيرة.

2) أي مثال يقتدى به، الشرق أم الغرب؟

لقد تعرضنا، بشيء من التفصيل، في فقرة سابقة من بحثنا هذا، اندرجت تحت عنوان "السياق الخارجي والمغرب"، إلى الصلات الروحية والثقافية التي كانت تربط بلادنا بأقطار المشرق العربي والباب العالي، وقلنا، في هذا الصدد، إنها هي التي تفسر تحمس ثلة من المتفكرين والمعلمين المغاربة، غداة وقعة إيسلي على الخصوص، للاقتداء بتجربة الإخوان في الملة والدين، وما حققوه من إنجازات إيجابية في قطاع الجيش، والتنظيم الإداري، وغيرهما من القطاعات الصناعية والثقافية.

فأما المولى عبد الرحمن بن هشام، فقد عمل على تجنيد عدد من ذوي الخبرة والمعرفة بشؤون الحرب من الجزائريين الذين التجأوا إلى المغرب، على إثر

غزو بلادهم من قبل القوات الفرنسية سنة 1830. فكان منهم مختصون في سلاح المدفعية، وآخرون كانت لهم خبرة في صنع الألغام، والمتفجرات، والمدافع والمهارس، كما كان لبعضهم إلمام ودراية في تشييد التحصينات وحفر الخنادق والسرايب، والتخطيط للمعارك، بحسب الطبيعة الجغرافية لميادين القتال، وطرق اقتحام مواقع العدو والاستيلاء عليها¹.

والملاحظ أيضاً، في هذا الصدد، أن مراكز تكوين الشبان المغاربة الذين كان يحرص المخزن على اختيارهم من أبناء الطبعية، وعبيد البخاري، والجيش الريفي على الخصوص كانت تقتصر على مراسي الشمال، تطوان، وطنجة، والعرائش، وعلى مدينة فاس. ولكي يمكن استقطاب وإغراء أكبر عدد ممكن من هؤلاء المجندين،

1- أنظر على سبيل الاستئناس لا الحصر، الوثائق الآتية:

- خ. س. مح. ر رقم 1 / 25 / ك 5، رسالة السلطان إلى القائد محمد أشعاش، بتجنيد ذوي المهارات العسكرية من أهل الجزائر الوافدين على مدينة تطوان في صفوف العسكر، وإدماج كل جماعة منهم في الفرقة التي تناسبهم من بحرية، وطبعية، وصانعي "البنية، والكورة، والمدافع، والمهارس..."، والوثيقة بتاريخ 3 جمادى الأولى 1246 / 19 نونبر 1831.

- خ. س. مح. ر رقم 8 / 32 / ك 5، وثيقة بتاريخ 29 محرم 1260، الموافق لـ 19 يراير 1844، حيث تضمنت أوامر السلطان إلى أزطوط بتوفير مسكن بمدينة طنجة لإسكان القائد العسكري أحمد الجزيري الطبيجي، على نفقة المخزن، وإجرائه بحرى طبعية العسكر بالنسبة للراتب.

- خ. س. مح. ر رقم 10 / 14 / ك 5، رسالة السلطان إلى أزطوط أيضاً بتاريخ 23 شعبان 1260، الموافق لـ 7 سبتمبر 1844، منوهاً بحسن سيرة وسلوك القائد أحميدة بن الجراح الجزيري الطبيجي، بعد أن علم العاهل "بنجده، وثباته، وإصابة رمية...".

- م. و. م. ر، مح 1، رسالة أزطوط إلى السلطان بتاريخ 10 شوال 1265، الموافق لـ 18 غشت 1849، في شأن السماح للقائد حمودة الجزيري المكلف بتكوين وتدريب عناصر جيش النظام بمراسي الشمال، باستقدام أفراد أسرته إلى طنجة.

وتفادي إخراج وإلحاق أضرار مادية بهم وبذويهم، كان يعطاهم شهرياً خمس عشرة أوقية، ولعلميهم ثلاثون أوقية في الشهر كذلك، مع منحهم صلات وهبات، بين الفينة والأخرى، تشجيعاً لهم على القيام بمهامهم على أحسن وجه، كما نستفيد ذلك من رسالة المولى عبد الرحمن بن هشام، بتاريخ 13 محرم 1257، الموافق لـ 13 يبراير 1843، إلى بوسلهام بن علي أزطوط المتكرر الذكر¹.

وفي حالة عدم توفر المدينة على قائد عسكري مقتدر، كان السلطان يعمل على تدارك الموقف وملء الفراغ، وذلك بإصدار أوامره بتعيين "حراب" واحد أو أكثر للعمل بها. وهذا ما حدث فعلاً في مدينة العرائش، حين تعذر على عاملها إيجاد طبجي ماهر لتلقين عسكر المدينة مبادئ "تاطبجيت"، حيث وجه له السلطان "أربعة معلمين"، إثنين من سلا، والآخرين من رباط الفتح، مع تمكينهم من أجر يومي قدره درهمان، لكل واحدٍ منهم².

على أنه إذا كان السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام قد حاول إدخال بعض التعديلات على التركيبة التقليدية للجيش المغربي، وذلك بتأسيس نواة أولى لجيش "النظام" من جهة، والاستفادة من خبرة عدد من رجال الحرب الجزائريين على الخصوص، فإن ابنه وخلفه سيدي محمد هو الذي يرجع له الفضل في اتخاذ الترتيبات والتدابير العملية بهدف تحديث بعض قطاعات الدولة، وفي مقدمتها، بطبيعة الحال، قطاع الجيش.

1- خ. م، مج. ر رقم 5/ 19/ ك 5.

2- خ. س، مج. ر رقم 10/ 1/ ك 5، رسالة السلطان إلى أزطوط، بتاريخ 7 شعبان 1260/ 22 غشت 1844.

هذا، وقد تعمدنا هنا استعمال لفظة "تحديث" عوض "إصلاح"، وذلك لأسباب منهجية وموضوعية في نفس الآن. والحق أن مصطلح "الإصلاح" يطرح أكثر من إشكال، سيما إذا أريد منه الدلالة على ما طرأ على قطاع الجيش من مستجدات، خلال القرن التاسع عشر. فالكلمة لا تترجم ولا تعبر بكل أمانة ودقة، عما اتخذ من إجراءات وتدابير لتحسين قدرة الجنود المغاربة القتالية، أو ظروف عيشهم وعملهم.

فكل ما في الأمر أن المخزن، اتخذ مجموعة من الترتيبات التقنية والعملية، على الأقل في الفترة المتراوحة ما بين 1844 و1894، من أجل أن يوفر له أداة فاعلة لتعزيز مركزه، وبَسْطِ كلمته، وردع كل انتفاضة تهدد سلطته وسلطة ممثليه في مختلف جهات البلاد. وأما لفظة إصلاح، فإنها تختزل شحنة من المعاني والدلالات النفسية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، لا نظن أن هذه المقدمات والمتطلبات، أو على الأقل البعض منها، كان حاضراً في أذهان النخبة الحاكمة والمثقفة، أو على مستوى باقي فئات المجتمع المغربي الأخرى.

وأياً كان الأمر، فإن هذا العاهل الذي عاش تجربتين قاسيتين ومؤلمتين، أولاهما وقعة إيسلي التي كان حاضراً فيها، وثانيهما وقائع حرب تطوان حضرها، نيابة عنه، صنوه الأمير مولاي العباس، أضحى ينفر وينبذ كل تقارب وتعاون وثيق ومستمر مع الدول الأوروبية التي أبانت عن نواياها التوسعية في البلاد، وأظهرت أهداف سياستها الحقيقية الرامية إلى إضعاف المغرب وحكومته. ومن ثمة إقدامه على إحياء وإنعاش الصلات مع مصر والباب العالي. وهكذا، جلب صناعات اختصاصيين في صناعة السكر للاشتغال في المعمل الذي بناه لهذه الغاية بمدينة

مراكش، وأوفد إلى بلاد الكنانة طلاباً ليتدربوا على تقنيات الطباعة وفنونها، بعد أن تم التعاقد مع مواطن مصري متخصص في هذا الميدان، للقدوم إلى المغرب والإشراف على تركيب أجزاء المطبعة المستوردة وتشغيلها بالمغرب، كما أوفد أيضاً صناعات لتعلم طريقة خدمة وصنع البارود¹.

وعبر العاهل المغربي عن رغبته الأكيدة وعزمه الوطيد في إقامة علاقات تعاون متميزة مع بلاد الكنانة، في رسالة وجهها إلى عامل سلا القائد محمد بن سعيد السلاوي، مبدئياً، في نفس الآن، أسفه على تردي أوضاع بعض مرافق الجيش الحيوية والخطيرة، كسلاح المدفعية مثلاً، أو قطاع البحرية العسكرية. وبعد هذا، يقول السلطان:

«... وقد بلغ إسماعيل باشا اهتمامنا بالأمر الجهادية، حيث وجهنا له من يتعلم عمل البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم، فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم، وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الأمر، ووعد بالوقوف فيه...»².

وأشار السلطان أيضاً في نفس الرسالة إلى عدد الشبان المغاربة الذين سوف يتم توجيههم إلى مصر، وقد حدد في ثلاثين متعلماً، يتراوح سنهم ما بين

1- خ. س، ك 47، ص. 88، وثيقة بتاريخ 4 ربيع الثاني 1283، الموافق لـ 16 غشت 1866، ملخص رسالة السلطان إلى الخليفة المولى الحسن يأمره فيها «بتعيين رجلين من أنجب عملة البارود بقصد توجيههما لمصر، مع معلم ثالث من فاس لتعلم تزديج البارود».

- المنوني، محمد، "يقظة المغرب..."، مرجع سابق، ج 1، ص. 61 وما بعدها، وص. 257 وما بعدها.

وانظر أيضاً ما ورد من وثائق في هذا الموضوع، في "مجلة الوثائق"، المطبعة الملكية، الرباط، 1976، ج 2، تحت أرقام 282، و283، و288، و289، و290، ابتداء من ص. 418.

2- خ. س، س 2، ح ب، مح 6، وثيقة رقم 508، الوثيقة بتاريخ 5 ذي الحجة 1283/8 أبريل 1867.

أربع عشرة وخمس عشرة سنة، يتم اختيارهم «من أولاد الجيش البخاري، وأهل فاس، والعدوتين، وأهل الصويرة».

ولكن قبل هذا وذاك، كان يتم تجميعهم بمديني فاس ومراكش، حيث يتلقون دروساً تمهيدية في "الحساب"، و"التوقيت" و"الهندسة"، وما شابه ذلك من العلوم العقلية، وذلك "بمدرسة فاس العليا"، و"جامع المنصور"¹.

هذا، وقد اشتهر من هؤلاء القواد العسكريين الوافدين على المغرب من تونس والجزائر، في الفترة التي تلت مباشرة نهاية حرب تطوان وحتى السنوات الأولى من عهد السلطان المولى الحسن، كل من الأغا عمر التونسي، ومصطفى الجزيري، ومحمد الخوجة الذي قال عنه وزير الحرب وباشا فاس فيما بعد الفقيه عبد الله بن أحمد البخاري، في رسالة بتاريخ 3 جمادى الأولى 1292، الموافق لـ 7 يونيو 1875، وجهها إلى ابنه محمد بن عبد الله، بأنه:

1- خ. س، ق. ح، مح. س. م. ع، ملف 11، اندرجت الوثيقة تحت عنوان "صائر الإثنيين 11 جمادى الثانية 1277"، وأخرى في نفس الملف وتحمل نفس العنوان، ولكن بالنسبة ليوم "السبت 21 رجب 1277"، حيث نستفيد مما تضمنته هذه الأخيرة أن هؤلاء الطلاب كانوا يتقاضون وقتئذ حوالي أربع أواق ونصف يومياً في راتبهم، بينما كان أمناء العسكر يتقاضون ست أواق في اليوم.

- خ. س، ق. ح، مح. س. م. ع، ملف 3، ويتعلق الأمر هذه المرة بصائر شهر ربيع الأول من سنة 1284، الموافق لـ يوليو - غشت 1867، على طلاب فاس العليا.

- خ. س، مح. س. م. ع رقم 36، رسالة الحاجب موسى بن أحمد إلى الخليفة مولاي الحسن، وهي بتاريخ 25 محرم 1285، الموافق لـ 18 مايو 1868، وتضمنت أمر السلطان بتقدم إلى الطلبة «الأربعة عشر النازلين بمدرسة جامع المنصور (بقصبة المنشية) لقراءة الحساب المثونة على العادة. فقد ذكر مولاي أحمد الصوري أنهم بقوا بلا مثونة...».

«تولا كبيراً على حرب جميع الطواير، وأمر بحرب القياد، والمقدمين كل صباح
بباب عرصة بو الجلود، وجميع العسكر في كل عشية باب البوجات...»¹.

على أن صلات المغرب بالدولة العثمانية لم تعرف انطلاقتها الفعلية إلا على
عهد السلطان المولى الحسن، حيث تأكدت رغبة الجانبيين، وقوي عزمهما على
توطيدها وتطويرها، إيماناً منهما بأن: «مدار قوة الأمة المحمدية وصولتها على سائر الملل
الرديئة، إنما هو اتحاد جميع أفرادها الموجود في كرة الأرض، وتشابك الأيدي منها بالقبض،
ولاسيما عند تعاضد المشركين، وقوة أعداء الدين...»، حسبما عبر عنه مفتي الديار
التركية، الشيخ حسن خير الله، في الرسالة التي وجهها إلى الحاجب موسى بن أحمد
والتي كلف بتسليمها إليه الفقيه إبراهيم السنوسي، بمناسبة وفادته إلى سلطان
المغرب مبعوثاً من طرف السلطان العثماني عبد الحميد خان بن عبد المجيد².

وهذه الدعوة إلى الاتحاد هي وليدة الظروف العصيبة والأوضاع المتردية
السائدة وقتئذ في معظم الأقطار العربية والإسلامية، إن لم تكن في جميعها،
سياسياً، واجتماعياً، ومادياً وتقنياً من جهة، وهي أيضاً وليدة حملة التوعية
والتنوير، وحفز الهمم والعزائم لنبد الخمول، ومحاربة الفقر والجهل، والفكر

1- لإستشهاد مقتبس من وثيقة بـ:

خ. س، و. ز، مج 25، رقمها 366.

وأما أسماء العسكرين المذكورين هنا، فقد ورد ذكرها في الوثيقة الآتية، بمناسبة توزيع العدة
على أفراد عسكر الخليفة مولاي الحسن المتواجد وقتئذ بمدينة مراكش، وعدد جميعهم 1000
شخص، نصفهم كانوا تابعين للقائد الأغا الحاج عمر التونسي المذكور، والوثيقة بتاريخ 14
ربيع الأول 1284، الموافق لـ 16 يوليو 1867.

2- م. و. م. ر، مح المغرب — تركيا، الرسالة بتاريخ غرة ربيع الأول 1294 / أواسط مارس 1877.

وانظر كذلك حول علاقات المغرب بالباب العالي، على عهد المولى الحسن:

- ابن زيدان، عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس...، مرجع سابق، ج 2، ص. 359.

السحري، والتي كان قد دشنها ثلة من علماء ومثقفي العرب والمسلمين من أمثال جمال الدين الأفغاني الذي نادى بإقامة جامعة إسلامية، والشيخ محمد عبده من جهة ثانية، في حين أضحى العالم الغربي المسيحي، القوي بمقوماته الفكرية والثقافية، والمعتز بمكتسباته السياسية والاجتماعية، وبما تحقق له من تقدم مادي وعلمي هائل في كافة ميادين المعرفة، يهدد كيان ومستقبل دول باقي المعمور، وفي مقدمتها الأقطار العربية والإسلامية¹.

ففي هذا السياق طرحت مسألة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين الجانبين، في كل من تركيا والمغرب. إلا أن انشغال العثمانيين بصد تحرشات روسيا القيصرية ضدهم، بل دخولهم في مواجهة حربية معها من جهة، ودسائس ومؤامرات، وضغوط الدول الاستعمارية الأوروبية من جهة أخرى، قد أقبرت هذه المشاريع والتوجهات في مهدها. ذلك أن إنكلترا وفرنسا على الخصوص، كانتا تريان في كل تقارب وتواصل، بين قطرين إسلاميين أو أكثر، ولو على مستوى التراسل وتبادل البعثات السفارية، خطراً على مصالحهما ومكتسباتهما.

فهذا سفير فرنسا تيسوا (Tissot) بالقسطنطينية، يكتب إلى وزير خارجية بلاده بارثلمي سانت - هيلر (Barthélémy Saint-Hilaire) ما يلي:

«لقد سبق لي أن أثرت انتباه وزارة الخارجية، عدة مرات، إلى الجهود التي بذلتها، في الآونة الأخيرة، الحكومة التركية، بهدف تحقيق انسجام أكبر بين مختلف فرقاء العائلة الإسلامية الكبرى من جهة، وإرساء قواعد تعاون وتفاهم على المستويين السياسي والديني، بين سائر الأجناس والشعوب المسلمة، وذلك من المغرب غرباً إلى القارة الهندية شرقاً من جهة أخرى...»

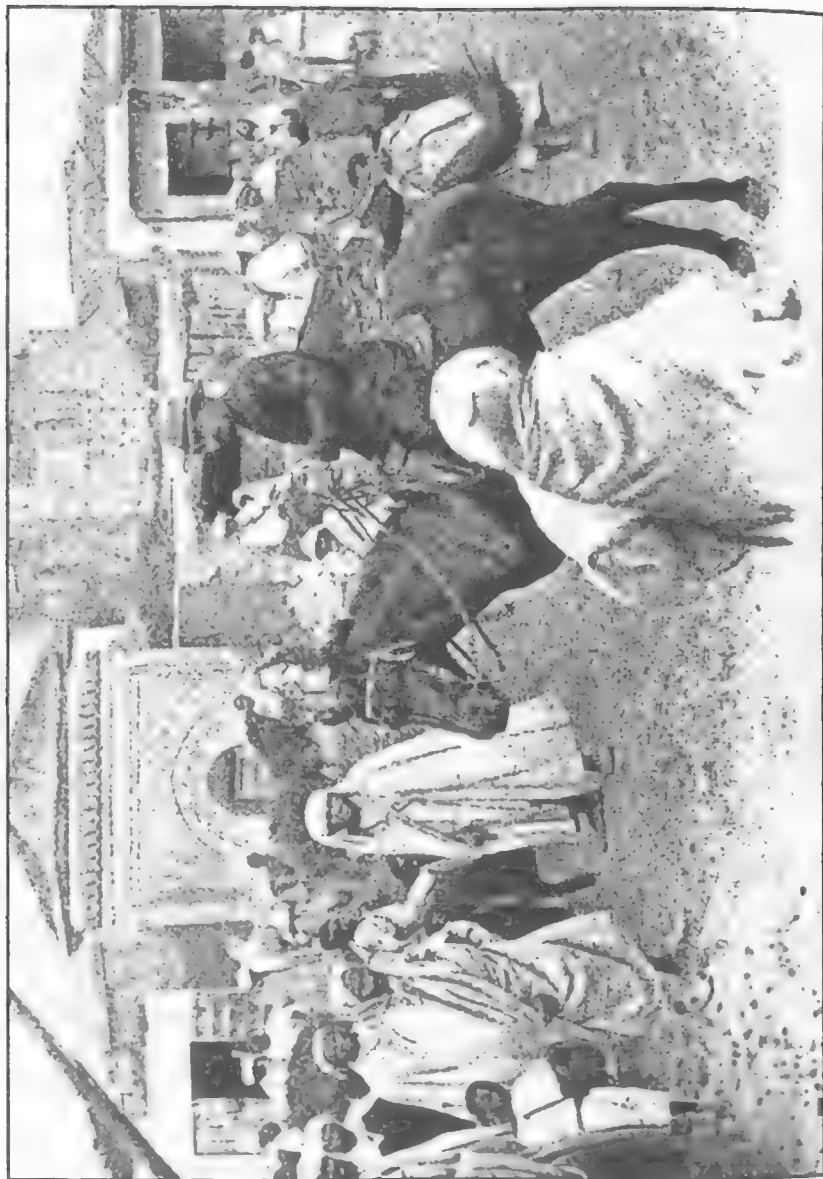
¹- المنوفي، محمد، مظاهر يقظة المغرب...، مرجع سابق، ج 2، ص. 303 وما بعدها.

بعد هذا، يذكر الدبلوماسي الفرنسي أن له علاقات وطيدة في الأوساط العربية للعاصمة التركية، آخذاً على عاتقه بذل ما وسعه من مجهود لتتبع هذا الملف وتطوره، ومذكراً، في نفس الآن، بالسفارة التي سبق وأن قام بها إلى المغرب إبراهيم السنوسي السابق الذكر، واستقباله من قبل المولى الحسن، منذ ثلاث سنوات خلت على تاريخ تحرير رسالته هذه¹.

فإذن، وعلى ضوء ما سبق ذكره، صار كل تعاون أو تقارب، بعيد المنال، إذا لم يكن مستحيلاً، وبالتالي سرعان ما انتهى كل شيء، وتم الاستغناء عن الخبراء والضباط العسكريين من أصل عربي أو تركي، إذ في خريف سنة 1876، تمكنت فرنسا من إقناع السلطان المولى الحسن بالموافقة على مبدأ استقبال بعثة عسكرية فرنسية، يستقر أعضاؤها بالبلاد، ويتولون تكوين وتدريب الجنود المغاربة على طرق ومناهج الحرب الحديثة.

بيد أن العاهل المغربي أخذ يرجئ، مرة أخرى، موعد شروع البعثة في مزاولة مهامها، وكأنه قد ندم على ما وعد به، واستشف الصعوبات والمخاطر التي قد ينطوي عليها حضور مستمر لأجانب لا سبيل للحيلولة دون اطلاعهم على مواطن النقص والضعف أولاً في مؤسسة الجيش نفسها، ثم في باقي قطاعات الدولة الأخرى.

¹- A.E. P, Documents Diplomatiques Français, 1ère série, (1871-1900), tome III, document n° 208, en date du 29 Septembre 1880.



الطبيب الفرنسي موشان (Dr. Mauchamp)، مارا أمام مدخل مسجد الكتبيين بمراكش

وظل الجانب الفرنسي، منذ هذا التاريخ، يحاصر النائب السلطاني بطنجة محمد بركاش، مطالباً إياه بالعمل على إقناع السلطان المولى الحسن بالحسم في الجوانب التنظيمية والمالية لكي يتسنى لأعضاء البعثة المرتقب مجيئهم إلى المغرب والشروع، في أقرب الآجال، في مزاولة عملهم، إلى أن أتيت له فرصة سانحة، تمثلت في استقبال السلطان المولى الحسن السفير الفرنسي الجديد بالمغرب أوغستان دي فرنويي (Augustin de Vernouillet)، في شهر أبريل من سنة 1877 بمدينة فاس. وفي 25 من الشهر المذكور، توصل الطرفان إلى عقد اتفاق نهائي بينهما، تضمن على الخصوص التزام المخزن بتقدم مبلغ مالي قدره 60000 فرنك ذهبي سنوياً إلى أفراد البعثة العسكرية الفرنسية، في حين كان على الجانب الفرنسي وضع رهن إشارة المغرب طاقم من الأطر العسكريين يتكون من ثلاثة ضباط فرنسيين تابعين لجيش الاحتلال بالجزائر، وخمسة ضباط صف، من بينهم إثنان مسلمان، علاوة على طبيب عسكري من رتبة مساعد ماجور (Aide-Major)، يلتزم جميعهم بتنفيذ أوامر المخزن وتوجيهاته فيما يتعلق بتكوين وتدريب جنوده، أين شاء ووقتما شاء¹.

وهكذا يكون الذئب قد مهد الطريق للتسرب إلى حظيرة الأغنام، بعد أن تمكن رفيقه وقرينه الثعلب، ممثلاً في المغامر الإنجليزي هاري ماك لين (Harry Mac Lean) من تحقيق نفس الهدف، في شهر مارس 1877، حين كلفه المخزن بمهام تدريب فريق من مشاة العسكر على الطريقة العسكرية الحديثة.

¹- A.G.V, 3 h 12, Rapp. n° 102 intitulé: Historique de la mission militaire française au Maroc, 1897, p. 1 et suivantes.
- Raoult (Roger-Pierre): Lettres d'un Oncle. Contribution à l'Histoire du Maroc (1887-1906). Introduction et notes de J-L Miège, Edit. la porte, Rabat, 1995.

وهكذا، يبدو لنا جلياً مما سبق عرضه، أن الأوساط السياسية والعسكرية في كل من لندن وجبل طارق من جهة، وباريز والجزائر من جهة أخرى، كانت عاقدة العزم على التسرب إلى المغرب، مهما كلفها ذلك من ثمن، لمراقبة وتتبع الأوضاع به عن كثب، حيث تمكنت كل من إنكلترا وفرنسا من ضرب عصافورين بحجر واحد. فمن جهة، تكلفت مساعيهما الراميتان إلى إقصاء الخبراء والضباط العرب والمسلمين من البلاد، ومن جهة أخرى، أصبح بإمكانهما إذ ذاك إقحام مخبرين ومراقبين في الأوساط المخزنية، بما في ذلك الحاشية المقربة للسلطان.

3) البعثات العسكرية الأوربية وخلفياتها

3 - 1 البعثة العسكرية الفرنسية

ظهرت، منذ مدة، دراسات ومقالات لباحثين مغاربة وأجانب، حول البعثات العسكرية والتقنية الأوربية والتي استقرت بالمغرب، ابتداء من أواسط العقد السابع من القرن التاسع عشر.

وإذا كانت بعض هذه الدراسات قد عنت بمجموع هذه البعثات، أي الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والإسبانية، في سياق الحديث عن مجهودات الدولة المغربية وقتئذ، بهدف تحديث قطاع الجيش، وإصلاح شؤونها، فإن اهتمام بعضها قد انصب على الخصوص، على البعثة الفرنسية وحدها، كمقالة الباحثة الفرنسية ماكالي شابر (Magali Chappert) تحت عنوان:

"إركمان وبدايات البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب 1877-1883"، والتي صدرت منذ اثنين وعشرين سنة خلت¹.

والجدير بالملاحظة، في هذا الصدد، أن فرنسا التي كانت تُتَابِعُ ببالغ الاهتمام الأوضاع بالمغرب، بسبب تواجدها بالقطر الجزائري المجاور من جهة، ومخططاتها التوسعية جنوبي الصحراء في اتجاه العالم الزنجي من جهة أخرى، قد تمكنت، في خريف سنة 1876، كما ألمحنا إلى ذلك في فقرة سابقة، من إقناع السلطان المولى الحسن بقبول مبدأ استقبال بعثة عسكرية فرنسية، يستقر أعضاؤها بالمغرب، ويتولون تكوين وتدريب الجيش المغربي على طرق الحرب الحديثة، مقابل التزام المخزن بأداء أجورهم وتعويضاتهم، الأمر الذي تحقق فعلاً في 25 أبريل من سنة 1877، حين أعطى السلطان المولى الحسن موافقته النهائية على الترتيبات التنظيمية لكي يشرع ضباط البعثة المذكورة في مزاولة أعمالهم، اعتباراً من التاريخ المذكور أعلاه.

هذا، وقد نصت أهم مواد الاتفاق على ما يلي:

1) قبول الحكومة الفرنسية وضع رهن إشارة المغرب «بعثة عسكرية تساعد على تنظيم وتكوين الجنود المغاربة...». وأما مدة انتداب أفرادها، فقد حددت في سنتين قابلتين للتجديد بطلب من السلطان. وفي حالة تعرض بعضهم إلى حادث كيفما كانت طبيعته ودرجة خطورته، سواء أثناء مزاولتهم لعملهم، أو في ميادين القتال، فإن الحكومة المغربية لا تتحمل أدنى مسؤولية في ذلك.

¹- Chappert (Magali): Jules Erckmann et les Débuts de La Mission militaire Française au Maroc 1877-1883. Rev. d'Hist. Dipl., Juillet-Décembre 1978.

(2) تتكون البعثة من ثلاثة ضباط وخمسة ضباط صف، من بينهم جزائريان مسلمان من رتبة رقيب هما أحمد بن عياد ومنصور بن إبراهيم، علاوة على الطبيب فردينان لينارس (Ferdinand Linarés) ورتبته مساعد الماحور من الدرجة الثانية والذي سرعان ما لفت إليه الأنظار، فاستطاع التسرب إلى الحاشية المقربة من السلطان، مقدماً خدماته الطبية إلى كبار أعوان المخزن وذويهم، الأمر الذي بوأه مكانة خاصة تميز بها عن باقي أفراد البعثة، ومكنه من البقاء بالمغرب مدة إحدى وعشرين سنة، مسجلاً بذلك رقماً قياسياً بالنسبة لأطول مدة قضاها عضو من البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب على الإطلاق، وطيلة الفترة المتراوحة ما بين 1877 و1912.

(3) مقر استقرار وعمل البعثة المذكورة هو مدينة وجدة.

(4) في مقابل هذا كله، تعهد السلطان بأداء 60000 فرنك ذهبي سنوياً لأفرادها، تعويضاً لهم على خدماتهم، ويتولى تسليم واجب كل شهر من هذا المبلغ الإجمالي أمناء مرسى طنجة¹.

فإذن، يتبين لنا مما سبق ذكره أنه خلال مرحلة أولى دامت حوالي سنتين ونصف، اعتباراً من شهر يونيو من سنة 1877، استقر "الحراية" الفرنسيون بمدينة وجدة، بعيداً عن مدينة طنجة من جهة، وعن الخواضر الثلاثة فاس، ومكناس، ومراكش، أي المحطات الكبرى التي كان يتوقف بإحداها السلطان، عند انتهاء حملته

¹- A.G.V, 3 h 2, Note pour le Ministre de la Guerre, 23 Juin 1877, p. 1 et suivantes.

- A.G.V, 3 h 2, Instructions Destinées au Capitaine, Chef de la Mission, 4 Août 1877, p. 1 et suivantes.

- A.G.V, 3 h 2, Etat Nominatif des Officiers et Sous-Officiers de la Mission, 15 Janvier 1879.



عامل وجدة القائد بن كروم إلى اليمين، في حديث مع قائد قبيلة أنكاد سنة 1907.

العسكرية، أو تنقله في ربوع البلاد، قبل أن يسمح لأعضائها بالانتقال إلى مدينة الرباط. وكان أول ضابط تولى رئاسة البعثة المذكورة هو النقيب أوجين بايرن (Eugène Payme)، من سلاح القناصة (tirailleurs)، جئى به طبعاً من الجزائر كما هو الشأن بالنسبة لباقي أفرادها، في حين سمح لليوتنان إركمان من سلاح المدفعية والرقب ريشرت (Le maréchal des logis Richert)، وكلاهما من سلاح المدفعية، بالانضمام إلى فرق الكيش والعسكر التي كانت لا تفارق السلطان في حله وترحاله. وإذا كان إركمان قد استطاع التكيف مع ظروف عيش وعمل المغاربة، الأمر الذي أكسبه عطف وتقدير قواد الجيش وأعوان المخزن على السواء، فإن بايرن الذي كان شديد الاغترار والاعتزاز بنفسه، وكله احتقار وازدراء للمغاربة وحكامهم، سرعان ما أثار حفيظة المسؤولين المخزنين المحليين، وفي مقدمتهم الباشا بوشقى بن البغدادى، عامل مدينة وجدة وناحيتها وقتئذ. وحين علمت السلطة العسكرية بالجزائر بحقيقة الأمر، وثبت لديها سوء تصرف هذا الضابط، اقترحت على وزارة الحرب بباريز إعفائه من مهامه، صوناً لنفوذ ومصالح فرنسا بالمغرب، وتعويضه بإركمان الذي رقي بالمناسبة إلى رتبة نقيب، وهذا كله في أواخر سنة 1879. والحق أن هذا الأخير، يمكن اعتباره من ألمع وأذكى الضباط العسكريين الفرنسيين الذين تعاقبوا على رئاسة البعثة الفرنسية، في الفترة ما بين 1877 و1912¹.

¹ - حول دور هذه البعثة السياسي والعسكري، منذ تأسيسها سنة 1877 إلى تاريخ حلها سنة 1912، وعلاقات رؤسائها بأعوان المخزن، ونظرتهم إلى المغرب وسكانه، وإسهامها في إضعاف المخزن والتجسس عليه، والعمل على نفس سيادة البلاد، إلى غير هذا من أعمال الهدم والتخريب، لا البناء والتشييد، يرجع على الخصوص إلى الملفات والتقارير الآتية:
- A.G.V, 3 h 12, Rapp. n° 8 du Lieutenant Erckmann du 1er Octobre 1878.=

وبما أن المغرب أضحى، غداة حرب تطوان على الخصوص، فريسة للتنافس الدولي، وفي موقف المُحَاصَر من جميع الجهات، يدافع عن نفسه باستمرار ويصد الهجمات بوسائله الخاصة، الأمر الذي كان لا يسمح لحكامه بالظهر بآرائهم، والإفصاح عن نواياهم، وقراراتهم، فإن حُكَّامَهُ كانوا يلتجئون إلى طرق متسترة وملتوية، حتى لا يَتَّهِمُوا بالانحياز إلى أحد الأطراف المتعاملة مع المخزن من الدول الأوروبية الكبرى، فيعرض ذلك البلاد إلى ضغوط،

= توصله بالأدوات الهندسية التي كان قد طالب مده بها.
- A.G.V, 3 h 12, Rapp. n° 7 du Cdt Levallois chef de la Mission Militaire Française au Maroc, en date du 19 Août 1884.

كما نلمس هذا أيضاً عندما استفحلت حركة عصيان فريق من أتباع القائد محمد والطالب اليوسي، وتمنعهم بقصر من قصورهم يُدْعَى أليس، وعجز الجيش المخزني عن اقتحامه، طلب السلطان من الرائد لوفالوا المذكور تلقين طالبين من طلبة الهندسة مبادئ استعمال الديناميت حتى يُمكنَهُمَا استخدامها في نسف تحصينات وأسوار القصر المذكور وإنهاء حركة التمرد هذه. وبعد أن بين للعاهل استحالة "تكوين أشخاص في برهة من الزمن في مثل هذا التخصص الخطير، سيما وأنهم يجهلون حتى معنى لفظة ديناميت..."، اقترح عليه إرسال النقيب بركان (Berquin)، من سلاح المدفعية إلى عين المكان أي أليس، وبعيته كل من الملازم ريشرت (Lc sous- lieutenant Richert) السابق الذكر والطبيب لينارس، وهو الأمر الذي قبله السلطان. ويختتم الرائد لوفالوا كلامه قائلاً:

«إن عملاً من هذا القبيل للدليل قاطع على نجاح البعثة في أداء مهامها، ومن شأنه أن يساعد على نشر وتعزيز نفوذنا بالبلاد، وتلكم كانت ولا زالت الغاية التي ما فتئت أسعى إلى تحقيقها، منذ أن حللت بمكناس... وسأعمل على الإكثار من مثل هذه الرحلات، إذ من شأنها أن نتمكننا من معرفة البلاد، والتأكد من صحة ما لدينا من معلومات حولها حتى الآن...».

- A.G.V, 3 h 12, Historique de la Mission Militaire Française au Maroc, Mai 1897, p. 33.

- A.G.V, 3 h 12, Situation de la Mission Militaire Française au Maroc, Notice du Cdt Burckhardt du 26 mars 1901, p. 9.

- A.G.V, 3 h 12, Rapp. n° 283 du Cdt Burckhardt, en date du 30 Juin 1902.

يخبر فيه بترخيصه للنقيب لاراس (Cap. Larras) بالقيام برحلات استكشافية إلى نواحي كل من مكناس، وفاس، والرباط، وطنجة، ورسم خرائط طوبوغرافية لها.

واحتجاجات، وتهديدات قد لا تنتهي إلا بعد استفادة جميعها مما قد يكون مُنَحَ من امتيازات، أو عُقِدَ من اتفاقات مع هذا الجانب دون الآخر. فتد في الكتابات المخزنية صيغاً وتعابير من نوع «... فإننا كتبنا لك هذا على وجه السر في شأن المعلمين الحاربة (الفرنسيين) الذين كانوا وردوا...». فعوض التصريح والإقرار بواقع الأمور، والإعلان بأن مجيئ المكونين العسكريين الفرنسيين إلى المغرب قد تم استجابة لرغبة السلطان في الحصول على مدرّبين عسكريين يتولون تدريب الجنود المغاربة على مناهج وأساليب الحرب الحديثة، ارتأى الحاجب موسى بن أحمد وهو يخاطب السفير الإنجليزي بالمغرب جون هي دراموند هي، اللجوء إلى هذا الأسلوب في تقديم الموقف الرسمي المغربي، مؤكداً له أن ما حدث، إنما هو نتيجة سوء فهم من قبل السفير الفرنسي دي فرنوي لما كان دار من حديث ونقاش بينه وبين السلطان المولى الحسن، حين استقبل بمدينة فاس، في ربيع سنة 1877، حيث أضاف قائلاً:

«... اعلم أنه لما كان الباشدور بحضرة مولانا العالية بالله، كنا تكلمنا معه في شأنهم على وجه الاختبار والسؤال وجبر الخواطر في طريق المذاكرة، وسألناه عن كيفية عملهم، وقدر أجرهم. ثم إنه فهم أننا سألناه تعيينهم وتوجيههم. فلما وصل لطنجة، وكتب عليهم لدولته حتى وقع التعيين، وطلبوا قدومهم للخدمة، ولم يكن عندهم حينئذ شغل هنا يصلح لهم، فاقضى النظر الشريف توجيههم لوجدة على الوجه المذكور، تانياً لهم ومراعاة لمصلحة الخواطر...»¹.

¹ - FO 174/89 الرسالة بتاريخ 23 محرم 1295 / 27 يناير 1878 .

ويؤكد فكرتنا هذه ما ورد في تقرير للرائد سترو (le Cdt Strohl) عن رحلته من طنجة إلى فاس، في موكب السفير الفرنسي الجديد بالمغرب دي فرنوي، عن المباحثات التي كانت للوفد الفرنسي مع المسؤولين المغاربة حول عدد من النقاط والجوانب المرتبطة باستقرار بعثة عسكرية فرنسية بالمغرب، حيث نقرأ ما يلي:

ومهما يكن من أمر، فهذا هو الآن فرنسا قد نجحت في تحقيق جزء من مشروعاتها الاستعمارية بالمغرب، مقصية بذلك الخبراء الضباط العرب والمسلمين من جهة، ومقحمة مخبريها ومراقبيها في الأوساط المخزنية، بل في الحاشية المقربة من السلطان من جهة أخرى. ولعل ما أنجزه الطبيب الجاسوس والخطير لينارس، في هذا المجال، لخير دليل على ما ذهبنا إليه من القول. فبينما كان رؤساء البعثة المذكورة لا يخصصون إلا صفحة واحدة، وفي غالب الأحيان أقل من صفحة من التقارير والمذكرات التي كانوا يرفعونها إلى وزارة الحرب بباريز، للحديث عن "تدريب الجنود"، أو "أعمال البعثة"، أو "حصى التدريب والتكوين..."، تراهم يطنبون في الحديث، ويتوسعون في القول في مواضيع من نوع "مختلف الأخبار الرائجة..."، أو "علاقات البعثة بالمخزن"، أو "الوضعية السياسية بالبلاد"، إلى غير ذلك من معلومات ومعطيات عن مرافق وأجهزة الدولة، وأعوان المخزن الكبار، وموارد البلاد الاقتصادية، وخصائصها الاجتماعية والثقافية، فهذا ما كان يستأثر باهتمامهم ويطلب منهم إنجازها.

وخلال فترة استقرار البعثة بمدينة وجدة، اختار المخزن عناصر من مشاة كَيْش الشراردة للتدريب هنالك على يد ضباطها، حيث تعلم هؤلاء المبادئ الأولية للجنودية كالتمرد على التزام الصمت أثناء التدريب، وتسوية الصفوف، وقبض البندقية وأداء التحية، والمشي بخطوات موزونة ومنتظمة في الاتجاهات الأربع، وطريقة الزحف في ميدان القتال، فرادى أو جماعات، مع أداء مناورات حربية، وفن الرماية الحديثة، مع التصويب نحو هدف معين يتم تنصيبه على بعد

= «... السي موسى هو الذي أثار هذا الموضوع (أي البعثة)، ونحن نأهب لمغادرة مدينة فاس، على إثر الانتهاء من مناقشته مع السلطات المغربية...».

- A.G.V, 3 h 1, Rapp. Cdt Strohl, 1877, p. 90 et suiv.

100 متر أو 200 متر فقط، لأن «حالة البنادق السيئة، ورداءة القرطوس المستعمل...»، حسب زعم بايرن المذكور، كانتا تحولان دون إصابة أهداف على بعد يتعدى المسافتين المذكورتين¹.

وفيد تقرير رفعه النقيب بايرن إلى الحاكم العام للجزائر بتاريخ فاتح أكتوبر 1878، أي بعد مضي حوالي خمسة عشر شهراً على بداية تعلم الفوج الأول من كَيْش الشراردة بمدينة وجدة، وكان يتكون من مائتي نفر، أن الجزء الثاني المقرر في برنامج تكوينهم، سوف يشرع في إنجازه في غضون الأيام المقبلة، ويتكون أساساً من مجموعة من التمارين والتدريبات على تقنيات التعرف على أنواع ميادين القتال، وكيف تشن الهجمات وتدير العمليات الحربية الصغيرة ضد عدو وهمي.

وحين انتهت مأمورية النقيب بايرن على رأس البعثة، في 13 مايو 1879، وعين الليوتنان جورني (Journée) مكانه بالنيابة، كان هذا الفوج قد أنهى تكوينه منذ أكثر من ستة شهور، وعرضه طابور آخر، أوتي به من قصبة عيون سيدي ملوك. وفي أواخر هذه السنة، وبعد أن ظل السفير الفرنسي وقتئذ بطنجة يحاصر النائب السلطاني محمد بركاش باستمرار، طالباً منه التدخل لدى العاهل المغربي لكي يسمح لأعضاء البعثة بوجدة بالانتقال إلى إحدى المدن الداخلية ليتقربوا، حسب ادعائه، من رئيسهم الجديد إركمان الذي كان قد رُقّي إلى رتبة نقيب في هذه الأثناء، وافق المولى الحسن على انتقالهم إلى مدينة الرباط، وبذلك تكون قد دشنت مرحلة جديدة من تاريخ البعثة المذكورة بالمغرب².

1- A.G.V, 3 h 1, Rapp. n° 137, en date 1er Octobre, 1878, p. 1 et suiv.

2- A.G.V, 3 h 2, Lettre du cap. Payerne au Général, chef du 19^e corps de l'Armée (Algérie), en date du 27 Mars 1879, 3 p.

- A.G.V, 3 h 2, Lettre de l'Ambassadeur de France à Tanger au Ministre des Affaires Etrangères à Paris, en date du 29 Avril 1879.

والحق أن البعثة العسكرية الفرنسية هذه، والتي صار الآن رئيسها يشارك في الحركات السلطانية، ويقدم خدماته ونصائحه في مجال استعمال سلاح المدفعية، ويسهر شخصياً على تكوين عناصر من الكيش والعسكر، في هذا التخصص، وبالرغم من انزعاج السلطان المولى الحسن من إعفاء إركمان من مهامه، في صيف سنة 1883، وتعويضه بالرائد لوفالوا، فإن علاقات الجانبين لم تتأثر بهذا الحدث، وظلت جيدة على العموم حتى أواخر صيف سنة 1887، حيث عرفت نوعاً من الفتور بعد هذا التاريخ وحتى وفاة السلطان المولى الحسن سنة 1894¹.

فبعد مضي سنوات على استقرار البعثة المذكورة بالبلاد، لاحظ السلطان، ولاشك، النتائج الهزيلة المحققة في ميدان تكوين وتدريب الجند المغربي، في حين ظل المخزن ينفق على أعضائها أموالاً طائلة ومحففة بالنسبة لإمكاناته وموارده المادية.

= - A.G.V, 3 h 2, Rapp. sur «l'Instruction des Troupes Marocaines en Garnison à Oujda », en date du 2 Novembre 1879.

- A.G.V, 3 h 2, Lettre du Gouverneur Général Civil de l'Algérie au Ministre de la Guerre à Paris, en date du 3 Décembre 1879.

1- تقديراً لخصاله الحميدة، وكفاءته المهنية كضابط متخصص في سلاح المدفعية، عمل إلى جانب السلطان المولى الحسن مدة ست سنوات بالتقريب، أولاً كعضو عاد للبعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، وثانياً كرئيس لها، وتنويهاً بحسن سيرته وعشرته، وعلى إثر انتهاء مأموريته في صيف سنة 1883، أنعم العاهل المغربي على النقيب إركمان بظهير تقدير وتنويه. وحسب ما نعلم، فإن هذا الضابط هو الوحيد الذي حظي بمثل هذه الالتفاتة من بين الإثني عشر ضابطاً الذين تولوا رئاسة البعثة المذكورة ما بين 1877 و1912، بما فيهم إثنان شغلا هذا المنصب بالنيابة وهما، النقيب رُوستان (Cap. Rostaing) (1897-1898)، والنقيب بوكور (Cap. Bougourd) (1898).

- خ. س، ك 117، ص. 31، الوثيقة بتاريخ 17 شوال 1300 / 21 غشت 1883.

- خ. س، ك 113، ص. 101، وثيقة بتاريخ 6 قعدة 1300 / 6 شتنبر 1883.

حيث نقرأ بأن السلطان قد أصدر أمره إلى «أمناء طنجة بتسريح لحامله القبطان ركان (هكذا) الحراب الفرانصيصي وسق ثلاثة من الخيل...».

فبالإضافة إلى راتبهم الشهري وقدره، كما أسلفنا، 5000 فرنك ذهبي، والذي كان موكلهم اليهودي بن شيمول (Benchimol) يتسلمه من أمناء مرسى طنجة، قبل متم كل شهر، كان المخزن يتولى تسديد كراء دور سكناهم، في رباط الفتح، وفاس، ومكناس، ومراكش، أو يقوم ببنائها على نفقته، كما كان أيضاً يتحمل أنواع أخرى من النفقات، كنفقات تنقلهم، من جهة إلى أخرى، داخل البلاد¹.

وهذا ما تعطينا فكرة عنه رسالة عامل رباط الفتح، القائد محمد السويسي، إلى الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي يخبره فيها بما أنفقه على الرائد لوفالوا الذي، لما حل بهذه المدينة، طالبه بتبديل بهائم، ومده بمخزني يرافقه في سفره إلى مدينة طنجة، حيث قال:

«... فامتنعت له من ذلك، وتردد لي، واعتذرت له، وما عذرتني، وخفت

تلزمني الملامة من الجانب العالي بالله، فاكترت له ستة بغال واصلين لطنجة بسوم 7,50 ريالاً...»².

وأما زميله باشا مدينة مراكش، عباس بن داود، فقد كتب إلى السلطان المولى الحسن ما يلي:

1- A.G.V, 3 h 11, Lettre du Ministre des Affaires Etrangères, Delcassé au ministre de la Guerre, le Général de Galliffet, en date du 20 Avril 1900.

2- خ. س، مح. ح رقم 80، الوثيقة بتاريخ 12 صفر 1303 / 20 نونبر 1885.
من جهة أخرى، عثرنا في الأرشيف الوطني على رسالة وجهها سلف القائد محمد السويسي، وهو أخوه عبد السلام السويسي، إلى النائب السلطاني بطنجة، محمد بركاش، يخبره فيها بحلول المدرسين الفرنسيين السبعة بمدينة رباط الفتح، قادمين لها من مدينة وجدة، وبأنه استقبلهم استقبلاً "طيباً"، واكرى لهم دارين، إحداهما في ملك محمد الدكالي بأربعة ريالات في الشهر، والثانية وملكها الحاج أحمد بلافيج، وكراؤها ثلاثة ريالات في الشهر.
- مجلة الوثائق، ج 6، 1987، ص. 104، وثيقة رقم 775 بتاريخ 8 صفر 1297 / 21 يناير 1880.

«... يتعين إعلام سيادتكم بأنه يسر الله بوجود سعادتك إتمام بناء دور
الساهلة المعدين لزول الخرابة بجميع منافعهما ومرافقهما، ووصلت مادة
الماء إلى الجميع...»¹.

وخلافاً لما ذكرته وثيقة فرنسية من أرشيف وزارة الحرب بفانسن، حول
الأسباب والملابسات التي اكتنفت مطالبة السلطان المولى الحسن الحكومة الفرنسية
بسحب أفراد بعثتها العسكرية بالمغرب وذلك في سنة 1887، فإن طلب الاستغناء
هذا قد صدر فعلاً عن الحكومة المغربية، ولكن في سنة 1883، أي قبل التاريخ
المذكور بأربع سنوات، وبالتالي في سياق تاريخي مختلف، حسب رسالة وجهها
العاهل المذكور إلى نائبه بطنجة محمد بركاش، في هذا الموضوع.

فبعد أن ذكر الاتصالات التي أجراها نائبه المذكور مع السفير الفرنسي
بطنجة، حيث أبلغه عزم الحكومة المغربية إنهاء عمل العسكريين الأجانب بالمغرب،
لم يجبه لا بالرفض ولا بالقبول، وظل يناور ويرaug، فتبين له "أن كل من هو منهم
في محل ينتفع منه، لا يريد التخلي عنه..."، خاطبه السلطان قائلاً:

«... وهؤلاء الخرابة إنما كانوا أتوا هنا بقصد التعليم والرجوع لخلهم بعد
تعلم من عينوا هم من العسكر لا بقصد المكث هنا. وحيث حصل المراد
منهم بتعلم المتعلمين، لم يبق في مكثهم هنا إلا الضرر الذي ذكرت، وضرر
آخر وهو طلب الصنيول بواسطة السويسي، وبريشة، ولأئدي ترجمانهم
حين كان بفاس، وباشادورهم حين كان هنا، المساوات معهم بتوجيه
حرابتهم هنا، وكذلك باشدور الطليان طلب ذلك حيث كان هنا وألح
فيه، ولا زلنا ندافعهم عنه إلى الآن، وحتى الآن...»².

1- خ. س، مع. ح رقم 238، وثيقة بتاريخ 29 شوال 1307 / 18 يونيو 1889.

2- خ. ص. س، مع 17، س II، ح ج - د، وثيقة رقم 2491 بتاريخ 2 ربيع الثاني 1300 / 10
يبرير 1883.

"الباشدور" المقصود هنا هو لاديسلاس أوردكا (Ladislas Ordéga) الذي كان وراء إقالة
إركمان من منصب رئيس البعثة العسكرية الفرنسية، في صيف سنة 1883، إذ كان يعيب =

وزاد في حق السلطان ونفوره من البعثة المذكورة وأعضائها، الطريقة التي استغلت بها المفوضية الفرنسية بطنجة، حدث اغتيال النقيب فاران شमित (Cap Warin Schmitt) في 22 غشت 1887، على يد عصابة من قبيلة زمور الشلح، حيث كانت المحلة السلطانية مخيمة فوق تراجها وقتئذ، في طريقها إلى مدينة مكناس التي حلتها في 24 من الشهر المذكور. والحق أن الضحية تتحمل وحدها مسؤولية ما حدث، إذ خاطر هذا الضابط بنفسه ولم يعبأ ولا عمل بنصائح المسؤولين المغاربة الذين كانوا نصحوه بعدم الابتعاد عن معسكر السلطان، فتوجه، صحبة عون مخزني كان في خدمته للاصطياد في مياه وادي بمت.

وهكذا، وبالرغم مما نصت عليه الاتفاقية المبرمة بين الجانبين من عدم تحميل السلطان أدنى قسط من المسؤولية، في حالة تعرض أحد أعضاء البعثة إلى آفة من الآفات، سواء أثناء مزاولتهم مهام تكوين وتدريب الجنود المغاربة، أو في ميادين القتال، افتعل السفير الفرنسي بطنجة أوردكا (Ordéga) ضجة حول هذا الحدث المؤسف، وساعدته على ذلك وعضدته الأوساط الاستعمارية بالجزائر، وأقاموا الدنيا وأقعدوها، وأرغموا السلطان على تقديم فدية قدرها 100000 فرنك فرنسي إلى عائلة الضحية.

= عليه خضوعه وإسعافه المستمر للسلطان على إرضاء رغباته وتنفيذ أوامره، كما كان لا يوافق على ارتداء الزي المغربي والتشبه بالمغاربة عوض البذلة العسكرية الفرنسية التي تناسب قدره ورتبته، الأمر الذي كان يرى فيه مساً وإهانة لكرامة فرنسا وجيشها. وكانت لهذا الرجل مواقف عدائية ضد المغرب وحكامه، إذ بواسطته، نال شريف وزان عبد السلام بن العربي الوزاني في شهر يناير 1884 الحماية الفرنسية.

وفي سنة 1888، فقدت هذه البعثة وضعيتها المتميزة بالمغرب، على إثر استقرار بعثتين تقنيتين آخرين به، ويتعلق الأمر بالبعثة الإيطالية التي شرع رئيسها الأول العقيد جورجيو برَكُولِي (Col. Georgio Bregoli) في تشييد معمل لصنع البنادق والقرطوس بمدينة فاس، وبالمهندس الألماني روتنبورغ (Rottenburg) وتوليه تشييد برج ضخّم على شاطئ مدينة الرباط، في انتظار حلول بعثة عسكرية إسبانية بالبلاد، في شهر نونبر من سنة 1889، تتكون من تَقْنِيَّين، وطبيب عسكري، وضابطي صف.

ومرة أخرى، طالب السلطان سفير فرنسا وقتئذ بطنجة فيرو (Féraud) بترحيل أعضاء بعثة بلاده عن المغرب، وكذلك الشأن بالنسبة لأفراد البعثات الأخرى، لعدم الاحتياج إلى خدماتهم. وكما كان متوقعاً، لم تكثر قط المفوضية الفرنسية برغبة المغرب هذه، فلجأت إلى وسائلها المعتادة في المراوغة والتعلق بأعذار واهية، لإبقاء عسكريها بالبلاد.

وبالموازاة مع موقفه هذا، بادر فيرو إلى إلحاق الطبيب العسكري الخطير لينارس بوزارة الخارجية الفرنسية، عوض وزارة الحرب التي كان تابعاً لها حتى الآن، لكي لا يعمه قرار الترحيل في حال حدوثه، ويظل بالقرب من السلطان وحاشيته، يتجسس على حركاته وسكناته، ويمد بلاده بما من شأنه أن يساعدها على نشر وتقوية نفوذها في المغرب، وتقويض حرية تصرف حكامه¹.

وقد ظل السلطان المولى الحسن، منذ سنة 1883، وحتى وافته منيته في 7 يونيو 1894، يطالب الدول الأوروبية بسحب بعثاتها من البلاد، وتعويض أعضائها

¹ - A.G.V, 3 h 2, Chefs de Mission au Maroc, 1877-1885.

- A.G.V, 3 h 21, Historique de la Mission Militaire Française au Maroc, p. 1 et suiv.

بتقنيين ومنهدين مدنيين، يساعدون في إنجاز بعض الوحدات الصناعية والعسكرية، ولكن بدون جدوى، إذ ظلت مساعي العاهل تصطدم بسوء نية ممثلي هذه الدول بالمغرب، وعدم التفريط فيما كانوا يعتبرونه حقاً مكتسباً، لا سبيل للتفاوض في شأنه.

فإذن، باستطاعتنا أن نؤكد هنا، على ضوء ما تقدمه لنا من أرقام ومعطيات الوثائق الأجنبية، سواء تعلق الأمر بأعداد الجنود المغاربة الذين كان يتم تكوينهم هنا وهناك، أو بعلاقات البعثة بالمخزن وممثليه، في بداية عمل المكونين الفرنسيين على الخصوص بمدينة وجدة، أو فيما بعد في المدن الأخرى، كرباط الفتح، وفاس، ومكناس، وطنجة، ومراكش...، أن النتائج المحصل عليها في هذا المجال، لا اعتبار لها كماً ولا كيفاً¹.

1- حول تطور أعداد الجنود الذين كان يتم تكوينهم في المدن المذكورة أعلاه، وبالخصوص ما كانت تعرفه الحركة ونهايتها، على الأقل بالنسبة لفرق الكيش والعسكر، أو حلول شهر رمضان، إلى غير هذا من الأسباب والعوامل المرتبطة بظروف عيش وعمل هؤلاء المكونين، يرجع إلى نماذج منها، من خلال الوثائق الآتية:

- A.G.V, 3 h 3, Rapp n° 3 du Cne Erckmann, en date du 30 Avril 1880.

- A.G.V, 3 h 3, Rapp n° 7 du Cne Erckmann, en date du 31 Août 1880.

من أصل 80 جندياً قدموا من الدار البيضاء للتكوين بالرباط، لم يبق منهم سوى 20 شخص، وأما الآخرون فقد تبخروا، إما بسبب المرض الذي ألم ببعضهم، أو الهروب، أو الإعفاء من الخدمة.

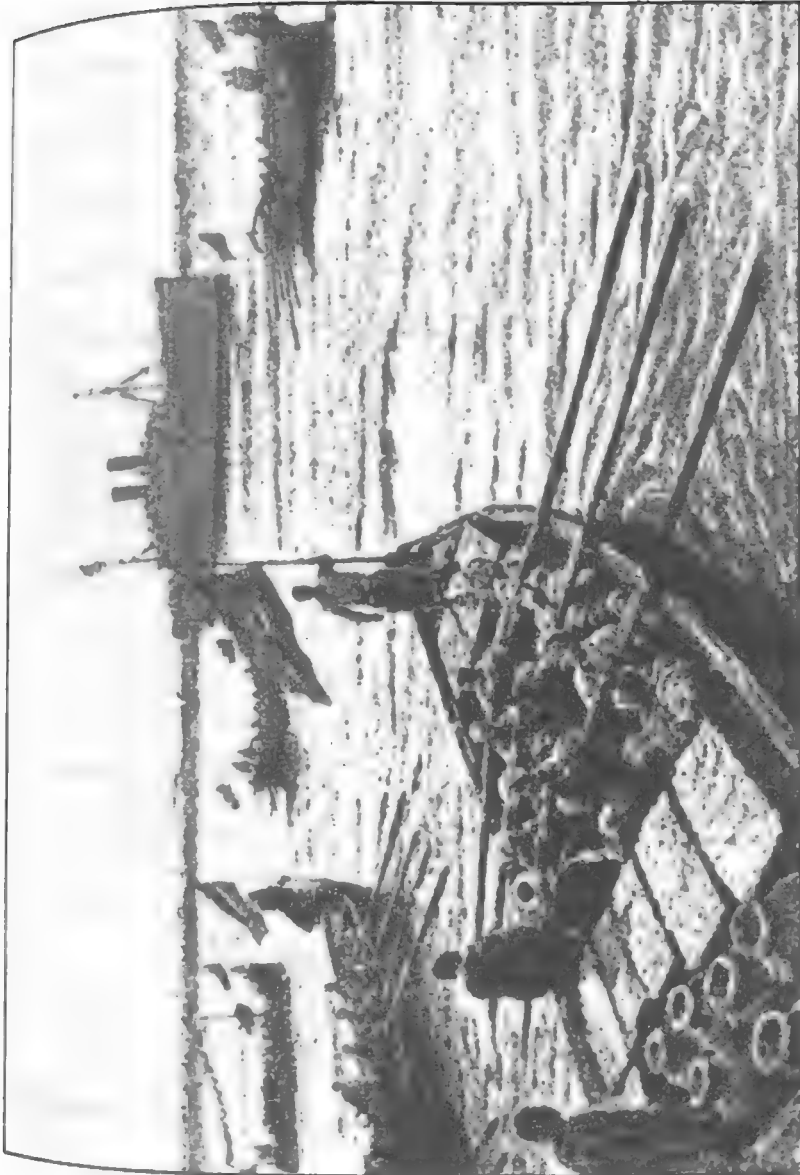
- A.G.V, 3 h 21, Cne Larras, L'Occupation du Maroc, op. cit., p. 22.

حيث كتب يقول:

يوجد بمدينة مراكش حوالي 600 مدفعياً لا تكوين ولا تأهيل لهم، فالذين يحسنون القراءة والكتابة من هؤلاء الجنود قلة قليلة.

- A.G.V, 3 h 14, Rapp n° 3 du Cdt Fariou chef de la mission militaire française au Maroc, en date du 31 Mars 1904.

يذكر أنه من أصل 500 رامياً من كيش الشراردة كانوا يتابعون تكوينهم بفاس، لا يواضب على الحضور منهم سوى 71 نفرًا، ومن أصل 300 جندياً من كيش الأوداية، كان لا يحضر في التداريب سوى 26 نفرًا منهم!



سفينة الإمبراطور غليوم الثاني

فهذا مثلاً النقيب مارتان الذي سبق أن ذكرناه في فقرة غير هذه، وذلك بمناسبة سفر السفير الفرنسي دي فرنوي من طنجة إلى فاس، في ربيع سنة 1877، يقر بأنه خلال خمس سنوات بأكملها، ما بين 1877 و1882، لم يتجاوز قط عدد المكونين من الجنود المغاربة في سلاح المدفعية، على يد ضباط البعثة الفرنسية 1000 رجل. وفي المدة ما بين أواخر سنة 1879 وهو التاريخ الذي انتقلت فيه إلى الرباط، وسنة 1882، يضيف هذا الضابط، فإن أربعة طوابير فقط من الرماة تم تكوينهم، ويتعلق الأمر بطوابير المدينة المذكورة، وسلا، والشراردة، والأوداية¹.

وأما الفترة الممتدة ما بين 1894 و1912، فينبغي تمييز ثلاث مراحل داخلها هي كالآتي:

- من 1894 إلى 1900.

- من 1900 إلى 1908.

- من 1908 إلى 1912.

ففي المدة الأولى، أي خلال الست سنوات الأولى من عهد السلطان المولى عبد العزيز والتي انتهت بوفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى، استطاع المخزن الصمود في وجه أطماع ودسائس المكونين الأجانب، والحد من تطاولهم وتدخلهم في شؤون البلاد بالرغم من انشغاله بإطفاء حرائق مختلفة، هنا وهناك.

وأما المرحلة الثانية، وهي التي صار المولى عبد العزيز يسير فيها شخصياً دفة الحكم، فقد تكالبت على المغرب أحداث ووقائع داخلية وخارجية، قيدت

1- A.G.V, 3 h 3, Rapp. du Cap. Martin, Mars-Avril 1877, p. 142 et suiv.

حرية تصرف المخزن واستقلالية قراره، وأنهكت قُوته، وأطلقت العنان لأطماع الفرنسيين، وفسحت لهم المجال للانفراد بدور المحاور والمستشار العسكري الوحيد للمخزن. وتضافرت مساعي وجهود رؤساء البعثة العسكرية الفرنسية ورؤساء جيوش الاحتلال في كل من وجدة وناحيتها ومدينة الدار البيضاء والشاوية، في سبيل هدم الكيان المخزني تدريجياً، وإثارة مشاكل وقلاقل عديدة للدولة المغربية، منفذين بذلك المخطط الاستعماري الفرنسي لوضع اليد نهائياً على البلاد.

وخلال الفترة الأخيرة والتي تولى فيها الحكم السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن، بعد إقصائه أخاه المولى عبد العزيز، فإن البعثة المذكورة قد نجحت فعلاً في التوصل إلى ما كانت ترمي إليه من أهداف ونتائج، وذلك باستحواذها على شؤون الجيش المغربي. وهكذا، وابتداء من سنة 1910 حيث تم تعيين الرائد مانجان (Cdt Mangin) قائداً للشرطة المغربية بمدينة طنجة، أضحت أمور الجيش المغربي بيد الفرنسيين بكيفية رسمية وعلمانية، الأمر الذي نتبينه بكل وضوح مما ورد في كتاب للسلطان المولى عبد الحفيظ إلى وزيره في الخارجية محمد المقرئ، حيث نقرأ ما يلي:

«... فغير خاف عنك ما صار إليه مركز الكمندان مانجان من الأهمية في مقام جنديتنا السعيدة، وربما يقع منه التشوف إلى ضم أهمية أخرى زيادة على ما ذكر، وهي مسألة مالية الجند السعيد. وإذا مهد له السبيل لذلك، أصبحت جل أمورنا رهن إشارته، ولذلك يتعين أن نتنبه لهذا القدر، فتعد له عدته...»¹.

¹ خ. س، مح. م. ع. ح رقم 5/408، الوثيقة بتاريخ مهل ذي الحجة 1328/4 دجنبر 1910. وتبين من الفقرة الآتية، استقيناها مما كتبه الطبيب المقرئ، نائب أمين الصائر وقتل بفاس، إلى =

3 - 2 المساعدة الإنجليزية

قد يتبادر إلى الذهن تساؤل بسيط ولكنه مهم ووجيه في نفس الآن بالنسبة لموضوعنا، وهو لماذا لم تسع بريطانيا العظمى إلى إنشاء بعثة عسكرية تابعة لها رسمياً بالمغرب، على غرار ما تحقق لفرنسا مثلاً، ونحن نعلم العلاقات الوثيقة والتميزة التي ظلت تربط بين البلدين، على امتداد القرن التاسع عشر؟ هل هذا يعني أن ما كان يهملها، في المقام الأول، وعمل على تحقيقه بكل دهاء ومهارة سفيرها المحنك جون هي دراموند هي الذي عرف كيف يكسب ثقة وود أهم سلاطين الفترة، خلال أربعة عقود ونيف، ما بين 1845 و1886، هو تحرير تجارة المغرب من كل أنواع القيود والاحتكارات التي كانت تحول دون انفتاح أسواق البلاد أمام البضائع والمنتجات الأوربية، تصديراً وإيراداً، وكذلك الإسهام في حملات إقناع المخزن، بالضغط عليه من أجل تبني برنامج تحديث عدد من قطاعات ومرافق الدولة، كالإدارة والجيش مثلاً، وأخيراً الإبقاء على وضعية البلاد السياسية على حالها، وعدم السماح لأي كان من الدول الاستعمارية الأخرى بالقيام بعمل ينافي ويعارض هذه الخطة، ويمس بسيادة

= والده محمد المقرئ بصفته وزيراً للخارجية، في شأن قبول السلطان المولى عبد الحفيظ بعض اقتراحات الرائد ماينجان حول إعادة تنظيم فرق وطواير العسكر النظامي، جانباً من الخطوة والنفوذ اللذين صار هذا الضابط اللامع والخطر يتمتع بهما في الدوائر المخزنية العليا، حيث قال: «... ان تنظيم العساكر السعيدة، في أقرب وقت، يستدعي زيادة عشرة فسيانات وعشرين دُفْسِيَان (ضابط صف) ليكون مجموع الإرسالية الحربية الفرنسية لدى الدولة الشريفة سبعة وأربعين عسكرياً ما بين كبار وصغار في الرتبة. وقد اقتضى النظر الشريف مساعدته على ذلك، لآكن على شرط أن تكون مدة هذه الزيادة محصورة في أربع سنين لا غير...».

خ. س، مع. م. ع. ح رقم 514/6، الوثيقة بتاريخ مهل حجة 1328/4 دجنبر 1910.

البلاد، على الأقل حتى سنة 1904، حيث أبرمت معاهدة الوفاق الودي مع فرنسا، في شهر أبريل من هذه السنة، منصبة نفسها الصديق الوفي، والمستشار النصح للحكومة المغربية.

ومن ثمة اقتصر واجتهاد الحكومة الإنجليزية على تشجيع المبادرة الشخصية ودعمها، واستغلالها في خدمة مصالحها، ما دام جون هي دراموند هي قد نجح في نسج شبكة من العلاقات الوطيدة، سواء في الدوائر المخزنية العليا، أو في مختلف الأوساط الاجتماعية، في البادية كما في الحاضرة، وبالأخص في المناطق الشمالية للبلاد. وقد تأتي فعلاً لضابط إنجليزي كان تابعاً لحامية مدينة جبل طارق الاضطلاع بهذه المهمة الدقيقة، ويتعلق الأمر "بالقائد" هاري ماك لين (Harry Mac Lean) الذي كانت قد اضطرت ظروفه الشخصية إلى الهروب من مقر عمله واللجوء إلى المغرب، عارضاً خدماته على المسؤولين المغاربة. وبما أن حلوله بالبلاد قد تزامن وانشغال السلطان المولى الحسن وقتئذ بمسألة تحديث جيشه، فإن المخزن تعاقد معه بكيفية مباشرة، أي بدون أن يتم ذلك على يد المفوضية البريطانية بطنجة، حيث كلف بتدريب وحدات من رماة العسكر الملائمين للسلطان باستمرار، وذلك اعتباراً من شهر مارس 1877¹.

فمنذ هذا التاريخ، وطيلة ثلاثة عقود تقريباً، ظل "القائد" ماك لين الذي لم يتردد قط في ارتداء الزي العسكري المغربي، والتكيف مع التقاليد والعادات المغربية، يحظى بثقة السلطانين المولى الحسن والمولى عبد العزيز، ساهراً على

1- رسالة الحاجب موسى بن أحمد إلى جون هي دراموند هي، في شأن رغبة المخزن في التعاقد مع ضابط إنجليزي "لترتيب أمر العسكر...". الوثيقة بتاريخ متم ذي القعدة 1293، الموافق لـ 17 دجنبر 1877: FO174/89.

تكوين فرقة الحرّابة المغاربة والتي كانت تعتبر من أحسن فرق العسكر والكيش سلاحاً، وانضباطاً، وتكويناً، متولياً أيضاً تزويد المخزن بحاجياته من العتاد الحربي وغيره من المواد والمنتجات الأوربية، مقدماً شتى أنواع الخدمات إلى السلطان وكبار أعوانه.

وخلافاً لما ذهبت إليه الأستاذة بهيجة سيمو في رسالتها الجامعية تحت عنوان: "الإصلاح بالمغرب: الإصلاحات العسكرية ما بين 1844 و1912"، من أنه بسبب مضايقات ودسائس رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب وقتئذ النقيب إركمان من جهة، والفتور الحاصل في العلاقات المغربية الإنجليزية من جهة ثانية، تعرض ماك لين إلى نوع من الإهمال والتهميش والإقصاء من دائرة السلطان، ما بين سنتي 1881 و1894، فإننا لا نشاطر الباحثة فكرتها هاته. وبعد أن استشهدت في قولها هذا بما توصلت إليه من نتائج الباحثة الفرنسية ماكالي شابر (Magali Chappert) في بحثها المعنون بـ: "التسرب الفرنسي والمنافسات الأوربية بالمغرب، على عهد السلطان المولى الحسن 1877-1894"، استطردت قائلة إنه لم يرد الاعتبار لماك لين هذا إلا بعد أن آل الحكم إلى المولى عبد العزيز سنة 1894.

والحق أن الوثائق المغربية العديدة والخاصة بهذه الحقبة الزمنية، تظهر بما لا يدع مجالاً للشك، أن "القائد" ماك لين ظل ملحوظاً ومرموقاً في عهد السلطان المولى الحسن، لم تتأثر مكانته لا بهذا ولا بذلك. وحتى وإن كان الرجل قد تعرض لنوع من التهميش والإبعاد، فإن ذلك لم يدم طويلاً، وكان أمراً

طبيعياً أن ينعكس عليه ما كان يحصل من توتر وفطور في العلاقات بين المغرب وباقي الدول الأوربية الأخرى¹.

ومهما يكن من أمر، فلم يفت ضباط البعثة العسكرية الفرنسية الذين تعاقبوا على رئاستها، في الفترة المذكورة، أن لاحظوا اشتغال ماك لين وأقربائه، وفي مقدمتهم أخوه آلن (Alan)، بالتجارة، وامتلاك العقارات وقطعان الماشية هنا وهناك، وبالخصوص في فاس وناحيتها، حيث كان له أتباع وشركاء من فئة المحميين والمخالطين الزراعيين، الأمر الذي كان يتيح لهم فرصة التهجم على الرجل، ورميه بأقبح وأحقر النعوت في كتاباتهم، مؤخذين عليه المس بكرامة الضابط الأوربي، وإعطاء نظرة سيئة عنه، علماً بأن تصرفهم هذا كان ينم في نفس الآن، عن تضايقهم وامتعاضهم من مكانته ونفوذه في الدوائر المخزنية، واقترابه من السلطان وحاشيته².

1- Simou, Bahija: Les Réformes Militaires au Maroc de 1844 à 1912, Publication F. L. R., Impr. Najah El Jadida casablanca, 1995, p. 362 et suiv.

وانظر قراءتنا لهذا الكتاب والصادرة في: مجلة المناهل، عدد 55، يونيو 1997، ص. 255 - 280.

2- المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى، "الحلل البهية..."، مرجع سابق، ص. 437، تحدث المؤلف

عما صار يشتغل به "الكرونيل" ماك لين، بعد توليه تدريب وحدات من الجند المغربي، فقال:

«... وجعل يتعاطى التجارة مع أكابر المخزن، يجلب السلع، وكساوي العسكر،

والسلاح، وما يناسب مما له فيه نفع وميل النفوس إليه، إلى أن توفي الوزير السيد أحمد بن

موسى، فوجد بموته سبيلاً إلى التداخل مع المولى عبد العزيز...».

- A.G.V., 3 h 12, Rapp. n° 188 Cdt Burkhardt en date du 26 Sept 1901.

ذكر هذا الضابط بأن ماك لين الحراب ورفيقه الطبيب نفيل فردون (Dr. Nevyl Verdon)

كان المخزن يكلفهما بجلب المتوجات والمواد الأوربية، مما كان يدر عليهما أرباح كانت

نسبتها تصل إلى 400 %. وذكر عن الطبيب فردون أيضاً أنه كان يشارك في تدريب

وحدات من رماة العسكر، وأنه لقي مصرعه على إثر سقوطه من أعلى سطح منزله، مؤخراً

بمدينة فاس.

- A.G.V., 3 h 13, note sur la « Situation au Maroc », 1904, p. 14.

ويبدو أن ماك لين وزميله ومنافسه إركمان، قبل أن يصبح رئيساً للبعثة العسكرية لبلاده بالمغرب، كان يتقاضى كل واحد منهما أجراً يومياً من المخزن، يتراوح قدره ما بين 20 و25 فرنك، حسب الرحالة الألماني ماكس كيدنفيلدت (Max Quedenfeldt) الذي علق على ذلك قائلاً:

«... وهو مبلغ كبير، بالنسبة للمغرب، لا يتناسب والخدمات التي يقدمها هذان السيدان إلى حُكومتِهِ...»¹.

وذكرت وثيقة مخزنية بتاريخ 4 ذي الحجة 1327، الموافق لـ 17 دجنبر 1909، أن مدرّبين عسكريين إنجليزين، حين كانا يعملان بمدينة فاس، كان يعطى لأولهما في راتبه الشهري 185 ريالاً، بالإضافة إلى أجر يومي قدره 20 بليوناً كان المخزن ينفذه لـ "خمسة من الأصحاب"، أي الأعوان المغاربة الذين كانوا في خدمته، بينما كان ثاني الرجلين يتوصل براتب قدره 5 ريالات في اليوم.

وقد أدلى بهذه الأرقام المعنيان بالأمر، عند اتصالهما بصاحب الوثيقة، ويدعى بن عيسى بن عبد الكريم، ولعله من وصفان عبيد البخاري، حيث كان جميعهم ببلاد بني مطير، في رفقة قائد المشور محبوب بن قاسم، قائد المحلة المخزنية التي أرسلت إلى هناك، لقمع تمرد القبيلة المذكورة، محتجين على القدر من المال الذي كان يعطاهم يومياً وهو ريال ونصف، بالإضافة إلى مؤونتهم "الطعامية"².

1- A.G.V., 3 h 21, Quedenfeldt, op. cit., p. 7.

2- خ. س، مح. م.ع.ع رقم 408 / 5، الرسالة موجهة إلى الحاجب أحمد الكريسي، وهي بتاريخ 4 ذي الحجة 1327 / 19 دجنبر 1909.

في رسالة شبيهة للسابقة، ولكن بتاريخ 12 محرم 1327، الموافق لـ 3 يراير 1909، وجهها محبوب بن قاسم إلى أحمد الكريسي، الحاجب السلطاني، في شأن انقطاع المؤونة عن الحراة الإنجليزين الذين كانوا معه بالمحلة، في نفس المنطقة، وذلك منذ خمسة عشر يوماً خلت، ذكر بأن عددهم وقتئذ كان تسعة، علاوة على رئيسهم.

- خ. س، مح. م.ع. ح رقم 523 / 8.

ثم ما دمنا بصدد الحديث عن رواتب هؤلاء الحراة الإنجليزين والتي، مهما بلغت قيمتها، لن تصل أو تفوق، في أحسن الحالات، ما كان يعطى لزملائهم الفرنسيين من أجور وتعويضات، لا بأس أن نستأنس هنا بما نصت عليه المادة الأولى من العقد المبرم بين المخزن وضابطين عسكريين إنجليزين للعمل بالمغرب، ويدعيان اندرو بالثام (Andrew Baltham)، وويليام ردمان (William Redman)، حيث نقرأ ما يلي:

«عين المخزن السعيد للحراب المذكور أجرته كل شهر 360 ريال، عنها في كل سنة 4320 ريال، وخليفته المذكور (ريدمان) في كل شهر 250 ريال، عنها كل سنة 3000 ريال، ودارا يسكنان بها معاً، ويقبضان الأجرة المذكورة كل شهر بشهره»¹.

ولكن، ماذا عن حصيلة استعانة المغرب بخبراء ومكونين عسكريين أوروبيين للانتقال بالجيش المغربي تدريجياً من مؤسسة تقليدية وعتيقة، إلى قوة عسكرية منظمة، أو على الأقل العمل على تأسيس وتكوين نواة أولى على هذا النمط، استوعب أفرادها وتدريبوا على التقنيات الحربية الحديثة، ليتسنى لهم بدورهم تلقين وتعميم خبراتهم ومعارفهم في مجال التنظيم والتدبير، واستعمال السلاح الناري الخفيف والثقيل، من علوم وتقنيات الحرب الحديثة والتي كان هؤلاء المكونون الأوروبيون يتقنونها؟ إننا لا نعتقد أن مخططات ومجهودات المخزن قد أتت أكلها، وأسفرت عن تحولات وتغيرات تذكر في قطاع الجيش لأسباب داخلية، خاصة ببنيات المغرب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية من جهة،

¹ - خ. س، ق. ح، مع. م. ع. ع، ملف رقم 6، الوثيقة بتاريخ 12 شعبان 1326 / 10 سبتمبر 1908.

وانشغال هؤلاء المكونين بأمور وقضايا بعيدة كل البعد عن العمل العسكري، أو بإعطائها الأولوية على الأقل. فبقدر ما كان يهتمهم، قبل كل شيء، التقاط أخبار ومعلومات عن الحكام والقبائل، والتعرف على البلاد وخيراتها الطبيعية، وإمكاناتها الاقتصادية، وعادات وتقاليد أهلها، وكلها اهتمامات بعيدة كل البعد عن الأهداف والأغراض التي كان المخزن يتوخى إنجازها وتحقيقها للبلاد على يدهم، بقدر ما نجدهم لا يُعيرون أدنى اهتمام إلى مسؤولية التكوين والتدريب التي قبلوا تحملها عند استقرارهم بالبلاد.

ولا أدل على هذا مما نستشفه من الوثائق الوطنية والأجنبية على السواء، حول النقص الكبير الذي ظل الجيش المغربي يعاني منه في عدد من التخصصات العسكرية كسلاح المدفعية مثلاً. ونلاحظ هذه الظاهرة حتى بالنسبة للمدن التي اشتهر أبناؤها بالتفوق والبراعة في هذا الميدان، واتخذت مركزاً لتكوين عناصر من الكيش والعسكر على يد أعضاء من البعثة العسكرية الفرنسية، كمدينة رباط الفتح مثلاً، الأمر الذي دفع بعاملها القائد محمد السويسي بدق ناقوس الخطر، والاستنجد بالسلطان المولى الحسن بعد أن لاحظ أن:

«خطة الطليعية قلت معرفتها في هذا الثغر الخروس بالله، وما بقي من يعول عليه في عملها إلا المعلمان الواردان على الحضرة المولوية، وءاخر هنا اسمه المكي بن قصابة، لاكنه كبر سنه، وضعفت قوته، وغيرهم متعلمين في الطائفة، إنما تقدم لهم التعليم وما حصلوا على طائل، وكادت هذه الخطة تضمحل، بل إن فقدنا المكي المذكور مع فقد المعلمين المتوجهين عدمت الخطة بالكلية...»¹.

¹ - خ. س، مع. ح رقم 446، الوثيقة بتاريخ 19 شعبان 1305 / فاتح مايو 1888.

وعبر عن نفس الخصاص، ثلاث سنوات بعد تاريخ صدور رسالة
السويسى هذه، القائد محمد بن سعيد السلأوى، عامل مدينة سلا، حيث نقرأ
فى رسالة جوابية لنفس العاهل السالف الذكر، ما يلى:

«... وصل كتابك بأنه لم يبق هنالك من يحسن علم تُطَبِّجيت إلا عبد الله
فنيش، طالباً تعيين عشرين ولد للتعلم عليه، ويكون له ولهم الراتب
الشهري كما بالرباط...»¹.

1- خ. ص. س، س II، حرف ب، مح 529، الوثيقة بتاريخ 15 جمادى الأولى 1309 / 17
دجنبر 1891.

وانظر كذلك الأمر السلطاني الصادر إلى القائد السويسى المذكور، بتوجيه أحد المعلمين
سباطة أو إسماعيل إلى مدينة الدار البيضاء، بعد أن توفي المعلم الطبجي السلأوى بها،
وبقي طبجيتها بلا معلم.

- خ. س، مح. ح رقم 436، وثيقة بتاريخ فاتح رمضان 1311 / 8 مارس 1894.

الفصل السابع

مجهودات الدولة

1) الإرساليات الطلابية إلى الخارج

لقد بدأ التفكير في إيفاد طلاب وصناع مغاربة إلى بعض الأقطار المشرقية، ثم الأوربية للتكوين واستكمال الخبرة في تخصصات عسكرية وصناعية، سنوات عديدة قبل استقرار أفراد البعثات العسكرية والتقنية الأوربية بالمغرب للقيام بتكوين وتدريب جنوده وعساكره، وبعض مهرة صناعه.

هذا، وقد سبق أن ألقينا إلى أن السلطانين المولى عبد الرحمن بن هشام، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، ولأسباب ودوافع سياسية، وظرفية، وشخصية، ظلا يفضلان الاستعانة بخبرات وكفاءات عسكريين وتقنيين من تركيا أو مصر، بهدف إنجاز مشاريع مختلفة في عدد من القطاعات، وفي مقدمتها قطاع الجيش، وبالخصوص بعد وقعة إيسلي. على أن هذا لم يمنع هذين العاهلين من إرسال عدد من الصناع والطلاب إلى الديار الأوربية للتكوين في مؤسساتها العسكرية والصناعية. وهذا ما نفهمه مما أورده صاحب "جواهر الكمال في تراجم الرجال"، في سياق حديثه عن أحد مُترَجِّميه من مدينة أسفي، ويدعى حيدة بن عبد الله بن المهدي كراو، حيث قال عنه إنه:

«رابع أربعة من أهل أسفي أرسلهم السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لبلاد أوربا لِتَعْلَمَ الهندسة ونحوها...»¹.

¹- الكانوني، محمد بن أحمد العبدى: "جواهر الكمال في تراجم الرجال"، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1937، نسخة خاصة، ص. 13.

وذكر تقييد بدون تاريخ، يرجع إلى عهد السلطان المولى الحسن، ما يلي:

«أسماء المعلمون الجيدون (هكذا) الذي ليس فيهم أحد في خدمة المخزن
أعزه الله، وفيهم من كان في بر النصارى في حيوة جد سيدنا المقدس،
فتعلم البناء وخلط الجير إلى غير ذلك...»¹.

والمقصود هنا طبعاً بـ "جد سيدنا المقدس..."، هو السلطان المولى
عبد الرحمن بن هشام. ومع اعتلاء ابنه وخلفه سيدي محمد عرش البلاد سنة
1859، وبما أن الرجل كان «متشوقاً لعلم الهندسة، والتنجيم، والهيئة...»،
حسب قول المشرفي في "الحلل البهية..."، فإنه لم يكتف قط بمتابعة مجهودات
والده في مجال تحديث الجيش، وتحسين أداء رجاله، بل ضاعفها، ووسع نطاقها،
وعممها على مرافق أخرى من هياكل وأجهزة الدولة.

فقد جاء مثلاً في قائمة تضمنت ما أنفقه أمناء دار عدليل بفاس، برسم
صائر شهر شوال ما يلي:

«صار على الشاوي الذي يتعلم بدار المطبعة بمصر مع البوارديه الذين
يتعلمون هنالك (صنع البارود طبعاً)»².

وبغض النظر عن مسألة الاعداد الحقيقية للشبان والصناع المغاربة الذين
أتيحت لهم فرصة الدراسة والتكوين بالخارج، على عهد السلطان المولى الحسن،

1- خ. س، مح. ح رقم 113.

وأما عدد هؤلاء الصناع فقد بلغ عشرة، وهم: الجلالي الفلالي، اتهامي الفلالي، بجمع بطيب،
محمد أخوي، العرفاوي، اتهامي لغريب، أحمد أرايح، أحمد الفحيجي، سلمان الفحيجي،
مولاي العربي.

2- خ. س، ق. ح، مح. س. م رقم 4، ويوافق شهر شوال 1283، شهرا يراير ومارس 1867.

وبالخصوص في الفترة ما بين 1875 و1988، والتي لم نتعرض لها في مبحثنا هذا، إذ سبق وأن توسع في الحديث عنها كل من مؤرخ مكناس مولاي عبد الرحمن بن زيدان في مُؤَلَّفَيْهِ، "إتحاف أعلام الناس..."، و"العز والصولة..."، ومحمد المنوني في دراسته "مظاهر يقظة..."، فضلاً عما تضمنته مجموعة من الدراسات الجامعية الحديثة من أرقام وبيانات حول هذا الجانب وغيره من القضايا والتساؤلات المرتبطة بإشكالية تحديث الجيش في القرن التاسع عشر، فإننا سنقتصر في مبحثنا هذا على التعرض إلى عدد من النقاط والإشكالات، كما تراءى لنا من مصادرنا¹.

ولكن يا ترى، ماذا عن المقاييس والاعتبارات التي كان يركز عليها المخزن في اختياره لهؤلاء الطلاب؟ وهل كانت هناك شروط معينة لكسب ورقة العضوية

1- انظر، حول هذه البعثات الطلابية إلى الخارج، ما يلي:

- ابن زيدان، عبد الرحمن، "إتحاف أعلام الناس..."، مرجع سابق، ج 2، ص. 465 وما بعدها.
- ابن زيدان، عبد الرحمن، "العز والصولة في معالم نظم الدولة"، المطبعة الملكية، الرباط، 1961، ج 2، ص. 150 وما بعدها.
- المنوني، محمد، "مظاهر يقظة..."، مرجع سابق، ج 1، ص. 61 وما بعدها، وص. 166 وما بعدها.
- برادة، ثريا، "الجيش المغربي وتطوره..."، مرجع سابق، ص. 291 وما بعدها.
- ابن الصغير، خالد، "المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856-1886)، مطبعة ولادة، الدار البيضاء، 1990، ص. 362 وما بعدها.
- Miège (J. L): Le Maroc et l'Europe 1830-1894. Edit. P.U.F, Paris, 1961-1963, T3, p. 225 et suiv.
- Rollman (W. J) : «The New Order...», op. cit., vol. 2, p. 579 et suiv, et Vol. 3, p. 721 et suiv.

في الأفواج التي كانت تتوجه إلى أوربا، كالانتماء مثلاً إلى فئة النخبة الحاكمة، أو المالكة، أو الانتساب إلى قبيلة من القبائل أو جهة من الجهات؟ الحق أنه لا مجال البتة للاعتبارات العائلية والشخصية، أو الفتوية، أو الجهوية والقبلية في اختيار هؤلاء الشبان، إذ المهم بالنسبة للسلطان هو أن يكونوا صغيري السن ومن «أهل الذكاء، والفتنة، والصحة، والجسم...»¹.

بيد أن استنطاق الوثائق المخزنية ذات الصلة بموضوع البعثات الطلابية إلى الخارج، يتيح لنا فرصة القيام ببعض الملاحظات، نحملها في النقاط الآتية:

(1) معظم رسائل السلطان، أو الموجهة إليه من طرف العمال والأمناء، تهم مدناً وجهات دون غيرها كرباط الفتح، وسلا، وفاس، وطنجة، والصويرة، والعرائش... ولا ذكر البتة أو نادراً لمدن كوجدة، وتطوان، والدار البيضاء، ومكناس، ومراكش...

(2) يبدو أن قسماً من الإمام بمبادئ القراءة والكتابة كان يؤهل صاحبه أكثر من غيره للانضمام إلى الفوج الذي وقع على أعضائه الاختيار للذهاب إلى الخارج².

1- خ. ص. س، س، 2، حرف ج - د، مع 17، وثيقة رقم 2451، وهي عبارة عن رسالة السلطان المولى الحسن إلى عامل سلا، القائد محمد بن سعيد السلوي، بتاريخ 23 ذي القعدة 1294/ 29 نونبر 1877.

2- كتب الباحث الأمريكي رولمان (Rollman) في أطروحته تحت عنوان: "النظام الجديد في مجتمع إسلامي ما قبل الاستعمار: الإصلاح العسكري بالمغرب (1844-1904)، ما يلي: «... كان يتم اختيار أعضاء هذه البعثات الطلابية المتوجهة إلى أوربا للتعلم والدراسة في معاهدها، من كافة أنحاء البلاد. واقتداء بسياسة والده، وحتى لا يُؤتمى بالتحيز والتعصب إلى فئة اجتماعية معينة، أو تفضيل منطقة على أخرى، أو إقبال كاهل هذه أو تلك بمدة كل مرة بعدد من أبنائها للسفر إلى أوربا المسيحية، فإن المولى الحسن كان يعامل جميع رعاياه على قدم المساواة، لا فرق بين هذا وذاك، أو هذه الجهة والأخرى. بيد أنه في نفس الآن، يبدو أن أهمية =

وكما كان منتظراً، فإن إنكلترا قد نالت حصة الأسد من مجموعة المتعلمين المغاربة بالديار الأوربية، سواء تعلق الأمر بالتخصصات العسكرية، أو بصناعات حربية مرتبطة بها، أو بدراسات هندسية وتقنية أخرى، وهذا راجع طبعاً إلى نفوذ سفيرها جون هي دراموند هي في الأوساط المخزنية، ودور المستشار الذي كان يضطلع به في هذا المجال وغيره من المجالات الأخرى بالنسبة للحكومة المغربية من جهة، وقرب مدينة جبل طارق من مدينة طنجة التي كان يتلقى بها الموفدون إلى الخارج دروساً في تعلم الإنجليزية، أو الإيطالية، أو الفرنسية، أو الإسبانية من جهة أخرى، مما كان يخفف من وطأة الشعور بالاغتراب والابتعاد عن الأهل والأحباب. هذا، وقد توالى وصول وفود المغاربة إلى هذه المدينة وغيرها من مراكز التكوين الهندسي والعسكري في إنكلترا، كمدينة شاتهام (CHATHAM) التي استقبل معهداً مختصاً في تكوين المهندسين ثلاثة مغاربة في الفترة ما بين 1874 و1879، كان لهم شأن فيما بعد، وهم محمد بن محمد الجبّاص الذي تقلب في وظائف مخزنية سامية قبل أن يعين وزيراً للحرب بعد عزل المهدي بن العربي المنبهي من هذا المنصب في سنة 1904، ثم نائباً للسلطان بمدينة طنجة، وأخيراً صدرّاً أعظم على عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، والمهندس المختص بتهيئة التحصينات والأبراج الرُّبْرِ سَكِيرْج الفاسي الذي، بعد عودته من إنكلترا، كلفه السلطان بتفقد التحصينات والأبراج الساحلية لمدينة طنجة، والوقوف على إنجاز بعض أعمال الترميم والصيانة بها،

= خاصة كانت تعطى لدرجة إمام هؤلاء الشبان مجادى القراءة والكتابة، إذ كانت تُكوّن مقياساً من مقاييس اختيارهم، وهو الأمر الذي قد يساعد، ولاشك، على استشفاف أصولهم الاجتماعية...».

- Rollman (W. J): « The new-order... », op. cit., p. 721 et suiv.

ومساعدة المهندسين والعسكريين الإنجليزيين ماك هوك (Mc Hugh)، ودنالد (Donald)، وإدوارد دي سيلفا (Edward de Silva) على تركيب مدافع أرمسترونغ (Armstrong) في الأبراج المذكورة، وأخيراً إدريس بن عبد الواحد الذي عين، منذ رجوعه سنة 1879، كبيراً للطبجية بمدينة طنجة المذكورة، واحتفظ بهذا المنصب حتى سنة 1912.

ويبدو أنه، بعد هذا التاريخ أي سنة 1879، توقفت الحكومة البريطانية عن استقبال الطلاب المغاربة في مدارسها، مبررة قرارها هذا بأن من تم تكوينهم حتى الآن من المغاربة بمدارسها العسكرية ومعاهدها التقنية باستطاعتهم الإسهام بدورهم في تكوين أجيال أخرى من المتعلمين داخل البلاد، دون حاجة إلى اغترابهم وابتعادهم عن أهاليهم. وهذا ما نفهمه مما ورد في رسالة الحاجب موسى بن أحمد إلى نائب القنصل الإنجليزي بطنجة هربرت وايط (Herbert White)، بتاريخ 6 رمضان 1295، الموافق لـ 3 سبتمبر 1878، وذلك بأن لا يرسل، من الآن فصاعداً، أي وفد جديد من المغاربة للتكوين بجبل طارق، لأن المائة والثلاثين عسكرياً، والخمسة وأربعين طبجياً الذين هم الآن على أُمِّة العودة إلى بلادهم، قد حصلوا على ما فيه الكفاية من تكوين وتدريب، وأصبحوا بالتالي مُؤَهَّلِينَ للقيام بتكوين وتعليم مغاربة آخرين في عين المكان¹.

وأما فرنسا، وهي الدولة الاستعمارية التي كان يهتمها تطور الأوضاع بالمغرب، وتعمل جاهدة على ترسيخ وتقوية نفوذها فيه، فقد استبعدت، أول

1- الرسالة أوردها خالد بن الصغير في:

"المغرب في الأرشيف البريطاني"، مصدر سابق، ص. 457، وهي من قسم المستندات والوثائق بوزارة الشؤون الخارجية بلندن تحت رقم F.O.174 / 89.

الأمر، عن إشراكها في استقبال المبعوثين إلى أوربا، وذلك لسببين رئيسين، أولهما يكمن في عدم ركون وثقة المخزن بالمسؤولين الفرنسيين، وبالأخص العسكريين منهم، وخوفه من أن يعامل المغاربة معاملة سيئة في مدارس ومعاهد التكوين الفرنسية، وثانيهما غلاء المعيشة والخدمات في هذا البلد، مقارنة مع ما كان عليه الأمر في أقطار أخرى أوربية كألمانيا مثلاً.

وقد حاول أن يتدارك هذا الموقف كل من إركمان ولوفالوا، وعملا على التلميح باستمرار، أمام محاوريهما من كبار أعوان المخزن، إن لم يكن أمام السلطان المولى الحسن نفسه، إلى ما قد يجنيه المغرب من فوائد كبرى، إذا ما أقدم على إيفاد بعثة من الطلاب المغاربة إلى فرنسا، للتكوين في تخصصات عسكرية معينة. وهكذا، حاول الرائد لوفالوا المذكور إقناع وزير الحرب بباريز بالموافقة على مبدأ استقبال فوج من المتعلمين المغاربة بإحدى المدارس العسكرية الفرنسية، سيما وأنه عرض هذه الفكرة على المسؤولين المغاربة، وتبين له استحسانهم لها. ثم يقترح على وزيره إصدار أوامره إلى المسؤولين عن مدرسة الهندسة العسكرية بمونبولي (Montpellier) لاستقبال عشرين إلى خمسة وعشرين شاباً، يقضون بها ستة شهور على أكبر تقدير، علماً بأن الإنفاق على سفرهم، ولباسهم، وغذائهم، كما هو الشأن بالنسبة للبعثات الطلابية إلى أقطار أخرى، يكون على نفقة الحكومة المغربية، في حين تكفل السلطات الفرنسية بإسكانهم، والإشراف على تكوينهم في فروع وتخصصات الهندسة العسكرية، مذكراً بالمناسبة بقصب السبق الذي نالته إنكلترا في هذا المجال منذ سنوات، الأمر الذي اكتسبها مكانة متميزة في الساحة المغربية، ومحتتماً كتابه هذا بالتأكيد على أن «من شأن ذلك أن يساهم في نشر نفوذ فرنسا في المغرب...»¹.

1- A.G.V., 3 h 4, Lettre du Cdt Levallois au Ministre de Guerre à Paris, en date du 20 Août 1884.

واستجابت طبعاً، الحكومة الفرنسية إلى رغبة سلطان المغرب، فوافقت على استقبال فوج من المتعلمين للتكوين في تخصص الهندسة العسكرية بمدينة مونبولي، حيث التحقوا بها فعلاً في بداية صيف سنة 1885، ومعيّتهم العليج محمد المنون، وهو برتغالي الأصل، واسمه قبل اعتناقه الإسلام دون ميكل دي كاسترو (Don Miguel de Castro)، بصفته ترجماناً ورئيساً للوفد. وقد صادف سفرهم هذا توجه عامل وجدة وقتئذ القائد عبد المالك بن علي السعيد إلى باريز، في مهمة سفارية لدى الحكومة الفرنسية. فسافر جميعهم على متن سفينة حربية فرنسية تدعى أرتيميس (Artémis). هذا، ونستفيد من وثيقة بتاريخ 21 غشت 1885، أن المخزن قد نفذ خُمُسَي الريال أي فرنكين مؤونةً يوميةً لكل واحد من أفراد الوفد المغربي، في حين أُعطيَ ريالٌ واحدٌ وخُمُسُهُ للترجمان محمد المنون السابق الذكر.

وأشارت نفس الوثيقة إلى المبلغ الإجمالي الذي كان يتعين على السلطات المغربية دفعه، قبل أن تبحر السفينة أرتيميس من الميناء إلى المفوضية الفرنسية بطنجة وهو 5400 فرنك، وذلك برسم الستة شهور التي تقرر أن تستغرقها مدة تكوينهم في المدرسة المذكورة¹.

وأما ألمانيا التي لم تهتم بالمغرب وشؤونه إلا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإنها اكتفت باستقبال شبان مغاربة في برلين، وكلوستهال (Klausthal)، وإيسن (Essen) لتكوينهم في سلاح المدفعية وتدريبهم على استعمال

¹ - خ. ص. س، س، III، حرف ج، مح 41، وثيقة رقم 6063.

وانظر أيضاً رسالة محمد المنون إلى رئيس الطبخية مولاي أحمد الصوري، في شأن إرجاع شخصين من البعثة المذكورة أساء التصرف، ولا يليق بسمة البلاد أن يظلا في رفقة زملائهم.

- خ. ص. س، س، III، حرف ج، مح 43، وثيقة رقم 6103، بتاريخ 2 شعبان 1303/6 يونيو 1886.

مدافع كروب (Canons Krupp) الضخمة التي كان المغرب قد اشتراها لتسليح
البرج الكبير الذي كان قد شَرَعَ في تشييده المهندس الألماني روطنبورغ السابق
الذكر، في يونيو 1888 بساحل مدينة الرباط، ولم يتأت وضعها فيه، لأسباب تقنية،
ومالية، وسياسية إلا في غضون سنة 1898.

هذا، وقد راسل السلطان المولى الحسن الأيمراطور غليوم الأول
(Guillaume 1er)، يشكره على حسن تعاون بلاده مع المغرب، ويخبره بأنه قرر
إيفاد «أشخاص نجباء، أخيار عن هذه الإيالة لبلادكم الرفيعة...»¹.

ومن المعلوم أيضاً أن العاهل المغربي كان يعهد، بين الفينة والأخرى، إلى
أشخاص يحظون بكامل ثقته ولا علاقة لهم بالمخزن، إذ كان معظمهم إما من
التجار الكبار، أو من أبناء أعوانه المقربين، بمهام ومأموريات داخل البلاد
وخارجها، تفادياً ولاشك لضغوط واحتجاجات رؤساء المفوضيات الدبلوماسية
بطنجة من جهة، وبغية تمتيع هؤلاء الوسطاء بقدر من الحرية والقدرة على
التصرف والتفاوض مع الأطراف المعنية بالأمر من جهة أخرى. وهذا ما يفسر
إشراك الحاج محمد بركاش، نجل النائب السلطاني في إنجاز وتنفيذ خطط
ومشاريع المخزن الهادفة إلى تحديث قطاع الجيش، سواء تعلق الأمر بالبعثات
الطلابية إلى الخارج، أو باقتناء العتاد الحربي والذخيرة من الأقطار الأوربية،

¹ - خ. ص. س، س III، حرف ج، مح 41، رقم الوثيقة 6046، وهي بتاريخ 24 محرم 1302 / 13
نونبر 1884.

انظر كذلك، حول هذا الموضوع:

- Guillen (Pierre): L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905, Edit. P.U.F.,
Paris, 1967, p. 85 et suivantes.

مكلفاً على الخصوص بالعلاقات مع ألمانيا التي صار أحد المتحمسين الكبار للتعاون معها في هذه المجالات وغيرها من مجالات التعاون. ويبدو أن السلطان المولى الحسن كان يستشير في عدد من القضايا والنوازل، كما نلمس ذلك مما ورد في وثيقة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1302، الموافق لفتح مارس 1885، حيث طلب منه إبداء رأيه في قائمة التخصصات العسكرية والتقنية التي أبلغ رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، الرائد لوفالوا السلطان، باستعداد بلاده الكامل لاستقبال فوج من الطلاب المغاربة للتكوين فيها بمدارس ومعاهد فرنسية.

ولئن أبان محمد بركاش الإبن عن معرفة واسعة بقطاع الصناعات الحربية في الأقطار الأوروبية، وبنوعية ومستوى التعليم العسكري والهندسي الذي كان يلقي في مدارس ومعاهد كل واحد منها، كإنجلترا، وإيطاليا، وألمانيا، وإسبانيا، وفرنسا، فإنه، في نفس الآن، لم يخف مشاعره المناوئة لفرنسا، ناكراً عليها خيرة ودراية ومهارة عسكريها ومتخصصيها في الهندسة العسكرية والصناعات الحربية. ونستشف هذا مثلاً من حديثه وهو يقول:

«... فيعلم مولانا أدام الله علاه، أننا تأملنا فيما أشار به المذكور (لوفالوا)، فلم يظهر فيه سوى الصائر من غير كبير نفع يعود منه، إذ نحن في غنى عن جميع ذلك. أما تَنَجَّرَتْ، وتَحَدَّدَتْ، وتَخَرَّزَتْ، وتَسَرَّجَتْ أي صنعة البرادع، فكلها موجودة بأرضنا، على وفق ما يستعمل فيها، في جميع ما يتوقف عليه...».

وفي مقابل هذا، فإنه يتبنى موقفاً مؤيداً ومتعاطفاً مع ألمانيا، معرباً عن إعجابه الكبير بعسكريها وأرباب صناعاتها الحربية، ولهذا،

«فالكفيل بهذه العلوم والصنائع وغيرها هو جنس الألمان مع قلة الصائر هناك. فينظر سيدنا أعزه الله في غير هذا صحبته ما كتب لنا به باشدور

الألمان في شأن العساكرية 3 الذين توجهوا للتعليم في برلين، وكم يلزم في صائهم الشهري مما هو نحو النصف من صائر المتعلمين الذين هم بأفرانسا نحو الست سنين...».

ويختم بركاش رسالته هذه، مثيراً انتباه السلطان المولى الحسن إلى أن جميع المغاربة الذين أتيحت لهم فرصة التعلم والتكوين بمعاهد ومدارس إيطاليا، وألمانيا، وبلجيكا، وإسبانيا، قد نالوا نصيباً مهماً من المعرفة والخبرة والتأهيل، في حين لم يحصل أقرانهم الذين سافروا إلى فرنسا على طائل في هذا المجال، اللهم ما اكتسبوه من:

«معرفة اللسان التي يصلحوا بها نجعلهم ترجمانات للأناس الذين توجهوا للتعليم بالبلجيكية...»¹.

ولكن، يا ترى، ماذا تكون البلاد قد جنته من وراء إفادها لمئات من أبنائها للتكوين والتعلم، واستكمال الخبرة في مدارس عسكرية ومؤسسات تقنية أوربية، في إنكلترا، وإيطاليا، وبلجيكا، وألمانيا، وفرنسا، وإسبانيا، وحتى

¹- خ. ص. س، س III، حرف ج، مح 41، وثيقة رقم 6054، بتاريخ 14 جمادى الثانية 1302 / 31 مارس 1885.

تفيد وثيقة بتاريخ 20 ذي القعدة 1300، الموافق لـ 22 سبتمبر 1883، أن أربعة أشخاص وهم عبد السلام الأودي، وأحمد الشيطمي المراكشي، والحسن الخلطي الفاسي، ومحمد بن موسى الفاسي، كانوا يتكفون في تخصص صنع القربوس ببلجيكا في هذا التاريخ، وأن المخزن كان ينفق عليهم في مؤونتهم اليومية ستة ريالات، على يد محمد بركاش الابن الذي أنعم عليه السلطان بالمناسبة بـ:

«... كسوة المصور من البحر الكبير...»، يتوصل بها من أمناء رباط الفتح.

- خ. س، ك 117، ص. 166.

الولايات المتحدة، علماً بأن ذلك كان قد تطلب رصد مبالغ مالية هامة، طيلة الثلاثين سنة الأخيرة تقريباً من القرن التاسع عشر؟

فبالنسبة لصاحب "إتحاف أعلام الناس..." مثلاً، فيرى أن البلاد لم تستفد شيئاً يذكر من خبرات وكفاءات هؤلاء المتعلمين الشباب، بسبب المعارضة الشديدة التي وُجِّهوا بها، بمجرد عودتهم إلى البلاد، من قبل بعض أعيان المخزن الكبار الذين رأوا فيهم منافسين خطيرين، فخافوا أن ينفلت ويضيع ما كان بيدهم من سلطة ونفوذ، إذ كتب يقول:

«... ولما زاولوا دروسهم وملتوا بكل نافع حقائبهم، يمموا بلادهم ليثروا فيها ما ينفع مستقبلهم، فلم يعدموا معاكساً وقف في سبيلهم، وحرّم البلاد والعباد ما كان يُرجى من فوائد معارفهم بفتح المدارس وسلوك هذا السبيل كما سلكه أهل اليابان لذلك العهد الذين رافقوهم في دروسهم، فكانت أن تقدم اليابانيون وتأخرنا، والله في خلقه شؤون...»¹.

لاشك أن حكم مؤرخ مكناس هذا سديد وينطوي على قسط كبير من الحقيقة، ولكن فقط إذا ما قيس بحجم ومستوى التحولات والتغيرات التي حدثت فعلاً في بنى المجتمع والدولة على السواء، بعد عودة هؤلاء الشباب المكوّنين بالخارج إلى وطنهم، وانصهارهم كلية في النسيج الاجتماعي والاقتصادي للبلاد. طبعاً، يصبح في هذا الحكم شيء من المبالغة والتعميم، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما جنته الدولة من فائدة، بعد أن استخدمت عدداً من هؤلاء الناس، في تدريب وتكوين عناصر من فرق الكيش والعسكر، وكذلك من حاميات المراسي على الخصوص، ومعامل صنع العدة والقرطوس، في فاس ومراكش.

1- ابن زيدان، عبد الرحمن، "إتحاف أعلام الناس..."، مرجع سابق، ج 2، ص. 465.

وهكذا، وعلاوة على تألق محمد الكبّاص، ونجاح كل من الزبير سكّيرج وإدريس بن عبد الواحد الفاسي في عملهما، تتحدث مصادرنا عن أسماء أخرى، في سياق الحديث عن إسهام حاملها في إنجاز بعض المشاريع هنا وهناك، أو عند الإشارة إلى اضطلاعهم بمسؤوليات سامية في جهاز من أجهزة الدولة.

وبرز منهم، أيضاً، إدريس زولو الفاسي الذي أشرف على عملية إعادة بناء معمل صنع القرطوس بمدينة مراكش سنة 1890، ومحمد المنقري الفاسي، ومحمد بن علي الحداد، والحسين الزعري السلاوي، والطاهر بن الحاج الأودي...¹.

وأياً كان الأمر، ولأسباب بنوية، وتنظيمية، وغيرها، لم يتمكن المخزن قط من جني الفوائد والثمار المرتقبة من هذه المبادرة القويمة في حد ذاتها. فقد عاد هؤلاء المبعوثون بتكوين وتجربة، ولو أتاحت لهم الفرصة ليظهروا كفاءاتهم حتى يلحظهم المخزن، لُوَلِّيَ بَعْضُهُمْ على إيالات، وَلَتَمَكَّنُوا من تأسيس نوع جديد من العائلات المخزنية المطعمة بدم جديد. ومن المؤكد كذلك أن المدرّبين العسكريين الأجانب قد نجحوا في نسف عمل الأطر المغربية المستفيدة من البعثات. وبتنحية هؤلاء، ظل كبار المسيرين لفرق الكيش والعسكر من العناصر القبلية والتقليدية، مكونين بذلك عائلات عسكرية مخزنية، إلى جانب العائلات المخزنية من القواد وكبار الموظفين.

¹ - النوني، محمد، "مظاهر...", مرجع سابق، ج 1، ص. 172 وما بعدها، وص 254 وما بعدها.
- Rollman (W.J): «The new-order...», op. cit., T. 3, p. 723 et suiv.

(2) نماذج من مراكز صنع العدة والذخيرة بالمغرب

2-1 تطوان والعرائش

من العيوب والنقائص التي ظل يعاني منها الجيش المغربي، على امتداد القرن التاسع عشر، افتقاره إلى سلاح ناري حديث ومتطور، على غرار ما كانت تتوفر عليه جيوش عدد من دول أوروبا الغربية وقتئذ، من عتاد حربي متنوع وفتاك، كان يساعد على إرهاب وإسكات الخصم، واقتحام معسكره ومعاقله، وتشتيت صفوفه وجموعه. والحق أن أقطار أوروبا الغربية قد استطاعت ومنذ أمد بعيد، إحراز تفوق هائل في ميدان التسليح وغيره من ميادين الإنتاج المادي، والإبداع الفني والتقني. فإذن، لا عجب والحالة هذه، أن ينهزم المغاربة، كلما اضطرتهم الظروف وملابسات الوقائع والأحداث، إلى خوض غمار معركة كبرى ضد جيش من جيوش أوروبا الغازية، دفاعاً عن العقيدة، والشرف، والكرامة، وحوزة الوطن.

طبعاً، يحدث هذا في وقت قد عفى الدهر على أيام كان المغاربة يغالبون الأوروبيين، فيغلبونهم، ويقهرونهم، إذ كان مستواهم الحربي والتقني لا يقل عن مستوى خصومهم في هذا الميدان وغيره من مجالات المعرفة، والفنون، والعمل. وأما الآن، وقد دب الخمول، والركود، والجمود إلى كافة ميادين نشاطهم وأوجه وطرق اكتسابهم، فلا شيء يذكر في هذا الشأن¹.

1- حول الصناعات الحربية بالمغرب، في الفترة موضوع هذه الدراسة، وفي العصور قبلها، يرجع إلى:
- الخوجة، محمد بن أحمد التونسي: "رسالة في طريقة تحديث الجيش المغربي"، خ. ع، مخ رقم ك 2733، ص. 5 وما بعدها.
- المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى، "الخلل البهيمية..."، مرجع سابق، ص. 315.
- المنوني، محمد، "بقظة المغرب..."، مرجع سابق، ج 1، ص. 92.

ومن المعلوم أيضاً أن مجهودات الدولة في مجال تأسيس صناعة حربية وطنية، قد مرت بمراحل مختلفة، واصطبغت كل واحدة منها وتأثرت بشخصية، وميولات، وانشغالات العاهل الحاكم، وما يكون قد تخلل فترة حكمه من أحداث ووقائع سياسية، وعسكرية.

= - المنوني، محمد، "ورقات عن حضارة المرينيين"، منشورات ك. أ. ر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1996.

- المهناوي، محمد، "السلاح الناري بمغرب السعديين"، د.د.ع، فاس، 1988، ص. 22 وما بعدها.

- العيساوي، فاطمة، "جوانب..."، مرجع سابق، ج 1، ص. 11 وما بعدها.

- برادة، ثريا، "الجيش المغربي وتطوره ...، م. س، 1997، ص. 297 وما بعدها.

- Cadiou (Yves): « La Winchester 1895 », in la Gazette des Armes, n° 24, Février 1975, pp. 26-39.

- Delhomme (Cap.): Les Armes dans le Sous Occidental, in Arch. Berb., Vol. 2, Fasc. 2, 1917, pp. 123-129.

- De Florentiis: « Histoire du Fusil », Paris, 1975, p. 17.

- Dziubinski (A): op. cit., p. 71 et suiv.

يفيد المؤلف بأنه تم اكتشاف منجم للنحاس، سنة 1539، في جبال دمسيرة، في السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط. وبعد هذا التاريخ بقليل تمكن مورسكي من مدريد ومن سكان مدينة مراكش وقتئذ من تدوير هذا المعدن وصنع مدافع صغيرة الحجم والعيار. وفي سنة 1558 ودائماً بمدينة مراكش، تم صنع ما يقرب من 16 قنطاراً من البارود في معاملته وأضاف قائلاً إن مدينة تارودانت هي كذلك قد تم صنع عدد من المدافع بمعاملها في نفس التاريخ تقريباً، في حين شرع في إنتاج نفس المواد بمدينة فاس، بعد أن استولى عليها السعديون سنة 1550.

- Lorain (P): «Petite Histoire du Projectile », in la Gazette des Armes, n° 24, Février 1975, pp. 10-22.

- Raincro (Romain H.): «La Création de la Fabrique d'Armes de Fés, la «Makina » dans la politique Marocaine de l'Italie », Rev. Mc-Europe, n° 7, 1994, Rabat, pp. 177-196.

ووصولاً إلى هذه الغاية، فقد بذلت محاولات أولى على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، إذ اتخذت مجموعة من التدابير والترتيبات، كتأسيس نواة أولى من "جيش النظام"، وتشجيع صنع البنادق والبارود في معامل عدد من المراسي والمدن الداخلية، كسطوان، والعرائش، ومكناس... على أن الحاضرتين الأوليين قد ظلتا نشيطتين في هذا المجال على عهد العاهل المذكور، إذ إن الوثائق المخزنية التي يرد بها الحديث عن العدة والذخيرة وشؤونهما تكاد تقتصر على ثلاثة مصادر فقط، وهي السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام نفسه، أو وزيره محمد بن إدريس العمراوي، ثم عامل العرائش بوسلهام بن علي أزطوط أو باشا تطوان القائد محمد أشعاش ثم ابنه وخلفه عبد القادر. وكان القصد من هذا كله هو تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي من هذه المواد والاستغناء عن جلبها من الخارج، على يد القنصل المغربي بجبل طارق أو غيره من التجار الكبار الذين كانوا يحظون بثقة المخزن في هذا المجال.

فهذا مثلاً الوزير ابن إدريس المذكور يتعرض إلى هذا الجانب، في رسالة وجهها إلى بوسلهام بن علي أزطوط المذكور، حيث نقرأ فيها ما يلي:

«... ووصلت المكحلة المشطرة الأربعمئة التي ذكر الرزيني (قصل المغرب وقتل بجبل طارق) أنها تحت يد تاجر بجبل طارق وثنها خمسة ريال، فاعلم أن المشطرة جيدة، والثلث غال، فإن ظهر لك أن يقوم المعلمين (هكذا) الذين يصنعون المكاحل حيثما كانوا من بادية وحواضر لصنعها وتعددهم بالإحسان، وتعين لهم أجرة فيها كفايتهم من غير ضرر ولا إضرار، وتؤكد عليهم في القيام في ذالك على ساق الجدد... وصنعتنا أفضل من صنعة الروم وأحسن، ليقع الاستغناء عنهم، فما زادوا في سعر ذالك إلا لأجل طلبنا له...»¹.

1- م. و. م. ر، مح 1، ملف رقم 22، وثيقة 19274 بتاريخ متم ذي القعدة 1263 / 9 نونبر 1847.

وتقدم لنا الوثائق مادة متنوعة ووفيرة عن اهتمام السلطان بصناعة السلاح في المدينتين المذكورتين، علاوة على مدينة طنجة، وعن جوانب أخرى مرتبطة بها، وعما كان يصدره من أوامر وتوجيهات إلى القائد محمد أشعاش على الخصوص، في شأن حث وحمل "المعلمين" على مضاعفة جهودهم للرفع من إنتاج البنادق، والذي كان لا يتعدى أربع عشرة مكحلة في اليوم، كما نفهم ذلك من الفقرة الآتية:

«... وها أمرنا للسعيدي يوافيك، وجهه له على شأن الإقامة التي ببلاد أنجرة، وامر صانعي العدة بتضعيف ما يدفعون بأن يدفعوا أربعة عشر، وما يدفعونه سرره فوراً، واتركه بالخزين...»¹.

وفي رسالة أخرى إلى نفس الشخص، يفصح العاهل المغربي بكل وضوح عن الهدف المتوخى من هذا كله، إذ يقول:

«... فإننا أردنا إحياء الصنعة ونفع المسلمين ولو أردنا غير ذلك، لجلبنا العدة من بر الروم بأقل مما تطلع به هنا...»².

وكتب له، في رسالة ثالثة، بتوجيه:

«... معلمين عارفين من أهل الحدق في ذلك لخدمتنا الطالب بوسلهام بن علي، يجعل واحد (هكذا) بطنجة والآخر بالعرائش، حتى يتعلم الناس منهم...»³.

¹- خ. س، مح. ر رقم 1/ 19: ك 5، الوثيقة بتاريخ 15 رجب 1244 / 21 يناير 1829.

²- خ. س، مح. ر رقم 11/ 38: ك 5، الوثيقة بتاريخ 4 رجب 1249 / 17 نونبر 1833.

³- خ. س، مح. ر رقم 6/ 15: ك 5، الوثيقة بتاريخ 27 شوال 1257 / 12 دجنبر 1841.

يتضح لنا إذن من هذا كله أن مدينتي العرائش وطنجة كانتا تفتقران إلى "معلمين"، يجيدان صنع العدة من جهة، وأن مدينة تطوان في هذا التاريخ وقبل النكسة التي منيت بها فيما بعد سنة 1859، على إثر سقوطها في أيدي الغزاة الإسبانيين، قد ظلت أهم وأنشط مركز لصنع العدة في هذه المناطق الشمالية من البلاد، بل على الصعيد الوطني بأكمله، كما نتبين ذلك مما كتبه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامله بوسلهام بن علي أزطوط المتكرر الذكر، في شأن استحسانه جودة وإتقان صنع المكلتين الواردتين من طنجة والعرائش، حيث خاطبه قائلاً:

«... ووصل المكلتان اللتان صنع المعلمان اللذان أمرنا خديتنا أشعاش بتوجيههما إليك لخدمة الجعاب لجانبنا العالي بالله بطنجة والعرائش، وعلمنا ثمن كل واحدة منهما (55 أوقية أو ريال واحد)، وأن إحداها صنعت بطنجة والأخرى بالعرائش، وكلتاها جيدة. فلا بد اجتهد في هذه الحسنة، واجمع الحداثة الذين تقدمت لهم خدمة الجعاب من أهل طنجة والعرائش مع المعلمين التطوانيين ليتعلموا منهما الصنعة، ويزداد العارف معرفة، وتكثر العدة...»¹.

ونلمس أيضاً مما سبق ذكره الطابع التقليدي والطائفي لهذه الصناعة، أي أن إنتاج المكاحل كان يتم في إطار تخصصات معينة، حيث كان كل من "الزنايدية" وهم الصناع المختصون في "صنع صفائح آليات القذف"، و"السرايرية" ويختصون في صنع "القناة الخشبية التي تتركب فيها الجعبة"، و"الجعايبية" ويتولون صنع "الأنبوب الحديدي الذي يملأ بالبارود"، يشتغلون في استقلال تام بعضهم عن بعض².

1- خ. س، مح. ر رقم 6/ 24: ك 5، وثيقة بتاريخ 10 صفر 1258 / 23 مارس 1842.

وانظر كذلك حول صناعة السلاح بمدينة تطوان:

- Joly (A): « Tétouan », Arch. Mar., Vol. 11, 1907, pp. 161-197.

2- لوطورنو، روجي، مرجع سابق، ج 1، ص. 496 و ص. 54.

وأما المواضع والقضايا التي كان يتعرض إليها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام على الخصوص، في رسائله إلى عاملي تطوان والعرائش، القائدين أشعاش وأزطوط، فكان يتعلق الأمر تارة بما كان يرسل إليهما من مكاحل كانت قد صنعت على يدهما ولكنها، عند الاستعمال، ظهر بها خلل تقني أو عيب في الصنع، وكان يتعين عليهما السهر على إصلاحها في أقرب الآجال، وإرجاعها إلى أصحابها بطنجة، أو رباط الفتح وسلا، أو بعينة من نفس المكاحل، تكسر بعضها في يد مستعمليها، متسببة بذلك في قتل وجرح أناس منهم تارة أخرى. وفي كلتا الحالتين، لا يمكن السكوت وغض الطرف عن مثل هذه الأمور، يضيف السلطان، آمراً القائدين المذكورين بجمع المشتغلين في قطاع صنع السلاح، وإبلاغهم قرارات السلطان في هذا الشأن والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- من الآن فصاعداً، يتعين على كل صانع و"معلم" نقش اسمه ووضع طابعه على ما سوف يصنعه من عدة لفائدة المخزن.

- كل من يرتكب "غشاً أو تدليساً يعاقب بما يستحقه...".

- في حال ثبوت أن ما يقبضه من أجر هؤلاء المعلمون والصناع غير كاف ولا يتناسب وما يبذلونه من مجهود، فيمكن، يقول السلطان، في إحدى رسائله إلى القائد عبد القادر أشعاش الذي خلف أباه محمد المتوفى، زيادتهم "ما يكفيهم لذلك نحو درهمين أو ثلاثة، أو أربعة عن كل جعبة ليبالغوا في الإتيان..."¹.

¹ - خ. س، مح رقم 8 / 13 / ك 5، رسالة السلطان إلى محمد أشعاش بتاريخ 7 جمادى الثانية 1259 / 5 يونيو 1843.

- خ. س، مح. ر رقم 9 / 7 / ك 5، رسالة السلطان إلى أزطوط بتاريخ 21 جمادى الثانية 1260 / 8 يوليو 1844.

وأياً كان الأمر، وكما سبق وأن ألمحنا إلى ذلك، فإن عهداً جديداً في تاريخ مدينة تطوان، بل المغرب بأكمله، قد دشن فعلاً على إثر هزيمة المغاربة أمام الإسبانيين سنة 1859-1860، وما أسفرت عنه من عواقب وخيمة على نشاط وحيوية هذه المدينة الجريحة وأهلها على الخصوص. وهذا يعني أن فترة تميزها وتفوقها في ميدان صنع العتاد الحربي وغيره من الميادين الإنتاجية قد انتهت وولت، حيث اضطر سلطان المغرب وقتئذ، سيدي محمد بن عبد الرحمن، أمام تهديدات وتحركات الدول الاستعمارية، إلى التوجه إلى الحواضر الداخلية الكبرى، كفاس، ومكناس، ومراكش لإنشاء مجموعة من معامل الصناعة الحديثة، سواء في قطاع صنع العتاد الحربي، أو غيره من القطاعات الإنتاجية الأخرى، دون أن ننسى المنافسة القوية التي صار يواجهها الإنتاج الوطني من العتاد الحربي وغيره من المنتجات أمام مثيلاتها الأوربية، إذ أخذت تُبورُ العديد من الصنائع والأنشطة الحرفية في عدد من القطاعات هنا وهناك، وبالخصوص مدينة تطوان¹.

والحق أن هذا الوضع المتردي قد استمر في هذه المدينة وغيرها من مدن الشمال على الخصوص، فيما تبقى من القرن التاسع عشر، إذا لم يكن قد تفاقم واستفحل، بسبب تكاثر علائق المغرب مع أقطار أوروبا الغربية، وإحكام قبضتها على تجارتها وماليتها، والنجاح في زعزعة توازناته الاجتماعية، والسياسية والثقافية.

= نقرأ في كتاب السلطان هذا أنه من مجموع خمسين مكحلة كان قد تم صنعها بمدينة العرائش، سبع عشرة منها قد كسرت، وهي "مثل الكاغيد...".
 - خ. س، مح. ر رقم 14/24 ك 5، رسالة الخليفة سيدي محمد إلى القائد عبد القادر أشعاش بتاريخ 4 ذي القعدة 1263/14 أكتوبر 1847.
 1- لوطورنو، روجي، مرجع سابق، ج 1، ص. 54.

طبعاً، وكما كان منتظراً، وبعد انصرام لحظات الصدمة العنيفة التي تلقاها سكان المدينة وهم يرون عاجزين الجيوش الإسبانية الغازية تحتل أراضيهم، وتسطو على ممتلكاتهم، وتعبث بمقدساتهم، استرجعت المدينة أنفاسها، واستأنف الناس من جديد نشاطهم، واستفاقت هذه الصناعات الحربية التقليدية من مرقدتها، وصار المخزن يكلف المشتغلين في هذا القطاع بإنجاز بعض الأعمال والخدمات، كما يتضح لنا ذلك مما ورد في رسالة السلطان المولى الحسن إلى أمناء مرسى المدينة المذكورة، حيث نقرأ ما يلي:

«... ثم إن الوصيف بن الخضر (العامل) أخبر بطلب المعلمين توجيه مكحلة كاملة من هذه العينية (رومية) بقرطاسها ليصنعوا مثالها كذلك، ووجهناها لهم على يده ويدكم، زيادة على الجعبتين الموجهتين قبل، ملحقتين بسريريتهما وزناديهما...»¹.

بيد أن دلائل وقرائن أخرى، في هذا الصدد، تثبت انقراض واندثار عدد من التخصصات في صناعة السلاح الحربي بمراسي الشمال هذه، وبالاخص بالعرائش، وذلك ما أشارت إليه رسالة السلطان المولى الحسن إلى الباشا العربي ولد أب محمد الشرقي الذي كانت المدينة المذكورة تابعة لحكمه وقتئذ، حيث نقرأ فيها ما يلي:

«... واما كتابك معلماً بأنك لم تعثر على من يحسن صيغة سرائر المدافع بالشعر العرائشي إلا على رجل كبير السن لاندثار تلك الحرفة وتلاشيها لعدم من يقوم بها... فنأمرك أن تحيي تلك الحرفة بتكليف الرجل المذكور عند قفوله من طنجة بخدمة يها وتُعزَّزُه بالمتعلمين النجباء ليجعل لهم التعليم في أقرب مدة...»².

¹- خ. س، ك 347، وثيقة بتاريخ 13 جمادى الثانية 1301 / 10 أبريل 1884.

²- خ. س، ك 348، ص. 338، وثيقة بتاريخ 10 ربيع الثاني 1301 / 10 يراير 1884. =

2- 2 فاس ومعاملها لصنع البنادق والبارود والقرطوس

ما من شك أن لعدد من المدن والمناطق المغربية تقاليد عريقة وراسخة في مجال صناعة العدة والذخيرة كفاس، ومكناس، ومراكش، وتطوان، والعرائش، وجبال الريف وتازة، وسوس... أما الحواضر الثلاث الأولى، فلأنها اتخذت عواصم للدول التي تعاقبت على الحكم بالمغرب، وذلك منذ نشأتها على يد الأدارسة حتى سنة 1912، الأمر الذي أهلها قبل غيرها إلى احتضان هذا النوع من الصناعة فيما بعد، اعتباراً من ظهور صناعة البارود بالبلاد، أيام دولة بني مرين من جهة، وانتشار صناعة السلاح الناري بها، أواسط القرن السادس عشر من جهة ثانية¹.

وأما المناطق التي ذكرناها هنا، نظراً لاشتغال قبائلها بخدمة المادة البارود على الخصوص، إما بسبب الاحتياج إليها من أجل الدفاع عن النفس، والعشيرة،

= ومن ذلك أيضاً الأمر الصادر إلى أمناء تطوان باستدعاء:

«مهرة المعلمين يزيلوا منها زنادات الشفر، ويعوضوها بزنادات الذراع التي تخرج بالحجة مع الإتقان وجودة الصنعة بغاية الإمكان...».

- خ. س، مح. ح رقم 103، وثيقة بتاريخ 24 شوال 1303 / 26 يوليو 1886.

1- ذكر الباحث البولوني دزيوبنسكي، في مقالته حول "الجيش والأسطول البحري الحربي المغربي..." السابق الذكر في الصفحة 71، أنه اعتباراً من سنة 1549، شرع في إنتاج البارود بمدينة فاس، ثم في سنة 1558 بمدينة مراكش.

وانظر كذلك، حول هذه الصناعة وصناعة الأسلحة النارية بالمغرب:

- المهناوي، محمد، "السلاح الناري بمغرب السعديين"، د.د.ع، ك. أ، فاس، 1988، ص. 145 وما بعدها.

- العيساوي، فاطمة، "جوانب من علاقة المخزن بالحرف"، مرجع سابق، ج 1، ص. 11 وما بعدها.

Cadiou (Yves) : « La Winchester 1895 ..., op. cit., pp. 26-39.

Lorain (Pierres) : « Petite Histoire ..., op. cit., pp. 10-22.

Rainero (R.H.) : « La création de la Makina ..., op. cit., p. 117 et suiv.

والممتلكات ضد الأعداء والخصوم من القبائل المجاورة، وإما لتسويقها والحصول على منتجات ومواد أخرى، فمنها اثنتان كانتا تقعان في أطراف البلاد وتخومها، في حين كانت الثالثة وهي تازة ونواحيها تتوغل في شواهد الجبال، صعبة المنال والاقتحام، تنشط وتزدهر بها تجارة التهريب، سيما وأن انفتاح الريف وسوس على واجهتين بحريتين كان يغري أكثر من قبيلة للدخول في علاقات تعامل وتبادل مع الأجانب، علماً بأن هذه الجهات كلها كانت تتوفر على المواد الأولية الضرورية لصنع البارود على الخصوص¹.

وفيما يتعلق بظهور صناعة حربية حديثة بالمغرب، وبمدينة فاس على الخصوص، في القرن التاسع عشر، فقد أحاطت بعدد من جوانبها دراسات وبحوث جامعية، فضلاً عما ورد في شأها من بيانات وتفاصيل عند ثلة من المؤرخين المغاربة القدامى كصاحب "البستان الجامع لكل نوع حسن..." محمد بن إبراهيم السباعي، أو مؤلف "إنحاف أعلام الناس..." عبد الرحمن بن زيدان، من حيث ظروف وملابسات إنشاء معمل لصنع العدة والذخيرة من هذا الحجم بالمدينة المذكورة، على يد تقنيين وعسكريين إيطاليين، وفي مقدمتهم الليونتان الكولونيل

1- Montagne (R): Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc. Alcon édit., Paris, 1932, p. 335.

في الفقرة الآتية، يشير المؤلف الذي لا يمكن بأي وجه من الوجوه اتهامه بالانحياز إلى المغرب وحكامه، بسبب مواقفه وميولاته المؤيدة لمخططات دهاقنة الاستعمار في كل من الجزائر وباريز، إلى هذه الظاهرة، حيث كتب ما يلي:

«... بقدر ما كان يحتمل التنافس والصراع في صفوف الدول الأوروبية، بهدف التدخل في شؤون الأباطورية المغربية، بقدر ما كانت تزدهر حركة تسريب الأسلحة إلى الجهات الجنوبية للبلاد. وكانت بعض هذه الدول (إشارة ولاشك إلى إسبانيا وإنكلترا) تشجع على استيراد البنادق والقرطوس، دون ترخيص طبعاً من المخزن، انطلاقاً من سواحل الريف وسوس...».

جيورجيو برَكولي، من رديف الجيش الإيطالي ومختص في سلاح الخيالة، في الفترة ما بين 1889 و1893، والمشتغلين فيه أيضاً من المغاربة، بما فيهم الشبان والمعلمين المكونين بالبلاد الأوربية، ومن بينهم المتخرجين من الأكاديمية الملكية العسكرية بمدينة تورينو (Torino)، ما بين 1879 و1888 على الخصوص¹.

ومعلوم أيضاً أن وقوع اختيار المولى الحسن على إيطاليا لإنجاز المشروع لم يكن قط وليد الصدفة، أو ضغوط أجنبية على العاهل المغربي، بل بعد تفكير وإمعان النظر في الموضوع، إذ كان الغرض منه، قبل كل شيء، هو تحقيق هدفين أساسيين بالنسبة للبلاد، أولهما في السعي إلى تطوير صناعة حربية حديثة، وأما ثانيهما فكان القصد منه الإفلات من قبضي الفرنسيين والإنجليزيين على السواء، الأمر الذي ينسجم مع سياسته وتعامله مع الدول الأوربية.

ودار السلاح هذه هي غير المؤسسة التي تدعى "مكيئة العدة"، أو "الفبركة السعيدة"، والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى ما قبل هذا التاريخ، إذ وردت الإشارة إلى لفظة "الفبركة" في رسالة بتاريخ 10 ذي القعدة 1295، الموافق لـ 5 نونبر 1878، وجهها الحاجب موسى بن أحمد إلى أخيه باشا فاس وقتئذ عبد الله بن أحمد، في سياق الحديث عن استئذان المعلم حَمَّ ومُخْلُوف:

«أخذ 32 شبراً فقط من مقبرة اليهود، أو أخذ الجميع للمقبرة (أي 122

شبراً)، لتبقى 90 شبراً فضاء في الأروى السعيد...».

إلا أن الحاجب ختم رسالته هذه، بإبلاغ مراسله بأن السلطان يأمره بأن

يُرْجَى:

1- السباعي، محمد بن إبراهيم، "البستان الجامع..."، مرجع سابق.

- بن زيدان، عبد الرحمن، "إتحاف أعلام الناس..."، مرجع سابق، ج 2، ص. 495.

«الأمر في بناء الفبركة بالكلية لعدم الاحتياج إليها الآن...»¹.

وأما نحن، فإننا ننوي، فيما يلي واستناداً إلى وثائق مخزنية ذات صلة بالموضوع، التعرض إلى النقاط الآتية:

- تدابير وإجراءات قبيل انطلاق عملية الإنتاج بدار السلاح بفاس.

- الضوابط المنظمة لصنع البارود والقرطوس بها.

- معطيات عن العمال وأجورهم وإنتاج المعمل من البنادق.

لقد أشرنا، قبل قليل، إلى أن أشغال البناء في المعمل كانت قد انتهت سنة 1893، بعد أن دامت أربع سنوات بالتقريب، تخللتها فترات من العمل الدؤوب والمتواصل والتفاهم التام بين أفراد البعثة الإيطالية المكون، فضلاً عن رئيسها بريكولي المذكور، من النقيب ماجور لويجي فالطا (Cap. Major Luigi Falta) الذي عُوضَ، في بداية صيف سنة 1889، بالرائد فرارا (Cdt Ferrara)، والميكانيكي باتيستا نوطاري (Battista Notari) والمخزن أحياناً، وفترات توقف عن العمل وتوتر في العلاقات، وسوء تفاهم بين الجانبين أحياناً أخرى.

وكان يقع هذا كله، وسط مضايقات، ودسائس، ودعاية مغرضة، كانت تحبك خيوطها في المفوضية الفرنسية بطنجة، وكان يتولى تنفيذها أعضاء البعثة

¹- خ. س. و. ز، مج 12، وثيقة رقم 76.

نعلم كذلك بالمناسبة أن المقبرة المتحدث عنها هنا قد استولى عليها المخزن بكاملها، وهي الآن "للمخزن يفعل ما يشاء بها..."، وعُوْضَهَا لهم ببقعة أرضية أخرى، يدفنون فيها موتاهم. وتفيد وثيقة أخرى، مماثلة للسابقة، أن المكلف بمعمل السلاح القديم هذا قبل وفاته في العشر الأواخر من شهر مارس 1879، هو العلج الشهير عبد الرحمن دي السلطاني، وأن السلطان قد أمر بإبقاء مفاتيح المعمل المذكور بيد ولده.

الوثيقة بتاريخ 3 ربيع الثاني 1296، الموافق لـ 27 مارس 1879.

- خ. س. و. ز، مج 26، وثيقة رقم 46.

العسكرية الفرنسية بالمغرب، إذ كان من شأن نجاح المشروع، أن يمكن المغرب من سد حاجياته من البنادق والذخيرة، وبالتالي أن يُؤدّي إلى توقف مبيعات فرنسا من هذه المنتجات إلى المغرب. وهذا ما نلمس جانباً منه مثلاً، مما ورد في تقرير للرائد كوشمير حول "الأجانب بالمغرب"، بتاريخ 24 يونيو 1892، في سياق الحديث عن البعثة الإيطالية وأعضائها، حيث كتب ما يلي:

«... إن أشغال بناء العمل قد تطلبت ما قدره نصف مليون من الفرنكات، في حين بلغت قيمة المعدات التي تم جلبها من إيطاليا حوالي مليونين من الفرنكات كذلك، وهذا كله بدون نتيجة. وخلال الآونة الأخيرة، تم جلب جعاب بنادق غير منقوبة من إيطاليا، استعداداً للشروع في إنتاج العدة والقرطوس، بيد أنه لا قيمة لهذا كله، إذ لا يمثل سوى محاولة لدر الغبار في العيون إذ يستحيل التوصل إلى صنع أسلحة في ظروف مواتية، في بلد يفتقر، في نفس الآن، إلى المواد الأولية الضرورية وإلى عمال مؤهلين...»¹.

وكانت أشغال البناء بدار السلاح هذه، لا زالت مستمرة أواخر شهر مايو من سنة 1891، إذ تطلعنا وثيقة مخزنية صادرة في هذا التاريخ على تعيين الأمين الطاهر بن التهامي سميرس بناني مكلفاً بـ "الصائر على الفبركة السعيدة"، وعلى التعليمات الصادرة له في هذا الشأن، وعلى الأوامر الموجهة إلى سلطات المدينة بشد أزره، وتقديم كل الدعم والعون إليه، وبالخصوص إلى

¹- A.G.V, 3 h 7, p. 4.

تفيد وثيقة مخزنية بتاريخ 9 ربيع الثاني 1309، الموافق لـ 12 نونبر 1891، أن السلطان المولى الحسن قد أصدر أوامره إلى كل من الباشا العربي ولد أب محمد الشرقي، والقائد العربي الأودي، وعامل العرائش، وعاملي الغرب، وعمال بني أحسن، وقواد كيش أزغار، بأن يهيئ كل واحد منهم ما نابه في 400 جملاً، يتسلمها منهم أمناء العرائش، وذلك: «... بقصد حمل ما بقي هناك من جعاب المكاحل، وسرائرها، وإقامتها من حديد ونحاس وغيرهما، وإقامة القرطوس والمكينات للفبركة السعيدة بفاس...».

- خ. س، ك 630، ص. 96.

أمين "البنابات السعيدة" المقرري بأن يمكنه، على رأس كل شهر، من كمية من الجير الذي يتم صنعه من قبل "الجيارة"، والذي جرت العادة بأن يختص المخزن بثلاث ما كان ينتج منه يومياً¹.

وقد انضاف إلى هذا الأمين مسؤول آخر للعمل إلى جانبه، واسمه العربي بن عبد الرزاق بن شقرون، في 24 يناير 1894، واستمر معاً في عملهما هذا إلى أن سَمَّى السلطان المولى عبد العزيز الأمين محمد بن عبد الهادي زنيبر مكانهما، في 27 ربيع الثاني 1312، الموافق لـ 24 يناير 1895، إلا أن هذا الأخير لم تدم مدة عمله طويلاً، إذ في 16 محرم 1313، الموافق لـ 9 يوليوز 1895، أعفي من مهامه، وعين مكانه الأمين المقرري.

ومن حسن الحظ أن ظَفَرْنَا بوثيقة مماثلة للسابقة، لكن بتاريخ 11 صفر 1309، الموافق لـ 16 سبتمبر 1891، نص فيها على القدر من الجير الذي كان يتعين تقديمه إلى أمين الفابريكة كل شهر، وهو ربع الثلث المذكور والذي بلغ في شهر ذي الحجة من سنة 1308، الموافق لشهري يوليو وغشت 1891، خمسين قنطاراً، وهو القدر الذي يمثل واحداً من إثنا عشر جزءاً التي تمثل بدورها نصيب المخزن من الجير الذي كان يتم صنعه وقتئذ. بمدينة فاس، خلال الشهر المذكور، أي ست مائة قنطاراً من هذه المادة².

ويبدو أن أشغال البناء الكبرى في دار السلاح هذه كانت قد انتهت أواخر شهر نونبر 1891، ولكن مَرَّافَقَ منها ظلت ناقصة البناء والتجهيز بعد هذا

¹- خ. س، ك 630، ص. 35.

²- خ. س، م. س، أعلاه، ص. 82.

التاريخ، ومن بينها فرن القرطوس والحبة مثلاً، والذي كان في حدود 24 من شهر دجنبر 1893، لم يكتمل قط هيئته النهائية، إذ كَاتَبَ الليوتنان كولونيل بريكولي الأمين عبد السلام بن محمد المقرئ في شأنه، في التاريخ أعلاه، مستعظفاً إياه في التعجيل بموافاته بالمال الكافي لإنجاز ما تبقى من بناء وتجهيز الفرن المذكور¹.

وكان بريكولي نفسه يتوجه، بين الفينة والأخرى، إلى إيطاليا لاقتناء الآلات والمعدات التي كان يتوقف عليها تجهيز المعمل. وإذا تعذر عليه السفر، أو تعلق الأمر بأدوات خاصة، ليس في وسع فهم تركيبها وطريقة تشغيلها إلا تقني مختص في هذا المجال، فإنه كان ينبب عنه نوطاري الذي كان قد وجده الحال فعلاً، أواخر شهر نونبر 1893، بمدينة طورينو، للحصول على مثل هذه الأدوات الدقيقة إن دعت إليها الحاجة².

ونختم هذه النقطة الأولى من مبحثنا هذا بالإشارة إلى أن البندقيتين الأوليين اللتين تم صنعهما بدار السلاح قد قدمتا إلى السلطان المولى الحسن في 12 مارس 1893³.

1- خ. س، ك 467، ص. 210.

وكذلك رسالة السلطان إلى الأمين العربي بن محمد بن شقرون في شأن الأماكن التي يتعين إنهاء أعمال البناء بها وإطلاعه على المبلغ المالي الكافي لإنجاز أعمال البناء الضرورية.

- خ. س، مع. ح رقم 436، وثيقة بتاريخ 23 صفر 1311 / 5 سبتمبر 1893.

2- خ. س، ق. ح، مع. ح، وثيقة دون رقم بتاريخ 26 نونبر 1893، وهي عبارة عن فاتورة محررة بالإيطالية، ونسخة منها معربة، تضمنت أسماء وأثمان الأدوات التي اشتراها التقني الإيطالي المذكور.

3-Rainero (R.H.): « La création de la Makina de Fés », op. cit., p. 192.

وأما إنتاج الذخيرة بالمعمل الجديد، فكان يقتصر على القرطوس وحده، تحت إشراف المتعاونين الإيطاليين، في حين ظل البارود يصنع على الطريقة التقليدية القديمة، على يد معلمين آخرين كان المخزن يتعاقد معهم شخصياً على مقتضيات وشروط إنتاجه التقنية والمالية، وعلى يد أمناء البارود، كان يتم اختيارهم من بين التجار النشيطين والحقاق. فكان منهم مثلاً، على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الأمين أحمد اللب في مدينة مكناس، وعلى عهد ولده وخلفه سيدي محمد، الأمين أحمد بن سعيد السلاوي بالعدوتين رباط الفتح وسلا. وكان منهم أيضاً في عهد السلطانين المولى الحسن وابنه وخلفه المولى عبد العزيز، بمدينة فاس، عبد الرحمن بن قدور برادة الذي كان قد عين في هذا المنصب في 6 رمضان 1310، الموافق لـ 24 مارس 1893 وظل يشغله إلى أن أعفي منه في 22 يراير 1897، على إثر ما اتهمه باقتراه الأمين عبد السلام بن محمد المقرئ، من أنه كان لا يتردد في بيع البارود. «خفية والاستبداد بنمنه. وأن أمناء دار عديل استكثروا ما يصيره على أيديهم، وأطلعنا به علم مولانا...»، فعين مكانه أميناً على صنع البارود عبد الكريم بن قدور بنيس¹.

وقبل أن نتعرف على نموذج للاتفاق، أي الضابط في الاصطلاح المخزني وقتئذ، والذي كان يلتزم بمقتضياته كل من المخزن والمعلمين "البواردية"، أو قل بالأحرى ما كان يفرضه الجانب الأول على الثاني، بهدف ضبط عملية صنع البارود، سواء في فاس، أو مكناس، أو مراکش، من خلال رسالة السلطان المولى

¹ - خ. س. ق. ح. مع. س. م، ملف رقم 3، الوثيقة ترجع إلى سنة 1283/ 1866-1867.
 - خ. س. ك 199، ص. 58، رسالة الوزير الصدر أحمد بن موسى إلى عبد السلام المقرئ.
 - خ. س. ك 429، ص. 11، حول إعفاء برادة المذكور وتعويضه بالأمين بنيس.

الحسن إلى الباشا العربي ولد أب محمد الشرقي، بصفته واحداً من المسؤولين المخزنيين بهذه المدينة والمعنيين بعملية خدمة البارود وهي بتاريخ 7 رمضان 1310، الموافق لـ 25 مارس 1893، نعلم أنه قبل هذا التاريخ بثلاثة أيام، كان قد حضر إلى دار المخزن بفاس، أربعة معلمين "بواردية"، وهم المعلم أحمد بن محمد التواتي، من سكان فاس البالي ومن كان يصنع بارود المخزن قديماً، ومحمد بن أحمد البلغمي، ومحمد بن الصديق، ومحمد بن عبد الله، وثلاثتهم "مخازنية ومن سكان فاس العليا، وحرر بمحضرهم إشهاد عدلي على ما أقرؤا به حول مقادير الإقامة"، أي ملح البارود، والكبريت، والقدر الكافي من الفحم المصنوع من عود الریش، أو عود الدفلة، لصنع قنطار من البارود، كما ذكروا ما يتعين تقديمه من مال إلى المعلمين، كلما انتهوا من إنتاج الكمية المذكورة من البارود¹.

هذا، وقد أشرنا في فقرة سابقة إلى نسب هذه المواد الثلاثة اللازمة في صنع قدر معين من البارود الحربي، إذ كان ملح البارود يمثل % 75 من مجموع الخليط، في حين يجزأ القدر الباقي، أي % 25 بالتساوي ما بين الكبريت والفحم. وها هي المعطيات التقنية والمالية التي تضمنتها رسالة السلطان المولى الحسن إلى الباشا ولد أب محمد الشرقي، نقدمها في الجدول الآتي:

١- خ. س. مح. ح رقم 406، وثيقة بتاريخ 4 رمضان 1310 / 22 مارس 1893.

الجدول رقم 43: مقادير المواد الضرورية لصنع قنطار من البارود، وأجر صانعيه

نوع البارود وقدره لوا، أجره المعلنين وسمات أخرى	قنطار من البارود المزدج (بحسب 100 رطلاً) ⁽¹⁾	قنطار منه غير مزدج (بحسب 100 رطلاً)	ملاحظات
ملح البارود	85 رطلاً	نفس القدر يمت	1 - الملحة المستعملة في صنع بارود المخزن، أي التي "تُرَدِّجُ" أي تُشَحَّرُ مرتين، في حين كانت الملحة التي تستعمل في بارود البيع، لا تشحر إلا مرة واحدة.
الكبريت	14 رطلاً	" "	2 - يتم التأكد من المسافة التي يقطعها الرمي بالبارود المصنوع لصالح المخزن على يد عدد من المسؤولين
الريش	52 أوقية ونصف		للمخزينيين بالمدينة، ويتعلق الأمر هنا، بالآتي ذكرهم:
أجرة الصنع	42 مثقالاً		- أمناء دار عدل والعدول الذين يشتغلون معهم.
أجرة التزديج	10 مثاقيل	لا شيء	- نائب عن كبير المسكر محمد الصغير الجمعي، وكان دوماً يختار من بين الطلبة المهندسين، أو من كبار ضحية البلد.
			- الباشا ولد أب محمد الشرقي، وزميله الباشا سعيد بن فرجي.
			وفي حالة عدم قطع البارود المصنوع المسافة المحددة، فإنه كان يرفض تسلمه، ويرجع إلى المعلم الذي صنعه.

1- نقرأ في رسالة السلطان المولى عبد العزيز إلى أمناء دار عدل، وهي بتاريخ 17 صفر 1313، الموافق لـ 9 غشت 1895، في شأن ضابط صنع البارود بمدينة فاس، وفي سياق الحديث عن الكمية من البارود المحلوب من الخارج والتي يتعين تسليمها كل شهر إلى أمين الفابريكة السعيدة عبد السلام بن محمد المقرئ، ما يلي: «... المحتوي كل برميل منها على خمسين كيلوا التي قدرها قنطار واحد...»، الأمر الذي يمكننا من معرفة وزن قنطار من البارود وتقتد في فاس، وفي غيرها من المدن، أي خمسون كلغ.

- خ. س، ك 199، ص. 58.

ملاحظات	قطار منه غير مزدج (بحسب 100 رطلًا)	قطار من البارود المزدج (بحسب 100 رطلًا)	نوع البارود ولونه المواد، أجرة المعلمين، ومعطيات أخرى
<p>3- كان يتولى بيع البارود لعموم الناس أمين مستقل، يعينه المخزن لتقيام بهذه العملية. ففي 2 جمادى الأولى 1313، الموافق لـ 21 أكتوبر 1895، كان مكلفاً بهذه المهمة الأمين محمد القبايج الذي رفع شكواه إلى الأمين عبد المجيد بن شقرون بأنه صار "لا يبيع شيئاً مما بيده مه (أي البارود) هذه مدة. وحيث نعت، وجد رجلاً يسمى التواي بقية سوق فاس العليا، يبيع البارود وملحه على الجهد، وفي علمك أن سيدنا قاضاً ذلك...".</p> <p>- خ. س. مع. م. ع. ع. رقم 2/412، رسالة الأمين عبد المجيد بن شقرون إلى الباشا سعيد بن فرجي.</p>	لا شيء	<p>ما بين 64 و85 خطوة، أي ما يناسب هذين الرقمين من الأمتار، في حالة اعتبار قياس الخطوة مساوياً للمتر الواحد^(١)</p>	<p>المسافة المحددة لقبول البارود المزدج</p>

1- A. G. V, Rapp du Cap. Schmitt du 8 Février 1886.

على إثر قيام هذا الضابط الفرنسي المختص في سلاح المدفعية والذي أشرنا إلى حادث اغتياله بتراب قبيلة زمور، قرب وادي بخت، في فقرة سابقة من هذا البحث، باختبار ثلاث عينات من البارود المصنوع بمدينة مكناس، بطلب من المخزن، بأحد ميادين تدريب الكيش والعسكر بقصبة المنشية بمراكش، أعد الخبر المذكور تقريراً ضمنه ملاحظاته حول الأنواع الثلاثة التي أجري عليها الاختبار، ليخلص، في ختام تقريره إلى القول:

«... لقد كانت أنواع البارود الثلاثة التي عرضت علينا جميلة المنظر، ولكنها رديئة الجودة. ففي نظرنا، يكمن سبب الخلل الذي اكتنف عملية الإحراق في كمية الفحم المرتفعة بالنسبة إلى مقادير المواد الأخرى التي استعملت في صنع أنواع البارود التي أجري عليها الاختبار. هذا، وقد يكون العيب المذكور ناتجاً أيضاً عن عدم دق المواد المستعملة في صنعها بما فيه الكفاية.

وبالرغم من هذا وذاك، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الطريقة البدائية المتبعة في صنع هذه العينات الثلاث من البارود، فإن المرء ليندهش فعلاً من الارتسام الإيجابي الذي يتولد في نفسه، من خلال مثل هذه التجربة، من حيث النتيجة العامة المحصل عليها...».

ويتبين لنا أيضاً من الوثائق أن مدينة فاس ومكناس، كانتا تعانيان، بين الفينة والأخرى، إن لم يكن باستمرار، من نقص كبير في عدد الصناع ذوي الخبرة والدراية في إنجاز بعض العمليات التقنية الدقيقة، والتي كانت تكسب المنتج، باروداً كان أو قرطوساً، جودة وإتقاناً. فمثلاً، حين سُئِلَ الباشا حم بن الجيلاني عمن يتقن خدمة تزديج البارود بمدينة مكناس، واختيار إثنيين منهم وتوجيههما إلى فاس، وبعد أن استفسر المعلم الصميلي المعترف له ببياعه ومهارته وقتئذ في هذه الصناعة، أجابه هذا الأخير قائلاً:

«... بأن لا أحد يعرف ويتقن هذه الصنعة، وأن الوصفان المستخدمين فيه الآن، لا يتقنون خدمته. وإذا كان لابد من التوجه، فهو مستعد لذلك...»¹.

وأشارت إلى هذا الجانب أيضاً رسالة السلطان المولى الحسن إلى عامل فاس علي الراشدي، يخبره بصدور الأوامر إلى أمناء دار عدیل بأن يُعْطُوا لِحَامِلِهِ،

«المعلم محمد بن محمد بن عبد العزيز الدكالي المراكشي الموجه لعمل تزديج البارود بفاس عشرة مثاقيل يومية من قبل منونته وأجرته...»².

وتفيد وثيقتان مخزنتان أخرّيان أن اختباراً قد أجري على عينة من القرطوس المصنوع بمعمل السلاح الحديد بفاس، على يد "حراية الأجناس"، أي ماك لين الإنجليزي وشلومبرجي الفرنسي، بمحضر السلطان المولى الحسن، وأنه لم يسفر عن نتائج مرضية، إذ لاحظ الضابطان المذكوران ومساعدوهما المختصون في سلاح المدفعية وعلم القذائف على الخصوص (La balistique)، عدداً من النقائص والعيوب، سواء من حيث نوعية المواد المستعملة في صنعه، أو مَقَادِيرُهَا نَجْمَلُهَا فِي النُقْطِ الْآتِيَةِ:

¹- خ. س، ك 467، ص. 97، الوثيقة بتاريخ 29 ذي الحجة 1310 / 14 يوليو 1893.

²- خ. س، و. ز، مج 27، وثيقة رقم 23 بتاريخ 5 شعبان 1311 / 11 يناير 1894.

(1) وزن كَابْسُولَةِ القُرطُوس لم يتعد 12,50 غراماً، في حين أن وزن نظيرتها "الرومية"، أي المستوردة من الخارج كان لا يقل عن 17,50 غراماً.

(2) غشاء الكَابْسُولَةِ مصنوع من حديد رَهِيف، وَنَحَاسَهَا ناقص الصَّفَلِ والتَّلِينِ، وَقُطْرُهَا أصغر من قُطْرِ جَعْبَةِ البُنْدُوقِيَّةِ الَّتِي صُنِعَتْ قَذِيفَةً لَهَا، الأَمْرُ الَّذِي يُؤَدِّي حَتْمًا إِلَى انشِقَاقِهَا، وَانْشِطَارِ أَجْزَائِهَا وَقْتَ الاستعمال، أي الرمي.

(3) خُلُوُّ حَبَّةِ البارود، أي الرصاص من "الليستري" (Le lustre)، وهو طَلَاءٌ طَبِيعِي كان يكتسبه البارود، بعد "تزديجه"، وذلك بسقيه، من حين لآخر، حتى يظهر عليه نوع من اللمعان، ويصبح بالتالي أكثر مناعة ضد الرُّطُوبَةِ الَّتِي كانت تتسبب في إتلاف كميات هائلة من البارود المخزون هنا وهناك، وبالأخص في المراسي¹.

وكان طَبِيعِيًّا أَنْ يَتَرَعَّجَ السُلْطَانُ مِمَّا شَاهَدَ وَسَمِعَ فِي مِيدَانِ التَّحْرِيْبِ والتَّجْرِيْبِ، إِلَّا أَنَّهُ غَضُ الطَّرْفِ عَنِ سَلْبِيَّاتِ الْاِخْتِبَارِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى مَلَامِحِهِ قَطُّ أَيْ أَثَرٌ أَوْ عِلَامَةٌ غَضَبٍ أَوْ انْفِعَالٍ، بَلْ هَشَّ وَبَشَّ، وَحَيَّيَ الْحَاضِرِينَ، قَبْلَ أَنْ يَغَادِرَ الْمَكَانَ، عَائِدًا إِلَى قَصْرِهِ.

بيد أنه، حين علم بحقيقة أمر القُرطُوس الَّذِي كان موضع تجرِبة واختبار، وكيف أنه صنع باليد لا بِالآلَاتِ والمعدات الَّتِي كانت، وَقْتُ صدور رسالة السُلْطَانِ إِلَى الْأَمِينِ الْمُقْرِي المذکور، أَيْ فِي 14 شَوَالِ 1311، المُوَافَقَ لـ 20 أْبْرِيلِ 1894، لم يتم بعد تركيب جميعها، أبدى العاهل عدم رضاه وارتياحه

1- خ. س، ك 694، ص. 33، رسالة السلطان المولى الحسن إلى الأمين المقرري، وهي بتاريخ 6 شوال 1311 / 12 أبريل 1894.

لغفلته وتراخيه، آمراً إياه بأن يبين «سَبَبَ تَمَشِّي هَذِهِ الْحِيلَةِ عَلَيْكَ حَتَّى أَرَوْكَ غَيْرَ
الْوَاقِعِ وَاقِعاً...»¹.

على أننا نستشف من الوثائق المتوفرة لدينا حول صنع العدة والذخيرة في
هذه الفترة، أو فيما بعدها وذلك حتى سنة 1912، أن ما استمرت المعامل المغربية
تنتجه منهما، هنا وهناك، ظل من النوع الرديء، مقارنة بما كان يصنع منهما
بالمعامل الأوربية. وهكذا، وفي سياق الحديث عن تجربة أخرى من نفس النوع،
أُجْرِيت هذه المرة بمدينة مراكش، ثلاث سنوات بالتقريب بعد التجربة السابقة،
على عينة من بارود صُنِعَ على يد المعلم بلحبيب، وهو ممن كان قد تدرب على
هذه الصناعة وغيرها بإنكلترا، وبصفته عضواً في لجنة الاختبار، أبدى الرائد
شلومبرجي ملاحظاته على محاولة الصانع المغربي، نجملها في النقاط الآتية:

(1) إن البارود ونظيره الذي كان يصنع في جهات أخرى من البلاد،
رديء، إذ لا هذا ولا ذاك، يمكن التعويل عليهما في ميادين القتال، أمام خصم
يتوفر على بارود إنجليزي أو فرنسي الصنع.

(2) بلغت المسافة التي قطعها البارود الإنجليزي الصنع حوالي 85 متراً، وذلك
منذ محاولة القذف الأولى، في حين تعب كثيراً بارود بلحبيب في قطع مسافة 40

¹ - خ. س، ك 734.

- A.G.V., 3 h 8, Rapp. du Cdt Schlumberger, n° 28 du 11 Avril 1894, p. 3.
أفاد الرائد شلومبرجي في تقريره هذا أن اختباراً موازياً للسابق، كان قد أجري على عينة من
قرطوس فرنسي الصنع، كان المخزن قد جلبه على يد التاجر الفرنسي كوتس (Gautsch)،
فتبين، حسب زعمه، أنه لا سبيل للمقارنة بين الصنفين المغربي والفرنسي، إذ بقدر ما كان هذا
الأخير سالماً من كل عيب ونقص، كان الأول رديئاً وغير ذي جدوى كبيرة، في حالة استعماله
ضد خصم بحوزة مقاتليه قرطوس "رومي"، إنجليزي أو فرنسي مثلاً.

متراً، علماً بأن البارود البلدي الذي كان يتم صنعه على يد معلمي مراکش، كان لا يتعدى مسافة 37 متراً.

(3) ونظراً لما سبق ذكره، فإنه من المستبعد جداً أن يتم صنع بارود من النوع الجيد بالمغرب، في الظروف الراهنة، ما دامت الوسيلة الوحيدة المستعملة في دقه ودكه هي سواعد العمال، وليس بواسطة آلات الضغط والعصر الحديثة¹.

وأما النقطة الثالثة في مبحثنا هذا، فسنخصصها للحديث عن العاملين بدار السلاح بفاس، وعن أجورهم، وعن وتيرة الإنتاج بها أيضاً، وسوف ننطلق من وثيقة تضمنت معلومات ومعطيات حول هذه الجوانب، وتغطي المدة المتراوحة ما بين 17 رجب 1311، و6 صفر 1313، الموافق لـ 24 يناير 1894، 29 يوليو 1895. وهكذا نعلم أن الإنتاج، خلال الفترة المذكورة، كان يتراوح ما بين 40 و100 بندقية في الشهر، من نوع بوحفرة، أي مارتيني - هنري (Martini-Henry)، كان يتسلمها الأمناء من القيم الإيطالي على المعمل، وكان يشارك في صنعها حوالي 135 عاملاً، كان يعطى لكل واحد منهم يومياً حوالي 25 أوقية، تحت إشراف 12 معلماً، راتب كل واحد منهم في اليوم حوالي 63 أوقية².

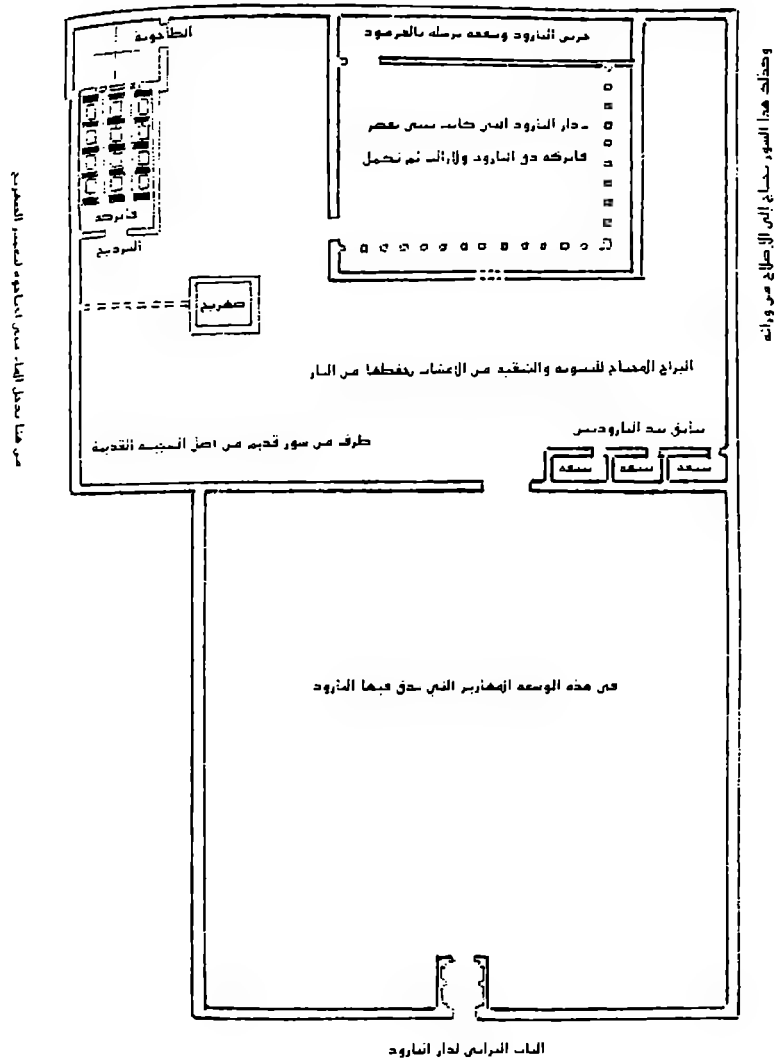
¹- A.G.V., 3 h 11, Rapp. du Cdt Schlumberger n° 22 du mois de Juin 1897, p. 8.

²- خ. س، ك 210، ص. 3 وما بعدها.
تفيد وثيقة بتاريخ 12 رمضان 1305، الموافق لـ 23 مايو 1888 أن مؤونة الطالب المختار الرغاي اليومية، بصفته مُترجماً "للفسيالات الطليانين" قد حددت في 45 أوقية.
- خ. س، مع. ح رقم 161.

الرسم رقم : 9

دار البارود

١٠ هذا السور مر مرأ، محتاج لا صلاح العمل لئلا يسهط لئوه



رسد معبر ص ب ناریون

مجلسه ۱۰۰ - ۱۰۱

^a χ^2 = 1.00, df = 1, p = 0.32. ^b χ^2 = 0.00, df = 1, p = 1.00.

ويرى الرائد كوشميز، استناداً إلى مصدر موثوق به حسب ادعائه، أن
معمل السلاح هذا غير قادر البتة على صنع أكثر من 4 إلى 5 بنادق في اليوم، وذلك
راجع بالأساس إلى افتقاره إلى العدد الكافي من الصناع المؤهلين والمتعودين على
العمل الجماعي، في إطار وحدات صناعية حديثة، كما هو الشأن في فرنسا مثلاً،
أو إنجلترا. وهذا يعني أن كل بندقية تم صنعها في هذه الظروف، كانت تكلف
المخزن ما بين 45 و60 فرنكاً، إذا ما اعتبرنا فقط الرواتب والتعويضات التي كان
يقدمها إلى أعضاء المتعاونين الإيطاليين، أي دون احتساب الاستثمارات والصوائر
الأخرى التي كان قد تطلبها تشييد وتجهيز المعمل المذكور من جهة، وأجور
ورواتب العمال والأعوان المغاربة من جهة ثانية¹.

ويتجلى لنا عدم استقرار إنتاج البنادق بالفابريكة هذه من الأرقام المثبتة في
الجدول الآتي:

1- A.G.V., 3 h 7, Rapp n° 115, du mois de Juin 1893, p. 24.

يقول هذا الضابط بأن السلطان أنفق ما لا يقل عن 4000000 فرنك فقط في أشغال بناء
معمل السلاح بفاس.

الجدول رقم 44: ما يصنع من البنادق في معمل فاس في الشهر وفي أقل منه

عدد البنادق المصنوعة	المدة الزمنية	المصدر والتاريخ	ملاحظات
40	18 يوماً	خ. س، ك 210، ص 1 وما بعدها، 5 شعبان 1894 / 11 يراير	
90	35 يوماً	م. س، أعلاه، ص 6، 5 صفر 1313 / 28 يوليو 1895	
235	29 يوماً	خ. س، ك 734، ص 25، شوال 1316 / يراير - مارس 1899	
240	30 يوماً	م. س، أعلاه، ص 25، حجة 1316 / أبريل - مايو 1899	
125	23 يوماً	م. س، أعلاه، ص 29، ربيع الأول 1317 / يوليو - غشت 1899	
130	26 يوماً	م. س، أعلاه، ص 29، ربيع الثاني 1317 / غشت - سبتمبر 1899	
115	30 يوماً	خ. س، مع. م. ع. ع، مع رقم 7/421، وثيقة بتاريخ ذي الحجة 1317 / أبريل 1900	
115	30 يوماً	م. س، أعلاه، شوال 1318 / يناير - يراير 1901	

يستوجب ما أثبتناه في الجدول أعلاه بعض الملاحظات نجملها في النقاط الآتية:

- 1) تذبذب أعداد البنادق المصنوعة من سنة إلى أخرى، بل من شهر إلى آخر، على امتداد الفترة التي ظل العمل مستمراً بدار السلاح هذه، إلى أن توقف نهائياً سنة 1903، حيث أُغْلِقَتْ أبوابها، علماً بأن الجانب الإيطالي، مثلاً أول الأمر في شخص الليونتان - كولونيل بريكولي، ثم في شخص خلفه الضابط فرارا، كان قد التزم بصنع 125 بندقية و40000 قرطوسة في كل شهر.

(2) تنطبق نفس الملاحظة على أعداد العاملين المغاربة بالمعمل المذكور، وبالخصوص فئة العمال منهم، إذ كانت تتغير باستمرار. ومرد هذا، ولاشك، إلى سببين رئيسيين، يتمثل أولهما في ضعف وهزال الأجر اليومي الذي كان يقدمه المخزن لهم من جهة، وأما ثانيهما، فيَكْمُنُ في الظروف الصعبة، بل القاسية أحياناً التي كان يعمل فيها هؤلاء المستخدمون من جهة أخرى، إذ كان بعضهم يربط إلى البعض، بجبل من قنب، أو قيد من حديد، للحيلولة دون إقدامهم على الفرار.

وقد أشارت وثيقة مخزنية إلى عددهم، طيلة أيام شهر ذي القعدة 1314، الموافق لشهر أبريل 1897، حيث تراوح ما بين 233 و237 عاملاً، كان أجر كل واحد منهم يومياً 30 أوقية، في حين ظل عدد المعلمين محصوراً في 12 شخصاً¹.

1- خ.ص. س، س III، حرف - ب -، مح 25، وثيقة رقم 3642 بتاريخ فاتح ربيع الأول 1314، الموافق لـ 10 غشت 1896.

ويتعلق الأمر برسالة وجهها الأمين محمد بن عبد السلام المقرري إلى السلطان، يشير فيها إلى أن الفصل السابع من "الشروط المنظمة للعمل بدار السلاح بفاس مع قيم دار السلاح الكرنيل فرارة..."، ينص على ما يلي:

- تتراوح أجرة المعلمين ما بين 6 و12 مثقالاً في اليوم.

- وأما المعلمون، فيعطاهم 2 إلى 5 مثاقيل في اليوم كذلك.

ويتضح لنا أيضاً مما ورد في هذه الرسالة تعارض موقفين ووجهتي نظر مختلفين حول مسألة التعويض عن العمل، إذ لم يستغ الأمين المخزني المذكور الزيادة التي قررها مؤخراً الضابط فرارا في أجور عمال الفابريكة السعيدة، في حين كان الأمر عادياً وطبيعياً بالنسبة لهذا الأخير: «لما رءاه من حزمهم ودوام ضبطهم في الخدمة التي هم بقصدها، ظهر له الزيادة لهم...». - خ. س، ك 374، ص. 29، وثيقة بتاريخ 28 جمادى الثانية 1317 / 3 نونبر 1899.

وكانت صفوف هؤلاء المستخدمين تتعزز، بين الفينة والأخرى، بصناع لهم خبرة في عدد من الصناعات الحربية، وعلى الخصوص، "الزنادية"، و"الجعايبية"، و"السرايرية"، و"البواردية"، كان يؤتى بهم من تطوان، ومكناس، ومراكش¹.

على أن بعض هؤلاء الوافدين على مدينة فاس من جهات أخرى، بقصد العمل بدار السلاح بها، إما بسبب سوء سلوكهم في العمل، أو عجزهم عن إنجاز ما كان يطلب منهم إنجازَه من أعمال، كان قيم الفابريكة الإيطالي يطالب المسؤولين المغاربة بإبدالهم. وهذا ما حدث فعلاً، في مستهل شهر ربيع الأول 1311، الموافق لأواسط سبتمبر 1893، حين أخطر بريكوّلي أمين الفابريكة الطاهر سميرس بتّاني برغبته في «إبدال متعلمين من أهل تطوان بغيرهم من أهل فاس...»².

وكانت فئة من هؤلاء المتغربين عن أوطانهم يستنجدون بذوي الجاه والنفوذ في مدينتهم، ملتمسين منهم التدخل لدى إحدى الشخصيات البارزة في الجهاز المخزني، حتى يسمح لهم بالرجوع إلى أهلهم وذويعهم، كما نلمس ذلك مما

1- خ. س، و. ز، مج 25، وثيقة رقم 232، رسالة الباشا عبد الله بن أحمد إلى ولده وخلفه محمد بتاريخ 16 جمادى الأولى 1301 / 14 مارس 1884.

- خ. س، و. ز، مج 13، وثيقة رقم 205 بتاريخ مهل شعبان 1307 / 28 غشت 1889. حيث نقرأ في رسالة المولى الحسن إلى باشا مكناس حم بن الجيلاني، ما يلي: «... فنأمرك أن تنتخب من مهرة المعلمين الذين يصنعون جعاب المكاحل والذين يصنعون زنادقها هناك، إثنين من الجعايبية واثنين من الزنايدية، وتوجههم لحضرتنا...».

- خ. س، و. ز، مج 15، وثيقة رقم 255 بتاريخ 10 جمادى الأولى 1309 / 12 دجنبر 1891.

2- خ. س، ك 467، ص. 237، رسالة السلطان المولى الحسن إلى الأمين المذكور أعلاه، بتاريخ 4 ربيع الأول 1311 / 15 غشت 1893.

ورد في رسالة الوزير الصدر أحمد بن موسى إلى الأمين عبد الكريم بريشة، يخبره بموافقة السلطان المولى عبد العزيز على عودة المعلم محمد الرويز إلى بلده تطوان، على إثر تدخل الشريف محمد الريسوني لفائدته، ولكن شريطة أن يتم تعويضه بغيره من معلمي المدينة المذكورة، على يد عاملها¹.

وأياً كان الأمر، فإن المخزن قد ظل يعلق آمال عريضة، ويولي اهتماماً خاصاً بمسألة انتظام عملية إنتاج العدة والذخيرة بالمعمل الحديد، مطالباً القيم الإيطالي عليه بالإيفاء بما سبق وأن التزم به في هذا الصدد، أي تعهده بصنع 100 بندقية و20000 قرطوسة في الشهر.

بيد أن الجانب الإيطالي، ولأسباب تقنية ومادية ولاشك، كان لا يتمكن في غالب الأوقات، من الإيفاء بوعوده، الأمر الذي كان يثير حفيظة السلطان، ويحمله على الاحتجاج على السير البطيء لعملية الإنتاج بالفابريكة السعيدة، وعلى التهديد بإغلاق أبوابها، وتسريح جميع العاملين بها، مغاربة وأجانب على السواء. وهذا ما نلمس صورة عنه، مما ورد في رسالة السلطان المولى الحسن إلى الأمينين الطاهر سميرس بناني والعربي بن شقرون، حيث نقرأ ما يلي:

«... فقد كنا قدمنّا لكم أمرنا الشريف بإبطال خدمة المكيّة النحاسية (لسك النقود) والقرطوس، لعدم ظهور نتيجة في خدمتهما إلا كثرة الصوائر بغير فائدة، وإسقاط الأجرة عن خدمتهما، وتوجيه من كانوا تعلموا ببر النصرية لمراكش، ومن عداهم يصرفون لبلادهم، إلا إن أعطى الطلياني خط يده بالالتزام بالقيام على ساق في خدمة العدة والقرطوس، وإظهار النتيجة...»².

¹- خ. س، ك 224، ص. 3، الوثيقة بتاريخ 24 شوال 1313.

²- خ. س، مح. ح رقم 392، الوثيقة بتاريخ 23 ربيع الأول 1310 / 15 أكتوبر 1892. =

ثم إن خيبة أمل السلطان وأعوانه، كانت لا تقتصر فقط على جانب تعثر الإنتاج بالمعمل المذكور، بل نلمسها أيضاً من حكمهم على القيمة الحربية للسلاح والذخيرة اللذين كان يتم صنعهما به، وسنقتصر هنا على سوق شهادتين، أولاهما تقدمها لنا بطاقة وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي إلى أمين الأمانة محمد التازي، وأما الثانية، فنستقيها مما كتبه الفقيه محمد بن الحسن الحجوي، حول هذا الموضوع، في سياق حديثه عن الهزائم التي كان يلحقها الفتان الروكي بوحمارة بعناصر الكيش، والعسكر، وحراك القبائل التي كان يجندها المخزن لمحاربته.

فقد كتب الوزير المنبهي ما يلي:

«... فإن ما عند القائد الجليلاني الدمناني من العدة هو من عمل المكنية، ولا يخفك عملها، وما يحدث بها من الفساد. ولأجل ذلك، طلب إبدال ما بيده منها لإخوانه الحاركين معه بقصد الغرض. وعند تمامه، تحاز منهم، فإنهم نفاعا لتقف في ذلك حتى يحوزوها بالقصد المذكور...»¹.

وجاء فيما كتبه الحجوي ما يلي:

«... ومن الأسباب التي أوجبت الانكسار أنه لما وجه مولاي عبد العزيز العساكر لقتال أبي حمارة، أعطاهم السلاح الذي صنع في معمل فاس الذي بناه والده، وأنفق فيه الملايين الكثيرة في شراء المعمل من إيطاليا، وبناؤه مع المواد التي كانت تصنع بها البنادق. وكانت تلك البنادق بيضاء مفضضة، فأطلقوا عليها اسم البويضة. فلما ضربوا بها الفتان، صارت تنكسر في يديهم...»².

= ووردت ملاحظات وتحذيرات مماثلة لهذه فيما كتبه نفس العاهل إلى ابنه وخليفته بمدينة فاس الأمير مولاي عمر، سنة بالتقريب بعد التاريخ أعلاه.

- خ. س. و. ز. مج 9، وثيقة رقم 188 بتاريخ 13 صفر 1311 / 26 غشت 189

1- م. و. م. ر. مج 3، الوثيقة بتاريخ 16 ربيع الأول 1321 / 12 يونيو 1903.

2- الحجوي، محمد بن الحسن، "انتحار المغرب..."، مرجع سابق، ص. 20.

رسم بياني رقم : 10

وبالرغم من هذا وذاك، فقد واصل العمل نشاطه فيما تبقى من عهد السلطان المولى الحسن، وأمكنه تزويد المخزن بمئات من المكاحل وآلاف القربوس. ولكن كانت هذه البنادق وذخيرتها أقل جودة وفعالية من التي كان يتم صنعها في المعامل الحربية الأوربية وقتئذ، فإنها مع ذلك، كانت ذات جدوى وفائدة كبيرتين في تمكين المخزن من شنّ حملات عسكرية ناجحة ضد القبائل العاصية.

يبد أن وفاة هذا العاهل في صيف سنة 1894، وما أعقبها من فتن وحروب داخلية، وعزوف السلطان الشاب المولى عبد العزيز عن الجيش وشؤونه من جهة، وبداية تحقيق نوع من التقارب والتفاهم بين الفرقاء الأوربيين حول المغرب ومستقبله من جهة أخرى، كلها معطيات وعوامل كان لها أسوأ الآثار على الفابريكة السعيدة ومصيرها. وزاد الأمر استفحالا وتلاشياً، بعد وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في شهر مايو من سنة 1900. ولا أدل على هذا من إسناد الإشراف التقني والفني لهذه المؤسسة الحربية، بعد رحيل الضابط فرارا عن المغرب سنة 1907، إلى مجرد تقني بسيط وهو جيوزي كامبيني (Giuseppi Campini)، عوض اختيار ضابط سام لتولي هذه المهام¹.

3) احتكار المخزن للصناعة الحربية واعتناؤه بالمهرة من صناعات الأسلحة

والبحث عنهم

من المعلوم أن صنع البارود، أو أي نوع آخر من السلاح الناري كالبنادق مثلاً، كانت تختص به الدولة المركزية، إذ ظل حكراً عليها دون سواها من مؤسسات ومكونات المجتمع الأخرى، وذلك طبعاً لأسباب سياسية، وأمنية، واجتماعية واضحة، لا حاجة إلى التوسع في ذكرها هنا.

1- Rainero (R. H) : « La Création de la Makina... », op. cit., p. 195.

بيد أن الدولة التقليدية، والمغرب نموذج معبر عنها في الفترة موضوع دراستنا هذه، كانت تعوزها الوسائل التقنية والمادية الكفيلة بتمكينها من مراقبة كافة أرجاء ترابها الوطني، وبالتالي فرضُ إرادتها بعدم إقدام أي كان على صنع هذه المنتجات الممنوع صنعها إلا بترخيص منها.

وَعَنِيَّ عن البيان أيضاً أن حرق هذا المنع كان يحدث بكثرة وباستمرار في المناطق النائية والجبليّة، بسبب عدم انقياد سكانها إلى الأوامر والأحكام، إذ نجد آثار لهذه الظاهرة في الكتابات الوطنية والأجنبية على السواء.

فهذا القنصل الفرنسي الشهير أكوست بومي (Auguste Beaumier)، يذكر في مقالة له تحت عنوان: "حول بلاد درعة"، أن سكان هذه المنطقة كانوا يتتجون ما يكتفهم من البارود والقرطوس، حيث كانوا يمزجون مقادير من ملح البارود، والكبريت، وفحم عود الريش أو الدفلة، حسب النسب الآتية:

- عشرة أجزاء من المادة الأولى.

- جزء واحد من المادة الثانية.

- جزء واحد من المادة الثالثة⁽¹⁾.

وذكر الراهب الخطير شارل دي فوكو، في مؤلفه "رحلة استطلاعية في المغرب"، (Reconnaissance au Maroc)، وبعد زيارته لمدينة تازة والتقائه أخبار ومعلومات عن أهلها وأنماط عيشهم، ومصادر ثروتهم، أن ما لا يقل عن ثمانين داراً كانت مشغلة بصنع البارود والقرطوس، مضيفاً بأن جبال غيابة كانت

¹- A.E.P., C. P, Vol. 1847, p. 3.

تختزن كميات هامة من معادن الحديد، والإثمد، أي الأنتيموان (Antimoine)، والرصاص، وهو الأمر الذي ساهم، حسب قوله، في ازدهار مثل هذا النشاط في هذه الربوع من البلاد¹.

على أن هذا المنع لم يكن ساري المفعول في كل وقت وحين، إذ كان المخزن، وفي ظروف خاصة، ولاسيما أمام تحرشات وتهديدات الدول الأوربية الاستعمارية، يسمح للجميع بصنع البارود مثلاً، وشراء السلاح، وهو الأمر الذي حدث فعلاً أثناء وقعة إيسلي وحرب تطوان. وهذا ما نفهمه مما خاطب به السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام عامل العرائش، القائد بوسلهام بن علي أرطوط، حيث قال:

«... فقد سرحنا خدمة البارود لمن أرادها، فيلخدمه من شاء لنفسه أو بقصد البيع. فإنما كنا ثقفناه سداً لباب الفتنة والفساد، وكذلك من أراد خدمة ملحته...»².

وسبق لنفس العاهل، أربع عشرة سنة قبل تاريخ تحرير الفقرة أعلاه، أن وجه كتاباً إلى عامله على مدينة تطوان، محمد بن عبد الرحمن أشعاش، يقول فيه ما يلي:

«... فقد جعلنا الكبريت كُطْرَيْنَضُ كما كانت في عهد جدنا سيدي محمد رحمه الله، فبوصول كتابنا هذا إليك، حُزْ ما تحت يد التجار منها في الخزائن هناك بشمنه الذي اشتروه به من بر النصارى... وأخبرهم أن لا يبيع فيها أحد ولا يشتري غير المخزن...»³.

1- Foucauld (Charles de) : «Reconnaissance...», op. cit., p. 33.

2- خ. س، مع. ر رقم 9 / 11 / ك 5، الوثيقة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1260 / 2 يوليو 1844.

3- خ. س، مع. ر رقم 2 / 7 / ك 5، الوثيقة بتاريخ 4 شعبان 1246 / 18 يناير 1831. =

وواضح مما سبق ذكره أن المخزن، ما أن تنفرج الأزمة، وتهدأ العاصفة ويتعدد الخطر، حتى يبادر إلى اتخاذ قرار المنع، والانفراد بخدمة البارود والاتجار في مواد صنعه، كما نلمس ذلك من العديد من الرسائل الصادرة عن السلطان في هذا الصدد.

ولم تتغير قط سياسة المخزن في هذا المجال فيما بعد، وبالخصوص على عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن، إذ ظل أمر صنع العدة والذخيرة حكراً على المخزن وحده. ومما يثير الانتباه في هذا الصدد، السماح لبعض الشخصيات البارزة في الجهاز المخزني، كالعلاف الكبير محمد الصغير بن العربي الجامعي، وقائد سلاح المدفعية مولاي أحمد بن عبد الله الصوري، والحاج محمد بن عزوز بنونة، أمين الداخل بفاس، بشراء كميات من ملح البارود مثلاً، ودفعها إلى أمناء دار عدليل بفاس، أو إلى نظرائهم ببنينة الصائر بمراكش، حتى لا تتسرب هذه المادة إلى جهة أخرى غير المخزن، ويغنم هؤلاء الوسطاء بعض المال من خلال العملية المذكورة¹.

= وانظر أيضاً رسالة السلطان إلى عامل تطوان، القائد عبد القادر بن محمد أشعاش، بتاريخ 28 ذي القعدة 1265، الموافق لـ 15 أكتوبر 1849.

- خ. س، مح. ر رقم 14/32 ك 5.

Miège (J. L.) : Le Maroc et Europe, op. cit., 12, p. 236.

حيث أشار المؤلف إلى الظواهر السلطانية الصادرة في الفترة ما بين سبتمبر 1850 ودجنير 1851، والتي أباحت للمخزن وحده حق الاتجار في عدد من المواد كملح البارود، والرصاص، والزنك، والبارود...

وانظر أيضاً ما كتبه، في هذا الشأن، السلطان المولى الحسن إلى الباشا سعيد بن فرجي، حيث ذكره بمنع «خدمة البارود بصفروا منعاً كلياً...»، أمراً بإياه بأن يكون «...عليهم عينا وأذننا...».

- خ. س، مح. ح رقم 391، الوثيقة بتاريخ 3 شوال 1310/20 أبريل 1893.

¹- خ. س، مح. ح رقم 432، رسالة عامل فاس على الراشدي إلى السلطان، بتاريخ 22 رمضان 1310/9 أبريل 1893.

ومن المعلوم كذلك أن المخزن كان يولي عناية خاصة للمهرة والحدائق من صناع السلاح والذخيرة، إذ كان ينعم عليهم بصلات وهبات، من حين لآخر، ويوفر لهم السكن في حالة تعيينهم خارج مكان استقرارهم العادي. وهذا ما تضمنته رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى ابنه وخليفته بمدينة مراكش الأمير مولاي الحسن، حيث أمره بإسكان المعلم أحمد بن الفضيل الذي عين مؤخراً للعمل بمعمل صنع البارود بهذه المدينة، والاعتناء به والإحسان إليه¹.

ومن أنواع الاعتناء كذلك بمؤلاء المعلمين والتقنيين، فرداء وجماعات، في الحاضرة كما في البادية، إعفاؤهم من أداء الوظائف المخزنية، والقيام بالتكاليف السلطانية، مكافأة لهم على ما يقدمونه من خدمات إلى المخزن، في قطاع يكتسي أهمية خاصة بالنسبة للدولة. وهذا ما نستشفه مما ورد في رسالة السلطان المولى الحسن إلى الباشا حم بن الجيلاني، أمراً إياه بالتوقف عن مطالبة جماعة الرحامنة، سكان أحواز مدينة العرائش، بالقيام ببعض الوظائف إلى جانب من كان تابعاً له من قبيلة الخلط، إذ هم محررون من ذلك وما شابهه، وذلك "لقيامهم بخدمة كرايط ذالكم الثغر..."².

(4) استيراد السلاح والذخيرة، ومحاولة إحياء الأسطول الحربي المغربي

ليس من الصعب على من نقَّبَ في الوثائق المخزنية بالدرجة الأولى، أن يتبين على وجه العموم، الظروف والملايسات التي كانت تحيط بعمليات اقتناء المخزن للعتاد الحربي من البلاد الأوربية، على امتداد القرن التاسع عشر. ونقصد بهذا على

¹- خ. س، ك 47، ص. 93، الوثيقة بتاريخ 12 جمادى الثانية 1283 / 22 أكتوبر 1866.

²- خ. س، و. ز، مج 13، وثيقة رقم 84 بتاريخ 2 ربيع الأول 1305 / 18 نونبر 1887.

الخصوص، ما كانت تنفرد به سياسة كل واحد من سلاطين الفترة، بدءاً من عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، وانتهاء بعهد المولى عبد الحفيظ، وهي سياسة ساهمت في بلورتها عوامل سياسية، واقتصادية، وشخصية. ومن ثمة، فعوض التركيز على الجوانب الكمية والمالية لواردات المغرب من السلاح والذخيرة، فإننا سنحاول التعرض إلى قضايا أخرى، كما تراءى لنا من مصادرنا الوافرة العدد حول ما نحن بصدد معالجته في مبحثنا هذا.

وأول ملاحظة تتبادر إلى ذهننا، في هذا الصدد، أن اعتماد المغرب على الدول الأوروبية في تسليح مقاتليه، يعود إلى عشرات السنين قبل الشروع في إنجاز مشروعه التحديثي، أي أن التبعية كانت بنيوية وليست ظرفية.

وبالفعل، تقدم لنا المصادر مادة وافرة ومتنوعة حول سياسة المولى عبد الرحمن بن هشام في هذا المجال، ولاسيما بعد شروع الفرنسيين في احتلال القطر الجزائري الشقيق سنة 1830، وظهور مقاومة وطنية به، بزعامة الأمير عبد القادر بن محيي الدين. وأول ما يثير الانتباه، في هذا الصدد، أن جميع واردات المغرب من العتاد الحربي، أو من المواد التي كانت تدخل في صنع بعض أنواعه كالحديد، والرصاص، والكبريت مثلاً، على عهد السلطان المذكور، كانت تتم عن طريق الثلاث مراسي الشمالية الكبرى، تطوان، وطنجة، والعرائش. فكان السلطان يصدر أوامره إلى عمال هذه المدن، آل أشعاش من جهة، وعبد السلام السلاوي المكناسي، وبعده بوسلهام بن علي أزطوط على الخصوص من جهة أخرى، بالعمل على جلب ما دعت إليه الحاجة من المنتوجات الحربية المذكورة، وذلك بالتنسيق مع قنصل المغرب يجبل طارق، اليهودي بن عليل في مرحلة أولى، ثم

حدو جسوس في مرحلة لاحقة، علاوة على تكليف ثلة من كبار التجار كالحاج الطالب بن جلون، ومحمد بن أحمد الرزيني، باستيراد كميات من هذه المتوجات والمواد لحساب المخزن الذي كان يقبل هذا النوع من السلع، تسديداً للمبالغ المالية التي ما زالت بذمتهم، برسم واجب التعشير على البضائع والمتوجات المصدرة أو المستوردة من طرفهم. وهذا ما نلمسه مما كان يخاطب به السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام هذا المسؤول أو ذاك، في شأن جلب العدة والذخيرة. فقد ورد في رسالة وجهها إلى القائد عبد السلام السلاوي المذكور ما يلي:

«... فقد وصل لحضرتنا الشريفة المدافع الإثنا عشر التي وجه ابن عليل بإقامتها، وءالها حسبما ذكر. غير أن الزنادات ليست لها لأنها أكبر منها لا تركب عليها، فلعله وقع فيها تبديل...»¹.

وفي سياق الحديث عن أنواع البارود التي توصل بها من جهته عامل تطوان أشعاش المذكور، والنتيجة التي أسفر عنها الاختبار الذي كان يجري على كل نوع منه على حدة، وإرسال عينة منه في "جعبة قزدير" إلى السلطان، نقرأ ما يلي:

«... وما ذكرت على شأن ما أخبرك به الحاج محمد الرزيني من أنه تفاصيل مع أولاد ابن عليل، وهل يقبل بارود صاكة الصوف، والمال الذي قبض منهم

¹ - خ. س، مح. ر رقم 4 / 3 / ك 5، الوثيقة بتاريخ 5 ربيع الأول 1254 / 29 مايو 1838. وانظر كذلك رسالة نفس العاهل إلى محمد بن عبد الرحمن أشعاش، في شأن توصل هذا الأخير بـ 826 بندقية وجهها بن عليل من جبل طارق.

- خ. س، مح. ر رقم 4 / 12 / ك 5، وثيقة بتاريخ منتصف جمادى الثانية 1254 / 5 شتنبر 1838.

هل يصحبه معه. نعم يصحب معه المال، ويقبل بارود صاكة الصوف، لكن بشرط أن يكون جيداً. واعلم أن عندنا من ملحّة البارود جملة وافرة، فإن وجدت تاجراً نصرانياً أو ذمياً ندفع له الملحّة بثمنها ويأتي به باروداً، وكان ذلك أرفق، فأعلمنا به وبالعدد الذي تفاصلت معه به وبالعدد الذي يطلب...»¹.

ونتبين أيضاً من وثائق مماثلة لهذه، يرجع تاريخ معظمها إلى حقبة العقدين الخامس والسادس من القرن التاسع عشر، أن النصيب الأوفر مما كان يجلب من السلاح والذخيرة كان يسلم إلى الحاج الطالب بن جلون الذي كان يسلمه بدوره، باسم السلطان طبعاً، إلى "المجاهد"، أي الأمير عبد القادر، إسهاماً من المغرب في دعم المقاومة الجزائرية ضد المد الاستعماري، الأمر الذي أدى ثمنه غالباً، كما هو معلوم، في وقعة إيسلي².

1- خ. س، مح. ر رقم 5 / 34 / ك 5، الوثيقة بتاريخ 4 ربيع الأول 1257 / 16 مايو 1841. ونستفيد مما ورد في رسالة العاهل نفسه إلى بوسلهام بن علي أزطوط أن هذا الأخير اشترى 500 مكحلة بثمن 42 أوقية للواحدة، وذلك على يد "تاجر نصاري"، وأن الضبلون الواحد كان يساوي وقتئذ 26 مثقالاً.

- خ. س، مح. ر رقم 7 / 28 / ك 5، وثيقة بتاريخ 28 جمادى الأولى 1258 / 7 يوليو 1842.

2- خ. س، مح. ر رقم 5 / 9 / ك 5، رسالة السلطان إلى أشعاش بتاريخ 13 محرم 1257 الموافق لـ 7 مارس 1841، وبها تفصيل ما أمكن شراؤه من العدة والذخيرة بالعشرة ألف مثقال التي كان توصل بها، وهو على النحو الآتي:

- 751 بندقية.

- 160 رطلاً من البارود.

- 24242 رطل من الخفيف أي الرصاص.

وقد وردت الإشارة، في آخر الرسالة إلى أن "الكل يتسلمه الحاج الطالب".

=

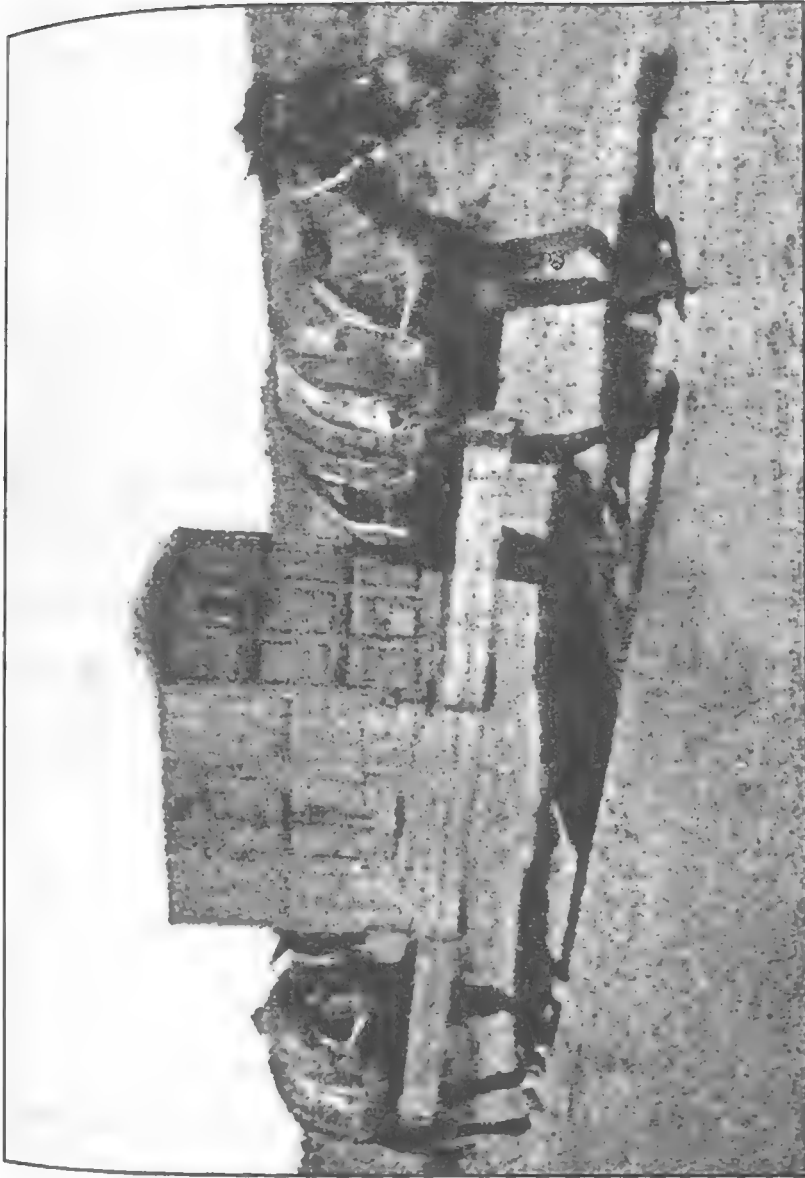
وجاء أيضاً في كتاب آخر وجهه السلطان إلى أشعاش ما يلي:

وقد واصل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سياسة والده في هذا المجال وغيره من المجالات، بل ضاعف الجهود والمبادرات، في ظروف سياسية، واجتماعية، ومالية صعبة، ساهم في إفرازها وتعقيدها العدوان الإسباني على المغرب، وخصوصاً، احتلال مدينة تطوان وفرض غرامة مالية باهضة عليه بلغت مائة مليون فرنك فرنسي ذهبي.

ورغم هذه المثبطات والمعوقات، اتخذ العاهل المغربي مجموعة من التدابير والترتيبات، بهدف تحديث وتطوير عدد من مرافق وقطاعات الدولة، وفي مقدمتها مؤسسة الجيش طبعاً، مسخراً في سبيل تحقيق مشروعه هذا النصيب الأوفر من موارد بيت المال التي تقلصت بأكثر من النصف الآن عما كانت عليه قبل حدوث مأساة تطوان، بسبب الاضطراب إلى تسديد مشاهرة الغرامة المالية الإسبانية التي كانت تبتلع نصف مداخيل المراسي من رسوم تعشير السلع والمنتجات، في التصدير كما في الإيراد من جهة، ومشاهرة الدين الإنجليزي من جهة أخرى.

= «... فبوصول كتابنا هذا إليك، كلف التجار بجلب ءالة الحرب من بر النصارى، مكاحل، وسكاكين، وتوافل، وبارود، وخفيف، وما يرد من ذلك، حزه منهم، وادفع لهم ثمنه، ويبيعه الأمانء هناك على يدهم لقبائل إيالتك المحتاجين لذلك بما اشترى به من غير ربح، حتى يكتفي الناس، ويرجع الأمر كما كان، فإنهم محتاجون إلى مزيد استعداد...».

- خ. س، مع. ر رقم 4 / 37 / ك 5، وثيقة بتاريخ 21 ربيع الأول 1256 / 11 مايو 1841.



محمل للأشخاص والأمتعة على ظهر بغلتين

وأياً كان الأمر، لابد من إبداء بعض الملاحظات فيما يتعلق بمشتريات المغرب من السلاح والذخيرة من البلاد الأوربية، على عهد هذا العاهل. وتكمن أول الملاحظات في عدد الوثائق الضئيل نسبياً والتي يرد بها الحديث عن هذا الجانب، بالمقارنة مع عددها المرتفع نسبياً، في فترتي حكم والده المولى عبد الرحمن وابنه وخلفه المولى الحسن على السواء.

وتكمن الملاحظة الثانية في ظاهرة اضمحلال وتقهر أهمية مراسي شمالي المغرب، باستثناء مرسى العرائش التي احتفظت بدور المصدر والمستقبل الرئيس لمدينة فاس، بما كانت تصدره من سلع ومنتجات إلى الخارج، أو يرد عليها منها عن طريق البحر، وذلك على امتداد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في حين صارت مراسي الواجهة الأطلسية، وفي مقدمتها الجديدة، والصويرة، والدار البيضاء تتولى استقبال معظم مشتريات المغرب من السلاح والذخيرة.

وأما الملاحظة الثالثة والأخيرة فتتعلق بالأشخاص، مغاربة وأجانب، الذين كانت تتم على أيديهم عملية جلب العدة والذخيرة وغيرهما من المنتجات، والآلات، والمعدات من البلاد الأوربية، إذ كان منهم بعض أعوان السلطان الكبار، كالوزير الصدر الطيب بليماني بوعشرين، وبعده الحاجب موسى بن أحمد، وأمين الأمناء محمد بلمدني بنيس، ومحمد الزبدي الرباطي، والنائب محمد بركاش بعد تنحية محمد الخطيب من هذا المنصب، وثلة من كبار التجار النشيطين كمصطفى الدكالي وولده محمد، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الفاسي الذي كانت تجارته ذائعة ورائجة بجبل طارق، وفرنسا، وبلجيكا بالاشتراك مع الأمين بنيس المذكور، حيث حلاه أمناء العدوتين الرباط وسلا، إدريس بنيس، ومحمد

بريشة، والعربي فرج، في رسالة وجهوها إلى أمين الأمناء المذكور، "بشريكة". وإلى هؤلاء، كان ينضاف، بين الفينة والأخرى، وسطاء آخرون، سواء من السلك الدبلوماسي كالقنصل الفرنسي أوغست بومبي السابق الذكر، أو السفير الإنجليزي جون هي دراموند هي، أو من فئة التجار الأجانب كالإنجليزي جيمس كارتس (James Curtis)¹.

1- م. و. م. ر، مح 1، رسالة الأمناء الثلاثة المذكورين أعلاه إلى محمد بلمدني بتاريخ 15 محرم 1277، الموافق لـ 3 غشت 1860، أخبروه فيها على الخصوص بأنهم دفعوا مبلغ 10000 ريال إلى التاجر محمد بن عبد الرحمن بن عبد الجليل، تنفيذاً لأوامر السلطان بهدف شراء البنادق من أوروبا. وانظر أيضاً الوثائق الآتية:

- م. و. م. ر، مح، مح 1، رسالة القنصل الفرنسي بومبي إلى محمد بنيس بتاريخ 23 رجب 1281، الموافق لـ 22 دجنبر 1864، مخبراً فيها بأنه دفع للتاجر الفرنسي "نائب البنكريس" بمدينة الصويرة نماذج البنادق التي يعتزم المخزن جلبها من فرنسا على يده، ولكن شرطية أن تكون من «العينة الخفيفة التي هي الآن عند عسكري الدولتين الفرنسية والإنجليزية...».

- F. O. 174/ 138.

رسالة هي دراموند هي إلى محمد بركاش، وهي بتاريخ 9 مارس 1867، في شأن "الكواريط"، أي أسيرة المدافع وعددها 31 والتي كان مصطفى الدكالي طلب صنعها لحساب المخزن إلى رب معمل لصنع السلاح بمدينة "البلبول"، أي ليفربول (Liverpool) بإنكلترا، وتركها هناك منذ خمس سنوات خلّت دون أداء ثمنها.

- خ. س، ك 70، ص. 90.

في رسالة للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى أميني مرسى طنجة، عبد الحفيظ برادة وعبد السلام أحرسان، بتاريخ 9 رجب 1288، الموافق لـ 24 سبتمبر 1871، نقرأ ما يلي:

«... فإن صاحب فابركة المكاحل بالبلجيك كان وجه لحضرتنا الشريفة على يد خديمتنا الطالب محمد بركاش 6 مكاحل، وذكر أن ثمنها 580 فرنكاً. فنامركما أن تدفعا له الثمن المذكور، على يد خديمتنا المذكور...».

وأما في عهد السلطان المولى الحسن، فقد زاد الاهتمام بقضايا تسليح الجنود المغاربة، وتحصين بعض مواقع البلاد الساحلية، في إطار مشروعه التحديثي لقطاع الجيش والذي ارتكز، كما أسلفنا القول في ذلك، عن إيفاد شبان مغاربة إلى الخارج للتكوين والتعلم في عدد من التخصصات الهندسية والعسكرية، وتأسيس نواة لصناعة حربية حديثة بفاس، ومراكش، والاستعانة بضباط إنجليزيين وفرنسيين لتدريب بعض فرق الكيش والعسكر على طرق الحرب العصرية، وأخيراً اقتناء السلاح والعتاد الحربي من أوروبا، وإحياء الأسطول البحري المغربي.

ويتجلى لنا ذلك بوضوح من مؤشرين اثنين، أحدهما شكلي ويتعلق الأمر بوفرة الوثائق الوطنية والأجنبية التي ترد بها أرقام ومعطيات عن مشتريات المغرب من العدة والذخيرة على عهد هذا العاهل. وأما ثانيهما وهو موضوعي، ونعني به أهمية المخزون من أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة، وكذلك الذخيرة التي تركها لخلفه السلطان المولى عبد العزيز، بالنظر إلى ما وجدته من هذا كله في خزائن الدولة والمراسي عند اعتلاء عرش البلاد سنة 1873.

فبينما لم يكن عددها لا يتعدى عشرين قطعة على أكثر تقدير، ومن العينات القديمة التي يرجع تاريخ صنعها إلى أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر، فقد بلغ عددها في بداية سنة 1894، أي شهور معدودات قبل وفاة المولى الحسن، حسب تقدير النقيب توماس (Cap. Thomas)، عضو البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب والمختص في سلاح المدفعية، 63 قطعة، ما بين مدافع عادية من مختلف الأحجام والعيارات، ومدافع الهون، ومدافع رشاشة من نوع كاتلينكـ

(Mitrailleuses Gatling)، دون احتساب ما كان منتصباً ومخزوناً منها بالمراسي، ومدفعي كروب (Krupp) الضخمين، البالغ وزن كل واحد منهما 40 طوناً، إذ كان المخزن، في هذا التاريخ، لم يتوصل بعد بهما¹.

وأما البنادق، فحسب تقرير آخر أنجزه هذه المرة رئيس البعثة نفسه، الرائد شلومبرجي، في نفس التاريخ تقريباً، فإن عددها الإجمالي قد بلغ حوالي 55000 بندقية، أثبتنا معلومات عنها في الجدول الآتي:

الجدول رقم 45: أنواع وأعداد البنادق لدى المخزن في شهر يناير من سنة 1894

النوع	الأعداد	ملاحظات
مارتيني هنري Martini-Henri	20000	تم اقتناؤها في فترات مختلفة، من إنكلترا وبلجيكا، على يد محمد بركاش الابن تارة، وعلى يد ماكلين الحراب تارة أخرى.
كومبلان Comblain	12000	نفس الملاحظات أعلاه.
كرا Gras، من نوع سنة 1874	10000	اشترت في إسبانيا.
وينشستر Winchester، من نوع سنة 1873	5000	من إنتاج شركة أمريكية كانت تدعى Winchester Reporter Arms Compagny. وقد تولى جلب هذا العدد كله ماكلين المذكور. وكانت الجيوش الأوربية والأمريكية تستعمل وقتئذ، أي الشهور الأولى من سنة 1894، عينة أخرى من هذه البنادق جد متطورة تم صنعها سنة 1886، وظل الوسيط الإنجليزي المذكور يزود المخزن بالنوع الذي يرجع ابتكاره إلى السنة المذكورة بمئة، إلى واحد وعشرين سنة خلت بالتقريب ⁽²⁾ .
ريمington Remington، من نوع سنة 1871	5000	
ورندل Werndl وأنواع أخرى	3000	

ثم يذكر الرائد شلومبرجي بما بذله من مجهودات ومساعدى للوصول إلى معرفة دقيقة لما كان المخزن يتوفر عليه من أنواع وكميات السلاح والذخيرة،

¹- A.G.V., 3 h 8, Note du Cap. Thomas du 1er Février 1894, Intitulée.

"مذكرة حول مشروع تأسيس معمل لصنع البارود والقرطوس".

²- A. G. V, 3 h 8, Rapp. n° 17, du 8 Février 1894.

ولكن بدون جدوى، إذ لا أحد من أعوان المخزن أنفسهم يعرف بالضبط ما كان يوجد منها في خزائن فاس، ومراكش، ومكناس، والمراسي، مختتماً حديثه بالتأكيد على أن البنادق ذات الرمي السريع لا أثر لها بيد الجند النظامي، باستثناء ما كان يعطى منها إلى كبار قواد الكيش والعسكر وعناصر الحرس السلطاني، في حين كانت منتشرة على نطاق واسع في عدد من القبائل. وهكذا، فقد كان منها حوالي 1500 بندقية من نوع وينشستر وريمينكتون بيد أهالي قبائل الريف، وشمالى عمالة وجدة، وما بين 5000 إلى 6000 بندقية أخرى من النوع الأول، أي وينشستر، جزء كبير منها من صنع ألماني، كانت بيد عناصر قبائل الغرب، وبني أحسن، وزمور، وزعير، والشاوية. وأما جنوبي مدينة الجديدة، فلا وجود لأسلحة نارية متطورة، ومن الطراز الرفيع لدى القبائل، كما لا وجود لظاهرة تهريب السلاح والمعدات الحربية.

واضح مما سبق ذكره، أن شلومبرجي هذا وأضرابه من رؤساء البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب وعدد من أعضائها، بقدر ما كانوا يشوهون سمعة المخزن وممثليه، ويقللون من سلطته، ونفوذه، مشككين في قدراته على التحكم في شؤون البلاد، وضبط أمور أهلها، ومراقبة كافة أرجائها، بقدر ما كانوا يضحمون إمكانات القبائل القتالية، واستفحال ظاهرة تهريب الأسلحة في بعضها، ولاسيما في المناطق المجاورة لمستعمرهم الجزائر، ومن ثمة تهويل الأوضاع بها، وتكريس الأطروحة المغرضة التي ما فتئت الأوساط الاستعمارية في فرنسا تروج لها، وهي غياب أي حضور للسلطان ومثليه في تلكم المناطق. على أن رسالة للسلطان المولى الحسن وجهها إلى نائبه بطنجة محمد بركاش، تقدم لنا ما

فيه الكفاية لإشفاء الغليل، وتفنيد ودحض مثل هذه المزاعم الكاذبة، والأقاويل الزائفة، الأمر الذي يدل، بما لا مزيد عليه، على قصور فهم أصحابها، بل جهلهم التام للواقع المغربي. وقد أجاب العاهل المذكور، في رسالته هذه، على المخاوف والتحفظات التي كان قد عبر عنها نائبه المذكور، حول مسألة السماح للخوادم، مغاربة وأجانب، بجلب السلاح من الخارج، وعرضه للبيع لمن رغب في شرائه من عموم الناس. ويتلخص موقف بركاش في النقاط الآتية:

1 - بما أن جميع الدول تمنع جلب المعدات الحربية على يد الخوادم، وبيعها إلى السكان، باستثناء السلاح والذخيرة الخاصين بالصيادين، فلا ينبغي للمغرب أن يخرق هذه القاعدة، ويسمح لرعاياه بالاتجار بكل حرية في هذه المواد الخطيرة.

2 - ثم إنه لمن المؤكد، في مثل هذه الظروف، أن تملص بعض القبائل من أداء ثمن السلاح الذي تكون قد حصلت عليه، فتتعالى شكاوى أصحابها، فيؤول أمره إلى المخزن الذي قد يجد نفسه، في عدد من الحالات، مضطراً إلى أدائه.

3 - وحتى لو فرضنا أن المخزن قد عقد العزم على استخراجها منها بالقوة، فإنه يجدها مستعدة وعلى أهبة لمواجهة جنوده وحراكه، وإرغامهم على الانسحاب، نظراً لما صارت تتوفر عليه الآن من عتاد حربي حديث ومتطور، فيتعذر عليه والحالة هذه، جبرها على الإذعان.

فكان جواب المولى الحسن على هذه الملاحظات والاعتراضات مثيراً للإعجاب والاستغراب في نفس الآن، حيث خاطب نائبه قائلاً:

«... أما أصل منع دخولها (المكاحل الرومية) فهو أنها لما كانت تخدم

بتطوان، طلب أهل حرفتها من أسلافنا رحمة الله منع دخول الرومية

لِتَنْفَذَ لَهُمْ سَلْعَتَهُمْ، فَسَاعِدُوهُمْ. وَأَمَّا كَوْنُ الْقِبَالِ تَتَحَمَّلُ الدِّينَ لَشِرَائِهَا، فَتَحْمِلُهَا لَهُ فِي هَذِهِ الْمَصْلُحَةِ الْعَائِدِ نَفْعُهَا أَوَّلَى مِنْ تَحْمِلِهَا لَهُ فِي أَغْرَاضِ نَفْسِهَا. وَأَمَّا كَوْنُ الْمَخْزَنِ لَا يَدْرِكُ الْغَرَضَ مِنْهَا بِاسْتِعْدَادِهَا بِهَا، فَإِنْ مَا بِيَدِهَا الْآنَ مِنَ الْعُدَّةِ هُوَ مَا بِيَدِ الْمَخْزَنِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا مِنْقَادَةٌ طَوَّعَ يَدِهِ... وَحَاصِلُهُ، إِذَا ظَهَرَ لَكَ تَسْرِيحُ دُخُولِهَا فَذَلِكَ، وَإِلَّا نَعِينَ تَاجِرِينَ يَجْلِبُهَا مِنْ بَرِّ النَّصَارَى أَحَدُهَا يَبِيعُهَا بِشَعْرِ مِنْ ثُغُورِ الْغَرْبِ، وَالْآخَرُ بِشَعْرِ مِنْ ثُغُورِ الْحَوْزِ، فَإِنْ تَجَارَ الْأَجْنَسُ، إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ يَقْتَادُونَ بِمَا فِي جَلْبِهَا وَيَبِيعُهَا...»¹.

وأياً كان الأمر، لا بأس أن نقدم فكرة ولو مقتضبة، عن مشتريات المخزن من العتاد الحربي، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والعقد الأول من القرن العشرين، من خلال الجداول الآتية:

¹- خ. س، ك 348، ص. 329، وثيقة بتاريخ 9 ربيع الثاني 1302 / 19 يناير 1885.

الجدول رقم 46: المشتريات من العتاد الحربي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والعشر سنوات الأولى من القرن العشرين

نوع وعند العتاد الحربي المستورد	مدايع	بنادي	ذخيرة	بالعم	على يد من تم	ثمنه	المصدر والتاريخ	ملاحظات
		4440			الأمينان العربي بريشة وعبد الكريم بريشة	763 ريالاً فرنسياً	ج.س، ش.ح.مع. ح، ملف رقم 7، الوثيقة بتاريخ 6 رجب 1294 / 17 يوليو 1877.	وجهت هذه بنادق من مرسى طنجة إلى فاس، حيث تسلمها أباشا سعيد بن فرحي، وأودعها في برج سيدي بونافع، وبطل هذا العدد مجموع ما تُسمَّ شراؤه منها في الفترة المرواحمة ما بين 25 ذي الحجة 1293 و 6 رجب 1294، الموافق لـ 9 يناير 1877 و 17 يوليو 1878.
		25 قطاراً بارود		جبل طارق	جون هي درايموند هي	3959 فرنك فرنسي	F. O. 174/ 89 وثيقة بتاريخ 12 ذي القعدة 1294 / 6 نونبر 1878	
	مهرارز "ياقامته"			كروب	الحاج محمد بركاش		خ. س، ك 124، ص 3، وثيقة بتاريخ 2 يوليو 1884.	تضمن كتاب بالخزانة الحسنية مصنف تحت رقم 67 جزءاً عاماً لما اشترى من المعدات الحربية والآلات صنعها، من ألمانيا، وإنجلترا، وبلجيكا، وفرنسا، على يد كل من محمد بركاش الإبن، ومعلمين أربعة من مدينة فاس وعصيتهم شخص يدعى الحاج العربي جوسوس، والقائد مالك لين الإنجليزي، وذلك خلال سنتي 1884 و 1885. والتهنئة المذكور بمقتضى من بين هذه المشتريات والتي بلغت قيمتها الإجمالية، حسب نفس الوثيقة 1936545 فرنك فرنسي.

ملاحظات	المصدر والتاريخ	ثمنه	على يد من تم شراؤه	بالمه	نوع وعدد الجهاد الجليل المسعود		
					ذخيرة	نقد	مدافع
من البندقية الواحدة - 68 فرنكاً وثلاثة أرباع الفرنك.	خ. س. ك 124، ص 3، 2 يوليو 1884.	138600 فرنك	محمد بركاش الإبن	نقابة صنع الأسلحة بمدينة لييج (Liège) بلجيكا		1008 (موتين حري) 1008 (كوبلان)	
رسالة السلطان إلى النائب الطريس.	خ. ص. س III، حرف- ج -، مع 41، وثيقة رقم 6051 بتاريخ 5 جمادى الأولى 1302 / 20 يوليوز 1885.	19780 فرنك	ماك لين	إنكلترا		1000 (ونشستر)	
من بندقية ماريتي - هنري الواحدة ومعها "سكين حربة" 77,50 فرنكاً، ومن بندقية كومبلان ولكن "بحربة عوض السكين" 59 فرنكاً.	خ. س. ك 124، وثيقة بتاريخ 20 شوال 1302 / 2 غشت 1885.	682500 فرنك	محمد بركاش الإبن	نقابة صنع الأسلحة البلجيكية		5000 (ماريتي) 5000 (كوبلان)	
	" "	15654 ريال	"	كروب			بطارية
	" "	12000 ريال	"	بلجيكا			"
	" "	10250 فرنك	محمد بركاش الإبن	بلجيكا	500000 من القنطوس		
		28388 ريال	" "	كروب			بطارياتان أخريان
	م.و.م.و. مع 2، وثيقة بتاريخ 7 شوال 1302 / 20 يوليوز 1885.	13610 ريال	ماك لين	الولايات المتحدة الأمريكية	1000000 من القنطوس		
رسالة أحمد بن موسى إلى أبناء البنية المراكشية بتوصلهم من أبناء الجديدة وقتل الطاهر بناني والمكي والفراء بما ذكر بمته.	خ. س. مع. ح. رقم 113، وثيقة بتاريخ 16 رجب 1303 / 20 أبريل 1886.		محمد بركاش الإبن	بلجيكا	64 صندوقاً من حبة البارود		
3 رسائل للأمينين المذكورين أعلاه إلى أبناء البنية المراكشية بإشعارهم بتوجيه ما ذكر بمته.	" " ما بين 10 رمضان 1303، و 13 ذي القعدة 1303 / 12 يونيو 1886 و 13 غشت 1886.		ماك لين		198 صندوقاً من القنطوس		

نوع وعدم المتاد الحربي المستورد	مبالغ	بناقد	فخوة	بائع	على يد من	ثمة	المصدر والتاريخ	ملاحظات
500 قنطار من الخفيف				فرنسا	عبد الرحمن خلو من مرسليا		خ.س. مع. ح رقم 101، وثيقة بتاريخ 28 ذي القعدة 1303 / 28 غشت 1886.	رسالة الأمين المذكورين أعلاه في شأن توصلهما بما ذكر بمتمه. وذكر هذان الأمينان في رستين أعربين إلى المولى الحسن، في الشهر الموالي للتاريخ المذكور بمتمه أيضاً، بأنهما بعثا إلى الحضرة، هنا مراكش، 84 "بارة" من الخفيف محمولة على 21 حملاً. ومعلوم أن السلطان، في هذا التاريخ، كان على رأس جيوشه بمنطقة سوس.
10000 0 من قرطوس المارتيني				جبل طارق	ماك لين	2900	خ.س. مع. ح رقم 175، وثيقة بتاريخ 15 شوال 1305 / 26 يونيو 1888.	وصلت هذه الحمولة من القرطوس إلى مرسى طنجة ومنها وُجّهت إلى مدينة فاس.
50000 00 من القرطوس	10000			فرنسا	"نائب الفرنسيين"	50000 ريال بالنسبة للبائع 25000، بالنسبة للقرطوس	م.و.م.ر. مع رقم 2، وثيقة بتاريخ 28 ربيع الأول 1307 / 22 نونبر 1889.	في رسالة بتاريخ 30 مارس 1890، طلب السفير الفرنسي بالمغرب وقتئذ من وزير البحر محمد المفضل غريب إبلاغ السلطان بأن أصحاب المتاد الحربي بمتمه لا زالوا ينتظرون تسديد ما تبقى من المبلغ المالي المتفق عليه بين الجانبين.
600 قنطاراً من البارود					التاجر دانيوك البروسي	12000 فرنك فرنسي	خ.س. مع. ح رقم 241، وثيقة بتاريخ فاتح ذي القعدة 1307 / 16 يونيو 1890.	وجه هذا البارود من مدينة ضجة على يد النائب السلطاني محمد الطريس إلى مدينة الدار البيضاء، ومن ثمة يوجه إلى المملوكين، الرباط وسلا، بعد أن أُمِرَ الأمينان هناك، الصديق بركاش وعبد المجيد بن شقرون بتسلمه، ووضع في عمل خزنة، وأداء ثمنه لصاحبه.

نوع وعدد أحدات الحق للسيرة	مبالغ	تأدي	تاريخه	على يد من تم	تأريخه	ملاحظات
		10000		ماك لين	100000 ريال	خ. س. ك 630، ص 7، الوثيقة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1308 / 29 يناير 1891.
		5000000	التاجر هاسنر (Hassner) الألماني	هو نفسه	22000 ريال	خ. س. ك 630، ص 5، وثيقة بتاريخ 19 جمادى الثانية 1308 / 30 يناير 1891.
						اتفق على أن تسلم المحزن هذا القدر من القروش في خمس دفعات، يتولى تسلم كل واحدة منها، أي مليون من القروش. أسماء كل من أسفي، والجديدة، والدار البيضاء، والعراش، وضحة، وأداء منه نصاحبه. إلا أنه إلى غاية 7 ربيع الأول 1311، الموافق لـ 18 سبتمبر 1893، كان التاجر المذكور لا زال لم يتوصل بعد بالمبلغ المالي المستحق على أمه. - م. و. م. ر، مع رقم 2.
	مبلغان		كروب	الأمين الزكاري	381360 ريال	خ. س. ك 630، ص 7، رسالة السلطان إلى الطريس بتاريخ 20 جمادى الثانية 1308 / 31 يناير 1891.
		1000000		كوتش (Gautsch)		خ. س. ك 661، ص 56، رسالة السلطان إلى أسماء الجديدة بتاريخ 8 صفر 1310 / فاتح سبتمبر 1892.
		2000000		"		م. و. م. ر، مع 2، وثيقة بتاريخ 25 ذي الحجة 1310 / 10 يوليو 1893.

ملاحظات	المصدر والتاريخ	تتمه	على يد من تم	بالعه	نوع وعدد الجند الحربي المستورد		
					ذخيرة	بنادق	مدافع
المستقر العسكري الفرنسي بيوخاربست بروجاميا واسمه ييلارين Pellarin هو الذي أبحر بإرسال جزء من تعداد الذكور بمقتضى هذا التبلد إلى المغرب، أواسط دجنبر 1900.	- A.G.V, 3 h 11, Rapp. n° 172 du 6 Décembre 1900, p. 1. - A.G.V, 3 h 12, Rapp. n° 178 du 23 Décembre 1900. - A.G.V, 3 h 12, E.M.A., 2ème Bureau, Note Complémentaire n° 1 au sujet de l'Introduction des Armes et Munitions au Maroc.	60000 فرنك فرنسي 157572 فرنك فرنسي	التاجر الفرنسي المستقر بطشحة برونشفيك (Braunschvig)	الشركة الفرنسية لصنع العتاد الحربي بإيريز	10750 000 من القرطوس	20000 ماريني - هقري كرا من نوع سنة 1874	
تتل المبلغ المالي المذكور بمقتضى "بقية ما جلب على يد من العدة للجهادية وقرطوسها..."	خ. س، ك 257، ص 53، رسالة السلطان المول عبد العزيز إلى أمراء الدار البيضاء بتاريخ 7 ذي الحجة 1318 / 28 مارس 1901.	69041 ريال	محمد بن عبد الكريم الشيخ التازي		قرطوس	بنادق	
	خ. س، ك 257، ص 136، رسالة السلطان إلى أممي الصورة بأداء المبلغ بمقتضى نائب ماك لين.	10000 جنيه إنجليزي	ماك لين				
يتعلق الأمر بالرسالة التي وجهها أمينا العرائش وقتض، أحمد الصايدي ومحمد تازي إلى الشريف محمد المراتي، يخبرانه بوصول ما ذكر بمقتضى. ويطلبان منه إرسال البهائم لكافية تنقل هذا القرطوس إليه.	خ. س، و. ز، مع 23، وثيقة رقم 115 بتاريخ 25 جمادى الثانية 1325 / 5 غشت 1907.			ألمانيا	30000 من قرطوس شاسبو		
حتم السلطان المولى عبد الحفيظ رسالته إلى الأمين المقرري بالتاكيد على أن "الغرض بوصول ذلك عاجلا أكيد كما لا يخفاك..."	خ. س، م. م. ج. ح رقم 5 / 408، وثيقة بتاريخ 2 صفر 1328 / 13 يناير 1910.		الأمين محمد المقرري	ألمانيا	القرطوس التكافي لها		4 بنادق من مدافع جبلية

يستوجب مضمون جداولنا هذه بعض الملاحظات نحمل أهمها في النقط

الآتية:

(1) بلغت نفقات المخزن على مشترياته من السلاح والذخيرة، في التواريخ الواردة، ما بين 1877 و1910، 4610842 فرنك فرنسي، ولا يمثل طبعاً هذا المبلغ إلا بعضاً مما أنفقته المغرب فعلاً في هذا المجال، خلال الفترة المذكورة كلها، ولا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار ما اضطر المخزن إلى اقتنائه مما ذكر، بعد اندلاع فتنة الروكي بوحمارة في أكتوبر 1902.

وقد ذكر بيير كيلاان في مؤلفه "ألمانيا والمغرب..."، أن مشتريات البلاد من السلاح قد بلغت مليونين من الفرنكات، ما بين 1900 و1902 فقط.

(2) وكما هو الشأن بالنسبة للعهديين السابقين، دأب السلطان المولى الحسن، وبعده كل من المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، على تكليف عدد من التجار المغاربة والأجانب، أو من الأمناء وأعوان الدولة الآخرين، كالحاج محمد بركاش الإبن والمتكرر الذكر في العهد الحسني، والحراّب ماك لين الإنجليزي، والحاج العربي جسوس، والعربي وعبد الكريم بريشة التطوانيان، والألماني هاسنير، والفرنسي كوتش، واليهودي روبيل ولد الحزان يوسف المالح، ومحمد بن عبد الكريم الشيخ التازي، والمهدي بن العربي المنهجي، والتاجر الفرنسي المقيم بمدينة طنجة براونشفيك، والأمين محمد بن عبد السلام المقرّي بجلب كمّيات معلومة من العتاد الحربي والذخيرة¹.

¹ - حول أسماء وصفات بعض هؤلاء الوسطاء، أنظر ما يلي:

- خ. س. مع. ح رقم 113، رسالة الذمي روبيل ولد الحزان يوسف المالح إلى الوزير =

وتسمح لنا هذه الملاحظة الأخيرة بالإشارة إلى مظهر من مظاهر سوء نية المتعاملين مع المغرب من بائعي السلاح الأوروبيين ووسطائهم في مجال تزويدهم بما كان يطلبه من بنادق ومدافع، إذ كان معظمهم لا يترددون في بيعه القلم منها، أو العائب، أو ما كان منها على وشك الإقصاء، والتعويض بأحدث منها صنعاً وأحسن إتقاناً.

وهذا ما نلمس صورة عنه من خلال عدد من الحالات المعبرة، استقينا أولها مما ذكره الوزير الصدر الطيب بليماني بوعشرين إلى التاجر الإنجليزي كورتيس، في

= الصدر محمد بن العربي الجامعي، بتاريخ 9 صفر 1303 / 17 يناير 1885، في شأن نوع جديد من البنادق يقترح بيعها إلى المخزن، مبيناً ثمنها وهو 90 فرنكاً للواحدة، مع إمكانية تخفيضه كلما ارتفع العدد المطلوب منها بنسبة تصل إلى 10 %، في حالة تجاوز الطلب 4000 بندقية، إلى غير هذا من المعلومات المتعلقة بالشحن والإيصال إلى المكان الذي يعينه المخزن، كطنجة أو الصويرة مثلاً.

- خ. س، مح. م. ع. ع. رقم 2 / 412، وثيقة بتاريخ 24 رمضان 1313، الموافق لـ 9 مارس 1896، في شأن ما جلبه من سلاح ومنتجات أخرى الحُرَّاب ماكلين، والكل الآن بمرسى الجديدة، وطلبه الإعفاء من تعشير سلع ومواد أخرى خاصة به، وما في ذلك من ضرر على بيت المال...

- A.G.V, 3 h 4, Rapp. du Cdt Levallois n° 2, en date du 1er Mars 1884.

- A.G.V, 3 h 4, Rapp. du même officier n° 4, en date du 1er Mai 1884.

تحدث التقرير الأول عن سفر الحاج محمد بركاش الإبن إلى بلجيكا وألمانيا خلال شهر دجنبر من سنة 1884 بهدف زيارة عدد من معامل صنع العتاد الحربي بهذين البلدين.

وأما التقرير الثاني، ففيه تفاصيل وصول بركاش المذكور إلى مدينة مكناس حيث كان يوجد السلطان المولى الحسن، وبمعيته مهندس من دار كروب يدعى ريل Reil، ونائب مدير معمل كوكريل (cockerill) من سورانك (Seraing) ببلجيكا، واسمه دي ماكار (De Macar).

وذلك لتقدم العتاد المستورد إلى العاهل المغربي.

- A.G.V, 3 h 11, Rapp. Burckhardt n° 172, en date du 6 Décembre 1901.

حول ما وجهه من البنادق والقرطوس من مرسى مرسلها تاجر يدعى عبد اللطيف التازي.

شأن الأسباب والدوافع التي جعلت السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يرفض تسليم الدفعة من الجعاب التي اشترت على يده، حيث خاطبه قائلاً:

«... فاعلم أنما قلبت، فوجدت لا تصلح للجيش ولا للعسكر، والذي يصلح لمن ذكر، يكون متقن العمل جداً ومأموناً من البارود وعلى العمل الذي تكون عليه غدة العسكر والجيش، وأما هذه فلا يستعملها إلا أهل سوس، وحتى هم قلبوها هنا، فوجدوها رقيقة جداً، ليست في الصحة كالعدة التي يستعملونها، والذي يليق هو الذي يكون على العمل الذي كان على يد الحاج محمد بنيس في الإتيان، والصحة، والرفق في الثمن...»¹.

وأما المثال الثاني، فنقتسبه من ملاحظات السلطان المولى الحسن حول أنواع القرطوس التي تم جلبها على يد التاجر الألماني هاسنير السابق الذكر سنة 1891، حيث تبين أن الذخيرة الخاصة ببنادق كومبلان:

«... ليست بمجيدة لا قرطوساً ولا باروداً، والخفيف غير جيد لعدم تخليطه بالقزدير كما هو المعهود الآن في خفيف العدة المشرطة ذات الكلاطة من تخليطه بالقزدير ليكون صحيحاً...»².

ولكن، ماذا عن موقف الجهات الرسمية، عسكرية كانت أو مدنية، في كل من باريز، ولندن، وبركسيل، وبرلين... من هذا النوع من التعامل المصطنع بالغش والتحايل من قبل باعة السلاح والذخيرة الأوروبيين؟ الحق أن معظم هذه الدوائر، وبالأخص الفرنسية، كانت لا تجد أدنى حرج في بيع المغرب نوعاً من السلاح تحدث عنه الناصري بقوله:

¹- خ. س، ك 10933، ص. 30، وثيقة بتاريخ 16 محرم 1284 / 20 مايو 1867.

²- خ. س، ك 630، ص. 5 وما بعدها.

«... ومع ذلك، فينقل لنا عنهم أنهم لا يبيعوننا منها إلا ما انعدمت فائدتها عندهم، لكونهم ترقوا عنها إلى ما هو أجود منها، واستبطنوا ما هو أقر وأنفع إلا فيما قل...»¹.

وبالفعل نجد آثاراً عديدة لهذه الظاهرة في كتابات هؤلاء المتعاملين مع المغرب من الأجانب، إذ يُعبّر فيها صراحة عن نوعية السلاح الذي ينبغي تقيوته إليه، كلما تقدمت حكومته بطلب في هذا الصدد. وهذا ما نفهمه بكل سهولة مما ورد في مذكّرة صادرة عن مكتب الاستخبارات التابع لوزارة الحرب الفرنسية، حول هذا الموضوع، حيث نقرأ ما يلي:

«... بإمكاننا تسليم سلطان المغرب بنادق من عينة سنة 1866 من إنتاج مصانع خاصة، ولكن بعد إصلاحها وإدخال بعض التعديلات عليها في معامل صنع السلاح التابعة لوزارة الحرب، كما نستطيع تزويده ببنادق ريممكتون المصرية...».

وكان العتاد الحربي المزمع بيعه إلى المغرب يتكون من الأنواع والقطع الآتية:

- 16000 بندقية قصيرة تدعى موسكتان (Mousquetons) بسكينها وحربتها، بحسب 18 فرنكاً للواحدة.

- 1000 قرطوسة لكل بندقية على الأقل، وثمنها 6 فرنكات.

- بنادق من نوع ريممكتون ومسدسات أخرى لم يتم بعد تحديد العدد المطلوب منها، بحسب 35 فرنكاً للبندقية الواحدة، و20 فرنكاً للألف من قرطوسها. وحتى يتمكن الليونتان إركمان من تقديم أحسن نظرة عن العتاد الحربي الفرنسي الذي تعتزم الحكومة الفرنسية بيعه إلى المغرب، في حالة موافقة السلطان

1- الناصري، مرجع سابق، ج 9، ص. 184 - 185.

على اقتنائه من فرنسا، وبالتالي التأثير عليه، أعطيت الأوامر للمسؤولين العسكريين عن خزائن السلاح والذخيرة بمدينة مرسليا (Marseille) لاختيار أحسن النماذج وأتقنها صنعاَ ليتم عرضها على أنظار العاهل المغربي، على يد إركمان المذكور¹.

وقد تحدث هذا الأخير، في تقرير رفعه إلى الحاكم العام المدني للجزائر، عن امتعاض السلطان المولى الحسن وتدمره، واحتجاجة على باعة السلاح البلجيكيين، حيث زودوا المغرب ببنادق رديئة الصنع، وقديمة. والغريب في الأمر، أن هذا الضابط، يثير هذا الموضوع وكأنه ورؤساء أبرياء من مثل هذه التصرفات والأفعال، والحق أنهم أيضاً كانوا يبيعون المخزن سلاحاً رديئاً وقديماً، أو يُهْدُونَه بعض القطع المدفعية التي ربما يكون من الأنسب والأليق أن تعرض في متحف قومي من متاحف معروضات نوادر أنواع السلاح القديم، عوض استعمالها في ميادين القتال².

ثم إن هذا السلوك والنهج المُتَّبَعين في التعامل مع المغرب، لم يقتصرَا على فترة معينة دون أخرى، بل ظلّا قائمي الذات، على امتداد القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين.

ولنا خير دليل على ما نقول فيما تضمنته وثيقة من الأرشيف الفرنسي، بتاريخ 16 مارس 1909، أي أنها ترجع إلى ظرف زمني جد صعب وخرج بالنسبة للسلطان المولى عبد الحفيظ الذي أزاح أخاه المولى عبد العزيز عن الحكم وانفرد به في صيف سنة 1907، حيث كان في أمس الحاجة إلى العتاد الحربي.

¹ - A.G.V, 3 h 2, Note au Ministre de la Guerre, E.M.A, 2ème bureau, 16.

² - A.G.V, 3 h 2, Rapp. Erckmann n° 6, en date du 28 Juillet 1878.

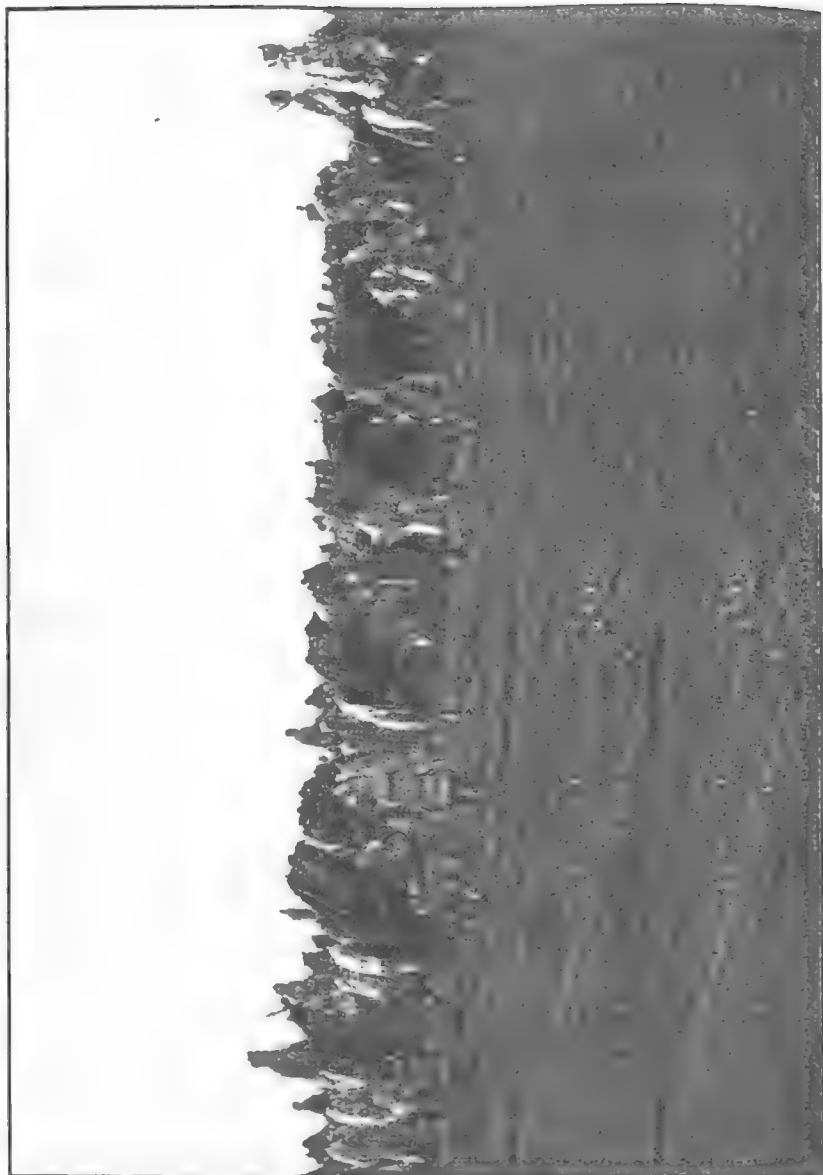
فوقتئذ، كانت فتنة الجيلاني بن عبد السلام الزرهوني لا زالت لم تخمد بعد، بالرغم من أنها كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، بسبب تلاشي صفوف أتباع الفتان. وانضافت إليها بؤرة أخرى من الاضطراب والفتنة، كانت قد اشتعلت في هضاب الأطلس المتوسط، على يد قبيلة بني مطير، وهذا ما حدا بالعاهل المغربي إلى تقديم طلب إلى الحكومة الفرنسية، على يد سفير فرنسا بالمغرب فرانسوا رونيو (François Regnault) للحصول على بطاريات من المدافع، وبنادق، وما كان يلزمها من الذخيرة. ووافقت طبعاً جميع الجهات المعنية بالأمر على هذا الطلب، وتقرر إرضاء رغبة السلطان، فصدرت الأوامر من أجل اتخاذ التدابير العملية لجمع قطع العتاد الحربي المزمع بيعه إلى المغرب.

وقد جاء في التقرير الذي أعدته مصالح أركان الحرب العامة الفرنسية بياريز، حول هذا الموضوع، ما يلي:

«... باتفاق مع مديرية سلاح المدفعية، ترى أركان الحرب العامة أنه من مصلحتنا الترحيب بمثل هذا الطلب، وذلك لسببين رئيسيين. يكمن أولهما في تفادي توجه المولى عبد الحفيظ إلى قوة عظمى أخرى، في حالة رفضنا لطلبه، وثانيهما يتمثل في الحصول على موارد مالية ثمينة، من خلال تخلصنا من عتاد حربي، استغني عن استعماله منذ مدة في تنظيماتنا العسكرية...»¹.

وقبل أن ننهي حديثنا عن النقطة الأولى من مبحثنا هذا، لا بأس أن نشير هنا إلى طابع الحدة والتنافس الشديد اللذين كانا يطغيان على علاقات أفراد عدد من المفوضيات الدبلوماسية بالمغرب، وكذا أفراد البعثات العسكرية المقيمين بالبلاد بينهم، كلما تعلق الأمر ببيع كميات من السلاح إلى السلطان، إذ كان

¹- A.G.V, 3 h 16, Rapp. fait au Ministre (de la Guerre).



السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى يسار الصورة، مسبقاً بجيول لا يمتطيها أحد، وتُدعى جيول "الكادة"

ممثلو كل الدول يسعون جاهدين للظفر بالصفقة، مستخرين كل أنواع وأوجه الكيد، والتشويه، والتآمر، بهدف بخس سلعة ومنتوج منافس الساعة الخطير، وإقصائه من ساحة التنافس.

على أن العسكريين الفرنسيين كانوا أكثر شراسة وتحاملاً على منافسيهم في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بإركمان، أو شلومبرجي، أو بوركهارت. ولنكتفي هنا بسوق مثال واحد فقط لاستبيان رغبة فرنسا في السيطرة والاستحواذ على السوق المغربية في السلاح كما في غيره، ويتعلق الأمر بما ورد في تقرير "جدسري" رفعه إركمان المذكور إلى الحاكم العام المدني للجزائر. فقد تحدث فيه، على الخصوص، عن حرصه الشديد والمستمر على تتبع تحركات واتصالات الرعايا الألمانين الوافدين على المغرب، بين الفينة والأخرى، لعرض خدماتهم على الحكومة المغربية، أو في زيارات استطلاعية رسمية أو خاصة للبلاد، مجدداً في ذلك شبكة من المخبرين والعملاء، من أهالي البلاد ومن "عرب تلمسان" سكان مدينة فاس.

وهكذا، ما أن وطأت أقدام الدكتور أسكار لينز (Oscar Lenz) أرض هذه المدينة، في ربيع سنة 1880، بعد انتهاء رحلته الطويلة إلى مدينة تيمبوكتو، حتى بادر إلى تَعَبُّع عناصر من هؤلاء، وفي مقدمتهم مرافق الرحالة الألماني نفسه، علي بوطالب، من مدينة معسكر بالجزائر والذي صار يتردد على بيته ويمده بكل ما كان يرغب في الحصول عليه من أخبار.

واغتنم إركمان أيضاً الفرصة للتذكير بما كان قد تحقق على يده، في خريف سنة 1878، حين عمد إلى نسف مأمورية وكيل معامل كروب لصنع

العتاد الحربي بمدينة إيسن (Essen) الذي كان قد حل بالمغرب وقتئذ، وتوجه إلى مدينة فاس، لتقلم عينات جديدة من المدافع والبنادق إلى السلطان والعلاف الكبير محمد بن العربي الجامعي، ولكن بدون جدوى، إذ كانت أكاذيب الضابط الفرنسي ودعايته المغرضة للتشويه بسمعة ألمانيا والخط والتنقيص من جودة عتادها الحربي، قد نجحت في التأثير على نفسية أعوان المخزن الكبار واستمالتهم إلى وجهة نظره. وبعد أن سدت جميع الأبواب في وجهه، اضطر إلى جمع بضاعته والعودة إلى بلاده، خاوي الوفاض¹.

وبخصوص النقطة الثانية المقررة في مبحثنا هذا حول محاولات سلاطين القرن التاسع عشر إحياء الأسطول البحري الحربي المغربي، فإننا نصطدم بعائق

1-A.G.V, 3 h 3, Rapp, Erckmann n° 29, du 28 Avril 1880.

وانظر أيضاً:

- A.G.V, 3 h 21, Quedenfeldt, op. cit, p. 6.

فبعد أن أشار إلى حرص فرنسا الدؤوب على أن تظل المحاور المفضل للسلطان وكبار رجالات الدولة، والمستشار المسموع الكلمة، والمزود الأهم للمغرب بالسلاح وغيره من المتوجات، وبالتالي إبعاد باقي الدول الأوربية الأخرى، وفي مقدمتها ألمانيا، تعرض إلى نازلة مواطنه بائع السلاح المذكور أعلاه، مضيفاً بأن فرنسا، وبإيعاز من إركمان المذكور والحاكم العام المدني للجزائر، استغلت المناسبة فسارعت إلى إهداء العاهل المغربي، ست قطع مدفعية جبلية قديمة، ويرجع تاريخ صنعها إلى سنة 1858، ومن النوع الذي يشحن من الخلف، الأمر الذي ساهم كثيراً في إغراض المخزن عن شراء السلاح الألماني.

- A.G.V, 3 h 9, Rapp, du Cdt Schlumberger, en date du 15 Décembre 1895, p. 3.

إذ لا يتوقف هذا الضابط عن إبداء ملاحظات سلبية، بل تشويه وتعييب المدافع الرشاشة من نوع كاردنر (Gardner) وكذا ذخيرتها من قرطوس ملفورد (Melford) والتي اشترت على يد القائد ماك لين الإنجليزي. وقد زاد في غيظه وحنفه كونها قد سلمت لعناصر كتيبة الحراية التي كان يدرها الضابط الإنجليزي المذكور، عوض تسليح أفراد طابور الطبجية بها والذين كان يشرف على تدريبهم ضباط البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب.

منهجي له أهميته في مثل دراستنا هذه على الخصوص، ونعني به ندرة الوثائق، بل انعدامها حول هذا الموضوع. فباستثناء ما نقرأه في كتابات الأخباريين المغاربة عن اهتمام هذا العاهل أو ذاك بالأسطول البحري والرفع من عدد قطعه، أو على عكس ذلك العزوف عن كل نشاط أو مغامرة بحرية والانطواء على النفس، أمام تحرشات وتهديدات الأجنبي، حين كانت تميل كفة التفوق والغلبة لصالحه، هو ما كان يحدث في غالب الأوقات، أو ما ورد عن هذا الجانب في الدراسات والأبحاث الصادرة في السنوات الأخيرة، فإن ما تتوفر عليه من معلومات ومعطيات عنه يظل غثاً، لا يسمح بمعالجته بشيء من التفصيل والتوسع.

ولعل مرد هذه الظاهرة بالأساس إلى غياب البحر، أو قل إن شئت إلى انعدام أي أثر له في حياة المغاربة اليومية، مادياً وثقافياً، وفي انشغالات واهتمامات حكومتهم، باستثناء فترات قليلة من تاريخهم، أي في فترات مد الحضارة المغربية.

وأياً كان الأمر، فإن آخر أسطول بحري جدير بهذا الاسم عرفه المغرب قبل سنة 1912، كان للسلطان المريني أبي حسن علي (732-752 هـ / 1331-1351 م)، كُـلُّ الفضل والمَـزِيَّة في إعداداته وتجهيزه لشن حملات عسكرية على نطاق واسع في إفريقيا الشمالية والأندلس، قبل أن يُـمَنَى بهزيمتين قاسيتين، أولاهما في وقعة طريف والمعروفة أيضاً بوقعة ريو دي سلاو (Rio de Salado) في الكتابات الأجنبية، والتي جرت أطوارها في 30 أكتوبر 1340، وثانيهما في موقعة القيروان في 10 يراير 1348، لينتهي أمره بعد موكب العاهل المريني وهو في طريق العودة من افريقية، في مطلع سنة 1351، قاصداً المغرب الأقصى¹.

1- المنوني، محمد، "ورقات عن حضارة..."، مرجع سابق، ص. 15 وما بعدها.

وعن مآل هذا الأسطول في العهود التي تلت هذه النهاية المأساوية، والتي صادفت علو كعب العالم الغربي، وبداية تفوقه مادياً وتقنياً على باقي العوالم الأخرى، وبخاصة العربي الإسلامي، وباستثناء بعض المحاولات المحتشمة والمحدودة في الزمان والمكان، والتي استهدفت إحياء وإنعاش الملاحة البحرية، ومغالبة الخصوم في أعالي البحار، والمتمثلة في الأسطول السعودي على عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (986-1012 هـ / 1578-1603 م)، ومراكب وسفن مُجاهدي "جمهورية سلا"، في النصف الأول من القرن السابع عشر، وما تمكن من جمعه وتجهيزه من ذلك السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171-1204 هـ / 1757-1790 م)، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فكان الإهمال، والتلاشي والانقراض¹.

ونظراً لاختلال موازين القوة بين المغرب ومعظم الدول الأوربية المتعاملة معه أو المهتمة بشؤونه لفائدتها، وفي إطار سياسته الهادفة إلى تفادي كل أسباب المواجهة معها، اضطر المولى سليمان سنة 1817، إلى الإعراض:

«... عن أمر البحر رأساً بعد أن كانت قراصين المغرب أكبر وأحسن من قراصين صاحب الجزائر وتونس...»².

¹ - م. و. م. ر، وثيقة بتاريخ 26 شوال 1207، الموافق لـ 6 يونيو 1793، وهي عبارة عن عقد اشترى بموجبه خمسة من رؤساء البحر بالعدوتين، رباط الفتح وسلا، وهم عبد الله بن علي بركاش، وولد الحاج المكّي، وقاسم بن محمد الرايسي، ومحمد بن مبارك، وأحمد بن عبد الحق فنيش سفينة شراعية من نوع بريك (Brick)، من صاحبها الرئيس خوان مانيان (Capitan Juan Magnan). بمبلغ مالي قدره 6000 مثقال.

² - الناصري، أحمد بن خالد، "كتاب الاستقصا..."، مرجع سابق، ج 8، ص. 133.

وبعد أن تبني خطة "الجهاد" في البحر السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام في بداية عهده، ووفر ما يلزم من سفن، ومعدات للرئيسين عبد الرحمن بركاش وعبد الرحمن بريطل، اضطر العاهل المغربي إلى التراجع وعدم الخوض في مثل هذا الأمر، سيما بعد أن تعرضت مرسى العرائش إلى هجوم شنته عليها وحدات من الأسطول الحربي النمساوي أواخر شهر أبريل سنة 1830 إذ، كما عبر عن ذلك الناصري بقوله:

«... لما أراد إحياء هذه السُّنة، صادف إبان قيام شوكة الفرنج ووفور عددهم وأدواقم البحرية، وصار الغزو في البحر يثير الخصومة، والدفاع والتجادل والتراع...»¹.

وقد تناقل هذه الرواية من جاء بعد الناصري من الأخباريين والمؤرخين المغاربة والأجانب، ومن بينهم مؤرخ مكناس، عبد الرحمن بن زيدان الذي كتب، في هذا الصدد، ما يلي:

«... ثم إن المُتَرْجِمَ (المولى عبد الرحمن بن هشام) هو الذي أمر، على وجه السر، بتفريق الأسطول البحري المغربي لأمر أوجه...»².

بيد أن وثيقة بتاريخ 24 صفر 1250، الموافق لـ 2 يوليو 1834، تكشف لنا النقاب عن تمسك المولى عبد الرحمن بسياسة "الجهاد" في البحر، وعن استمراره في تجهيز سفن ومراكب، وإسناد قيادتها إلى عدد من رؤساء البحر، وأمرهم بالتطواف في عرض السواحل المغربية الأطلسية. وهذا ما نفهمه مما خاطب به عامله على تطوان، القائد عبد الرحمن أشعاش، بعد أن أمره باختيار ثلاثين شاباً من أبناء

1- الناصري، مرجع سابق أعلاه، ج 9، ص. 25.

2- ابن زيدان، عبد الرحمان، "إنحاف أعلام الناس..."، ج 5، ص. 153.

المدينة الأقوياء صحياً والمتوفرين على قسط من الفهم والذكاء، والقادرين على متابعة دروس وتدريب في الملاحة البحرية، حيث خاطبه قائلاً:

«... فقد أردناهم يتوجهون في مركبنا الجهاديين صحبة الرئيسين بریطل وبركاش. فقد أردنا إحياء السنة الجهادية، ولا ينبغي للشغور خلوهم فمن يعرف أمور البحر والسفر فيه وخصوصاً ثغر تطوان وطنجة...»¹.

على أن هذا لا يعني بالضرورة استئناف عمليات الهجوم والتصدي إلى بعض السفن والمراكب المارة بالقرب من السواحل المغربية، إذ أن ذلك ما لم يعد في متناول قطع حربية كانت تفتقر لأبسط التجهيزات العسكرية، وإلى الجنود والأطر المؤهلين للعمل في هذا القطاع، علاوة على أن عبارة "مركبنا الجهاديين"، لا يقصد منها الغزو والقيام بهجمات في البحر، بقدر ما يقصد منها الدفاع عن النفس وعن بيضة الإسلام.

ويبدو أيضاً أن السلطان لم يكن دائماً راضياً على عمل وتصرفات هؤلاء الرؤساء، فتهتز مشاعره من شدة الانفعال والاعتياض، كما نلمس ذلك مما كتبه إلى عامل طنجة عبد السلام بن محمد السلوي، مخبراً إياه بعدم رضاه على الرئيس عبد الرحمن بریطل، حيث قال:

«... فقد وصلنا كتابك صحبة الحاج عبد الرحمن بریطل قَبَّحَهُ اللهُ، ووصل صحبته ما سطره السلوي في شأنه، (ولعله يقصد الرئيس عبد السلام بن محمد السلوي)، وما أدى عنه، وصير عليه، فهاؤلاء الرؤساء إنما يكثرُونَ علينا من الآراء والأقوال والدعوى، وإذا احتاجهم الإنسان، فعلوا مثل هذه المُوَبَّقة، وباءوا بالخزي والهوان...»².

¹ - خ. س، مح. ر، وثيقة رقم 1/ 26/ ك 5.

² - خ. س، مح. ر رقم 33، وثيقة بتاريخ متم شعبان 1255 / 7 نونبر 1839. وردت إشارة إلى الرئيس الشريف السلوي في:

- ابن زيدان، عبد الرحمن، "إتحاف أعلام الناس..."، ج 5، ص. 151.

بيد أن الأسطول المغربي لم يتعزز بسفن ومراكب حديثة الصنع وكبيرة الحجم إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بعد أن فطن المولى الحسن، بحدسه الثاقب، وتجربته الواسعة، إلى الأهمية المتزايدة التي صار البحر يكتسبها في علاقات المغرب مع الخارج، وإلى الفوائد المتنوعة التي يمكن للمخزن أن يجنيها من خلال استغلاله للواجهة البحرية الأطلسية على الخصوص بهدف مراقبة سواحل البلاد، ونقل الجنود من نقطة إلى أخرى، ومدهم بالمؤن، والعدة، ومواد أخرى، قد يتعذر، في عدد من المناسبات، إيصالها إليهم عن طريق البر. وتوجت مساعي السلطان المولى الحسن الحثيثة سنة 1885 بتسلمه أول قطعة تكون منها الأسطول البحري الحديث، ويتعلق الأمر بالسفينة البخارية "الحسني" التي تم صنعها بأوراش مدينة ليفربول الإنجليزية، وتكوّن طاقمها، أول الأمر، من رُبان وتقنيين إسبانيين، قبل أن يعوضوا، سنة 1895 بآخرين من ألمانيا، الأمر الذي أثار زوبعة من الاحتجاجات من قبل السفير الإسباني بالمغرب وحكومته.

وفي شهر أكتوبر من سنة 1892، حصل المغرب على قطعة ثانية من شركة وورمان (Woermann) الألمانية، ويتعلق الأمر بسفينة الجر ونقل المسافرين على مدى مسافات قصيرة "التركي".

ستتان بعد هذا التاريخ، وبالضبط في شهر سبتمبر 1894، انضافت إلى الوجدتين السابقتين سفينة بخارية أخرى، تم صنعها بأوراش مدينة "بريمن" (Bremen) بألمانيا، وأطلق عليها اسم "التركي"، وعلى متن هذه السفينة نقلت مدافع كروب الضخمة وباقي التجهيزات الأخرى الخاصة ببرج الرباط.

وأخيراً، تسلم المغرب سفينة "البشير"، من صنع أوراش أورلاندو فراتلي بليفورنة (Orlando Fratelli di Levourna)، وتعد أحدث وأهم سفينة حربية حصل عليها المغرب خلال هذه الفترة¹.

1- اعتمدنا، في سوق هذه المعلومات، على المصادر والمراجع الآتية:

- خ. س، ك 630، ص. 3، رسالة السلطان إلى الطريس، بتاريخ 6 ذي القعدة 1308، الموافق لـ 13 يونيو 1891، يخبره فيها بصدور الأمر إلى أمناء بعض المراسي بأن يوجهوا له مبلغ 77142 ريال، يرسم "القسمتين الحاليتين من ثمن المركب الحربي..." ليدفعه بدوره إلى السفير الإيطالي بطنجة.

وأما الحصة من المال التي كان على أمناء كل مرسى من المراسي المعنية بهذا الأمر، فكانت على النحو الآتي:

- الدار البيضاء	=	40000 ريال
- الجديدة	=	20000 ريال
- أسفي	=	10000 ريال
- طنجة	=	7142 ريال

- خ. س، ك 630، ص. 115، رسالة السلطان إلى أمناء مرسى الرباط وسلا، بتاريخ 10 شعبان 1310، الموافق لـ 25 يونيو 1893، في شأن العقد المبرم مع الألمانين الأربعة لقيادة وتشغيل السفينة التريكي "المنشا لجر الفلايك بمرسى العدوتين"، مدته سنة اعتباراً من 21 أكتوبر 1892، مع تحديد ما يعطاهم شهرياً في راتبهم، ومؤونتهم، على النحو الآتي:

- "الرايس"	=	الراتب = 90 ريالاً، المؤونة = 15 ريالاً.
- خليفته الأول	=	الراتب = 65 ريالاً، المؤونة = 15 ريالاً.
- خليفته الثاني	=	الراتب = 45 ريالاً، المؤونة = 15 ريالاً.

وأما "المسلمون الأربعة من أهل طنجة الموجهون معهم..."، فيعطاهم "مثل ما يعطى لأمثالهم من البحرية من المؤونة".

- خ. س، ك 630، ص. 136، رسالة السلطان إلى الطريس في شأن توجيه السفينة "التريكي" من مرسى العدوتين الرباط وسلا إلى العرائش، وهي بتاريخ 23 محرم 1311، الموافق لـ 6 غشت 1894.

- ابن زيدان، عبد الرحمن، "إتحاف أعلام الناس..."، ج 2، ص. 503، في شأن إنجازات =

بيد أن كل هذه الجهود الهائلة والمسعى الحميدة التي بذلها المولى الحسن، في سبيل إنعاش وتطوير قطاع البحرية العسكرية، لم تؤت أكلها وذلك لأسباب بشرية، ومادية، وتنظيمية. وهكذا، فما كاد المخزن يتسلم السفينة الحربية "البشير"، وهي أحسن قطعة من نوعها أمكنه الحصول عليها، بعد انتظار دام عشر سنوات بالتقريب، حتى بادر إلى بيعها والتخلص منها، حيث اشترتها منه الحكومة الكولمبية، في شهر يراير من سنة 1902. ونفس المصير سبق وأن عرفه "الحسني" سنة 1900، حيث بيع لشركة ملاحية مقرها بالجزائر العاصمة، مقابل 20000 ريال.

لقد حدث هذا طبعاً في ظروف جد صعبة ودقيقة، ساهمت في تعقيد مهمة المولى عبد العزيز الذي وجد نفسه بغتة، على إثر وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في 17 مايو 1900، أمام مشاكل كبرى وشائكة، قد يستعصي أمر التغلب عليها حتى على من كان أكبر منه سناً وأكثر تجربة. فعلى المستوى الداخلي، سجلت الفترة بداية حدوث تصدع في الجهاز المخزني، نتيجة احتدام الصراع والتنافس في صفوف أعوان المخزن الكبار من أجل اكتساب ثقة السلطان الشاب، والظفر بمودته وتعرض مالية الدولة إلى التبذير والإتلاف، مما أدى إلى إفلاسها، واضطرار المخزن إلى الاقتراض من الدول الأوروبية التي سارعت إلى تقديم الأموال المطلوبة، وأخيراً، اندلاع حركات عصيان وتمرد هنا وهناك.

= السلطان المولى الحسن في قطاع الملاحة البحرية العسكرية والمدنية.

- A.G.V, 3 h 21, Cap. Larras, « L'Occupation du Maroc », op. cit., p. 22.

في شأن قطع الأسطول الحربي المغربي، عددها وقيمتها الحربية.

- Guillen (P.): « L'Allemagne et le Maroc... », op. cit. P. 327 et suiv.

ويتبين لنا أيضاً مما سبق ذكره أن الربانة والتقنيين الذين كان المخزن يعول عليهم في تشغيل وتحريك سفنه ومراكبه الحديثة هم جميعاً أوريبيون، وألمانيون على الخصوص، في حين كان المغاربة يقومون بالأعمال والخدمات العادية والمعتادة بالنسبة لِبَحَّارَةِ أي مراكب بحري كان.

ومن ثمة تلمسنا لمسألة الأطر والعاملين في قطاع البحرية العسكرية. فعلى امتداد القرن التاسع عشر بأكمله، وبالرغم من محاولات السلطان المولى الحسن الهادفة إلى تكوين شبان مغاربة في فن الملاحة، وقيادة السفن والمراكب، إذ كان بعضهم توجه هذه الغاية إلى إيطالية على الخصوص، في إطار البعثات الطلابية إلى الخارج للتعليم والتكوين في تخصصات عسكرية وهندسية مختلفة، فإن عددهم، في آخر المطاف، لم يتجاوز بضعة مئات، علماً بأن هؤلاء "البحرية" هم أقرب إلى أجراء، يُستخدَمون في عمليات شحْن وإفراغ السفن والقوارب من حمولاتها، منهم إلى جنود البحرية¹.

1- A.G.V. 3 h 1, Mémoire du Cap. Burel, op. cit., 1809.

قال بوريل إن عدد جنود البحرية المعيّنين للخدمة بالمراسي الآتي ذكرها هو على النحو الآتي:
طنجة = 200؛ العرائش = 250؛ الرباط = 400.
- خ. س. مح. ر رقم 2/ 6 ك 5، رسالة السلطان إلى عبد السلام السلوي، عامل طنجة والعرائش، يأمره فيها بتمكين الوافدين من جنود البحرية وقوادهم، وهم من مدينة الرباط، على العرائش، بقصد إصلاح مركبين بها، من مؤنتهم اليومية على النحو الآتي:
- "الرايس" = 3 أواق؛ "الباشا رايس"، و"الكانجي" = درهمان؛ الجندي البحري = 6 موزونات.
- خ. س. ك 299، وثيقة بتاريخ 16 جمادى الأولى 1278، الموافق لـ 19 نونبر 1861، حيث أشير إلى عدد جنود البحرية في العدوتين، وهو 300 نفرأ في الرباط ومثلها في سلا.
- خ. ص. س، سلسلة II، حرف - ب -، وثيقة رقم 512 بتاريخ 10 رمضان 1294، الموافق لـ 18 سبتمبر 1877، ورد فيها أمر السلطان إلى عامل سلا محمد بن سعيد باختيار شبان من أبناء المدينة للتوجه إلى الخارج، بهدف التكوين في "علم البحر والرياسة". =

الخاتمة

حاولنا، من خلال دراستنا هذه لموضوع الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، استغلال عدد وافرٍ من الوثائق المخزنية. وقد سمح لنا استنطاقها بالتركيز على بعض الجوانب والقضايا دون غيرها، آملين أن تُساعد على فهم وتلمُّس أفضَلِينِ لخصوصيات مؤسسة الجيش ومكانتها في الجهاز المخزني وقتئذ.

وهكذا، عملنا على استجلاء بعض ملامح الدولة المغربية، بُغية وضع المؤسسة المذكورة في إطارها السياسي والاجتماعي والتنظيمي، على ضوء المستجدات التي عرفها على المستوى الداخلي من جهة، والتطورات التي كانت تُميِّزُ تعامله مع الدول الأوروبية من جهة أخرى. وقد تساءلنا، في هذا الإطار، عن خصائص بنية الجيش المغربي البشرية، وعن أساليب وأوجه تكوين وتدريب عناصره على تقنيات وطُرُق الحرب والقتال الحديثة، وإلى أيِّ حدٍّ كان هؤلاء يؤدون مأموريتهم، ويساهمون بالتالي في شدِّ أزر الدولة ومساعدتها على تدبير وتسيير شؤون البلاد، والدفاع عن حوزتها، كلما دعت الضرورة إلى ذلك،

= - F. O 174/ 144.

جون هي دراموند هي إلى النائب السلطاني محمد بركاش، في شأن عزم السلطان توجيه 50 شاباً "للركوب في قراصين الإنجليز لتعلم قوانين خدمة البحر..."، الرسالة بتاريخ 27 محرم 1302 / 17 نونبر 1884.

- A.G.V, 3 h 11, Rapp. Schlumberger n° 22, du mois de Juin 1897, p. 9.

في سياق الحديث عن عودة خمسة طلاب مؤخراً من إيطاليا حيث يتكونون هناك في تخصيص الملاحة البحرية، لينضموا مستقبلاً إلى القيادة العامة للسفينة التي كانت تصنع وقتئذ في أوراش مدينة ليفورنة، عقب على ذلك بقوله:

«... إنه لمن المؤكد ألا يستطيع أشخاص لم يسبق لهم أن تلقوا أدنى تكوين مدرسي، أن يصبحوا، خلال بضع سنين، ضباطاً في البحرية...».

مُبرزين، في نفس الآن، الدور الأساس لقبائل الكيش وعبيد البُخاري، باعتبارهما قوتين مُنظمتين وهامتين، ولا سيما في النصف الأول من القرن التاسع عشر، إذ كان بإمكان المخزن التعويل عليهما في كل وقت وحين. وحاولنا أيضاً تتبع سياسة المخزن في هذا المجال، وإعطاء فكرة عن أعداد هذين التنظيمين وتطورهما على امتداد القرن التاسع عشر، كما قُمنا بنفس العملية بالنسبة لحراك القبائل وعساكرها، وجُند النظام.

ومن الخلاصات التي سَمَحَ لنا استقراء الوثائق بالتوصُّل إليها، أن أعداد تنظيم عبيد البُخاري وقبائل الكيش، كانت تتراجع باستمرار، على امتداد القرن التاسع عشر، لأسباب سياسية ومالية وتنظيمية، ولا سيما بعد الشروع في تأسيس النواة الأولى لعسكر النظام، غداة وقعة إيسلي سنة 1844، وإسناد مهام تكوين عناصرها، أول الأمر، إلى ثُلَّةٍ من الضُّباط والعسكريين المغاربة والمشاركة، ثم في مرحلة لاحقة إلى مُكوِّنين وعسكريين إنجليزيين وفرنسيين على الخصوص. وقد تبيَّن لنا هذا كُلُّه من الأرقام والبيانات التي أثبتناها في جداول مُفصَّلة، أشفعناها بأخرى عن الرِّوَاتِب والأجور.

وفيما يتعلَّق بحراك القبائل الذين كان يُجندهم المخزن، ويَزُجُّ بهم في ميادين القتال، كُلِّما دعت الضَّرورة إلى ذلك، فقد أدلينا في شأنهم أيضاً بأرقام مُفصَّلة وبيانات مُتنوعة عن أعدادهم، وانتسابهم القبلي، وطريقة ومقاييس اختيارهم وتعيينهم، وهو الأمر الذي حَمَلْنَا على الاعتقاد بأننا نساهم في التعريف بظاهرة الحركة وأدقِّ جزئياتها وتفصيلها البشرية والتنظيمية والمادية.

وأمكننا أيضاً استجلاء التحول الهام الذي أخذ يطرأ على تركيبة الجيش، ولا سيما غداة حرب تطوان، حيث أضحت أعداد الرُّماة والطُّبَّحِيِّين أي المدفَّعِيِّين في ازدياد مُستمر، في حين أخذت أعداد الحَيَّالَة في التراجع. إلا أن هذه الظاهرة لا تعني البتة أن مفهوم وتصور المسؤولين العسكريين المغاربة، وفي مقدمتهم السلطان طبعاً، للعملية الحربية بِرُمَّتِهَا قد تَغَيَّرَ عَمَّا كان عليه الأمر أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، أي أن طريقة المغاربة الحربية ظَلَّتْ تُعتمد على تكتيك الكَرِّ والفَرِّ، وبالتالي ترجيح كفة سلاح الفُروسية على باقي التنظيمات العسكرية الأخرى.

وتعرَّضنا أيضاً، في مرحلة مُوالية، إلى مسألة السلاح الناري والذخيرة اللذين كان المخزن يُزود بهما مُقاتليه من الكَيْش والعسكر، فَتَبَيَّنَ لنا من مصادرنا، أن معظم أنواع البنادق والمهاريس، والمدافع على الخصوص، كان يَرْجَعُ تاريخ صنعها دوماً إلى عدة سنين خلت، وتُوجد في حالة سيئة ورديفة بسبب قلة العناية والاهتمام، وانعدام أعمال الصِّيانة، وهذا ما كان يجعلها عديمة الفائدة، إذا ما قُورنت بنظيراتها التي كانت بيد عناصر الجيوش الأوربية. وسواءً تعلق الأمر بالبنادق والذخيرة التي كان يتم صُنعها في معامل الدولة هنا وهناك، وبالخصوص في معامل تطوان، والعرائش، وفاس، أو بالتي كان يتم صُنعها في إطار عائلي وعشيري، فإن وسائل الإنتاج المستعملة، والأساليب المعتمدة، كانت بدائية وتقليدية، لا تَرْقى البتة إلى المقارنة بما كان عليه الأمر في مصانع السلاح الحديثة بأوروبا. وأما العتاد الحربي المستورد من الخارج، أي من إنكلترا، وبلجيكا، وإيطاليا، وفرنسا على الخصوص، فكان لا يَخْرُجُ عن أحد أمرين. فإما أن تكون مُعظم قطعه عابئة وغير مُتقنة الصُّنع، وإما أن تكون من النوع

العلم الذي أصبح في وقت تفويته إلى المغرب مُتجاوزاً تقنياً وعسكرياً، وتمَّ الاستغناء عنه في التنظيمات العسكرية الأوروبية. وهكذا، تنضاف سلبيات وعوائق العتاد الحربي العائب والمتقادم إلى قلة استعداد المحاربين المغاربة، وجهلهم بأساليب ومناهج القتال الحديثة. وانصب اهتمامنا أيضاً على أطر الجيش، فعملنا على التعريف بعدد وافر منهم، وتبيّن لنا أنهم كانوا لا يتوفرون على أدنى قسط من التعلم ولا أدنى رصيد من التكوين العسكري والحربي، وبالتالي جهلهم التام بفنون ومناهج الحرب العصرية، وبما كان يجري من حولهم من أحداث ووقائع. لقد كانوا صورة حية لما كانت تمثله هذه المرحلة، موضوع دراستنا، من تطور اجتماعي، وثقافي، وتقني بالنسبة للمجتمع المغربي وقتئذ. على أن هذا لا يعني بالطبع التنقيص من شجاعتهم وإقدامهم، أو إنكار ما كان لبعضهم من دراية ومهارة في ميادين القتال، وفي تسيير وقيادة الرجال، وإنما قصدنا هنا الإلحاح على أن هؤلاء القواد لا معرفة لهم بمناهج وطرق الحرب العصرية، كما كان يتلقاها نُظَرَاؤُهُم في المدارس والمعاهد الحربية الأوروبية، إذ كانوا يُحَارِبُونَ، ويذهبون إلى ميادين القتال، وكلُّ ما يتوفرون عليه من خبرة ومعرفة بالحرب وشؤونها، يَتَلَخَّصُ فيما قد اكتسبوه انطلاقاً من تجاربهم في المعارك التي كانت تُخوضها قبائلهم.

وأما ما كان يُقدمه المخزن من أجور ومؤن إلى هؤلاء القواد ورجالهم، كَيْشاً كانوا أم عسكرياً، فإنها كانت جد زهيدة لا تفي بالغرض، ولا تكفي البتة لِسَدِّ حاجيات الفرد الضرورية، فما بالك إذا كان عليه إعالة أسرة من زوج وثلاثة إلى أربعة أبناء على الأقل. ومن ثمة كان اضطراب معظمهم إلى مُزاولة عمل آخر، في أوقات الفراغ من الخدمة في الجندية، كأجراء أو حرفيين أو باعة

متحولين، سعيًا إلى كسب بعض الأواقي، عساها تُساعد على مُواجهة تكاليف العيش وشظفه.

على أن من كان بيده مال كثير، ولا يتأتى ذلك طبعاً إلا لثلة من الكُبراء، كانوا يتحولون إلى تُجار مرايين حقيقيين، يستثمرون أموالهم في عمليات تجارية كانت تتخذ من المحلة نفسها سوقاً كبيراً ومُتَقَلِّلاً، فيحصل عموم الجُند على بعض المواد بالنسيئة، ريثما يتوصلون برواتبهم ومؤهم، متخذين بذلك من المجال الجغرافي المتنوع والفسيح الذي كانت تتحرك فيه المحلة السلطانية أسواق مُربحة.

ثم تعرضنا، بعد ذلك، إلى لباس الجند، فلاحظنا شيئاً من التشابه بينه وبين ما كان يرتديه باقي سكان البلاد، ولاسيما في النصف الأول من القرن التاسع عشر. يبد أنه، واعتباراً من بداية عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، صار المخزن يقتبس قطعاً من الزيِّ العسكري التركي والأوربي، مُدججاً إياها في كسوة عناصر جيش "النظام" على الخصوص، في حين ظلَّ معظم أفراد الكَيش والعسكر، وحُراك القبائل طبعاً، يَرتدُّون اللباس التقليدي المغربي الفضفاض الذي كان يعيق بالضرورة عن الحركة، ولربَّما يليق ويواقي هُواة ألعاب الفروسية أكثر مما كان يصلح ويُناسب من كانت خدمتهم بالأساس، تتلخَّص في الفرَّ والكرَّ، وفي تسلق الجبال واقتحام الأوعار، وفي عبور الأودية والأنهار، وفي حمل الأثقال وتمهيد السُّبل والمسالك، في الأيام القاضية، كما في الليالي الظلماء العاصفة. واغتنمنا الفرصة أيضاً للحديث عن أنواع الثياب والمنسوجات التي كان المخزن يستعملها في إكساء جنوده وقواده، وعلى يد من كانت تُنجزُ هذه العملية، وما هي أهم

المراكز الحضرية التي كان يتمُّ بها صُنع البَذَلِ، والنعال، والعمائم؟ ويُمكن إسقاط نفس الملاحظة على قطاع السكن وإسكان أفراد الجيش، إذ لم يكن يوجد بالمغرب وقتئذ ثكنات أو محلات جماعية، مَبْنِيَّةٌ مَسَاكِينُهَا من الحجارة والطين، يأوي إليها هؤلاء الناس، في حالة الإقامة أو الترحال. فالوسيلة الوحيدة المستعملة لإيقائهم من حرِّ الشمس، وبرودة الطقس ونَهَاطُل الأمطار هي أنواع من الأخبية والخيام المختلفة الأشكال والأحجام التي كانت تُصنَّع في كبريات المراسي والخواضر. على أن المخزن كان يعمل على توفير سكن قارٍّ إلى ثُلَّةٍ من كبار قواد ورؤساء الجيش، إمَّا عن طريق التملك أو الإيجار، كُلِّمَا حَطَّت المحلة الرحال بإحدى العواصم الثلاث، فاس، ومكناس، ومراكش على الخصوص. وقد أمكننا، في هذا الصدد، تقديم معلومات ومواصفات دقيقة عن سعة وحجم نماذج من الدور التي كان يُخصصها المخزن لمساعديه العسكريين، أو ينعم عليهم بها. ثم عزَّزنا ذلك ببيانات ومعطيات كمية حول أئمة كراء أنواع شتى من الدور والمباني في جهات مختلفة من البلاد، وفي تواريخ تُعْطِي تقريباً القرن التاسع عشر بأكمله، بهدف إعطاء فكرة عما كان يمثل الإنفاق على سُكْنى الفرد وأسرته من عِبءٍ على القدرة الشرائية لمغاربة الفترة المذكورة، وفي مقدمتهم قواد ورؤساء الجيش. وانسجماً مع سياسته في التعامل مع عناصر الكيش والعسكر، ومن أجل ضمان ولائهم ووفائهم للدولة، وتمييزهم عن عموم السُّكَّان، دأب المخزن على تمتيعهم بعدد من الامتيازات والإنعامات، كإقطاع كبرائهم مثلاً أراضي فلاحية هنا وهناك، مع تَخْوِيلِهِمْ حق الانتفاع من أنصبه من مياه السَّقْيِ، وإعفاء الجميع من أداء الضرائب غير الشرعية، ومن الكُلْفِ والوظائف، ومنحهم صِلَاتٍ وإنعامات في مناسبات معينة كالأعياد مثلاً.

وتعرّضنا أيضاً إلى مسألة تطبيب وعلاج مرضى وجرحى أفراد الجيش، وخلصنا إلى القول بأنه لا شيء يُذكر في هذا المجال، وبأن ظروف عيشتهم وعملهم كانت تُساعد كثيراً على تَفَشِّي مختلف الأمراض والأعراض في صفوفهم أكثر مما كان يحدثُ في صفوف الفئات الاجتماعية الأخرى، وبالخصوص حين كانت تحتاح البلاد القُحُوط والمجاعات، وما كان يَعْقُبُهَا من ويلات ومصائب الأوبئة والطواعين، كالْكَولِيرا والتَّيْفُويد مثلاً.

وكان ينضاف إلى الآثار السلبية والسيئة للجوائح الطبيعية والأمراض المعدية، ضُروبُ وأصنافُ التعسفات والمضايقات والابتزازات التي كانت تستهدفهم على يد قوادهم ورؤسائهم، وكذلك على يد الولاة والحكام الآخرين.

واستأثّر باهتمامنا أيضاً موضوعُ سلوك أفراد الجيش، قُواداً وأنصاراً، سواء تعلق الأمر بما كان يَتَخَلَّلُ علاقاتهم اليومية وظروف عملهم من مشاكل وصراعات، في معسكراتهم ومُخَيَّماتهم، ساعة التوقف والاستقرار، أو وقت الظُّعن والتَّرْخَالِ، أو بما كان يصدر عن بعضهم من أقوال في تعاملهم مع غيرهم من مكونات المجتمع المدني، وبالخصوص سكان البوادي، وهو الأمر الذي أتاح لنا فرصة استبيان وتلمس مُستواهم الثقافي والفكري، وكذلك بؤس أوضاعهم المادية والمعيشية، والتي تُفسِّرُ جوانب عديدةً من مُمارساتهم وتصرفاتهم، الأمر الذي كان يدفع ببعضهم، بين الفينة والأخرى، إلى الهروب من أماكن خدمتهم، أو من الحركة ومعهم، في غالب الأوقات، لوازم المخزن أو القبيلة الحربية.

وأولينا الاهتمام أيضاً لظاهرة الانتفاضات والتمردات في مغرب القرن التاسع عشر، مُتسائلين عن الأسباب والدوافع المختلفة التي ساهمت في إيقاد

نيراتها، وتأجيج لهيها، ونشر فتيلها، حيث ركزنا على انتفاض قبيلة الرحامنة التي اهتز لها حوز مدينة مراكش بأكمله، في بداية عهد السلطان المولى عبد العزيز، وتوسعنا بعض الشيء في الإحاطة بجميع جوانبها وخلفياتها، بهدف إعطاء فكرة عن الدور الهام الذي كان يضطلع به عناصر الجيش في استتباب الأمن وقمع حركات العصيان ضد المخزن، دون إغفال أن تَرَدِّي الأوضاع المادية والاجتماعية لفئات عريضة من المجتمع المغربي، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الخصوص، وتَدَنِّي مستوى عَيْشِهَا بسبب تمكن اقتصاد السوق وغزو المنتجات الأوربية للأسواق المغربية، ودسائس الدول الاستعمارية، كلها عوامل ساهمت في تأجيج غضب السكان وجعلهم أكثر تقبُّلاً وتَحَمُّساً لدعاية وأكاذيب مشعوذين ومُغامرين من أمثال الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني، أو أحمد الريسوني.

وعند تناولنا لمسألة خطط المخزن الدفاعية المتمثلة أساساً في سلسلة الأبراج والحصون التي كانت تتخلَّلُ الواجهة الأطلسية من البلاد على الخصوص، وفي القصبات والإدالات المنبئة في رُبُوعِهَا، ناقشنا مصطلح "الجهاد" الذي ظل حاضراً باستمرار في الكتابات المخزنية وغيرها على امتداد الفترة موضوع بحثنا هذا، فَتَبَيَّنَ لنا أن لفظة "جهاد" قد استعملت في معنى الدفاع عن حوزة الوطن، وليس في معنى حمل الآخر، عن طريق الترغيب أو التهيب، على الإذعان إلى الكلمة الحق واتباع سبيل الهداية والرَّشاد، وهو الأمر الذي كان يقتضي الدخول معه في مُجاهدة ومُكابدة، وفي حرب ومُواجهة خارج الوطن بعيداً عن الأهل والولد.

وأما فيما يخصُّ القصبات والإدالات والقلاع المنتشرة في الجهات المختلفة من البلاد، في الجبال والوديان، وكذلك على امتداد المسالك الكبرى التي كانت تُمثِّلُ الممر الطبيعي والضروري للقوافل التجارية، وللسَّابِلة، ولكتائب وتجريدات الجيش، فقد عملنا على التعريف بِخُصوصياتها، وبأعداد رجالها وما كانوا يَتَقاضَوْنَهُ من مُؤْنٍ وَرَوَاتِبَ، وكذا بعلاقاتهم بالقبائل المُجاورة لهم، ناهيكَ عَمَّا كان يُنْتَظَرُ منهم القيام به من طرف المخزن، والمتمثل، قبل كل شيء، في الحرص والسهر على استتباب الأمن، وإجْراءِ الأحكام والأوامر المخزنية.

وَحَرَصْنَا أيضاً على التوسع في معالجة ظاهرة الحركة في مغرب القرن التاسع عشر، والتركيز على جوانب وإشكالات لم يسبق أن تعرض إليها من الباحثين مَنْ اهْتَمَّ بِمُؤَسَّسَةِ الجيش المغربي في الفترة الزمنية موضوع دراستنا هذه. وهكذا، عملنا على إبراز واستجلاء خصوصياتها وخلفياتها السياسية، والاجتماعية، والمادية، كما حاولنا رصد التطور الذي طرأ عليها، على امتداد الفترة المذكورة، وذلك من خلال موضوعات مُعَيَّنَةٍ وَدَقِيقَةٍ، كعبء الحركة مثلاً على القبائل، أو فريضي تموين الحراك، أو حمل أثقال المخزن، أو امتناع بعض الطوائف والقبائل عن المشاركة في حملة السلطان العسكرية، سواءً تعلق الأمر بعهد السلطان المولى الحسن الذي اقترن اسمه بالحركة في ذاكرة المغاربة حتى مطلع القرن العشرين، أو بِفَتْرَتِي حكم والده السلطان سيدي محمد، وجده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام.

هذه إذن أهم النقاط والجوانب التي تعرَّضْنَا إليها في البابين الأولين من بحثنا، وهَمَّتْ قضايا ومواضيع ذات الصلة بتنظيمات الجيش وفُرُقَه، وعدد

رجالهم، ورواتبهم، وسلوكهم، ولباسهم، وسلاحهم، إلى غير ذلك من طرق وأساليب التنظيم والتسيير، كما انصبَّ اهتمامنا على إبراز الخدمات والمهام التي كانت تُنَاط بهم، وفي مُقدمتها الإسهام في استتباب الأمن، وقمع الانتفاضات والتمردات، وتبليغ وتنفيذ الأوامر المخزنية، ناهيك عن ظاهرة الحركة وأهميتها في تدبير شؤون البلاد.

وسواء تعلق الأمر بالوسائل المادية والتقنية التي كان يُسَخَّرُها الجنود في أداء مهامهم وإنجاز أعمالهم، أو بالمُؤَهَّلَات الثقافية والعسكرية لهؤلاء الجنود أنفسهم، فإننا ندرك بدون أدنى تعب أو عناء، أننا أمام جيش بلد تقليدي ذي بنايات اقتصادية، واجتماعية، وذهنية عتيقة. وبديهي أن تكون مَرْدُودِيَّتُهُ وخدماتُهُ، بالمقارنة مع الجيوش الأوروبية الحديثة جد محدودة، إذ أمكننا الوقوف على أمثلة عديدة في مصادرنا لنقائصه، وعُيُوبِهِ ومواطن الضعف والخلل في طُرُق تدبير أموره وقتال رجاله.

هذا، وقد خصَّصْنَا الباب الثالث والأخير من عملنا هذا للحديث عن مجهودات سلاطين الفترة، وفي مقدمتهم السلطان المولى الحسن، والرامية إلى تحديث قطاع الجيش وتطوير أساليب عمل رجاله، حيث تعرضنا، في فقرة أولى، إلى إشكالية العون الأجنبي، وما هي الجهة الخارجية الممكن الركون إليها والتعويل عليها لإنجاح مشروع المخزن هذا، إذ كان يتعين إمَّا الاقتداء بتجربة بعض الدول المشرقية في هذا المجال، أي تركيا ومصر، أو الاستعانة بخبرة العسكريين الأوربيين ومهاراتهم الحربية.

وقبل هذا وذاك، تَسَاءَلْنَا عن الدوافع والأسباب السياسية والثقافية التي حملت كُلاً من العاهلين المولى عبد الرحمن بن هشام، وابنه وخلفه سيدي مُحمد، على نبذ كل تقارب وتعاون وثيق مع الدول الأوربية التي ما فتئت تتضح وتؤكد مخططاتها الاستعمارية ونواياها الحقيقية في البلاد، منذ وقعة إيسلي سنة 1844 وحرب تطوان سنة 1859 - 1860 على الخصوص، ثم أشرنا إلى الأسباب المنهجية والموضوعية التي جعلتنا نتبنى ونفضل استعمال لفظة "تحديث" عوض "إصلاح"، للحدث عن مجموعة الترتيبات والتدابير التقنية والعملية التي اتخذها المخزن، بهدف تحسين القدرة القتالية للجنود المغاربة، وظروف عيشهم وعملهم، مُؤَفِّراً لنفسه أداة فاعلة لتعزيز مركزه، وبسط نفوذه وكلمته، وقمع كل انتفاضة أو حركة تمردية من شأنها أن تهدد سلطته وسلطة مختلف ممثليه في كافة أرجاء البلاد. ذلك أن لفظة إصلاح، في نظرنا، تختزل شحنة من المعاني والدلالات النفسية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، لا نظن أن هذه المُقدِّمات والمتطلبات، أو على الأقل البعض منها، كان حاضراً في أذهان النخبة الحاكمة والمثقفة، أو على مستوى باقي فئات المجتمع المغربي الأخرى.

ثم تعرضنا، بعد ذلك، إلى المحاولات والمساعي التي ظل المغرب يبذلها، على امتداد القرن التاسع عشر، بهدف إنعاش وتوطيد صلاته وعلاقاته مع إِنْخِرَانِهِ في الملة والدين، في كل من مصر وتركيا. إلا أن ظروف وأوضاع الجانبيين، السياسية، والاجتماعية، والمادية، والعوائق الطبيعية والتقنية، ناهيك عن دسائس، ومؤامرات، وضغوط بل تحرشات وتهديدات الدول الاستعمارية، قد حالت دون تحقيق هذه التوجهات والمشاريع التي غالباً ما كانت تُقَبَّر في مهدها. وقد تَكَلَّلَتْ فعلاً مساعي كل من إنكَلَتِرا وفرنسا بالنجاح، بصفتها القوتين العظميين الأكثر اهتماماً

بالغرب وشؤونه، والأشد حرصاً على نفس كيانه السياسي، ومقوماته الفكرية والثقافية، وتخريب اقتصاده، تمهيداً لبسط يدهما عليه، وذلك بقبول السلطان المولى الحسن رسمياً استقبال مُكوّنين عسكريين من البلدين المذكورين. وبذلك، تُكون كُلُّ من إنكلترا وفرنسا قد تمكنتا من ضرب عصفورين بحجر واحد، إذ نَجَحَتَا في إقصاء الخبراء والضباط العرب والمسلمين من البلاد من جهة، وإقحام مُخبرين ومُراقبين في الأوساط المخزنية، بما في ذلك الحاشية المُقرّبة للسلطان من جهة أخرى.

وأيّاً كان الأمر، فعلاوة على الاستعانة بالعسكريين الأوربيين في مجال تكوين وتدريب فرق من الكَيْش وعسكر النظام على طرق الحرب الحديثة، تعرضنا إلى البعثات الطلابية لعدد من الدول الأوربية للتعليم والتكوين في اختصاصات عسكرية وحرية، ليس فحسب على عهد السلطان المولى الحسن كما هو معلوم ومشهور، بل أيضاً أيام جده المولى عبد الرحمن بن هشام ووالده سيدي محمد، على ضوء ما تضمنته وثائق مخزنية دفيئة وغيرها حول هذا الجانب. وقد تساءلنا، بالمناسبة، عن المقاييس والاعتبارات التي كان يركز عليها المخزن في اختياره لهؤلاء الطلاب الموفدين إلى الخارج، وغيرهم من أهل الصنائع والحرف، وهل كانت هناك شروط ومؤهلات وصفات مُعيّنة لكسب ورقة العضوية في الأفواج التي كانت تتوجه إلى أوربا، كالانتماء مثلاً إلى فئة النخبة الحاكمة مثلاً، أو الانتساب إلى قبيلة من القبائل أو جهة من الجهات، والحق أنه لا مجال البتة للاعتبارات العائلية والشخصية أو الفئوية، أو الجهوية والقبلية في اختيار هؤلاء الشبان المغاربة، إذ المهم بالنسبة للسلطان هو أن يكونوا صَغِيرِي السن ومن «أهل الذكاء، والفتنة والصحة، والجسم...».

يبد أنه في نفس الآن، يبدو أن أهمية خاصة كانت تُعطى لدرجة إلمامهم بمبادئ القراءة والكتابة، إذ كانت تُكوّن مقياساً من مقياس اختيارهم، وهو الأمر الذي قد يساعد، ولاشك، على استشفاف أصولهم الاجتماعية. وكان طبعاً أيضاً، أن تتساءل عما يكون المغرب قد جناه من وراء إيفاده لمئات من أبنائه للتكوين والتعلم، واستكمال الخبرة في مدارس عسكرية ومؤسسات تقنية أوربية، في إنكلترا، وإيطاليا، وبلجيكا، وألمانيا، وفرنسا، وإسبانيا، وحتى الولايات المتحدة نفسها، علماً بأن ذلك كان قد تطلب رصد مبالغ هامة، طيلة الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر على الأقل، ناهيك عما أنفقه المخزن من أموال طائلة على تحصين وتسليح عدد من المواقع الساحلية على واجهة البلاد الأطلسية من جهة، وعلى تأسيس صناعة حربية حديثة في كل من فاس ومراكش من جهة ثانية، وعلى اقتناء العتاد الحربي والذخيرة من البلاد الأوربية من جهة ثالثة.

يبد أن كل هذه المجهودات والمحاولات قد باءت بالفشل، وذلك لأسباب مُرتبطة بأوضاع المغرب الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية من جهة، وبموقف الدول الاستعمارية الأوربية السليبي من حركة التحديث والتجديد التي كانت قد دُشنت غداة وقعة إيسلي سنة 1844 من جهة ثانية. وهذا ما حدا بنا إلى القول إنَّ التدخل الأوربي وباستمرار في الشؤون المغربية، وفي صيغته وأشكاله المختلفة، ليعُدُّ بحقٍّ من المُثَبِّطَات التي عاقت كل محاولة لتجديد وتطوير هياكل الدولة، اقتصادية وثقافية كانت، أم عسكرية، الأمر الذي يجعلنا نلمس إحدى الإشكالات المُستعصية الحُلَّ في مغرب القرن التاسع عشر، وهي أنَّ كل مجهود وتفكير في اتِّخاذ ترتيبات وتدابير للتحديث، لا بد وأن يتحقق بالاعتماد على العون الأوربي، وهذا ما كان لا يطمئن إليه المغاربة قاطبة، لأسباب نفسية، وتاريخية، وذهنية.

ملحق

نماذج من الوثائق المعتمدة في البحث

الوثيقة الأولى

وطلبت على صبي زنا ومولا نا محمد وذاته وحجبه وسلم

٧١٥
٥

الحمد لله



كلنا في الارض الاسلام السلوي ووفق الله وصلاح عليه ورحمت الله تعالى وكراته
ويعرف من كان اردنا ان نشا فعمل بمسكنه من ايام القضايل لولينا ومجمع عيسى بن الفضل المقتدر في
فيما قبل الجبل والغيب وغيرهم لم يصير الخراجة الخدود والاضالة منهم اليه في على مسراجه الدار الفاضلة
لأنه كل الخراجة من داره وغيرهم اياهم في غيرهم والاضالة منهم اليه في على مسراجه الدار الفاضلة
سومر الزمر نفطهم باو اودهم وامل تام كالت لا يشعرون ولا ينفقون قسوة منهم لو كان لهم وفكر اذنا
جعل غير على يدينا في الالك صعب وممك الله تعلم بالقوة والضعف ان شاء الله ونستوفيه من الله سبحانه
ان يجعله حماية للاصلاح وفكر كان والارط محمد الله غير من في الخ ثلاثة اذاف وعرضه مع لهم لاراف
زجر في الخ خمسة اجمعه بالاضافة في عر الخ والادب لاشه علينا بكيهية جمعهم واننا اردنا انهم
محول الله بحكمة القديرة والقوسعة عليهم في بلاده اواو ادية ومهم الاجتهت مائة الاولى في لنام امانا في
باراد ما واهمنا اديك لتيتم نواياك وتتموكن من امانا وانه الاجتهت مائة اخرى نزل عليها وما كنا
ليبقوا على ابراهيم وايا القوي الحضانة كمل كان اطلهم الاول في شمع الامل في لنام امانا في
محبيته واكثر حمية وجملا وافر في الصون والجر والد وكما التوفيق والتسلل في وعمر الخ والارط في عر الخ

رسالة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام إلى عامل طنجة عبد السلام السلوي المكناسي

بتاريخ 9 محرم 1253/15 أبريل 1837.

٥ / ٥
٥ ٤

وطل الله على سيد محمد وآله وعلمهم

الحمد



خير من الارض والعلاب بوسلهم بر على وقفت الله وسلام عليك
ورحمته الله تعلمون اني وبعدي صلاتك كتب عمالة كهنجة وعمالة
البحر اشر ما عمار مونة ومنه مسارة ومنه من جلك ومنه من جركه فعد
رود نامم لعمال الغنم كما لا نوا اشعرط العبد بزلد وامرط بالتوفيق
والمعونة اير وفرا نعننا على خرامنا الجبر اليرع بعشر الالاف منغال
فنام الامناء ان يدوموا لك في فيها عليهم على عادتهم الما لوفية واعلمنا بعد
خيلهم وزجلهم واسلحتهم وادبع للجبر العرايش ثلاثة الالاف منغال
مريت من العرايش واعلمنا بعد خيلهم وزجلهم واسلحتهم وادبع
للاودية ثلاثة اوفية للفراس ونصيحها للراجل واعلمنا بعد خيلهم
وزجلهم واسلحتهم والسلام في ١٦ رمضان المعظم عام ١٢٥٦ هـ

رسالة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام إلى عامل طنجة والعرايش بوسلهم بن علي
أرطوط، بتاريخ 16 رمضان 1256/11 نونبر 1840.

الوثيقة الخامسة

234 130

234

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

وحيثما امكن ازيد من اعيان الجملة برجع عز وجلنا الله وسلام علينا وحشت
العد تغلق ويركاته ويعرف جفوز قلنا كذا بما وعرفنا من صفته وعلمنا حقيقة
اللائق في منزلة المائة واكثرية بهام الصديق لاجتماع المراتب الممنوحة
فيه وللزينة من اهل الجنة والخرج مشتتة في افراد وشامرا التجربة بلزالي وليت
وفرضه علم غير بلزالي الذي ينبغي كل من يتولى مرتبة المنايع انظر المزايا والخصال
الحقير وترتفع عليه في الامور وتغير في الزود والهدور وفرضه العزم بما في
وعينه بهام حقيقة لزالها وتغيره علم غير واكثر من العلم في هذه المائة وامرنا
بثبات من مزمع اليك على المائة قبله وسلامه ويومئذ من الشهاب اليك الشرف
وقد انما اجد من السجود واخرج الالباب من بيت المائتين في العادة والسلم
ويومئذ من الجنة عام ١٢٦١

الوثيقة الثامنة

أنت والله مؤيد، بسم الله على من فاتحه والى محمد بن عبد الله بن عبد

[illegible]

رسالة القائد محمد بن الطالب المنتفي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، بتاريخ

28 شوال 1266/6 ستمبر 1850.

الوثيقة الثانية عشرة

١٥٠٠

وہی اللہ علی سیدنا و خیرنا محمد و آلہ و سلم

[illegible]

تعمد و عمدتاً از طرف
نظام و نه از طرف
افراد

[illegible]

الوثيقة السادسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

1111

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

نعمت ان شاء الله من توفيقه وحسن تدبيره في تصديقه على الامم
وإيمانهم بالحق والعدل في كل شأن من شأنها
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا
وأنهم يرضون بما قضى الله فيهم ولا يملكون معه شيئا

رسالة المعلم محمد التازي البارودي إلى الوزير الصدر المعطي بن العربي الجامعي، في
شأن ما يصنع من بارود بمراكش على يده، وهي بتاريخ 25 شعبان 1311/3 مارس 1894.

الوثيقة الثامنة عشرة

مح. ع رقم 1 / 403

من الحج عباس الفرتوتى الدهمي
محمد بن الغازي الدهمي
اليواري بن قاسم العقباني
العابدي بن محمد العبودي
الغالي بن محمد المحرزي
محمد بن العربي المحرزي
+
طابعان أخريان لا يقرأ اسم صاحبيهما

"...فقد بلغنا كتاب مولانا الشريف، أخبرنا فيه دام علاه، بما بلغ علمه من أن إخواننا المكلفين بالنزائل، صاروا يقبضون من السيارة في المرور بهم نهارا وفي المبيت عندهم ليلا ست أواقي للجمال، مع أن الذي أذن لهم سيدنا نصره الله في قبضه هو 8 موزونات للجمال في المبيت فقط، وأن ذلك كله منا حيث صرنا نكروا كل نزالة بثلاثين ريالاً إلى الأربعين في العام، فأمرنا مولانا المعتر بالله بالكف عن تكليف أهل النزائل بما ذكر، ونجلسهم عند حدهم في قبض القدر المعين لهم من السيارة المبيت لا غير، لأن النزائل لازم لنا حراستهم بشيء أو بدون شيء، وإنما جعل مولانا المؤيد بالله ذلك إعانة لهم، فليقتصروا عليه ولا يتعدوه، وإلا كانت العبرة علينا فيه الخ. فلينه لشريف علم مولانا دامت بالله سعادته أننا واقفون عند السمع والطاعة، مقتصرون على ما حد لنا في القبض على 8 موزونات لا غير، فحاش الله أن نعصي الأمر أن نتعدها..."

نعم، لا يخفى على أعتاب مولانا الشريفة أن إخواننا بالغوا أقصى الغاية في التفرد ولقرب زعير وغيرهم منا، لم تتألم الأحكام، بحيث إذا كفناهم عن قبض القدر المذكور نهارا، رحلوا لزعير وبقيت الطريق خالية، وربما جعلوا اليد معهم، على نهبيها، سيما وأن جل زعير نزلت الآن ببلدنا ولا قدرة لنا على دفعهم إلا حيلة وسياسة. فالمطلوب من سيدنا ومولانا المعتر بالله أن يمن علينا بإبقاء إخواننا أهل النزائل على ما كانوا عليه قيد حياة سيدنا المقدس، لما كان قدس الله سره انعم عليهم بأربع موزونات نهارا وثمان موزونات ليلا، إعانة لهم على ذلك، كما كانت أسلاف سيدنا الطاهرة معنا، من زمن سيدنا الأكبر قدس الله روحه في فسيح الجنان إلى الآن. وعلى كل حال، العبيد يشكون ما حل بهم إلى سيدهم لعلهم يرحمهم، ولجئنا به العالي بالله النظر طالبين من مولانا رضاه، وعن تمام الخدمة، والسلام. متم شوال 1314".

رسالة قواد قبيلة أعراب الرباط إلى السلطان، بتاريخ متم شوال 1314/3 أبريل 1897.

الوثيقة التاسعة عشرة

الحمد لله رب العالمين - على الله، الحسين أو مولا محمد وآل محمد

[illegible]

رسالة القائد أحمد بن العربي المديوني إلى السلطان مولاي عبد العزيز في موضوع عدم استقامة
أمر عسكر فرقة الزكاورة من مديونة، وهي بتاريخ 12 رمضان 1317/14 يناير 1900.

الوثيقة الثالثة والعشرون

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

رسالة الكاتب أحمد بن عبد الواحد بن المواز إلى القائد المدني الكلاوي، بتاريخ 16 ذي القعدة

1324/فاتح ینایر 1907.

البيليوغرافيا

البليو جرافيا

أولاً: الوثائق الوطنية

أ - الخزانة الحسنية بالرباط

1) المحفوظات

المحفوظات السللمانية

محفظة واحدة

محفوظات مولاي عبد الرحمن بن هشام

المجموعة الأولى ك 4، بها 16 محفظة صُنفت على النحو الآتي:

4 : 1 / ك؛ 4 : 2 / ك؛ 4 : 3 / ك ...

وأما المجموعة الثانية فهي ك 5، بها كذلك 16 محفظة صُنفت على الطريقة الواردة أعلاه. والمجموعتان معاً تضمان حوالي 1100 وثيقة.

محفوظات سيدي محمد بن عبد الرحمن، تمكناً من الاطلاع على المحفوظات: 1، 2، 3، 4، 36 و37 و38 و39 و40 و41 و42.

المحفوظات الحسنية

سنة 1290، 5 محفوظات.

سنة 1291، 11 محفظة.

- سنة 1292، 9 محفوظات.
- سنة 1293، 3 محفوظات.
- سنة 1294، 6 محفوظات.
- سنة 1295، 3 محفوظات.
- سنة 1296، 2 محفوظات.
- سنة 1297، 5 محفوظات.
- سنة 1298، 4 محفوظات.
- سنة 1299، 3 محفوظات.
- سنة 1300، 7 محفوظات.
- سنة 1301، 15 محفظة.
- سنة 1302، 7 محفوظات.
- سنة 1303، 32 محفظة.
- سنة 1304، 12 محفظة.
- سنة 1305، 34 محفظة.
- سنة 1306، 20 محفظة.
- سنة 1307، 36 محفظة.
- سنة 1308، 7 محفوظات.
- سنة 1309، 31 محفظة.

سنة 1310، 58 محفظة.

سنة 1311، 45 محفظة.

محفظات المولى عبد العزيز

ملحوظة: في بعض الأحيان يرد رقم عدد من المحفظات أكثر من مرة. ثم إننا نعلمنا عدم إثبات أرقام تصنيف المحفظات العزيزية والحفيظية بالخزانة الحسنية والتي نتمكن من مراجعتها، على غرار ما فعلناه عند ذكر المحفظات الحسنية، تفادياً للإطالة بدون فائدة، ما دمننا نثبت هذه الأرقام في هوامش البحث، كلما أردنا الإحالة على مصدر معلوماتنا.

سنة 1312، 28 محفظة.

سنة 1313، 35 محفظة.

سنة 1314، 53 محفظة.

سنة 1315، 27 محفظة.

سنة 1316، 8 محفظات.

سنة 1317، 3 محفظات.

سنة 1318، 31 محفظة.

سنة 1318، 31 محفظة.

سنة 1319، 4 محفظات.

سنة 1320، محفظتان.

سنة 1321، محفظة واحدة.

سنة 1322، محفظتان.

سنة 1323، محفظة واحدة.

سنة 1324، محفظة واحدة.

سنة 1325، 7 محفظات.

سنة 1326، محفظتان.

محفظات المولى عبد الحفيظ

سنة 1326، محفظتان.

سنة 1327، 14 محفظة.

سنة 1328، محفظتان.

سنة 1329، محفظة واحدة.

(2) الكنائش

لقد بلغ عدد الكنائش التي تمكنا من الاطلاع عليها 161 كنائشاً، إلا أن معظمها خاص بعهد السلطان مولاي الحسن، إذ خُصَّ لوحده ب 99 كنائشاً، أي أكثر من 60 % من المجموع.

(3) القوائم الحسابية

وهي وثائق بها أرقام وأعداد وحسابات في شأن جميع نفقات الدولة، سواء تعلق الأمر بالجانب العسكري أو غيره. وقد استطعنا تصفح المحفظات الآتية:

سيدي محمد بن عبد الرحمن، 8 محفظات.

مولاي الحسن، 22 محفظة.

محفظة رقم 2 / 433 [1281 هـ - 1320 هـ]، بها ملفات ترجع إلى عهود السلاطين سيدي محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن والمولى عبد العزيز.

محفظات حفيضية.

- الوثائق الزيدانية:

توجد مصنفة في 30 مجلداً بالخزانة الحسينية تحت رقم ز 12607 وبها 10262 وثيقة.

ب - مديرية الوثائق الملكية بالرباط.

محفظة مولاي سليمان [1206 هـ - 1238 هـ]

محفظة رقم 1، بها وثائق تغطي الفترة ما بين 1220 هـ و 1291 هـ.

محفظة رقم 2، [1292 هـ - 1318 هـ].

محفظة رقم 3، [1263 هـ - 1325 هـ].

محفظة رقم 4، خاصة بعهد السلطان المولى الحفيظ.

محفظة طنجة، [1238 هـ - 1282 هـ].

محفظة فحيج، [1254 هـ - 1329 هـ].

محفظة مراكش، [1114 هـ - 1296 هـ].

محفظة المغرب وتركيا.

ج - المكتبة الوطنية للمملكة المغربية (الخزانة العامة بالرباط سابقا).

- كناش به رحلة المولى الحسن إلى سوس عامي 1299 هـ و 1303 هـ. خ. ع. 21.
- كناش به ظهائر صادرة عن السلطان مولاي الحسن إلى محتسب مراكش،
مولاي عبد الله البوكيلي، ما بين 1296 و 1311 هـ. خ. ع. ر د 3410.
- "كناش مكاتب دار النيابة". خ. ع ك 2720 [1319 - 1325 هـ].
- "كناش به شروط الأجناس". خ. ع. ر د 1694.
- "كناش الداخل والخارج لبنيقة مراكش". ما بين 1311 و 1313 هـ، خ. ع. ر
د 1690.
- "كناش صائر الجيش على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام".
مخ. خ. ع. ر ك 1560.
- "كناش في أمور البحر". خ. ع. ر د 1409.
- "وثائق عن ثورة فاس أيام السلطان أبي الربيع". خ. ع. د 2795.
- ## د - الخزانة العامة بتطوان.

المحفظات:

35	20	10	1
36	32	11	2
117 و 70	33	12	6
110	34	27	8

هـ - الخزانة الصبيحية بسلا:

- المجموعة الأولى.
- حرف "أ" 12 محفظة.
- حرف "ب" 3 محفظات.
- المجموعة الثانية.
- حرف "أ" 12 محفظة.
- حرف "ب" 1 محفظة.
- حرف ج ود. 2 محفظات.
- المجموعة الثالثة.
- حرف "أ" 5 محفظات.
- حرف "ب" 12 محفظة.

ثانيا- الوثائق الأجنبية

أ - وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بباريز (AEP)

- المراسلات السياسية: Correspondance Politique

الأجزاء:

18 (1847)

22 (1849 - 1850)

30

37

42 (1877 - 1878)

58

67

73

74

- المراسلات القنصلية والتجارية: Correspondance Consulaire et Commerciale

الأجزاء:

1790-1797 20

1798-1799 21

1800-1806 22

1807-1812 23

1813-1816 24

1817 25

1819-1818	26
1821-1820	27
1824-1822	28
1830-1825	29
1836-1830	30
1842-1837	31
1848-1843	32

- مذكرت ووثائق: Mémoires et Documents

1853-1630	4
مايو - يوليو 1880	7
1847-1690	9
1882-1848	10
1844	11
القرن XVII ^e	12
1781-1729	13
1762-1749	14

- سلسلة المغرب، السياسة الداخلية. رقم 180 [فبراير 1893 - دجنبر 1900].

ب - وثائق فانسين (A.G.V)

- سلسلة 3H

3H1 الملف الأول: دراسات ومشاريع قبل سنة 1877

3H2 الملف الثاني: تأسيس البعثة العسكرية الفرنسية

3H3 الملف الثالث: تقارير، مراسلات... 1883-1880

3H4 الملف الرابع: تقارير، مراسلات... 1885-1883

3H5 الملف الخامس: 1889-1886

3H6 الملف السادس: 1892-1890

3H7 الملف السابع: 1893

3H8 الملف الثامن: 1894

3H9 الملف التاسع: 1896-1895

3H10 الملف العاشر: 1898-1897

3H11 الملف الحادي عشر: 1900-1899

3H12 الملف الثاني عشر: 1902-1901

3H13 الملف الثالث عشر: 1903

3H14 الملف الرابع عشر: حول Linarès - فكّيگ لجنة رسم الحدود المغربية

الجزائرية.

تأسيس فرقة الحدود العسكرية 1904-1901

3H18 3H17 3H16 3H15

3H19 الملف التاسع عشر: عمالة وجدة. دراسات ومشاريع 1880-1893.

3H20 الملف العشرون: دراسات ومشاريع 1899-1904.

3H21 الملف الواحد والعشرون: تأريخ البعثة العسكرية 1877-1912.

- سلسلة E

الملف الأول: مذكرة حول إعادة تنظيم الحكومة الشريفة.

- سلسلة D19

المذكرات السياسية لسنوات: 1908 - 1909 - 1910.

- مجموعة من الملفات بها دراسات ومعطيات تقنية وباليستيكية عن بعض

أنواع الأسلحة المستعملة من قبل الجيش الفرنسي (مُشاة)، في القرن XIX.

الملف الأول: 4C14 (1822 - 1826): اختبار بعض قطع مدفعية الجبل في

حاميات:

Grenoble - Perpignan - Bayonne - Douai

الملف الثاني: معلومات عن بندقية 1887 Lee Remington mle 4F30:

الملف الثالث: صنع السلاح: 4F25

الملف الرابع: البندقية ذات الجعبة المزدوجة: 4F26

الملف الخامس: مدفعية الجبل: 4C14، يتضمن هذا الملف معلومات عن كيفية

نقل عدد من المدافع وخاصة المدافع الجبلية مع رسوم وبيانات لمختلف لوازم البغال المستعملة في حمل هذا النوع من السلاح.

الملف السادس: 4F29، في شأن التجارب التي تُجرى على نماذج من البنادق رقم 1866 [أي السنة] في مجال الرمي (Le Tir) من قبل لجنة مختصة.

الملف السابع: 4B25، به ستة تقارير عن تجارب أجريت على بعض الأنواع من المهاريز والمدافع، سنة 1850.

ثالثا: المصادر والمراجع:

1 - معطيات وأبحاث عن الجيش.

1-1 باللغة العربية:

1-1-1 قديمة:

- "أجوبة علماء فاس"، في شأن الضريبة الجديدة للإسهام في تسديد الذعيرة الإسبانية غداة حرب تطوان. أنظر محمد داود، تاريخ تطوان، الجزء 5، ص 106 - 118.

- إدريس ابن، محمد بن إدريس العمروي الفاسي، ت 1264 / 1847. "قصيدة دالية في الجهاد". وردت في "مظاهر يقظة المغرب الحديث"، ج 1، ص 31 - 34.

- أفيلال، المفضل بن محمد بن الهاشمي الحسني التطواني، ت 1304 / 1886. "قصيدة في الرثاء لتطوان". وردت في "مظاهر يقظة المغرب الحديث"، ج 1، ص 364 - 377.

- أكنسوس، محمد بن أحمد بن محمد المراكشي، ت 1294 / 1877. "الجيش العرموم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي"، مخ. خ.ع.د 965، مخ.خ.س 26.

- التفنكولتي، أحمد بن إبراهيم، "الرياض السعيد في تصفية مسائل العبيد"،
تفنيق وتعليق زهرة الأزرق، أطروحة، جامعة باريس السوربون، جزاءن، مرقون.
- التسماني، أحمد بن أحمد الريفي ثم العرائشي، ت 1195 / 1780. "روض
الجهاد الفائق لمن أراد الغزو بالصواعق" (أرجوزة). خ.ع.ر.د 1342. خ.س.ر.
21490، خ.س.ر 1942.
- الحاج ابن، أحمد بن حمدون السلمي الفاسي (ت. 1316 / 1899). "الدر
المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن"، خ. س 12184، خ.
س 1920، خ. س 11961.
- الخوجة، محمد بن أحمد التونسي، ت 1292 / 1876. "رسالة في طريقة
تحديث الجيش المغربي"، مخ. خ. ع. ك 2733.
- السملالي، علي بن محمد السوسي، ت 1311 / 1893. "عناية الاستعانة في
حكم التوظيف والمعونة". مخ. خ. ع 480 د.
- السناني، إدريس بن علي، ت 1319 / 1901. "التطوانية" قصيدة زجلية
وردت في "مظاهر يقظة المغرب الحديث"، ج 1، ص 364 - 377.
- سودة ابن، محمد المهدي بن الطالب بن محمد المري الفاسي، ت 1294 /
1877. "رسالة في إصلاح الجيش"، وردت في "مظاهر يقظة المغرب الحديث"، ج 1،
ص 335-347.
- السوسي، محمد التهامي بن عبد القادر الباعقلي ثم المكناسي، ت 1336 /
1918. "غنية الانجاد في مسائل الجهاد"، مخ. خ. س 12313 ز.

- الشديد، عبد النبي بن العباس الصنهاجي الرباطي، كان حياً في 1266 / 1850.
- "نزهة المجالس في علم أحكام المدافع والمهاريس"، أرجوزة، مخ. خ. س 1043.
- قصابة ابن، المكّي بن قصابة بن محمد الرباطي، كان حياً عام 1288 / 1871.
- "تذكرة المجالس في علم المدافع والمهاريس" (أرجوزة)، مخ. خ. س. 1043.
- عزوز ابن، عبد الله القرشي، أواخر القرن XIII هـ. "رسالة العبد الضعيف إلى السلطان الشريف". مخ. خ. ع د 1623.
- العلوي، أبو بكر بن عثمان بن إبراهيم، كان حياً عام 1303 هـ. "المنظومة الرجزية في تقييد المراحل المولوية من الحضرة المراكشبة إلى النواحي الباعمرانية". مخ. خ. س 410.
- الفاسي، عبد الكبير بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ الفهري، (ت 1295 / 1878). "إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمان". مخ، نسخة خاصة، ضمن مجموع، ص 447 - 462.
- الفزكاري، أبو القاسم بن الهاشمي بن قاسم الحسني العمراني، كان حياً عام 1211 / 1797. "رسالة" (في تعليم الرماية بقبيلة أحمر)، تقديم وتعليق محمد المنوني، مجلة الباحث، العدد الأول، 1972، ص 107 - 136.
- الفلاق، محمد بن محمد الأمغيطنّي العبدلاوي، (ت 1312 / 1894). "كتاب تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر"، مخ. خ. س 11389 ز.
- "قوانين عسكرية" مطبوع، مصر، 1268 هـ، مخ. خ. س. 507.
- الكرودودي، محمد بن عبد القادر الكلاّلي الفاسي، ت 1268 / 1852. "كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة"، طبعة حجرية، فاس، بدون تاريخ.

- اللجائي، محمد الغالي بن محمد الحسيني العمراني، ت 1289 / 1871 - 1872.
- "مجمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام"، مخ. خ. س 13030، 365.
- المجاصي، محمد بن الحسن. "جني الأزهار ونور الأبحار من روض الدواوين المغطار"، خ. س 1065 ز.
- مجهول. "إحكام التحقيق وما يدل أهل الرماية على الطريق"، مخ. خ. كلية الآداب، الرباط.
- مجهول (ألقت هذه الرسالة أيام المولى عبد الرحمان بن هشام). "الباز في علم المدفع والمهراز". خ. ع د 3368 / 2، ص 177، ص 185.
- مجهول، ألف في 23 ربيع الأول 1267. "ترتيب الجيش السعيد"، مخ. خ. ع ك 2735.
- مجهول، "ترجمة التراتيب والقوانين الجاري بها العمل في القطر الجزائري"، مخ. خ. 12364 ز.
- مجهول، "تعريب النظمات العسكرية الفرنسية"، مخ. خ. س ر 12364.
- مجهول، "تقايد مشتملة على قواعد حرب العسكر المغربي"، مخ. خ. س رقم 12457 ز.
- مجهول، "كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة عساكر الجهادية"، مطبوع، القاهرة، 1250 هـ، 159 ص (ترجم إلى العربية من التركية)، خ. س. ر. 1211.

- المدغري، محمد العربي، ت 1309 / 1892. "رسالة للتحرير على الجهاد"،
مخ. خ. ع د 3353، ضمن مجموع.

1-1-2 حديثة:

- أعفيف محمد، "الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، مجلة كلية
الآداب بالرباط، العدد 7، 1981، ص 47 - 75.

- برادة ثريا، "الجيش المغربي وتطوره في القرن XIX، مساهمة في دراسة
الإصلاحات العسكرية. منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة،
الدار البيضاء، 1997.

- حركات إبراهيم، "الجيش المغربي في عهد الموحدين وبني مرين"، مجلة
دعوة الحق، العدد 9 و 10، غشت 1969.

- المهناوي (محمد)، "السلاح الناري بمغرب السعديين"، د. د. ع، فاس، 1988.

1-2 بالغات الأجنبية:

1-2-1 قديمة:

Arnaud, (Louis, dz), "Au Temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912 ". Edit
Atlantides, Casa, 1952.

Bardin (GM), "Dictionnaire de l'Armée de Terre ou Recherche Historique sur
l'Artillerie. et les Usages Militaires des Anciens et des Modernes... ". Edit. 1851,
Paris, 8 vol.

Baudoz (A), "Histoire de la Guerre de l'Espagne avec le Maroc", Paris, 1860 et 1868,
348 p.

Breuille (de), "Mission Militaire au Maroc 1882", bull. Sté. Géorg. et d'oran. Juillet
1885, p. 157.

Cat (Edouard), "La Cavalerie et l'Artillerie du Maroc". in *Rev. Scientifique*, 1883, T. 31, p. 383.

Chaussar (Cap.), "Espagne et Maroc. Campagne de 1859-1860, Paris, 1862, 452 p, 3 cartes.

Delafosse (Maurice), *Les Débuts des Troupes Noires au Maroc*. Hesp., Vol III, Rabat, 1923, pp. 1-11.

Erckmannn (J), "Le Maroc moderne", Paris, Challamel, 1885, 304 p.

Leclerc (R-Ch), *L'Armée Marocaine*, Alger, 1905.

Verlet-Hanus (Edmond Emile), "Etude Militaire sur la Mehalla, 15 mai 1909". in *Mission du Service des Renseignements Attachés à la Mahalla du Haouz*, M. G. D 20.

2-1-2 حديثة:

Berque (J), "L'Intérieur du Maghreb", Paris, Gallimard, 1978, (pp. 486-489, reflexions de l'auteur sur la Mehalla au temps de Moulay Hassan).

Cadiou (Yves), "La Winchester 1895". in *la Gazette des Armes*, n° 24, Février 1975, pp. 26-39.

Chappert (Magali), "Jules Erckmannn et les Débuts de la Mission Militaire Française au Maroc (1877-1883) ", *Rev. d'Histoire Diplomatique*, Juillet-Déc 1978, 46 p.

Caillé (J), "Les Marocains à l'Ecole du Génie de Montpellier, 1885-1888", *Hesp.*, vol XLI, 1954, pp. 131-145.

Clausewitz (Carl Von), "De la Guerre", Paris, 1955.

Corvisier (André), "Armées et Sociétés en Europe de 1494 à 1789". Edit. P.U.F, Paris.

Dakhlija (J), *Dans la Mouvance du Prince: la Symbolique du Pouvoir Itinérant au Maghreb*. An. Ec. Soc. Civ., 43 (3), 1988, pp. 735-760.

Florentiis (Joseph de), *Histoire du Fusil*. Edit. de Vecchi, Paris, 1975.

Dziubinski (Andrzej): « L'Armée et la Flotte de Guerre à l'Epoque des Sultans Saadiens ». *Hesp-Tam.*, Vol. XIII, Fasc. Unique, 1972.

"Dictionnaire d'Artillerie et d'Histoire Militaire", publié sous la direction de André Corvisier. Edit. PUF, Paris, 1988.

Funcken (Liliane et Fred), "Le Costume et les Armes des soldats de tous les Temps. 1- Des pharaons à Louis XV". Edit. Casterman, Paris, 1966.

Funcken (Liliane et Fred), "L'Uniforme et les Armes à Feu des Soldats du Premier Empire". Edit. Casterman, Paris, 1968.

Le Coz (Jean), "Les Tribus Guichs au Maroc. Essai de Géographie Agraire". R.G.M., Fac. Lettres, Rt, n° 7, 1965, pp. 1-52.

Lorain (Pierre), "Petite Histoire du Projectile". in La gazette des Armes n° 24, Février 1975, pp. 10-22.

Michel (Nicolas), "Itinéraires de la Mahalla (1757-1900)". Rev. Maroc-Europe n° 7, 1994, Edit. la porte, Rabat, pp. 81-116.

Morsy (Magali), "Moulay Ismaïl et l'Armée de Métier. Rev. hist. Mod., vol 14, Avril-Juin 1967, pp. 97-123.

Nordman (Daniel), "L'Armée d'Algérie et le Maroc. Le Dynamisme de la Conquête (fin du XIX s-début XX s)" in: Armée, Guerre et Politique en Afrique du Nord (XIX-XX siècles) Presses de l'ENS, Rue d'Ulm, Paris, 1977, pp. 33-47.

" " " , "Les Expéditions de Moulay et Hassan, Essai statistique" Hesp-Tamuda, vol XIX, Fasc. uniq., 1980-81, pp. 123-152.

Rainero (R. H), "La Création de la Makina de Fès". Rev. Maroc-Europe, n° 7, Edit. La Porte, Rabat, 1994.

Rollman (Wilfrid John), "The "New Order" in a Pre-Colonial Society, Military Reform In Morocco 1844-1900". Ph. D, University of Michigan, 1983.

Roux (Arsène), "Quelques Documents Manuscrits sur Les Campagnes de Moulay El Hassan". Hesp., 1936, T. XXII, fasc I, pp. 90-93.

Simou (Bahija), "L'Isilah au Maroc, les Réformes Militaires de 1844 à 1912". Publicat. de la Fac.Lettres de Rabat, Imprimerie Najah El Jadida, Casa, 1995.

2 - مصادر ودراسات عن تاريخ المغرب بصفة عامة

2-1 باللغة العربية:

1-1-2 قديمة:

- إدريس ابن، محمد بن إدريس العمروي الفاسي، ت 1296 / 1878. "تحفة الملك العزيز إلى مملكة باريز"، مخ. خ. س 10275.
- الأعرج ابن، مُحمد بن مُحَمَّد بن عبد القادر الغريسي السليمانى الفاسي، ت. 1344 / 1926، "زبدة التاريخ وزهرة شماريخ"، ميكروفيلم، خ. ع. د 3657.
- " " " : "اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب"، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971.
- بوجندار، محمد بن مصطفى الرباطي، (ت. 1345 / 1926)، "الاغبتاب تراجم أعلام الرباط"، مخ. خ. ع د 1287.
- بوعثرين [كان حياً في سنة 1324 هـ] الحسن بن الطيب بليمي الخزرجي المراكشي، "التنبيه العرب عما عليه الآن حال المغرب"، تقديم وتصحيح محمد المنوني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994.
- بيرم الخامس، الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد التونسي [ت. 1307 / 1889]، "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار"، القاهرة، 1302 - 1303 هـ.
- التسولي، أبو الحسن علي بن عبد السلام المدعو مديش، ت. 1258 / 1842، "البسيط" جوابان عن الأسئلة الجزائرية، طبعة فاسية، خ. ع د 1198.

- " " ، "الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة"، خ. س
12574 - خ. ع. د 882.

- الحجوي، محمد بن الحسن بن العربي الثعالبي، (ت. 1376 / 1956)،
"اختصار الابتسام عن دولة ابن هشام"، مخ. خ. ع ح 113.

- " " ، "انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره"، مخ. خ. ع. ر ح
123.

- " " ، "الخبر عن دولة السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن
العلوي الحسني"، مخ. خ. ع، ر. ح — 128.

- الزباني، أبو القاسم بن أحمد بن علي، (ت. 1249 / 1833)، "البستان
الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف". مخطوط، خ. ع. د 1577 - خ. ع.
ك 303 - خ. س 165 - خ. س 242 - خ. س 11542.

- " " ، "تاريخ الولاية المحمودة البدء والنهاية"، ضمن مجموع، خ.
س 12109 ز.

- زيدان ابن، عبد الرحمن بن محمد العلوي، (ت. 1365 / 1946)، "إتحاف
أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس"، المطبعة الوطنية، الرباط، 1929-1933، 5
أجزاء.

- " " ، "العز والصولة في نظم الدولة"، المطبعة الملكية، الرباط، 1961،
جزءان.

- السباعي، محمد بن إبراهيم، (1332 / 1914)، "البستان الجامع لكل نوع حسن، وفن مستحسن، في عدد بعض منائر السلطان مولاي الحسن"، مخطوط، خ. ع رقم د 1346 - د 1364.

- السملالي، علي بن محمد السوسي، (ت. 1311 / 1894)، "مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن"، خ. س رقم 81.

- " " " "، "منتهى النقول ومشتهى العقول"، مخ. خ. ع د 633.

- العماري، الطاهر بن بلقاسم بن العباس المراكشي، (كان حياً في 1299 / 1882)، "نشاط الأذهان وتحفة الإخوان في استنباطات ومناقب مولانا الحسن"، مخ. خ. س 1707. 61 ورقة من الحجم المتوسط.

- الفاسي، عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير (ت. 1383 / 1964)، "قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن بن هشام"، نسخة من مخطوطة خاصة.

- الضعيف، محمد بن عبد السلام بن أحمد الرباطي، (كان حياً في 1233 / 1818)، "تاريخ الضعيف"، تحقيق الأستاذ أحمد العماري، نشر دار المآثورات، الرباط، 1986.

- الكتاني، عبد الكبير بن هاشم الحسني الفاسي (ت. 1350 / 1932)، "زهرة الآس في بيوتات فاس"، خ. ع. ك 1281.

- الكتاني، محمد المأمون بن عمر بن الطائع الحسني الفاسي، (ت. 1309 / 1892)، "قطعة عن الشاي في الأدب المغربي"، خ. ع. ك 320، ضمن مجموع ص 133-145.

- اللجائي، عبد السلام بن محمد العمراني الحسني الفاسي، (ت. 1332 / 1914)، "المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية"، مخ. خ. س 460.

- مجهول، "تقييد في ترجمة الوزير الصفار"، مخ. خ. س 12419 ز.
- "مذكرات القائد الناجم بن مبارك بن مسعود السوسي الأخصاصي" (كان حياً في 1380 / 1960)، انظر "المعسول"، ج 20، ص 6 - ص 170.
- المشرفي، محمد بن محمد بن المصطفى الفاسي (ت. 1334 / 1915)، "الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية"، مخ. خ. ع د 1463 - وك 320 - خ. س 1020، خ. س 1019، خ. س 12489.
- المشرفي، محمد العربي بن عبد القادر بن علي العسكري الفاسي (ت. 1313 / 1895)، "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"، مخ. خ. س رقم 2054.
- " ، "ذخيرة الأواخر والأول، فيما يتضمن من أخبار الدول"، مخ. خ. ع ك 2659.
- " ، "رحلة المشرفي"، مخ. خ. س 2420.
- " ، "فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان"، مخ. خ. س رقم 12427 ز - ج 1، 371 ص - ج 2، 344 ص.
- " ، "مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستشناق الوالي وأنفاس المولى السلطان"، مخ. خ. س 12082 ز.
- الناصري، أحمد بن خالد بن حماد السلوي (ت. 1315 / 1897)، "كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954-1956، 9 أجزاء.

- الوزان، الحسن بن محمد الزياتي - ليون الإفريقي، "وصف إفريقيا"، ترجمة
د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة
والنشر، الرباط، 1980، ج 1.

2-1-2 حديثة:

- أفا، عمر، "مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس
1822 - 1906)", منشورات كلية الآداب بأكادير، 1988.

- البزاز محمد الأمين، "تاريخ الأوبئة بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع
عشر"، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

- بنمنصور، عبد الوهاب، "أعلام المغرب العربي"، المطبعة الملكية، الرباط، 1979،
ج 1، مادة رقم 282 (بوحمارة)، ص 303 - 397.

- التوفيق، أحمد، "المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إنولتان 1850 -
1912"، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، طبعة ثانية، 1983.

- التوزاني، نعيمة المهرج، "الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن
1290-1311 / 1873-1894"، مطبعة فضالة، 1979.

- حجي، محمد، "الحياة الفكرية بالمغرب على عهد السعديين"، مطبعة
فضالة، المحمدية، 1977، جزآن.

- داود، محمد، "تاريخ تطوان"، مطبعة المهدي، المجلدات السبعة ما بين 1959
و1976، المجلد الثامن، الرباط، المطبعة الملكية، 1979.

- الدكالي، محمد بن علي السلاوي (ت. 1364 / 1945)، "إتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدي لمولانا عبد العزيز"، تحقيق م. أبو شعراء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986.

- سودة ابن، عبد السلام بن عبد القادر المري الفاسي (ت. 1400 / 1980)، "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، دار الكتاب، الدار البيضاء، طبعة ثانية، 1960، جزءان.

أ - " ، "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع"، منشورات موسوعة المغرب العربي، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج 7 و ج 8.

- السوسي، محمد المختار بن علي بن أحمد، (ت. 1383 / 1963)، "المعسول"، مطبعة النجاح، ومطبعة الجامعة، الدار البيضاء، مطبعة فضالة، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، 1960 - 1963، 20 جزءاً.

- " ، "إيليغ قديماً وحديثاً"، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية، الرباط، 1386 / 1966.

- " ، "خلال جزولة"، المطبعة المهدية، تطوان، د. ت، جزءان.

- الصديقي، محمد بن سعيد، "إيقاظ السريرة لتاريخ الصورة"، دار الكتاب، الدار البيضاء، د. ت.

- عياش، جرمان، "دراسات في تاريخ المغرب"، ترجمة د. محمد الأمين البزاز ود. عبد العزيز التمساني خلوق، الشركة المغربية للنشر المتحدين، الرباط، 1986.

- غريط، محمد بن محمد المفضل الفاسي (ت. 1364 / 1945)، "فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان"، المطبعة الجديدة، فاس، 1347 / 1929.
- الفاسي، محمد الطاهر بن عبد الرحمن (ت. 1285 / 1868)، "الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية"، تحقيق محمد الفاسي، مطبعة جامعة محمد الخامس، فاس، 1967.
- الفاسي، محمد علال بن عبد الواحد بن عبد السلام الفهري (ت. 1394 / 1974)، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، مطبعة الرسالة، الرباط، د. ت.
- الكانوني، محمد بن أحمد العبدى (ت. 1357 / 1938)، "أسفي وما إليه قديماً وحديثاً"، القاهرة، 1353 / 1934.
- "جواهر الكمال في تراجم الرجال. المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1937.
- المنوني، محمد بن عبد الهادي، "صناعة الأسلحة النارية بالمغرب"، دعوة الحق، السنة 13، عدد 8، شتنبر 1970، ص 102 - 108.
- "مظاهر يقظة المغرب الحديث"، مطبعة المتوسط، بيروت، لبنان، 1985، جزءان.

2-2 باللغات الأجنبية:

2-2-1 قديمة:

- Aubin (Eugène), "Le Maroc d'Aujourd'hui. Paris, 1904.
- Achille (Fillias), "Campagne du Maroc. Tanger, Isly, Mogador, 1844", Paris, 1881.
- Arendorf, "La Province des Oulad Said". Soc. édit. et de Publ. mar. Casa, 1917.

- Ben Daoud, "Notes sur le Pays Zaïan" Arch.Berb., Vol 2, 1917, pp. 276-306.
- Bernard (Augustin), "Les Confins Algéro-Marocains". Larose, Paris, 1911.
- Bodin (M), "La Zaoûia de Tamegrout", Arch. Berb., vol. 3, 1918, pp. 259-295.
- Brethes (J. O), "Contribution à l'Histoire du Maroc par les Recherches Numismatiques", Casa, 1939..
- Campou (Ludovic), "Un Empire qui Croule, Le Maroc Contemporain", Paris, 1886, 255p.
- Caraman (Adolphe de), "Notes sur les Parties du Maroc parcourues pendant les mois d'Avril, Mai et Juin 1825. Extrait du Spectateur Militaire, Paris, 1844, in 8, 50 p.
- Cossé-Brissac (Ph. de), "Les Rapports de la France et du Maroc pendant la Conquête de l'Algérie", (1830-1847), Hesp., Vol. XIII, Fasc. 1 et 2, 1931, pp. 33-115 et 133-225.
- De Card (E. Rouard), "Les Traités de la France et du Maroc", Paris, 1898.
- " " " " , "Les Relations de l'Espagne et du Maroc pendant le XVIII^e et le XIX^e siècles, Paris, 1905.
- Eckmannn (Jules), "Le Maroc Moderne", Paris, 1885.
- Foucauld (Vicomte Charles de), "Reconnaissance au Maroc 1884-1885", Paris, 1988.
- Fumey (Eugène), "Choix de Correspondances Marocaines". Maisonneuve, Paris, 1900.
- Gatell (Joaquim), "El Viajero Español por Marruecos", Madrid, Instituto de Estudios Africanos, 1949.
- Gouvion (Marthe et Edmond), "A'ayane Al-Maghrib Al-Akça", Paris, Gœuthner, 1939.
- Guitta (Jacob), "Notes sur l'Epidémie de 1901", Tanger, 1902.
- Harris (Walter Burton), "Morocco that Was", London, W. Blakwood and Sons, 1921.
- Larras (N), "La population du Maroc", Bull. Soc. Géogr., Paris, 15 mai, 1906.
- Leclerc (Charles-René), "Le Maroc Septentrional: Souvenirs et Impressions", Alger, 1905.
- Le Glay (Maurice), "La mort du Rogui", Edit. Berger-Levrault, Paris, 1926.
- Linarès (Dr F.) "Voyage au Tafilalet avec S. M. le sultan Moulay Hassan en 1893".

Bulletin de l'Institut. d'Hygiène du Maroc, juil - sept 1932, pp. 93-116, oct - déc 1932, pp. 95-136.

Maldonado (Eduardo), "El Rogui", Tétouan, 1949.

Martin (A. G. P), "Quatre Siècles d'Histoire Marocaine au Sahara 1504-1904", Leroux, Paris, 1923.

Meakin (Budget), "The Moorish Empire, a Historical Epitomé", London, 1988.

" " " " "The Hand of the Moors", London, 1905.

Moulières (Auguste), "Le Maroc Inconnu", Oran, 1895.

Répertoire "Répertoire Alphabétique des agglomérations de la Zone Française de l'Empire Chérifien, classé par Tribus d'après les résultats du Recensement Quinquennal du 8 mars 1936", Rabat, 1941.

Segonzac (Edmond de), "Voyages au Maroc, 1899-1901", édit. Armand Colin, Paris, 1903.

Saint-René Taillandier (Georges), "Les Origines du Maroc Français". Récit d'une Mission. Plon, Paris, 1930.

Spillmann (Georges), "Les Aït Atta du Sahara et la Pacification du Haut-Draa", Imprimerie Nouvelle, Rabat, 1936.

Voinot (cap. Louis), "Oujda et l'Amalat", Oran, 1912.

Weisgerber (Dr F.), "Au seuil du Maroc Moderne", Rabat, édit. de la Porte, 1947, 368 p.

2-2-2 حديثة:

Abès (M), "Les Aït Ndhir (Beni Mtir). Arch. Berb., Vol. 2, 1917, pp. 149-194 et pp. 337-416 et Vol. 3, 1918, pp. 321-345.

" " " " "Les Izayan d'Oulmès". Arch. Berb., 1916, pp. 265-278.

Arnaud (Cdt), Monographie de la Région de Meknés, in. Bull. de la Soc. de Géogr. du Maroc, n° 2, 1916.

Ayache (Albert), "Le Maroc, Bilan d'une Colonisation, Edit. Soc., Paris, 1956.

- Ayache (Germain), "Les Origines de la Guerre du Rif", Edit. SMER, Rabat, 1981.
- Berque (Jacques), "Qu'est-ce qu'une Tribu Nord-Africaine?", SNED, Alger, 1974.
- " " " " , "L'Intérieur du Maghreb", Paris, Gallimard, 1978.
- Brignon (Jean) et autres, "Histoire du Maroc", Edit. Hatier, Casa et Paris, 1967.
- Brown (Kenneth L.), "People of Sale, Tradition and Change in a Moroccan Town City 1830-1930", London, Manchester, Univ. Press, 1976.
- Caillé (Jacques), "Au lendemain de la Bataille d'Isly", Hesp., 1950, pp. 429-437.
- Deverdun (Gaston), "Marrakech des Origines à 1912, Edit. Techn. Nord-Afric., 1959, 2 tomes.
- Drague (Georges), "Esquisse d'Histoire Religieuse, confréries et Zaouias, Edit. Peyronnet, Paris, 1951.
- Guillen (Pierre), "L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905", Edit. PUF, Paris, 1967.
- " " " " , "Les Emprunts Marocains 1902-1904", Publ. Sorbonne, Edit. Richelieu, Paris, s. d.
- Hoover (Ellen Titus), "Among Competing Worlds: The Rehamna of Morocco on the Eve of French Conquest, Ph. D., Yale University, 1978.
- Julien (Charles-André), "Histoire de l'Afrique du Nord", Edit. Payot, Paris, 1951, 2 tomes.
- " " " " , "Le Maroc face aux Impérialismes", Edit. J. Afriq., Paris, 1978.
- Laroui (Abdallah) "Les Origines Sociales et Culturelles du Nationalisme marocain", Edit. Maspéro, Paris, 1977.
- Le Coz (J), "Le Gharb. Fellah et Colons", Rabat, 1964.
- Le Tourneau (R), "Fès avant le Protectorat. Etude Economique et Sociale d'une Ville de l'Occident Musulman", Edit. La Porte, 2^{ème} édit, Rabat, 1987.
- Maazouzi (Mohamed Al), "L'Algérie et les Etapes de l'Amputation du Territoire Marocain", Dar El Kitab, Casablanca, 1976.

Mansour (M. AL), "Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman", Middle East and North African Studies, Press Ltd, Cambridgeshire, 1988, England.

Michel (Nicolas), "L'Approvisionnement de la Mehalla au Maroc au XIX^e siècle", Hesp-Tam., Vol. XXIX, Fasc. 2, 1991, pp. 331-340.

Miège (Jean-Louis), "Le Maroc et l'Europe (1830-1894) ", Edit. PUF, Paris, 4 t., 1961-1963.

" " " " "Hassan I (1836-1894) et la Crise Marocaine au XIX^e siècle", in: Les Africains (sous la direction de Charles-André Julien, Magali Morsy, Catherine Coquery-Vidrovitch, Yves Person), Paris, Edit. Jeune Afrique, T. 3, 1977, pp. 231-251.

Montagne (Robert), "Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc; Essai sur la Transformation Politique des Berbères Sédentaires (Groupe chleuh) ", Paris, Librairie Félix Alcan, 1930.

Nehlil (M), "Lettres Chérifiennes", Edit. Guilmoto, Paris, 1915.

Pascon (Paul), "Le Haouz de Marrakech", Edit. Mar. et Internat., Tanger, 1977, 2 tomes.

Rosenberger (Bernard) et Triki (Hamid), "Famines et Epidémies au Maroc aux XVI^e-XVII^es", Hesp-Tam., Vol. XIV, Fasc. uniq., 1973, pp. 109-175 et vol. XV, Fasc. Uniq., 1971, pp. 5-92.

Terrasse (Henri), "Histoire du Maroc des Origines à l'Etablissement du Protectorat Français", Edit. Atlantides, Casa, 1950, 2 tomes.

ثالثاً: النشرات والمجلات المتخصصة.

نشرات ومجلات متخصصة.

- | | |
|---|---------------------------------------|
| Sources Inédites de l'Histoire du Maroc | 1 - المصادر الدَّفِينَة لتاريخ المغرب |
| Archives Marocaines | 2 - المستندات المغربية |
| Archives Berbères | 3 - المستندات البربرية |
| Bulletin de la Société de Géographie d'Alger | 4 - نشرة الجمعية الجغرافية بالجزائر |
| Bulletin de la Société de Géographie du Maroc | 5 - نشرة الجمعية الجغرافية بالمغرب |
| Bulletin du Comité de l'Afrique Française | 6 - نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية |
| Hespéris, Hespéris-Tamuda | 7 - هسبريس، هسبريس تامودا |
| Revue Historique | 8 - المجلة التاريخية |
| Revue des Deux Mondes | 9 - مجلة العالمين |
| Revue de Géographie du Maroc | 10 - مجلة جغرافية المغرب |
| Revue du Monde Musulman | 11 - مجلة العالم الإسلامي |
| Revue Africaine | 12 - المجلة الإفريقية |
| | 13 - مجلة الوثائق |

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

- إبراهيم (قائد عسكري): ج 1 / 458.
إبراهيم الحيجي (قائد عسكري): ج 1 / 436.
إبراهيم السنوسي (فقيه): ج 2 / 296.
إبراهيم الفطواكي (قائد عسكري): ج 1 / 436.
إبراهيم المجاطي (قائد): ج 1 / 425.
إبراهيم بن سعيد الأگراوي (باشا الگیش وقصبة المنشية بمراكش): ج 1 / 152-178.
إبراهيم بن سعيد البوبكري (قائد): ج 2 / 143.
إبراهيم بن محمد الدکالي العمراني (قائد): ج 1 / 209.
ابن بلة الرحماني (قائد): ج 2 / 178.
ابن زیدوح (قائد): ج 1 / 199.
ابن الشرقي المزايي (قائد): ج 2 / 241.
ابن العربي المعروفي (قائد): ج 2 / 241.
ابن العواد (قائد الگیش): ج 2 / 167.
ابن عبد الصادق الريفی (لَعْلَه علي بن أحمد، قائد): ج 1 / 361؛ ج 2 / 194.
ابن عزوز (کاتب): ج 2 / 168.
ابن عزوز (من سكان أصيلة): ج 2 / 114.
ابن علیل (قنصل المغرب): ج 2 / 378-379.
ابن عيسى بن عبد الکریم: ج 2 / 323.
ابن الفكاک المعروفي (قائد): ج 1 / 253.
ابن کروم (عامل): ج 2 / 304.
ابن منصور البُخاري (قائد): ج 2 / 137.
ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن محمد): ج 1 / 197.

- ابن يشو (قائد): ج 2/204.
- ابن يشو (قائد): ج 2/167.
- أبو بكر بناني (قاض): ج 2/46.
- أبو بكر بوزيد السلاوي (أمين وعامل): ج 1/430-471.
- أبو بكر الحَبَّاسِي (قائد): ج 1/210-322؛ ج 2/178-215.
- أبو بكر بن جلون (أمين): ج 2/106.
- أبو بكر بن زيان (قائد): ج 2/206.
- أبو بكر بن السهلي المهيأوي (قائد): ج 2/178-230-246.
- أبو بكر بن الشريف (مولاي، أمير): ج 2/80.
- أبو الحسن علي المريني (السلطان): ج 2/404.
- أبو الخير الحمري (قائد الغيش): ج 1/396.
- أبو سلهم بن علي أزطوط (عامل): ج 1/122-123-160-161-236-238-240-256-388-399؛ ج 2/166-288-342-343-344-375-378.
- أبو سلهم بن مصطفى السفياني (قائد): ج 1/221.
- أبو شُعيب البوعزيزي (قائد عسكري): ج 2/144.
- أبو شُعيب بن ثُوْرَزَة الزَّرَاوِي (قائد): ج 1/475.
- أبو شُعيب بن الحاج محمد الحوزي (قائد عسكري): ج 1/399.
- أبو شُعيب بن الْمُعْطَى الْأَزْمُورِي (قائد): ج 2/43-69-70.
- أبو العباس السبتي: ج 2/56.
- أبو عزة الحسوني (قائد): ج 2/218.
- أبو عزة الزيادي (قائد): ج 2/241.
- أبو عزة السريفي (قائد الغيش): ج 1/412.
- أبو عزة السلامي (قائد): ج 2/275.
- أبو عزة العكباني (قائد): ج 2/245.
- أبو عزة بن المشاوري (قائد الغيش وعامل): ج 1/140.
- أبو عزة بن العربي الفشار (علاف الغيش): ج 1/142-392.

- أبو عزة بن العربي (قائد الكيش): ج 2/ 158-159.
- أبو عزة بن القحيري (مُجَنَّد): ج 1/ 252.
- أبو عزة بو كصيبة (قائد الكيش): ج 1/ 317.
- أبو علي الحسن التمكديشي (مُربط): ج 1/ 38-11.
- أبيه (قائد عسكري): ج 1/ 280.
- أحمد بن علي السادني (قائد): ج 2/ 268.
- أحمد أسعيد: ج 1/ 278.
- أحمد السويسي (عامل): ج 2/ 270.
- أحمد أمالك (باشا الكيش وقصبة المنشية بمراكش): ج 1/ 423-314-177؛
- ج 2/ 268-258-97-38-12.
- أحمد أُمُّ (قائد): ج 2/ 143.
- أحمد الحسنوي (قائد عسكري): ج 1/ 279.
- أحمد الخضر السلاوي المكناسي (عامل): ج 1/ 139.
- أحمد الرجراجي (قائد عسكري): ج 1/ 456.
- أحمد الرحالي (قائد عسكري): ج 1/ 444.
- أحمد الركينة (الأمين والحاجب): ج 2/ 176.
- أحمد الريسوني: ج 1/ 382-113-111-110-92-55.
- أحمد الزراري (قائد الكيش): ج 1/ 414.
- أحمد الصابونجي (أمين): ج 2/ 394.
- أحمد العبوي (قائد): ج 2/ 142-50.
- أحمد القسَّة المراكشي (أمين): ج 2/ 74.
- أحمد اللب (أمين): ج 2/ 355.
- أحمد الكومي (قائد عسكري): ج 2/ 88.
- أحمد المصمودي (أغا العسكر): ج 1/ 436-323-272-255.
- أحمد المنصور الذهبي (السلطان السعدي): ج 1/ 283-149-42؛ ج 2/ 405.
- أحمد التَّمُوي (قائد): ج 2/ 218.

- أحمد بن الحافظي (قائد): ج 1/ 461.
- أحمد بن الحسن الحسناوي: ج 1/ 251.
- أحمد بن حيون الفاسي (أمين الصائر): ج 1/ 363.
- أحمد بن داود (باشا): ج 2/ 77.
- أحمد بن زيدوح (قائد): ج 2/ 208.
- أحمد بن سعيد السلوي (أمين): ج 2/ 355.
- أحمد بن الشادلي (ميقاني): ج 1/ 141.
- أحمد بن شقرون المراكشي (أمين): ج 1/ 379.
- أحمد بن عبد الصادق (قائد الكيش): ج 1/ 280.
- أحمد بن عبد الغفور (من طنجة): ج 1/ 407.
- أحمد بن عبد الله الباشا (محمي إيطاليا): ج 1/ 303.
- أحمد بن عبد الله أمهرير الصوري (الشريف، قائد الطنجية): ج 1/ 265-280-314-326-405؛ ج 2/ 44-79-92-97-113-376.
- أحمد بن العربي المديوني (عامل): ج 1/ 39-220-471؛ ج 2/ 88.
- أحمد بن العربي العلوي البلغيثي (فقيه): ج 1/ 421.
- أحمد بن العربي العمري (قائد الكيش): ج 1/ 413.
- أحمد بن عياد (من البعثة العسكرية الفرنسية): ج 2/ 303.
- أحمد بن عيسى (عامل): ج 1/ 380.
- أحمد بن الغالي شكور (أمين): ج 2/ 176.
- أحمد بن الفضيل (معلم بارودي): ج 2/ 377.
- أحمد بن قدور (قائد الكيش): ج 1/ 191.
- أحمد بن مبارك البخاري (جد أب أحمد): ج 1/ 139-466.
- أحمد بن مبارك الزلطني (قائد): ج 1/ 195-201-446.
- أحمد بن المكّي (قائد المسخرين بفاس): ج 1/ 321.
- أحمد بن المكّي الصبان (أمين): ج 1/ 168؛ ج 2/ 47.
- أحمد بن المكّي المختاري (قائد): ج 1/ 210.

- أحمد بن محمد التواتي (معلم بارودي بفاس): ج 2/356.
- أحمد بن المومني (أغا العسكر): ج 2/126.
- أحمد بن موسى (أبّ أحمد، الحاجب والوزير الصدر): ج 1/55-90-142-145-162-179-182-200-225-255-275-302-322-339-382-389-406
- ج 2/16-26-27-37-40-43-44-45-48
- ج 2/471-452-444-432-430
- ج 2/50-51-58-65-69-70-75-76-79-83-84-94-101-152-184-190
- ج 2/199-214-217-248-256-261-317-369-373-391-410.
- أحمد وعزيز السوسي (قائد الكيش): ج 1/421.
- أحمد ولد أبّ محمد الشرقي (قائد الكيش): ج 1/174.
- أحمد ولد مبارك بن الشليح (قائد الكيش): ج 1/177.
- أحمدوش لعربي المراسي (نائر): ج 2/40-28.
- أحمد بن الحجاج الجزيري الطنجي (معلم طنجي): ج 1/399.
- إدريس (الحاج، قائد الكيش): ج 1/280-467.
- إدريس (مولاي، بزهون): ج 1/404.
- إدريس (مولاي، حارك): ج 1/334.
- إدريس برادة الفاسي (أمين): ج 2/106.
- إدريس زولو الفاسي (معلم): ج 2/339.
- إدريس بناني (قائد عسكري): ج 1/279.
- إدريس بن جلون (أمين): ج 1/168.
- إدريس بن حُمان الجراري (قائد الكيش وعامل): ج 1/175؛ ج 2/167.
- إدريس بن زينة (قائد الكيش): ج 1/412.
- إدريس بن زين العابدين الوزاني (الشريف): ج 2/158-159.
- إدريس بن عبد الرحمن الشفشاوني الموسوي (الشريف، خبير): ج 1/420.
- أحمد بن عبد السلام أمقشد: ج 2/14-15.
- إدريس بن العلام (قائد المشور): ج 1/142-169؛ ج 2/177.
- إدريس بن عبد الواحد الفاسي (كبير الطبجية): ج 2/103-112-113-332-339.

- إدريس بن محمد الأزرق (من الطلاب الموفدين إلى الخارج): ج 1/432.
- إدريس بن محمد خنيشيش (قائد عسكري): ج 1/251-391؛ ج 2/141.
- إدريس بن مشيش (قائد): ج 2/241.
- إدريس بن المكي (قائد عسكري): ج 1/140؛ ج 2/167.
- إدريس بن موسى (الحاجب): ج 1/142.
- إدريس بنونة (أمين): ج 1/302.
- إدريس بنيس (أمين): ج 2/383.
- أحمد بن يش الكبداني (قائد): ج 2/269.
- إدريس بن يعيش (قائد المشور): ج 1/79-142-356-425.
- إركمان (Cap. Erckmann): ج 1/78-135-148-164-166-274-289-314-346-368-380-467؛ ج 2/200-203-257-305-309-310-321-323-399-402.
- إسماعيل (مولاي، السلطان العلوي): ج 1/62-118-122-150-409.
- إسماعيل باشا (خديوي مصر): ج 2/294.
- إسماعيل الرباطي (معلم طبجي): ج 2/112.
- إسماعيل بن محمد (مولاي، الأمير والخليفة): ج 2/32-89.
- أعراب المكيلاي (قائد): ج 1/462.
- أقلعي (أغا العسكر): ج 2/17.
- الأمين بن عبد الرحمن (مولاي، الأمير): ج 1/200-327-456-467؛ ج 2/49-60-61-80-92-214.
- الأوراوي (قائد): ج 2/241.
- أميراطور الفرس: ج 1/236.
- أميرك (قائد عسكري): ج 1/458.
- أمزيان التوزاني (قائد): ج 1/210.
- أميتشيس إدمانديو (Amicis Edmundo de): ج 1/263.
- أرديكّا لاديسلاس (Ordéga Ladislas سفير فرنسا): ج 2/14-313.
- إيشوغة قرقوز (تاجر): ج 2/43-54-69.

ب

- باسكون (Pascon): ج 2/23.
- بالثام أندرو (Baltham Andrew ضابط إنجليزي): ج 2/324.
- بايزن (Cap. Payerne): ج 1/78-164-441-453؛ ج 2/152-305-309.
- البدالي (قائد الكيش): ج 1/279.
- برادة، ثريا: ج 1/22.
- برمون (Cdt Brémond): ج 1/302.
- برونشفيگ (تاجر، Braunchvig): ج 2/395-394.
- بريك الحبشي (قائد): ج 1/139.
- جيورجيو بريگولي (Georgio Bregoli، ضابط إيطالي): ج 2/314-350-351-368-366-354.
- البشير (خليفة القائد أمقشد): ج 2/95.
- البشير الحبشي (وصيف): ج 2/97.
- البشير بن السناح باشا الكيش): ج 1/111-382.
- البشير بن موسى (صنو أب أحمد): ج 1/142-452؛ ج 2/40-48-50.
- بكلار (Beclard): ج 2/263.
- أحمد بن العربي العمري (قائد الكيش): ج 1/413.
- بلحبيب (معلم بارودي): ج 2/362.
- بلخير (قائد الكيش): ج 1/134-278.
- بلمقدم (أغا العسكر): ج 1/271.
- بناصر المجاطي (قائد): ج 2/79.
- بناصر الكندوز (قائد عسكري): ج 1/322.
- بناصر بنموسی (قائد الكيش): ج 1/140.
- بن بلة الرحماني (قائد): ج 1/406.
- بن التونسي (قائد الكيش): ج 1/279.
- بن حمودة (قائد الكيش): ج 1/280.

- بن الحمير (طالب): ج 1 / 191.
- بن شيمول (تاجر و مترجم): ج 2 / 311.
- بن قدور التخليلي (قائد): ج 1 / 210.
- بن عبد النبي (قائد عسكري): ج 1 / 278.
- بنعيسى بن حم (باشا الكيش وقائد المشور): ج 1 / 141-138.
- بنعيسى بن عبد الكريم (كبير الوصفان): ج 1 / 466.
- بوركهاردت (Cdt Burckhardt): ج 1 / 346-291-290-165؛ ج 2 / 402.
- بوريل (Cap. Burel): ج 1 / 345-170-163-147-52-50.
- بوزكري العمري (قائد): ج 1 / 199؛ ج 2 / 178.
- بوزيان السعيد (قائد): ج 2 / 231.
- بوستة ("صاحب" باشا مراکش): ج 2 / 58.
- بوشق بن البغدادي (باشا الكيش وعامل): ج 1 / 313-173؛ ج 2 / 305.
- بوعبيد بن زيدوح (قائد): ج 1 / 199.
- بوعبيد الشرقي (قائد الكيش): ج 1 / 191.
- بوعلام الزمراني (قائد العسكر): ج 2 / 51.
- بوغور (Cap. Bougourd): ج 1 / 266.
- البومدماني (قائد): ج 1 / 448.
- بومي، أو كست (Auguste Beaumier): ج 2 / 384-374.
- بيجو (Maréchal Bugeaud): ج 2 / 276.
- بيرك، جاك (Berque, Jacques): ج 2 / 154.
- بيلارين (Pellarin) (دبلوماسي فرنسي): ج 2 / 394.

ت

- التهامي بن حمّادي الزّراري (معلم طُبحي): ج 2 / 112.
- التواني (من فاس): ج 2 / 358.
- تيسوا (Tissot، سفير فرنسا): ج 2 / 297.

ج

- جَبَّارة (وصيف): ج 1/430.
- الْجَبُورِي (قائد الكيش وعامل): ج 1/140.
- الْجَرْجُورِي (قائد): ج 2/189.
- الْجَعِيدَلِي: ج 2/145.
- جمال الدين الأفغاني: ج 2/297.
- جورني (Lieut^t Journée): ج 1/78؛ ج 2/309.
- جون (John، ملك إنكلترا): ج 1/57.
- جون هي دراموند هي (John Hay Drummond Hay، سفير بريطانيا العظمى): ج 1/40-65-69؛ ج 2/307-319-320-331-384-390.
- الجيلالي (مولاي، قائد الكيش): ج 1/279.
- الجيلالي بن إبراهيم السوسي المنبهي (قائد الكيش): ج 1/421.
- الجيلالي الرحماني (عسكري): ج 1/430.
- الجلالي الروگي السفيني (ثائر): ج 2/7-77-209.
- الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني المدعو الروگي بوحمارة: ج 1/55-56-61-79-82-106-107-138-314-382-428-434؛ ج 2/7-8-10-17-25-77-159-160-214-370-395-400-419.
- الجيلالي بن العواد (قائد الكيش): ج 1/139.
- الجيلالي بن الغازي (قائد الكيش): ج 1/317.
- الجيلالي بن بوعزة (باشا الكيش وعامل): ج 1/124-141-161-316-391-454؛ ج 2/167.
- الجيلالي بن حم (باشا الكيش وقائد المشور): ج 1/139-314-326-418.
- الجيلالي بن علي الدمناتي (قائد): ج 1/252-278-425-466؛ ج 2/74-175-189-194-370.
- الجيلالي بن هَدْي الحمري (قائد): ج 1/456.
- الجيلالي بن موسى (قائد المشور): ج 1/125.
- الجيلالي بن يعقوب (قائد الكيش): ج 1/144-404-412؛ ج 2/139.

ح

- حافظ (قائد الكيش): ج 1/ 279.
 الْحَجَّامِي: ج 1/ 88.
 حَدُّو (قائد الكيش): ج 1/ 280.
 حَد (قنصل المغرب بجبل طارق): ج 2/ 379.
 حَدُّو الْمَزُوجِي (قائد): ج 1/ 305.
 حَسَّان (الحاج، تاجر): ج 1/ 243-244.
 حَمُّ الجامعي (أغا العسكر): ج 1/ 323.
 حَمُّ بن بوشعيب التسماني (قائد): ج 2/ 33.
 حم بن الجليلاني (باشا الكيش ومكناس): ج 1/ 134-137-141-221-222-279-
 308-392-433-448-464؛ ج 2/ 44-92-94-181-190-194-197-
 359-377.
 حَمُّ بن الحسين اليازغي (قائد): ج 1/ 210-222.
 حَمُّ بن الهادي الكعداوي (قائد): ج 2/ 230-232.
 حَمُّ الوليشكي (قائد): ج 1/ 100.
 حَمُّ وَمُخْلُوف (معلم بناء): ج 2/ 350.
 حَمَّادَة بن المختار البوزگَّاوي (قائد): ج 2/ 178-229-252.
 حمادي بن أحمد المسفيوي (قائد): ج 2/ 27.
 حمادي بن الطالب الهنتيفي (قائد): ج 2/ 209.
 حَمَّادِي بن العربي بنيس (تاجر): ج 1/ 375.
 الحمامي (قائد): ج 2/ 218.
 الحسن بن مُحمد (مولاي، السلطان العلوي): ج 1/ 22-24-25-54-76-80-88-
 89-90-99-104-105-108-129-130-137-139-140-141-142-
 144-151-156-167-173-174-181-186-188-189-194-195-196-
 203-206-210-215-217-241-253-254-261-263-264-265-274-

-360-358-341-333-327-326-325-324-314-308-289-286-275
-422-409-408-405-402-400-395-389-387-381-375-364-362
-24-14-13-9 / 2 ج 467-459-451-448-440-433-432-429-425
-137-131-118 -110-104-102-101-92-89-77-65-43-37-34-33
-169-166-165-164-163-162-160-159-154-151-144-142-139
-217-216-215-213-210-209-203-201-195-192-181-179-178
-289-276-275-268-267-261-259-257-250-243-234-227-221
-321-320-314-312-311-310-309-307-302-300-298-296-295
-373-369-359-356-355-350-347-337-336-335-333-328-325
-421-420-411-410-408-395-392-388-387-385-383-377-376
.423

الحسن بُورزيق اليموري (قائد عسكري): ج 1/ 326؛ ج 2/ 60-79.
الحسن بن الحبيب (قائد عسكري): ج 1/ 436.
الحسن بن الطيب بن اليميني بوعشرين (كاتب): ج 2/ 214.
الحسن بن العربي بن داود (مُرابط): ج 2/ 79.
الحسن بن منصور المسفيوي (قائد): ج 1/ 217.
الحسين إتكزيرين (قائد): ج 2/ 148.
الحسين أيت حميدة (من دمنا): ج 1/ 252.
الحسن الزعري السلاوي (من الموفدين إلى الخارج): ج 2/ 339.
الحسين بن عبد الله السباعي (قائد): ج 2/ 34.
حسن خير الله (مفتي الديار التركية): ج 2/ 296.
الحسين بن عمارة الحسن الدوبلاي (مُجَنَّد): ج 1/ 252.
الحسين بن الفاضل الجرواني (قائد): ج 1/ 206-207؛ ج 2/ 167.
حسين وُزُرَوَال المكيدي (قائد): ج 2/ 144.
الحسين ولد لشكر (خليفة قائد): ج 2/ 34-35.
الحمري (قائد): ج 1/ 426.

- حمزة بن الطيب بنهيمه (عامل): ج 2/ 43-75.
 حمودة الجزيري (أغا العسكر): ج 1/ 255-256-323؛ ج 2/ 288.
 الحمياني الدغمي (قائد): ج 2/ 245.
 حميدة بن علي الشرقي (عامل): ج 1/ 174-313.
 حيدة بن عبد الله بن المهدي كُراو: ج 2/ 327.
 حيم قورقوز (من تجار اليهود الكبار): ج 1/ 331.

خ

- خليفة (قائد الكيش): ج 1/ 279.

د

- دانبرگ (تاجر ألماني): ج 2/ 392.
 داود ولد مخلوف بن البطاحي الفيلاني (صانع خيام): ج 1/ 375.
 الدخيسي (قائد): ج 1/ 222.
 دزيوبنسكي (Dziubinski Andrzej): ج 1/ 42؛ ج 2/ 274.
 دونالد Donald (مهندس إنجليزي): ج 2/ 332.
 الدويراني (قائد): ج 2/ 189.

ر

- الراضي الزيايدي (قائد): ج 2/ 241.
 الرجراجي الدوبلاي (قائد الكيش وعامل): ج 1/ 192-194-280؛ ج 2/ 86.
 رالستون، دفيد. ب (Ralston, David): ج 1/ 20.
 رَحُّ أسعيد السغروشي (قائد): ج 2/ 252.
 رَحُّ الشريف السغروشي (قائد عسكري): ج 2/ 178.
 الرَّحَّالي بن مبارك (قائد عسكري): ج 1/ 319.
 حافظ (قائد الكيش): ج 1/ 279.

- الرحماني (قاض): ج 2/46.
- ردمان، ويليام (Redman William ضابط إنجليزي): ج 2/324.
- الرشيد بن الشريف (السلطان العلوي): ج 1/144.
- الرشيد بن عبد الرحمن (مولاي، أمير): ج 1/376.
- رقية بنت محمد بن الخضر (والدة مُحَمَّد): ج 1/251.
- رمضان الزُّكْرَاوي (قائد): ج 2/229.
- رؤيل ولد الحَزَّان يوسف المالحي (صانع أخبية): ج 1/376؛ ج 2/395.
- رُوطنبورغ Rottenbourg (مهندس ألماني): ج 2/105-314-335.
- رولمان، ويلفريد جون (Rollman Wilfrid-John): ج 1/22-125.
- رُنيو، فرانسوا (Regnault François سفير فرنسا): ج 2/400.
- ريدجواي، ويست (West Ridgeway, West، سفير بريطانيا العظمى): ج 2/153.
- ريشَرْت (Richert، ضابط صف فرنسي): ج 2/305.
- رينالدي (مترجم إسباني): ج 2/312.

ز

- الزبيدي، أبو بكر محمد الإشبيلي: ج 1/197.
- الزبيري بن عبد الوهاب سكيرج الفاسي (مهندس): ج 2/103-105-331-339.
- الزناتي (قائد): ج 2/218-241.
- الزياني، أبو القاسم محمد بن علي (المؤرخ): ج 2/23.
- زيدان بن علي الغيغائي (قائد عسكري): ج 2/139-140-141.

س

- سالم بن بوشعيب الحوزي (عسكري): ج 1/399.
- سان جوليان، روي دي (Royer de Saint-Julien، ضابط فرنسي): ج 1/79.
- سان - هيلر، بارثلمي (Saint-Hilaire, Barthélémy، وزير فرنسي): ج 2/297.

- سترول (Cdt Strohl): ج 1/274-345.
- سرور بن إدريس بن سليمان (مولاي، أمير): ج 1/327.
- السعيد (قائد): ج 2/343.
- السعيد بناني (تاجر من مكناس أو أمين بها): ج 1/371.
- السعيد غريط (تاجر من مكناس أو أمين بها): ج 1/371.
- سعيد (الخدوي، باشا مصر): ج 1/244.
- سعيد الكلوي (قائد): ج 2/76.
- سعيد بن أحمد جسوس (قنصل المغرب بجبل طارق): ج 1/432.
- سعيد بن بوشعيب الحوزي (عسكري): ج 1/399.
- سعيد بن بوشعيب الفرجي (قائد): ج 1/475.
- سعيد بن التَّمار العبد (قائد الكيش): ج 1/423.
- سعيد بن العروسي (قائد): ج 2/275.
- سعيد بن علي الدمناتي (قائد عسكري): ج 1/278؛ ج 2/466.
- سعيد بن عمر الشيطمي (قائد): ج 2/9-34-35-189-202.
- سعيد بن فرجي (باشا الكيش وفاس الجديد): ج 1/99-139-167-169-181-221-252-387-392-396-407-418-443؛ ج 2/89-92-188-194-250-357-390.
- السعيد بن موسى (صنو أب أحمد، وزير): ج 1/142-457.
- سلام بن الحاج أحمد التلمساني (من سكان فاس): ج 1/85.
- السللاوي (معلم طُبحي): ج 1/264.
- سليمان (مولاي، السلطان العلوي): ج 1/24-43-44-52-54-65-66-95-120-121-139-147-151-175؛ ج 2/166-405.
- سليمان بن عبد الرحمن (مولاي، أمير): ج 2/207.
- سوردو (Sourdeau، سفير فرنسا): ج 1/52.
- سيلفا (Silva, Edward، مهندس): ج 1/103-332.
- سيمو، بيجة: ج 2/321.

ش

- ماتالي شابر (Magali Chappert): ج 2/301-321.
 شارل X (Charles X)، ملك فرنسا: ج 1/52.
 شاسطو، إدم دي (Chasteau, Edme de)، دبلوماسي فرنسي: ج 1/235.
 الشافعي الحافظي (قائد): ج 1/248-389.
 الشافعي المسكيني (قائد): ج 1/224.
 شامة شقورية (والدة مجند): ج 1/251.
 الشاوي (تعلم صنع البارود.مصر): ج 2/328.
 الشجعي (قائد): ج 1/392.
 الشديد (قائد الكيش): ج 1/414.
 شرمان (تاجر ألماني): ج 1/295.
 الشكرأوي بن محمد السوسي (قائد العسكر): ج 1/448.
 شلومبرجي (Schlumberger)، ضابط فرنسي: ج 1/291؛ ج 2/50-359-361-402-387-386.
 شميت، فارن (Cap. Warin Schmitt)، ضابط فرنسي: ج 2/313.

ص

- صالح العبدلي (قائد): ج 2/218.
 صالح بن الحفيظ البختي (قائد): ج 1/390.
 صالح بن بنعيسى بن حم (باشا مكناس): ج 1/141.
 الصديق بر كاش (أمين): ج 2/392.
 الصديق بن عبد السلام السلوي (قائد الكيش): ج 1/139-279.
 الصديق بن الفقيه (قائد): ج 2/167.
 الصديق بن مبارك الزراري (قائد الكيش): ج 1/414.
 الصريدي (حُمان، قائد): ج 1/108-139.

الصميلي (معلم بارودي من مكناس): ج 2/359.

ض

الضُعَيْفُ الرباطي (المؤرخ): ج 2/105.

ط

الطَّائِعُ الصَّفَّارُ (أمين الزرع): ج 1/385.

الطالب بن جلون (تاجر): ج 2/379-380.

الطاهر الرغاي (قائد عسكري): ج 1/140-124-96.

الطاهر بناني (أمين): ج 2/391.

الطاهر التازي (أمين): ج 1/358.

الطاهر العراقي (صانع "شاشيات" بفاس): ج 1/351.

الطاهر الفلالي (أغا العسكر): ج 1/255.

الطاهر بن إدريس السَّرَّاج (أمين الزرع): ج 1/385.

الطاهر بن التهامي سميرس بناني (أمين): ج 2/369-368-352.

الطاهر بن الحاج الأودي (من الطلاب الموفدين إلى الخارج): ج 2/339.

الطاهر بن محمد الموساوي (قائد): ج 1/220.

الطاهر بن مسعود (قائد الكيش): ج 1/175-45.

طابندي، سان - رُونِي (Taillandier, Saint-René، سفير فرنسا): ج 1/86.

النقيب طوماس (Cap. Thomas): ج 2/385-65.

الطيب (مولاي، أمير): ج 2/80.

الطيب الغرناطي (أغا العسكر): ج 1/436؛ ج 2/436-272-271-246-245.

الطيب الكندافي (قائد): ج 2/189-175-84.

الطيب بليمي بوعشرين (الفقيه والوزير الصدر): ج 2/396-383.

الطيب بن مُحمد بنهيمَة (عامل): ج 1/379؛ ج 2/110.

الطيب الوديني (قائد الكيش وعامل): ج 1/139؛ ج 2/204.

ع

- عَبُّ بن سعيد (قائد الكيش): ج 1/317.
- عَبُّ بن مالك (قائد الكيش): ج 1/401.
- العباس الأودي (قائد الكيش): ج 1/176-176-279-466.
- العباس أمقشد (عامل): ج 1/97؛ ج 2/95.
- العباس بن إبراهيم السملالي التعارجي (الفقيه والمؤرخ): ج 2/23.
- العباس بن أحمد بن داود (باشا مراکش): ج 1/406-426؛ ج 2/39-40-44-48-49-50-55-58-60-76-311.
- العباس بن الحسن (مولاي، أمير وخليفة السلطان بمراكش): ج 1/108-257-432-433؛ ج 2/37-38-46-215-217-223-224-256-278.
- العباس بن عبد الرحمان (مولاي، أمير): ج 2/92-293.
- العباس بن العربي المنهبي (قائد الكيش): ج 1/82-179.
- العباس بن محمد الجامعي (نائب الوزير): ج 1/108-365؛ ج 2/249.
- عباس (قائد): ج 1/254.
- عباس الرحماني (قائد عسكري): ج 1/407.
- عبد الحفيظ (مولاي، السلطان العلوي): ج 1/55-80-131-140-141-142-163-276-424-466؛ ج 2/44-80-214-318-378-394-395-399-400-401.
- عبد الحميد بن الفاطمي الرحماني (قائد): ج 2/28-43-69-74-178.
- عبد الحميد خان بن عبد المجيد (السلطان العثماني): ج 1/77.
- عبد الخالق فرج (محتسب الرباط): ج 1/313-316؛ ج 2/105.
- عبد الرحمن أشعاش (أمين وعامل): ج 1/361؛ ج 2/406.
- عبد الرحمن العليج (Abderrahman de Saulty، مهندس وكبير الطبعية): ج 1/263-264-270-271.
- عبد الرحمن اللبادي التطواني (أمين): ج 1/357.
- عبد الرحمن لخلو (تاجر): ج 2/392.
- عبد الرحمن لخلو الفاسي (أمين): ج 2/106.

- عبد الرحمن بریطل ("رايس البحر"): ج 2/ 406-99-407.
- عبد الرحمن بن الحسن (أمين): ج 2/ 95.
- عبد الرحمن بن خلدون: ج 1/ 236؛ ج 2/ 180-229-276-282.
- عبد الرحمن بن زيدان (مولاي، المؤرخ والنقيب): ج 1/ 21-26-238-245-395؛ ج 2/ 23-39-179-204-329-349-406.
- عبد الرحمن بن سليمان (مولاي، أمير): ج 1/ 149.
- عبد الرحمن بن الشَّليح (قائد الكيش): ج 1/ 177-182.
- عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (العالم والمؤرخ): ج 1/ 282.
- عبد الرحمن بن عبد الله بر كاش ("رايس البحر"): ج 2/ 406-99-407.
- عبد الرحمن بن قدور برادة (أمين): ج 2/ 305.
- عبد الرحمن بن مُحمد بر كاش (عامل): ج 2/ 109.
- عبد الرحمن بن هشام (مولاي، السلطان العلوي): ج 1/ 43-44-46-47-48-49-52-53-54-59-66-75-98-105-120-121-122-123-125-137-139-140-141-144-147-148-149-150-151-156-160-173-175-189-192-206-217-224-229-232-234-235-236-238-240-242-241-243-244-245-246-247-248-249-250-251-252-253-254-255-256-257-258-259-260-261-262-263-264-265-266-267-268-269-270-271-272-273-274-275-276-277-278-279-280-281-282-283-284-285-286-287-288-289-290-291-292-293-294-295-296-297-298-299-300-301-302-303-304-305-306-307-308-309-310-311-312-313-314-315-316-317-318-319-320-321-322-323-324-325-326-327-328-329-330-331-332-333-334-335-336-337-338-339-340-341-342-343-344-345-346-347-348-349-350-351-352-353-354-355-356-357-358-359-360-361-362-363-364-365-366-367-368-369-370-371-372-373-374-375-376-377-378-379-380-381-382-383-384-385-386-387-388-389-390-391-392-393-394-395-396-397-398-399-400-401-402-403-404-405-406-407-408-409-410-411-412-413-414-415-416-417-418-419-420-421-422-423-424-425-426-427-428-429-430-431-432-433-434-435-436-437-438-439-440-441-442-443-444-445-446-447-448-449-450-451-452-453-454-455-456-457-458-459-460-461-462-463-464-465-466-467-468-469-470-471-472-473-474-475-476-477-478-479-480-481-482-483-484-485-486-487-488-489-490-491-492-493-494-495-496-497-498-499-500.
- عبد الرزاق (تاجر): ج 1/ 351.
- عبد السلام أقلعي (أغا العسكر): ج 1/ 234-239-241-246.
- عبد السلام التازي (الأمين والوزير): ج 1/ 359.
- عبد السلام جسوس (أمين): ج 2/ 95.
- عبد السلام السويسي (عامل): ج 2/ 110-112-245.

- عبد السلام المَدَنَس: ج 2 / 135.
- عبد السلام المراني (الشريف): ج 1 / 327-415؛ ج 2 / 49-92.
- عبد السلام شاوش: ج 1 / 408.
- عبد السلام بن إبراهيم مرغيش (من طنجة): ج 1 / 459.
- عبد السلام بن جلون المراكشي (أمين): ج 2 / 176.
- عبد السلام بن الحسين البخاري (عامل): ج 1 / 85-86-445.
- عبد السلام بن الراضي الحسناوي (أغا العسكر): ج 1 / 321-322.
- عبد السلام بن الشرقي (قائد الكيش): ج 1 / 286-293.
- عبد السلام بن عبد الصادق الريفي (عامل): ج 1 / 113؛ ج 2 / 270.
- عبد السلام بن العربي الوزاني (مُرابط): ج 1 / 100-408؛ ج 2 / 11.
- عبد السلام بن قدور (قائد): ج 1 / 220.
- عبد السلام بن محمد بن الخضر السلاوي (كاتب وعامل): ج 1 / 48-109-121-
122-139-161-430-401؛ ج 2 / 167-378-379-407.
- عبد السلام بن محمد بن رشيد الحريري (قائد): ج 2 / 178-241.
- عبد السلام بن محمد العلمي الفاسي ("طبيب"): ج 1 / 429.
- عبد السلام بن محمد المقرئ (أمين): ج 2 / 353-354-360.
- عبد السلام بن ميثش (الولي): ج 1 / 83.
- عبد السلام بن يط الجامعي (عامل): ج 2 / 126.
- عبد الصادق بن أحمد الريفي (عامل): ج 1 / 459.
- عبد العزيز (مولاي السلطان العلوي): ج 1 / 24-55-90-91-107-142-173-223-
225-265-275-281-293-325-358-359-361-362-405-424-444-
457-466؛ ج 2 / 9-26-60-65-73-78-80-92-109-118-131-139-
152-175-178-214-270-278-317-318-320-321-355-369-370-
373-385-395-397-399-410-419.
- عبد القادر بن بوحسينة (عسكري): ج 1 / 434.
- عبد القادر بن بوشعيب الحوزي (طالب): ج 1 / 399.

- عبد القادر بن رزوق العُماري (قائد): ج 2/ 267.
- عبد القادر بن مُحمد أشعاش (عامل): ج 1/ 243-245-247-258؛ ج 2/ 166-236-238-240-251-263-342-345.
- عبد القادر بن محمد الهواري (شيخ قبيلة): ج 2/ 250.
- عبد القادر بن محيي الدين (الأمير): ج 1/ 67؛ ج 2/ 80-81-281-378-380.
- عبد القادر بن مسعود الزراوي (قائد): ج 1/ 103.
- عبد القادر بوترفاس (قائد): ج 2/ 230.
- عبد الكبير الثوري (قائد): ج 2/ 178-193-275.
- عبد الكبير بن المدني المزامزي (قائد): ج 2/ 178.
- عبد الكريم اللبادي (أمين وعامل): ج 2/ 17-316.
- عبد الكريم بريشة (أمين وسفير): ج 2/ 312-369-390-395.
- عبد الكريم بن العربي ولد أب محمد الشركي (قائد الكيش): ج 1/ 82-174-279؛ ج 2/ 79-188.
- عبد الله (الحاج) (قائد): ج 2/ 245.
- عبد الله أبيهي الحاحي (قائد): ج 2/ 192-194-406؛ ج 2/ 147-178-194.
- عبد الله ادروش (قائد): ج 2/ 245.
- عبد الله الأوطاوي (قائد): ج 2/ 218.
- عبد الله الحضري: ج 1/ 83.
- عبد الله الدريسي (قائد الكيش): ج 1/ 454.
- عبد الله الصبيحي: ج 1/ 27.
- عبد الله العراقي (تاجر): ج 1/ 351.
- عبد الله اللّماعي (قائد): ج 2/ 245.
- عبد الله بن إبراهيم البوكيلي (محتسب): ج 2/ 27-45-66-184.
- عبد الله ابن أحمد البخاري (الباشا والوزير): ج 1/ 41-104-105-142-156-240-271-319-325-350-383-392-472؛ ج 2/ 98-125-157-181-258-259-265-289-295-350.

- عبد الله بن إسماعيل (مولاي، السلطان العلوي): ج 1/188.
- عبد الله بن الجيلاني الدليمي (قائد الكيش): ج 1/413.
- عبد الله بن الطاهر (قائد الكيش): ج 1/423.
- عبد الله بن العربي فنيش (طبيجي): ج 1/326.
- عبد الله بن علي الزراري (قائد الكيش وعامل): ج 1/177-261-280.
- عبد الله بن محمد الهنتيفي: ج 2/194-257.
- عبد الله بوزلافة الأودي (قائد الكيش): ج 1/280؛ ج 2/60-79-83.
- عبد الله ولد الشاوية (قائد الكيش): ج 1/278.
- عبد المالك أبيهي الحاحي (قائد): ج 1/191-192-406.
- عبد المالك بن عبد الرحمن (مولاي، أمير): ج 1/327؛ ج 2/49-60-92.
- عبد المالك بن عبد السلام بن محمد (مولاي أمير): ج 1/224-327.
- عبد المالك بن علي السعيد (عامل وسفير): ج 1/283-384؛ ج 2/334.
- عبد المالك المتوكي (قائد): ج 2/194.
- عبد المجيد بن شقرون (أمين): ج 2/358-392.
- عبد المجيد جنون (أمين): ج 2/74.
- عبد المجيد العثماني (السلطان التركي): ج 2/286-296.
- عبد الهادي العلوي (الشريف، قاض): ج 1/421.
- عثمان بن إدريس الجراري (قائد الكيش): ج 1/175.
- عثمان بن محمد (مولاي، الخليفة السلطاني): ج 1/222-325-425-473؛ ج 2/44-110-164-168-215-227-230-261.
- عدي بن علي النكناني (قائد): ج 2/94.
- العربي (قائد): ج 1/278.
- العربي البوزراري (أغا العسكر): ج 1/462.
- العربي بردلة (عالم): ج 1/421.
- العربي بريشة (أمين): ج 2/390-395.
- العربي بن بوعزة الأودي (قائد الكيش): ج 1/175-326.

- العربي بن التَّمَّار العبدي (قائد): ج 1 / 251.
- العربي بن حم (قائد الكيش وعامل): ج 1 / 140-326؛ ج 2 / 143.
- العربي بن حميدة الشرقي (قائد الكيش وعامل): ج 1 / 174.
- العربي بن داود (مُربط): ج 2 / 73.
- العربي بن الشرقي الرحماني (قائد): ج 1 / 464؛ ج 2 / 165.
- العربي (قائد الكيش): ج 1 / 140-326؛ ج 2 / 143.
- العربي بن شقرون (أمين): ج 1 / 357.
- العربي بوكريشة (قائد الكيش): ج 1 / 279.
- العربي الشعري (قائد عسكري): ج 1 / 278.
- العربي بن صالح (قائد): ج 2 / 245.
- العربي بن الطيب الدباغ (الشريف، خبير): ج 1 / 420.
- العربي بن العباس بن عبد الرحمن (مولاي، أمير): ج 2 / 92.
- العربي بن عبد الرزاق بن شقرون (أمين): ج 2 / 353-396.
- العربي بن عبد الله الموسوي (قائد): ج 1 / 198؛ ج 2 / 218.
- العربي بن مُحمد التزوطي (قائد): ج 2 / 275.
- العربي بن مُحمد الزبيدي (أمين): ج 1 / 358.
- العربي بن محمد الفشار (علاف الكيش): ج 1 / 382.
- العربي بن المختار الجامعي (قائد الكيش ووزير): ج 1 / 148-149-173-251-313.
- العربي بن هُدَي الحمري (قائد عسكري): ج 1 / 456.
- العربي بنونة (أمين): ج 2 / 185.
- العربي جسوس (أمين): ج 2 / 390-395.
- العربي الحمادي الحمري (قائد): ج 1 / 405.
- العربي الزمراني (قائد عسكري): ج 2 / 57.
- العربي السوسي (قائد الكيش): ج 1 / 280.
- العربي الشاوي (قائد حنطة الروى): ج 1 / 280.
- العربي الشرقي (أمين الزرع): ج 1 / 385.

- العربي فرج (تاجر وأمين): ج 2/ 384.
- العربي المنيعي (كاتب): ج 2/ 227.
- العربي الهاتني (قائد): ج 2/ 218.
- العربي الوليشكي: ج 2/ 11-33-178-230.
- العربي ولد أبَّ محمد الشرقي (باشا الكيش وعامل): ج 1/ 174-213-214-321-326-385-410-412؛ ج 2/ 89-92-114-215-224-347-356-357.
- العرفاوي (قائد المسخرين): ج 1/ 125.
- عرفة بن محمد (مولاي، أمير): ج 1/ 327؛ ج 2/ 49-60-92-276.
- عزوز بن الفتوح (الحاج، أغا العسكر): ج 1/ 421؛ ج 2/ 271-272-323-476.
- عزوز المسفيوي (أغا العسكر): ج 1/ 430.
- عزيز بن الطالب أحمد المسعودي (قائد): ج 1/ 458.
- العسولي (قائد): ج 2/ 50-57.
- علال بن بوعزة (قائد الكيش): ج 1/ 279-286؛ ج 2/ 77-79.
- علال بن التهامي (قائد عسكري): ج 1/ 278.
- علال بن سالم الغنيمي (قائد "حنطة"): ج 2/ 240.
- علال بن الشليح (قائد الكيش وعامل): ج 1/ 177-280-326؛ ج 2/ 60.
- علال بن عبد القادر الزمراني (عامل): ج 1/ 95.
- علال بن عبد النبي العميري (قائد): ج 1/ 275؛ ج 2/ 218.
- علال بن عودة (قائد): ج 1/ 198.
- علال بن منصور البخاري (قائد): ج 2/ 229.
- علال التگاني (أغا العسكر): ج 1/ 436.
- علال بُبان (قائد الكيش): ج 1/ 279.
- علال الذكير (قائد الكيش): ج 1/ 140-317.
- علال السوسي (من حنطة الفوايكية): ج 1/ 280.
- علال الشرقاوي (قائد): ج 2/ 178-209-242.
- علال المراحی (قائد): ج 1/ 254.

- علي (قائد الكيش): ج 1/279.
- علي أُحَدُّو الدمناني (قائد): ج 1/264؛ ج 2/178-194-259.
- علي الباعمراني (الحاج، قائد عسكري): ج 1/279-326-436-452؛ ج 2/48-53.
- 121.
- علي الحسن المجيلدي (قائد): ج 2/145.
- علي السادني (قائد): ج 1/222.
- علي السوسي (أغا العسكر): ج 1/391.
- علي العراقي (تاجر): ج 1/351.
- علي بن إبراهيم (سيدي، ولي بتادلة): ج 2/73-78.
- علي بن إسماعيل الدخيسي (قائد): ج 1/421.
- علي بن بلعيد (قائد الكيش): ج 1/413.
- علي بن الجيلالي الراشدي (عامل): ج 1/173-313؛ ج 2/13-158-359.
- علي بن الجيلالي المحرري (قائد): ج 1/196.
- علي بن الحاج (أمين الداخل): ج 2/251.
- علي بن حجاج (قائد): ج 2/224.
- علي بن الحسن (مولاي، أمير): ج 2/243.
- علي بن حم المسفيوي (الفقيه الوزير): ج 1/396-403-454.
- علي بن محمد التتاني الحاحي (قاض): ج 2/168.
- علي بن محمد السملالي (مؤرخ): ج 2/276.
- علي بن محمد الكرائي (قائد): ج 1/191.
- علي بو طالب (مخبر جزائري): ج 2/402.
- علي بوهلال (أمين): ج 1/245.
- علي شقور (سيدي، مرابط): ج 1/385.
- عمارة بن محمد بن عبد الصادق (عامل): ج 2/168.
- عمارة لحسن الدوبلاي المكرازي المشاوري (والد مُحْتَد): ج 1/252.
- عمر (الج) (قائد): ج 2/245.

- عمر بن بوعزة الشباني (قائد الكيش): ج 1/ 157-279.
- عمر بن الحاج الأخضر (من الشام): ج 1/ 84.
- عمر بن الحسن (مولاي، الخليفة السلطاني): ج 1/ 392-469؛ ج 2/ 26-137-215-227-228-229-230-253.
- عمر بن سعيد (أمين): ج 1/ 145.
- عمر بن قدور السراج (فقيه): ج 2/ 40-58.
- عمر بن المكّي (قائد الكيش): ج 1/ 279.
- عمر بن مُحمد وُالطَّالِب اليوسي (قائد): ج 1/ 222؛ ج 2/ 165.
- عمر التّكّاني (أغا العسكر): ج 2/ 53.
- عمر التونسي لوزيري (أغا العسكر): ج 1/ 253-271-272-323؛ ج 2/ 295.
- عمر الرجراجي (قائد عسكري): ج 1/ 379.
- عمر الزمراني (قائد): ج 2/ 212.
- عمر السربوت الصوري (معلم طبجي): ج 2/ 111.
- عمر السوسي (أغا العسكر): ج 1/ 255-323.
- عمر عمور: ج 1/ 25.
- عمر ليريس (أمين): ج 1/ 182.
- عمر الهَيّاضي (قائد عسكري): ج 1/ 326.
- عمرو بن غفير (سيدي، ولي): ج 1/ 423.
- عياد بن حميدة المنبهي (قائد): ج 1/ 179.
- عياد المنبهي (قائد الكيش وعامل): ج 2/ 217.
- عيسى بن الطاهر الرحماني (قائد): ج 2/ 74.
- عيسى بن عمر العبدي (القائد والوزير): ج 1/ 191-461؛ ج 2/ 36-74-75-84-178.
- عيسى بن مُبارك الرحماني (قائد): ج 2/ 74.
- عيسى ولد الشلحة (قائد): ج 2/ 69.

غ

- الغازي أدهيمي (قائد): ج 2/245.
 الغالي بن محمد العمراني اللجائي: ج 2/135.
 الغزواني بن محمد ولد زيدوح: ج 2/178.
 غليوم الثاني (أميراطور ألمانيا): ج 2/335-316.
 الفرجي (قائد الرحي): ج 1/465.
 الفكروني (قائد عسكري): ج 1/278.
 فاطمة بنت أحمد الصَّفَّاءية (والدة مجند): ج 1/252.
 فاطمة بنت العربي الجامعي (السيدة، والدة السلطان مولاي الحسن): ج 1/149.
 فاطمة الحصينية (والدة مُجَنَّد): ج 1/252.
 العربي (قائد الكيش): ج 1/279؛ ج 2/125.

ف

- فالطا، لويجي (Luigi Falta، عسكري إيطالي): ج 2/351.
 فرارًا (Ferrara، ضابط إيطالي): ج 2/373-366-351.
 فرَجِي (باشا الكيش وفاس): ج 1/420-313-139؛ ج 2/98.
 فرديناندو السابع (Ferdinando VII، ملك إسبانيا): ج 1/287.
 أگُستان دي ثرنويي (Augustin de Vernouillet، سفير فرنسا): ج 1/429-345؛
 ج 2/317-307-300.
 فريير (Ferer، طبيب فرنسي): ج 1/428.
 فرُّوا (Féraud، سفير فرنسا): ج 2/314.
 فوكو، شارل دي (Charles de Foucauld): ج 2/374-108.
 فايجيربر، فرانز (Franz Weigerber، طبيب فرنسي): ج 2/200.

ق

- قاسم الشباني (قائد الكيش): ج 1 / 413-467.
 قاسم الصفار: ج 1 / 250.
 قاسم بن الحافظي العبدى (قائد الرحى): ج 1 / 389-423.
 قاسم بن الطيب (وصيف وخليفة عامل): ج 2 / 135.
 قاسم مثنون البخاري (قائد الكيش): ج 1 / 140-279-323.
 قدور (قائد الكيش): ج 1 / 279.
 قدور بن الحاج سعيد (قائد عسكري): ج 1 / 402.
 قدور بن الغازي البخاري (قائد الكيش وعامل): ج 1 / 141.

ك

- الكرزوزي (قائد): ج 2 / 218.
 كارلوس الثالث (Carlos III، ملك إسبانيا): ج 1 / 287.
 كارلوس الرابع (Carlos IV، ملك إسبانيا): ج 1 / 287.
 كامبيني، جيوزيبي (Guiseppe Campanini، تقني إيطالي): ج 2 / 373.
 كدنفلدت (Quedenfeldt): ج 1 / 274؛ ج 2 / 323.
 كيربل (تاجر إنجليزي): ج 1 / 357.
 كارمان، أدولف دي (Adolphe de Caraman): ج 1 / 52.
 كورتيس (Curtis، مُغامر إنجليزي): ج 1 / 300؛ ج 2 / 384-396.
 كوشمز (Cauchemez، ضابط فرنسي): ج 1 / 303؛ ج 2 / 352-365.
 الكدّاري (قائد): ج 1 / 279.
 الكندافي الطيب (قائد): ج 1 / 278.
 كوتش (Gautsch) (تاجر فرنسي): ج 2 / 393-395.
 كيلن، بير (Pierre Guillen): ج 2 / 106-395.

ل

- لاراس (Larras، ضابط فرنسي): ج 1 / 298.
 لحسن السكسيوي (قائد): ج 2 / 195.
 لحسن بن بوعزة (قائد): ج 2 / 275.
 لحسن بن محمد البخاري (طنجي): ج 2 / 112.
 لحسن ولد أزنّاك (من درعة): ج 2 / 70.
 لوطورنو، رُوجي (Roger Le Tourneau): ج 1 / 411-386-263.
 لُوفالوا (Cdt Levallois): ج 1 / 319-290-165؛ ج 2 / 336-333-310-19-18.
 ليدل هارت، ب - ه (Lidel Hart B-H): ج 1 / 125.
 لينارس، فرديناند (Linarès Ferdinand, Dr): ج 1 / 78؛ ج 2 / 314-308-303.
 لينز، أوسكار (Oscar Lenz, Dr): ج 2 / 402.

م

- مارتان (Cap. Martin): ج 1 / 274-272-165؛ ج 2 / 317.
 ماروا (Cap. Marois): ج 1 / 429-274-163.
 الماضي (قائد): ج 2 / 218.
 ماك لين، هاري (Mac Lean, Hany، ضابط إنجليزي): ج 2 / 321-320-300-322-395-394-393-392-390-386-359-323-322.
 ماك هوگ (Mc Hugh، مهندس إنجليزي): ج 2 / 332.
 ماكترى (Mackenzie، مُغامر إنجليزي): ج 1 / 300.
 المامون الزّراري (قائد الكيش): ج 1 / 391.
 المامون المراني (مولاي عسكري): ج 1 / 452.
 المامون بن مُحمد (مولاي، أمير): ج 2 / 210-80.
 مانجان (Cdt Manjin): ج 1 / 458-368-309-267؛ ج 2 / 318-153.
 مُبارك (قائد عسكري): ج 1 / 278.
 مُبارك (كبير "الروى"): ج 1 / 466.

- مُبارك الحاحي (أغا العسكر): ج 2/238.
- مُبارك أنفلوس الحاحي (قائد): ج 2/148-168.
- مبارك بن الحسن الرحماني (قائد): ج 2/74.
- مُبارك بن الشاوية الدليمي (قائد الرحي): ج 1/155.
- مُبارك بن الشَّلِيح الشراذي (قائد الكيش وعامل): ج 1/177-323-414-416.
- مُبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني (القائد الثائر): ج 1/407؛ ج 2/18-28-30-33-77-73-70-69-43-33.
- مُبارك بن حُمَّان الحمري (قائد الكيش): ج 1/423.
- المحاطي (قائد): ج 2/175.
- محبوب بن قاسم (قائد المشور): ج 2/323.
- المحجوب الكلاولي (قائد): ج 1/446-472؛ ج 2/147-148.
- المحجوب المطاعي (قائد عسكري): ج 1/278-326؛ ج 2/48-55.
- المحجوب بن بوعزة (قائد المسخرين): ج 1/141.
- محمد (قائد الكيش): ج 1/278؛ ج 2/76.
- محمد أجانا (محتسب): ج 1/338.
- محمد أجبغالف السلاوي (أمين): ج 1/294.
- محمد أحم الزباني (قائد): ج 1/286-457؛ ج 2/131-178-194.
- محمد أسعيد البيرأوي (قائد): ج 2/139.
- محمد أشريكان الرباطي (معلم طنجي): ج 2/110.
- مُحمد أعراب المجلدي العرفاوي (قائد): ج 1/402-403؛ ج 2/130-144-178.
- محمد البطاحي (أغا العسكر): ج 1/278-323-436.
- مُحمد التازي الفاسي (أمين): ج 1/294-295.
- محمد الجزيري (أغا العسكر): ج 1/255.
- مُحمد الحَدَّان أو الهَدَّان (قائد عسكري): ج 1/134-280.
- مُحمد الحريشي (أمين): ج 2/233.
- محمد الحضري (من تطوان): ج 1/85.

- محمد الرويّز (معلم بارودي): ج 2/369.
- مُحمد الزُّكَّاري (أمين): ج 2/12105-393.
- محمد الزواوي (من "حنطة الروى"): ج 1/280.
- مُحمد السحيمي الدكالي (قائد عسكري): ج 1/458.
- مُحمد السلاوي البُخاري (مخزني): ج 1/280.
- مُحمد الشاوي (قائد عسكري): ج 1/134-141؛ ج 2/140-254.
- محمد الشرقي (قائد الكيش): ج 1/402.
- مُحمد الصغير اليفري (المؤرخ): ج 1/283.
- محمد الطاهر بن الطيب برادة (أمين): ج 1/245.
- محمد العربي بن الهاشمي الدرقاوي (الشريف، مُرابط): ج 1/85-86؛ ج 2/102.
- محمد العربي بن عبد القادر المشرفي (المؤرخ): ج 1/49-147-149-234.
- محمد العُمَّاري: ج 2/105.
- محمد العُتَّاي (قائد): ج 1/248.
- مُحمد الفاسي أُمْرِبَط (مُجَنَّد): ج 1/251.
- مُحمد الفحصي (من طنجة): ج 1/460.
- مُحمد القروي (أغا العسكر): ج 1/255-334.
- مُحمد المفضل غريط (الوزير الصدر): ج 1/110؛ ج 2/254-392.
- مُحمد المكناسي (قائد الكيش): ج 1/467.
- مُحمد الممنون (Castro, don Miguel de) (مترجم): ج 2/334.
- مُحمد المُنْقَرِي الفاسي (من الموفدين إلى الخارج): ج 2/339.
- مُحمد الناصر (ال خليفة الموحيدي): ج 1/57.
- مُحمد أُمْنُو السوسي (أغا العسكر): ج 1/271-272-323-325-436.
- محمد بن إبراهيم السباعي: ج 2/23-154-349.
- مُحمد بن إبراهيم بن الطالب الهنتيفي (قائد وعامل): ج 1/264-420؛ ج 2/167-194-259.
- مُحمد بن إبراهيم فرج (عامل): ج 1/95.

- محمد بن أحمد البلغمي (معلم بارودي مخزني): ج 2/355.
- محمد بن أحمد التونسي (الخوجة، كبير العسكر): ج 1/255-323؛ ج 2/295.
- محمد بن أحمد الكدميوي (السي، عسكري): ج 1/436.
- محمد بن أحمد الرحماني (عسكري): ج 1/448.
- محمد بن أحمد الرزيني التطواني (تاجر وأمين): ج 1/233؛ ج 2/342-379.
- محمد بن أحمد الكروج (قائد): ج 1/220.
- محمد بن أحمد الصنهاجي: ج 1/108-213-338-356-358-432-437-451؛ ج 2/11-31-193.
- محمد بن أحمد المزايي: ج 1/294؛ ج 2/77-178-224.
- محمد بن أحمد المزميزي (قائد): ج 1/210؛ ج 2/175-189.
- محمد بن أحمد المكناسي (عون مخزني): ج 2/113.
- محمد بن أحمد بن الخضر السلأوي (عامل وحاجب): ج 1/121-122-124-139.
- محمد بن أحمد بن الطيب السرغيني (قائد): ج 1/50.
- محمد بن أحمد بن المودن السرغيني (قائد): ج 1/187؛ ج 2/176-178-194.
- محمد بن أحمد بن داود (باشا مراکش): ج 2/44.
- محمد بن أحمد داني (كاتب): ج 1/379.
- محمد بن أحمد زنيير (قائد عسكري): ج 1/326.
- محمد بن إدريس الجراري (قائد الكيش وعامل): ج 1/175.
- محمد بن إدريس العمرأوي (الكاتب الوزير): ج 1/95-161-232-235؛ ج 2/242.
- محمد بن التمار العبيدي (قائد): ج 2/43.
- محمد بن الجليلي بن الحفيان الفرايكي (قائد عسكري): ج 2/79.
- محمد بن الجليلي بوشنافة الجامعي (قائد الكيش وعامل): ج 1/174.
- محمد بن الجليلي بن القرشي (قائد): ج 2/240.
- محمد بن الحاج العثماني (قائد): ج 2/145.
- محمد بن الحسن (قائد): ج 1/413.
- محمد بن الحسن (مولاي، أمير): ج 1/218؛ ج 2/26-28-29-37-275.

- محمد بن الحسن الحجوي (الفقيه الوزير): ج 1/ 61-107-340-341-428؛
ج 2/ 160-370.
- محمد بن الحسن الحريلي (قائد الكيش): ج 1/ 280-326-423.
- محمد بن الحسن اليموري: ج 2/ 72.
- محمد بن الحسن گنون (أمين): ج 2/ 74.
- محمد بن الخليفة (قائد عسكري): ج 1/ 456.
- محمد بن الزبير التدلاوي (جُندي من مكناس): ج 1/ 251.
- محمد بن السائح (ناظر الأحباس): ج 1/ 408.
- محمد بن الشادلي (عامل): ج 2/ 134.
- محمد بن الشرقي الرحماني (قائد): ج 1/ 217.
- محمد بن الصديق (معلم بارودي مخزني): ج 2/ 355.
- محمد بن الطاهر الزبدي الرباطي (أمين): ج 2/ 383.
- محمد بن الطاهر المراني (نقيب الشرفاء): ج 1/ 39.
- محمد بن الطاهر المغفري العقيلي (قائد الكيش): ج 1/ 175.
- محمد بن الطاهر بن سليمان الرحماني (أخو الثائر): ج 2/ 72.
- محمد بن الطاهر بن علي الدليمي (قائد الكيش وعامل): ج 1/ 177؛ ج 2/ 195.
- محمد بن الطيب الدخييسي (قائد): ج 2/ 238.
- محمد بن الطيب بودلاحة (قائد الكيش): ج 1/ 144-176.
- محمد بن العباس الرحماني (قائد): ج 2/ 76.
- محمد بن العربي الجامعي (المدعو الصغير، وزير الحرب): ج 1/ 108-364-356-383-
424؛ ج 2/ 357-376.
- محمد بن العربي الجامعي (المدعو الكبير، الوزير الصدر): ج 1/ 108-364-383-396-
456؛ ج 2/ 311-403.
- محمد بن العربي الزيادي (قائد): ج 2/ 218-224.
- محمد بن العربي الطريس (النائب السلطاني): ج 1/ 86-111-112-113-429-434-
471؛ ج 2/ 16-254-391-392-393.

- محمد بن العربي النصيري (قائد): ج 1/ 221-222.
- محمد بن العربي بن حم (قائد عسكري): ج 1/ 134-278.
- محمد بن العربي بن خدة الثوري (قائد): ج 2/ 240.
- محمد بن العربي ولد الحمراء (قائد): ج 1/ 105.
- محمد بن العلام (قائد المشور): ج 1/ 141.
- محمد بن العواد (قائد الكيش): ج 1/ 139.
- محمد بن الغازي التكني (من الموفدين إلى الخارج): ج 1/ 432.
- محمد بن الغزواني بن زيدوح (قائد): ج 1/ 199.
- محمد بن الفقيه البُخاري (قائد الكيش وعامل): ج 1/ 253-433-451؛ ج 2/ 31.
- محمد بن الفكاك (قائد): ج 2/ 125.
- محمد بن المختار الجامعي (أغا العسكر): ج 1/ 323.
- محمد بن المدني بنيس (أمين الأمناء): ج 1/ 244-324-350؛ ج 2/ 383-397.
- محمد بن المفضل العراقي (تاجر): ج 1/ 376.
- محمد بن المهدي البوزراري (قائد): ج 1/ 210.
- محمد بن بلعيد الرداني (أمين): ج 2/ 47.
- محمد بن بوشعيب الخلفي (قائد): ج 1/ 210-461.
- محمد بن رشيد الحريري (قائد): ج 2/ 178.
- محمد بن سعيد السلاوي (عامل): ج 1/ 251-252-381-437؛ ج 2/ 112-201-326-294.
- محمد بن سعيد المكيدي (قائد): ج 2/ 144.
- محمد بن سليمان (قائد عسكري): ج 1/ 319.
- محمد بن شقرون الفاسي (أمين): ج 1/ 294؛ ج 2/ 74.
- محمد بن صالح (قائد): ج 2/ 178-209-241.
- محمد بن ظريف (قائد الكيش): ج 1/ 278.
- محمد بن عبد الرحمان التسماني (درس علوم الطب): ج 1/ 429.

- مُحمد بن عبد الرحمن (سيدي، السلطان العلوي): ج 1 / 40-41-54-67-75-96-104-122-123-129-137-139-140-141-142-147-148-161-149-173-183-188-189-191-206-224-229-230-240-243-244-253-324-323-317-316-314-313-275-265-264-263-262-260-254-331-361-376-379-389-400-406-431-436-440؛ ج 2 / 12-13-95-108-111-118-151-166-167-178-181-203-204-206-207-208-211-212-240-283-284-288-289-292-327-328-346-355-376-377-381-397-416-420-422.
- مُحمد بن عبد الرحمن أشعاش التطواني (عامل): ج 1 / 46-342-345؛ ج 2 / 99-166-280-286-342-343-344-345-375-379.
- محمد بن عبد الرحمن الفاسي (فقيه): ج 1 / 338.
- مَحْمَد بن عبد الرحمن القباچ (أمين): ج 1 / 182-470؛ ج 2 / 358.
- مَحْمَد بن عبد الرحمن برگاش (النائب السلطاني): ج 1 / 96-111-432؛ ج 2 / 14-300-309-312-383-387-388.
- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الفاسي (تاجر): ج 2 / 383.
- محمد بن عبد السلام المقرئ (الأمين والوزير): ج 1 / 83-457؛ ج 2 / 185-186-318-355-394-395.
- محمد بن عبد السلام بريشة (أمين): ج 2 / 183-384.
- محمد بن عبد السلام بن الخضر السلاوي (عامل): ج 2 / 227-228-253-254-347.
- مُحمد بن عبد القادر أشعاش (أمين): ج 1 / 363.
- محمد بن عبد القادر القُلَيْعِي (شيخ): ج 2 / 265.
- محمد بن عبد الكامل البوعزيزي الجامعي (قائد عسكري): ج 1 / 402.
- مُحمد بن عبد الكبير الكتاني (الشيخ): ج 1 / 80.
- مَحْمَد بن عبد الكريم التازي (النائب السلطاني): ج 1 / 83-356-359.
- محمد بن عبد الكريم الشيخ التازي (الأمين والوزير): ج 2 / 185-370-394.
- محمد بن عبد الله (أمين): ج 2 / 185.

- محمد بن عبد الله (سيدي، السلطان العلوي): ج 1/ 63-119-161-192-258-396؛
ج 2/ 105-375-405.
- محمد بن عبد الله (معلم بارودي مخزني): ج 2/ 356.
- محمد بن عبد الله البخاري (خليفة باشا فاس): ج 1/ 104-142-319-325؛
ج 2/ 93-110-113-295-383.
- محمد بن عبد الله الخطيب (النائب السلطاني): ج 1/ 40-111؛ ج 2/ 167.
- محمد بن عبد الله السعدي (المدعو المتوكل): ج 1/ 283.
- محمد بن عبد الله المراد (قائد): ج 1/ 196.
- محمد بن عبد الله ملاح السلاوي (كبير الطبجية): ج 1/ 46.
- محمد بن عبد المالك الريفي (قائد الكيش): ج 2/ 127.
- محمد بن عبد الهادي المنوني: ج 2/ 329.
- محمد بن عبد الهادي زنيير (أمين): ج 2/ 353.
- محمد بن عبد الواحد (كاتب): ج 1/ 425.
- محمد بن عزوز بنونة (أمين الداخل): ج 2/ 185-186-376.
- محمد بن علال السادني (من فاس): ج 1/ 85.
- محمد بن علي الحداد (من الموفدين إلى الخارج): ج 2/ 339.
- محمد بن عمر البحتري العبدني (قائد): ج 1/ 191-194-210؛ ج 2/ 178-246.
- محمد بن قاسم (قائد الكيش): ج 1/ 280.
- محمد بن قاسم مئون (قائد الكيش): ج 2/ 43-58-79.
- محمد بن قدور أبرودي البويفروري (قائد): ج 1/ 221.
- محمد بن كُرُّ الخَزَّانِي (قائد): ج 2/ 145.
- محمد بن مبارك المغافري (قائد الكيش): ج 1/ 426.
- محمد بن محمد السويسي (عامل): ج 1/ 306-402؛ ج 2/ 201-311-312-325-326.
- محمد بن محمد الكباص (الوزير): ج 1/ 92-424-429-445.
- محمد بن محمد الطالب بن سودة المُرِّي (فقيه): ج 1/ 421.

- مُحمَّد بن مَحْمَد المراني (الشريف): ج 1 / 111-327-369-403-406-415-430.
- مُحمَّد بن مَحْمَد برگاش (الحاج، ابن الخليفة السلطاني): ج 2 / 335-336-337-395-390-386.
- محمد بن محمد بن عبد العزيز الدكالي (معلم بارودي): ج 2 / 359.
- مُحمَّد بن مُحمَّد بنجلون (قاض): ج 1 / 95.
- مُحمَّد بن مصطفى الدكالي (تاجر): ج 2 / 383.
- مُحمَّد بن مصطفى المشرفي (المؤرخ): ج 2 / 23-328.
- محمد بن منصور المهداوي (عامل): ج 2 / 101.
- مَحْمَد بن موسى: ج 2 / 50.
- مَحْمَد بن يحيى الجديدي (عامل): ج 2 / 40-76.
- مُحمَّد بن يَطَّ الجامعي (قائد الكيش وعامل): ج 1 / 173-313.
- محمد بن يعيش (قائد المشور): ج 1 / 142-314.
- محمد بنأصر بن أحمد غنَّام (أمين): ج 1 / 393-394.
- محمد بناني (مهندس): ج 2 / 112.
- محمد بُوكَرَش (قائد الكيش): ج 1 / 280.
- محمد بوهيمة الدليمي (قائد الكيش): ج 2 / 97.
- مُحمَّد جسوس (صانع "شاشيات"): ج 1 / 351.
- مُحمَّد حصار (أمين): ج 1 / 363.
- مَحْمَد خنيشيش (قائد الكيش وعامل): ج 1 / 141.
- محمد عبده (الشيخ): ج 2 / 297.
- محمد علي (باشا مصر): ج 1 / 74-234.
- محمد فرحون الجراري (قائد الكيش): ج 1 / 175.
- محمد مَوَيْدَة (قائد عسكري): ج 1 / 279.
- محمد هارون التطواني (أمين): ج 1 / 103-294-295؛ ج 2 / 106.
- مُحمَّد وُطَّالِب اليوسي (قائد): ج 1 / 403؛ ج 2 / 136-137-178.
- مُحمَّد ولد أبَّ مَحْمَد الشرقي (باشا الكيش وعامل): ج 1 / 106-149-173-334.

- محمد ولد أبَّ محمد الشرقي (باشا الكيش وعامل): ج 1/174.
- محمد ويدة السوسي (عامل): ج 1/141-178-252-326؛ ج 2/38-39-40-41-43-252-189-175-121-60-54-50-45-44-43.
- المحمدي (قائد): ج 1/205.
- المختار الكرومي (قائد): ج 2/229.
- المختار المطيري (قائد): ج 1/221.
- المختار بن الطاهر الرغاي البُخاري (قائد الكيش و"مهندس"): ج 1/140-365؛ ج 2/112.
- المختار بن عبد الله (الفقيه والوزير الصدر): ج 1/142-162-470؛ ج 2/217-252.
- المختاري (لعله بنعيسى بن أحمد، قائد): ج 1/205.
- المدني بن محمد الكلاوي (قائد ووزير): ج 1/222؛ ج 2/18-84-175-194.
- ميرِّي كولوم، فرانسيסקو (Merry y Colom, Francisco، سفير إسبانيا): ج 2/95.
- المزوشي (قائد): ج 2/189.
- مشقة بن ضمرة المعيزي: ج 1/73.
- مصطفى التركي (أغا العسكر): ج 1/393.
- مصطفى الجزيري (أغا العسكر): ج 1/271-323؛ ج 2/295.
- مصطفى الدكالي (تاجر): ج 1/232-233-287؛ ج 2/383.
- مصطفى بن إبراهيم (أمين): ج 2/238.
- مصطفى بن إدريس بن يعيش (عامل): ج 1/83-84-85.
- مصطفى بن عبد القادر العلوي (قاض): ج 2/46.
- مصطفى جسوس (أمين): ج 1/302.
- المطاعي (قائد): ج 2/175.
- المعطي بن البرنوصي بن المليح الفاسي (أمين): ج 2/47.
- المعطي بن العربي الجامعي (الوزير): ج 1/385؛ ج 2/131-246-252.
- المعطي بن المحجوب الزراوي (قائد): ج 2/263.
- المعطي بن المزوار (قائد): ج 2/167.

- المعطي بن المنيعي (قائد): ج 1/105.
- المعطي بن سالم العوني (أمين قبيلة): ج 1/189.
- المعطي بن عبد الكبير المزامزي (قائد): ج 2/178-218.
- معينو (قائد عسكري): ج 1/252.
- المفضل محمد الرامي (مقدم ضريح مولاي إدريس بفاس): ج 1/421.
- المكي الدليمي (قائد الكيش): ج 1/279.
- المكي السرخيني (قائد العسكر): ج 2/51.
- المكي السلامي (شيخ قبيلة): ج 2/70.
- المكي الصبان (أمين): ج 2/217.
- المكي بن عبد السلام العرائشي (عامل): ج 1/396.
- المكي بن عبد الله (من تافيلالين): ج 2/16.
- المكي بن قصابة (معلم طبيجي): ج 2/325.
- المكي بن منصور (قائد عسكري): ج 1/278.
- المكي والزهرء (أمين): ج 1/168؛ ج 2/391.
- الملالي (قائد الكيش): ج 1/279.
- منسمان (Manesmann، تاجر ألماني): ج 1/295.
- منصور التكني (قائد الكيش): ج 1/413.
- منصور بن إبراهيم (ضابط صف فرنسي): ج 2/303.
- المنيعي (قائد): ج 1/222.
- المهدي الجراري (قائد الكيش): ج 1/401-402.
- المهدي بن العباس الزبيري الرحماني (قائد): ج 1/468.
- المهدي بن العربي المنبهي (الوزير): ج 1/80-82-142-179-180-280؛ ج 2/45-60-76-370-395.
- المهدي بن بوعزة المشاوري (قائد الكيش): ج 1/140.
- المهدي بن محمد الشراذي (مرابط): ج 1/46-391؛ ج 2/11-166-205.
- المهلب بن أبي صُفرة: ج 2/278.

- مروح أومو ح (قائد عسكري طبجي): ج 1/ 280-322.
 موسى (الحاج) (قائد): ج 2/ 245.
 موسى بن أحمد البخاري (الحاجب): ج 1/ 41-104-105-141-144-152-240-
 251-326-376-391-404-407-418-476؛ ج 2/ 93-98-110-
 125-157-258-289-296-307-332-350-383.
 موشان (Mauchamp, dr): ج 2/ 299.
 المومني (لعله أحمد، القائد العسكري والعامل): ج 1/ 278-326.
 ميسوم (ضابط صف فرنسي): ج 1/ 281.
 ميشو - بلير، إدموند (Michaux - Bellaire, Edmond): ج 1/ 190-198.
 ميلود التكني (قائد الكيش): ج 1/ 279.
 الميلودي المديوني (قائد): ج 2/ 241.
 ميج، جان - لويس (Jean - Luis Miège): ج 1/ 159-262.

ن

- نابليون، بونابارت (Napoléon Bonaparte): ج 1/ 51-147.
 الناجم بن مبارك الخصاصي (قائد عسكري): ج 1/ 326.
 ناصر بن عبد الرحمان التُّكَّاني (قائد عسكري): ج 1/ 279.
 الناصري، أحمد بن خالد السلوي: ج 1/ 44-175-247-282-362-439-440-
 441؛ ج 2/ 100-276-406.
 النصيري (قائد): ج 1/ 391.
 نوطاري، باتيستا (Notari Battista): ج 2/ 351-354.



- الهاشمي بن قدور الزمراني (قائد): ج 1/ 217؛ ج 2/ 160.
 الهاشمي الزمراني (قائد الرحي): ج 1/ 457.
 الهاشمي العبدى البحتري (قائد الكيش): ج 1/ 423.

هاسنر (Haessner، تاجر ألماني): ج 2/395-397.
هَدَّي بن العربي الحمري (قائد): ج 2/142.
هَوَّاش أو حَوَّاش (قائد عسكري): ج 1/134-278.

و

الوريكي (قائد): ج 2/175-189.
الورياغلي (قائد): ج 2/15.
الولدي (قائد): ج 2/218.
وايت، هربرت (Herbert White، القنصل الإنجليزي بطنجة): ج 2/332.
ولد الجليلي بن بناصر الودي (من الرباط): ج 1/296.
ولد الحسن الدراوي (متمرد): ج 2/18.
ولد السي لحسن التگاني (قائد عسكري): ج 1/279.
ولد العسولي (قائد): ج 2/40.
ولد العتري (قائد): ج 2/218.
ولد الغوات (متمرد): ج 2/72-73.
ولد بيروك التكني (قائد الغيش): ج 2/86.
ولد بن حمليج (ولعله بن حمليش، قائد): ج 1/425.
ولد سي عيسى (قائد الغيش): ج 1/280.
ولد ملين الرباطي: ج 1/296.
ولد الهاشمي التلمسي (ثائر): ج 2/35.

ي

اليزيد (شريف من تادلة): ج 1/444.
يحيى الدليمي (قائد الغيش): ج 1/280.
يرعاه السباعي (قائد عسكري): ج 1/279.
يعقوب أحنَّا المكناسي تاجر من مكناس): ج 1/375.

- يعقوب المنصور (ال خليفة الموحدى): ج 1 / 143.
يعقوب المنصور (السلطان المرينى): ج 1 / 282.
يعقوب بن الجيلاني (قائد الكيش): ج 1 / 140.
يغمرسان بن زيان: ج 1 / 282.
يوسف بن بدر الدين المدني (مبعوث تركي): ج 2 / 286.
يوسف بن علي البورزوني (قائد): ج 1 / 221.

1

- ١٩٤/٢ ج ١٤٩؛ ج ١٩٤.
 ١٦٦/٢ ج ١٦٦.
 ١٤٣/٢ ج ١٤٣.
 ١٤٩/١ ج ١٤٩.
 ٣٥٨/١ ج ٣٥٨.
 ٤١٢-٣٨٨-٣٨٦-٣٣٢-١٥٧-١٥٢/١ ج ٤١٢-٣٨٨-٣٨٦-٣٣٢-١٥٧-١٥٢.
 ٣٨٦/١ ج ٣٨٦.
 ١٤٩/١ ج ١٤٩.
 ٩/٢ ج ٩.
 ٩/٢ ج ٩.
 ١٩٤-١٢٣/٢ ج ١٩٤-١٢٣.
 ٣٥٨-٣٢٤/١ ج ٣٥٨-٣٢٤.
 ٦١/٢ ج ٦١.
 ١١١/١ ج ١١١.
 ١٤٣/٢ ج ١٤٣.
 ٤٢٢-٤١٨-٣٨٧-٣٣٢-١٨٣-١٦٩-١٥٧-١٥٢-٤٨/١ ج ٤٢٢-٤١٨-٣٨٧-٣٣٢-١٨٣-١٦٩-١٥٧-١٥٢-٤٨.
 ٤٨٢-٤٤٣ ج ٤٨٢.
 ١٨٦-١٠٧/١ ج ١٨٦-١٠٧.
 ١٥٢/١ ج ١٥٢.
 ٢١٥-٢٠١/١ ج ٢١٥-٢٠١.
 ٢١٩-١٤٩/١ ج ٢١٩-١٤٩.

- أشتوكة (گیش بقصبة مراکش): ج 1/ 152-153.
- أشراكة (گیش): ج 1/ 48-82-110-143-147-148-149-155-170-173-276-278-224-141 ج 2/ 441-437-332-313-280-279-278.
- اصبوية (من أيت باعمران): ج 2/ 143.
- أعراب الرباط: ج 1/ 286 ج 2/ 118-148-217-224-270.
- أعراب سايس: ج 1/ 105-221-249 ج 2/ 238-260.
- أغبالة (گیش تادلة): ج 1/ 279.
- إقدارن (من بني مطير): ج 1/ 448-464.
- الأنجرة: ج 1/ 70-110-221 ج 2/ 343.
- إندوزال (گیش بقصبة مراکش): ج 1/ 152.
- أهل أسرير (گیش قصبة مراکش): ج 1/ 153.
- أهل الريف (گیش بفاس): ج 1/ 152-386-412.
- أهل الساحل (بسوس): ج 2/ 143.
- أهل سوس (بأزغار): ج 1/ 414-437.
- أهل سوس (قصبة الأوداية بالرباط): ج 1/ 150-155-227-277-467.
- أهل سوس (بفاس الجديد): ج 1/ 157-387-388-419.
- أهل سوس (قصبة المنشية بمراكش): ج 1/ 46-147-148-152-170-183-278-280-409-413-416-423 ج 2/ 38-48-266-268.
- أهل الصويرة (گیش): ج 1/ 224.
- الأوداية (گیش): ج 1/ 44-45-48-51-110-120-121-144-147-148-149-150-155-160-170-175-176-277-278-279-280-409-426-466 ج 2/ 11-141-205-206-224-283-317.
- الأولاد (من الشاوية): ج 2/ 224.
- أنجاد أو أنگاد (القبيلة أو الجبال): ج 1/ 67-220-366 ج 2/ 31-232-252-266-304.
- أولاد بن عليل: ج 2/ 397.

- أولاد بن لعقيد أو لعقيد (من الرحامنة): ج 2/ 57.
- أولاد بن يعيش: ج 1/ 412.
- أولاد بوبكر (من الرحامنة): ج 2/ 69.
- أولاد بوزرارة (من دكالة): ج 1/ 204-210-335-465، ج 2/ 76-130-167-263.
- أولاد بوزيري (من الشاوية): ج 1/ 204-465.
- أولاد بوعزيز (من دكالة): ج 1/ 322، ج 2/ 130.
- أولاد تخيل (من الحياينة): ج 1/ 109-210.
- أولاد الجرن أو الكرن (من الرحامنة): ج 2/ 39.
- أولاد جامع (گیش): ج 1/ 48-143-147-148-149-155-170-173-313-332، ج 2/ 141-158.
- أولاد جران (من سُفيان): ج 1/ 198.
- أولاد جَلَّال (من سُفيان): ج 1/ 198.
- أولاد الحاج (ناحية فاس): ج 1/ 82-85-418، ج 2/ 283.
- أولاد حُدُو (من مديونة): ج 1/ 472.
- أولاد حريز (من الرحامنة): ج 2/ 69.
- أولاد حريز (من الشاوية): ج 2/ 130.
- أولاد خليفة (ناحية وجدة): ج 1/ 178، ج 2/ 38.
- أولاد دريس (گیش فاس): ج 1/ 150-152-157-167-332-387-418-443-454.
- أولاد دليم (گیش): ج 1/ 48-150-151-155-159-169-175-177-178-183-، ج 2/ 27-28-48-132-141.
- أولاد زيان: ج 1/ 220.
- أولاد زيد (من عبدة): ج 2/ 74.
- أولاد أبي السبع (ناحية مراكش): ج 2/ 36-165.
- أولاد سيدي حجاج (من الشاوية): ج 1/ 253.
- أولاد سيدي علي الكومي (گیش): ج 1/ 280.
- أولاد عاجة (من الحياينة): ج 2/ 266.

- أولاد عبد الله (من أولاد دريس بمراكش): ج 1/ 455.
- أولاد عليان (من الحياينة): ج 2/ 266.
- أولاد عمران (من الحياينة): ج 1/ 96.
- أولاد عمران (دكالة): ج 1/ 210؛ ج 2/ 1301-1461.
- أولاد عمرو (من دكالة): ج 1/ 210-461؛ ج 2/ 130.
- أولاد غنية (من الحياينة): ج 1/ 96.
- أولاد فرج (من دكالة): ج 2/ 167-76.
- أولاد لحسن (من عبدة): ج 2/ 74.
- أولاد محمد (من الشاوية): ج 2/ 224.
- أولاد المستاري (بأسفي): ج
- أولاد مطاع (ناحية مراكش): ج 2/ 49.
- أولاد منصور (ناحية عجرود): ج 2/ 137.
- أولاد نصير (أعراب ناحية مكناس): ج 1/ 105-221-224؛ ج 2/ 204-224.
- أولاد نصير (گيش بأحواز مراكش): ج 1/ 422.
- أولاد نعيم (بني أحسن): ج 2/ 240.
- أولاد يحيى (من بني أحسن): ج 1/ 205؛ ج 2/ 193.
- أولاد يحميا (گيش بقصبة مراكش): ج 1/ 152-153-178.
- أولاد يحيى (من هواره سوس): ج 2/ 145.
- أولاد يعلى (ناحية مراكش): ج 2/ 49.
- أيت أبريم (من سوس): ج 2/ 142.
- أيت إخلف (من أيت باعمران): ج 2/ 142.
- أيت إدراسن أو بني مطير: ج 1/ 43-221-265-300-308-382-464؛ ج 2/ 141-149-187-188-191-193-197-224-323-400.
- أيت إزدگ: ج 2/ 19-76-135.
- أيت إسحاق (القبيلة وگيشها): ج 1/ 146-221-222-457.
- أيت أسعيد (الأطلس المتوسط): ج 2/ 140.

- أيت إَعْبَلُّ (من أيت باعمران): ج 2/ 142.
- أيت أَعْتَاب: ج 1/ 187-264؛ ج 2/ 167-176-259.
- أيت أم البخت (الأطلس المتوسط): ج 2/ 140.
- أيت أُمْنَاصَف (من بني مكيلد): ج 2/ 130.
- أيت باعمران: ج 2/ 119.
- أيت بوزيد: ج 2/ 217.
- أيت حلي (الأطلس المتوسط): ج 2/ 145-146.
- أيت الخمس (من أيت باعمران): ج 2/ 143.
- أيت خباش (گيش بتافيالات): ج 1/ 146.
- أيت الرُّبْع (القبيلة أو گيشها): ج 1/ 146-155؛ ج 2/ 141-163-217-256-266.
- أيت سَعْرُوشَن: ج 2/ 266.
- أيت شخمان: ج 1/ 107-186-214-273-308-327؛ ج 2/ 131-163-207.
- أيت عبد اللولي: ج 2/ 140.
- أيت عبدي (من بني مكيلد): ج 2/ 129-137.
- أيت عطة أَمَالو (گيش): ج 2/ 217.
- أيت عياش (القبيلة أو گيشها): ج 1/ 146؛ ج 2/ 89-137.
- أيت گطيف: ج 2/ 140.
- أيت مُحَ: ج 2/ 140.
- أيت مرغاد: ج 2/ 135.
- أيت النصف (من أيت باعمران): ج 2/ 143.
- أيت هودي: ج 2/ 140.
- أيت وَلَّال: ج 2/ 89.
- أيت يسري: ج 1/ 214.
- أيت يفلمان: ج 1/ 327؛ ج 2/ 136-137.
- أيت يَمور (القبيلة وگيشها): ج 1/ 146-224؛ ج 2/ 28-141.
- أيت يوسي: ج 1/ 222؛ ج 2/ 19-136-141-177-187-188-224-283.
- إينولتان، أو ولتانة: ج 1/ 264؛ ج 2/ 74-194-217.

ب

- الْبَجَّان (من سُفَيان): ج 1/ 197-198.
- الْبَحَاترة (من عبدة): ج 2/ 48-246.
- الْبَحانة (ناحية وجدة): ج 1/ 178؛ ج 2/ 38.
- البرانس: ج 1/ 253؛ ج 2/ 159-232-250.
- البطاطحة: ج 1/ 278.
- بقيوة: ج 1/ 100؛ ج 2/ 11-248.
- الْبُكَارة (من الرحامنة): ج 2/ 69.
- البهاليل: ج 2/ 188.
- بني أحسن: ج 1/ 111-120-145-186-214-316-321-223-408؛ ج 2/ 90-93-118-149-167-193-206-224-240-260-275-387.
- بني أحمد (جبالة): ج 1/ 85.
- بني أيمان (من الشاوية): ج 2/ 224.
- بني بُوزْگُؤوا (ناحية وجدة): ج 2/ 229-266.
- بني بوزيد: ج 1/ 187-264.
- بني بوقيطون (ناحية تازة): ج 1/ 452؛ ج 2/ 126-283.
- بوغافر: ج 2/ 30.
- بني بوفروور (بالريف): ج 2/ 30.
- بني ثور (بني أحسن): ج 2/ 240.
- بني حُكَم (من زمور): ج 2/ 204.
- بني زروال (جبالة): ج 1/ 219؛ ج 2/ 25-204.
- بني زمور (من تادلة): ج 2/ 79.
- بني سادن: ج 1/ 222؛ ج 2/ 89-159-188-266.
- بني سنوس (من أشراغة): ج 1/ 148.
- بني شجدال أو شكدال (من تادلة): ج 2/ 266.
- بني شيكر (بالريف): ج 2/ 30.

- بني عامر (گیش أشرأگة): ج 1/ 148-256.
- بني عبد الواد: ج 1/ 282.
- بني عمرو (من زمور): ج 2/ 275.
- بني عمير (من تادلة): ج 1/ 257-436؛ ج 2/ 13-217-266.
- بني فشات (المغرب الشرقي): ج 2/ 38.
- بني كزوة (من إداؤكلول): ج 1/ 446.
- بني مالك: ج 1/ 110-111؛ ج 2/ 224-260-283.
- بني مزغلدة: ج 2/ 266.
- بني مساط (إينولتان): ج 2/ 259.
- بني مستارة (جبالة): ج 1/ 38.
- بني مصور (جبالة): ج 1/ 108-110.
- بني معقل: ج 1/ 149-150.
- بني مگیلد: ج 1/ 103-107-186-214-327-475؛ ج 2/ 129-130-138-141-263-207-195-190-163-149-144.
- بني مسكين (من الشاوية): ج 2/ 64-214-217-224.
- بني معدان (گیش بتادلة): ج 1/ 145.
- بني ملال (گیش): ج 1/ 145؛ ج 2/ 217.
- بني موسى (بتادلة): ج 1/ 196-198-199-220-436؛ ج 2/ 13-217.
- بني هلال: ج 1/ 143.
- بني وُجُكَل (المغرب الشرقي): ج 1/ 178؛ ج 2/ 38.
- بني وراغ (ناحية وجدة): ج 1/ 178؛ ج 2/ 38.
- بني وراين: ج 2/ 188.
- بني ورياغل: ج 2/ 188.
- بني وکیل (ناحية وجدة): ج 1/ 178؛ ج 2/ 38.
- بني يازغة: ج 1/ 210-222؛ ج 2/ 188.
- بني يدیر (جبالة): ج 1/ 110.

بني يخلف (من دكالة): ج 2/ 76.
 بني يزناسن (القبيلة أو المجال): ج 1/ 440، ج 2/ 31-105-107-159-220-229-
 232-252-266-280-284-290.
 بني يطفت: ج 2/ 11.

ت

التسول، أو الدسول: ج 1/ 109-253، ج 2/ 31-159-211-232-250-266.
 تدرارة (حوز مراکش): ج 1/ 178.
 تكنة (القبيلة أو كيشها): ج 1/ 150-151-155-159-169-183-415-426-463، ج
 2/ 84-125.
 تڭانة: ج 1/ 178-279، ج 2/ 28-61-70-74-129.

ج

الجاية (جباله): ج 1/ 219.
 جباله: ج 1/ 97-111-284-408، ج 2/ 26-93-204-223-232.
 جروان أو گروان: ج 1/ 43-51-221-222، ج 2/ 177-188-205-207-224-283.
 جشم (من الخلط): ج 1/ 150.

ح

الحجاجة (من سُفيان): ج 1/ 198.
 الحرار (كيش بقصبة مراکش): ج 1/ 153.
 الحوزية (من دكالة): ج 2/ 130.
 الحياينة: ج 1/ 79-96-109-196-210-220-458، ج 2/ 89-118-159-167-
 177-224-266-283.
 حاحا أو حاحة: ج 1/ 97-144-192-193-194-218-223-278-331-472،
 ج 2/ 84-94-131-141-149-176-206-211-248-266.

حُدَّارَن (من زمور): ج 2/ 204.
 حرييل (القبيلة أو جيشها): ج 1/ 28-48-145-178-183، ج 2/ 141-423.
 حصين (من بني أحسن): ج 2/ 275.
 حميان (من اشراكة): ج 1/ 148.
 حَمِيرَ أو أحمر (القبيلة أو جيشها): ج 1/ 162-218-389-423، ج 2/ 27-28-36-48-176-175-142-84-49-48.

خ

الأخصاص (من أيت باعمران): ج 2/ 142.
 الخزازرة (من الشاوية): ج 2/ 224.
 الخلط (جيش): ج 1/ 111-123-150-190-276-408، ج 2/ 167-377.
 الخوارج (الفرقة الإسلامية): ج 2/ 278.
 الخوالقة (من حمير): ج 2/ 61.

د

دخيسة (القبيلة و جيشها): ج 1/ 105-422، ج 2/ 204-224.
 الدُّعْمَة (أعراب الرباط): ج 2/ 224.
 دُكَّالَة: ج 1/ 210-278-402-465، ج 2/ 26-34-35-61-90-130-141-167-169-263-260-205-202-183-175-169.
 دمسيرة: ج 1/ 415.
 دمنات: ج 1/ 153.
 الدوائر (قبيلة بالمغرب الأوسط): ج 1/ 47.
 الدولة الإدريسية أو الأدارسة: ج 1/ 408، ج 2/ 348.
 الدولة السعدية أو السعديون: ج 1/ 42-62-143-150-258-259-283-409، ج 2/ 274.
 الدولة العلوية أو العلويون: ج 1/ 143-408-409.

الدولة المرابطية، أو المرباطون: ج 1/ 57-59-258-259.
الدولة المرينية أو المرينيون: ج 1/ 282-409؛ ج 2/ 348.
الدولة الموحدية أو الموحدون: ج 1/ 57-59-258-259.
دويران: ج 1/ 178-415؛ ج 2/ 49-175.
دوي منيع (ناحية مكناس): ج 1/ 105-214؛ ج 2/ 204.

ر

الرَّحَّالَة (گیش بقصبة مراکش): ج 1/ 152-153.
الرحامنة: ج 1/ 146-279-389-407؛ ج 2/ 11-18-23-24-26-27-28-30-33-36-38-39-43-44-45-47-48-53-55-57-59-60-61-63-64-65-66-69-70-74-76-77-84-175-176-209-240-241-260-278-419.
الرحامنة (ناحية العرائش): ج 2/ 377.
رُبَيْعَة (من عبدة): ج 1/ 248.
رغیوة (من جبالة): ج 1/ 99-220؛ ج 2/ 188.
الروگة (من سُفيان): ج 1/ 198.
الرويشات (من سُفيان): ج 1/ 198.

ز

الزبیرات (من سُفيان): ج 1/ 198.
زرارة (گیش): ج 1/ 48-150-151-155-159-410.
الزراھنة: ج 1/ 104-214-278؛ ج 2/ 259-265.
زعير: ج 1/ 99-225-286-290-300؛ ج 2/ 149-210-211-217-387.
الزَّكَّارَة (ناحية وجدة): ج 2/ 266.
الزكاورة (من مديونة): ج 1/ 472.
الزَّمَّالَة (بالجزائر): ج 1/ 47.

زمران (القبيلة أو غيشها): ج 1/ 153-217-279، ج 2/ 27-28-40-74-175-176-241-248.

الزمراني (فرقة من عبيد البخاري): ج 1/ 412.

زمور الشلح: ج 1/ 186-224-300-308-327، ج 2/ 65-167-177-187-204-206-207-208-211-266-275-283-313-387.

زنانة: ج 2/ 266.

زناكة ويسلسات (من الأطلس الكبير الأوسط): ج 1/ 222.

زناكة (من هنتيفة): ج 2/ 257.

زيان: ج 1/ 43-279-300-308، ج 2/ 141-177.

الزرايدة (من الشاوية): ج 2/ 266.

س

السجع أو الشجع (ناحية فاس): ج 1/ 148-321.

السجع أو الشجع (قصبنة مراکش): ج 2/ 38-229-230-232.

السجع أو الشجع (ناحية وجدة): ج 1/ 178.

السراغنة: ج 1/ 187-278، ج 2/ 27-28-40-50-84-175-206-209-214-217-240-241-242-248-260.

سريف (جباله): ج 1/ 38.

سعادة (گیش عبيد البخاري): ج 1/ 412.

سعود (گیش عبيد البخاري): ج 1/ 412.

سفيان: ج 1/ 111-150-197-198-210، ج 2/ 224-260-283.

سكساوة: ج 1/ 178، ج 2/ 49-175.

سگتانة: ج 1/ 178.

سلام الغرابية (من الرحامنة): ج 2/ 70.

السماعلة (من تادلة): ج 2/ 78-79.

سمگت أو أيت سمگت (القبيلة وگيشها): ج 1/ 145-152-153.

سَنَدَالَة (گیش بقصبة مراکش): ج 1/ 152.
السهول: ج 2/ 266-275.

ش

الشاوية: ج 1/ 208-254-276-279-293-425-430-442-452-475، ج 2/ 26-
64-78-83-90-130-141-169-171-175-176-183-202-218-223-
240-260-318-387.
الشبانات (گیش): ج 1/ 48-150-151-153-155-157-159-410.
الشراردة (گیش): ج 1/ 110-120-144-145-147-148-150-151-155-156-
157-159-160-161-170-177-278-279-280-332-409-441-453-
465، ج 2/ 118-141-224-261-308-309-317.
شقيرن: ج 1/ 43-214، ج 2/ 119-177-283.
الشهاونة (من حمير): ج 2/ 61.
السياظمة: ج 1/ 192-331، ج 2/ 9-26-35-84-132-141-149-175.
السياظمة (من دكالة): ج 2/ 205.

ص

الصفافعة (من بني أحسن): ج 1/ 205-214، ج 2/ 240-275.
صنهاجة (جباله): ج 2/ 266.

ط

الطليق أو الطليگ (گیش): ج 1/ 111-123-190-408، ج 2/ 167.

ع

عامر (من بني أحسن): ج 2/ 275.
عامر (گیش الشراردة): ج 1/ 150-159، ج 2/ 169-415.

- عامر (من عبدة): ج 2/ 48.
- عبدة (القبيلة وگیشها): ج 1/ 146-162-191-210-218-280-389-390-423، ج 2/ 26-36-48-175-176-183-246-260.
- عبید البُخاري (گیش): ج 1/ 48-51-62-118-120-121-122-123-124-125-129-131-132-134-135-136-137-138-139-147-148-151-155-157-170-183-185-187-188-224-241-266-275-277-278-279-280-281-316-319-320-321-332-341-345-386-397-408-412-419-421-434-436-463، ج 2/ 94-141-166-181-204-282-283-291-295-413.
- عبید الزنقة (من عبید البُخاري): ج 1/ 412.
- العثامنة (ناحية مراکش): ج 1/ 178.
- العونات (من دكالة): ج 2/ 130.

غ

- غجدامة: ج 1/ 61-278.
- عُمارة: ج 1/ 364، ج 2/ 266.
- الغوائم (من دُكالة): ج 2/ 61.
- غجدامة: ج 1/ 61-278.
- غياثة: ج 1/ 106-107-186-253-283-437-439-451، ج 2/ 31-32-126-157-159-160-206-211-232-247-374.
- غياغية: ج 1/ 178-415، ج 2/ 12-111.

ف

- الفرجان (من حمير): ج 2/ 84.
- فروگة: ج 1/ 178، ج 2/ 49-84.
- فشتالة: ج 1/ 149.

الفضول بوزعنون: ج 1/ 198.
القطانسة (من حِمَيْر): ج 2/ 61.
فطواكة: ج 2/ 61.

ق

القِبْلَة (گیش بقصبة مراکش): ج 1/ 153.

ك

كبدانة: ج 2/ 232-266.
الْكُرْغُلِيَّة (جنود أتراك بالجزائر): ج 1/ 47.
گدمیوة (الأطلس الكبير): ج 1/ 206-210-278-415؛ ج 2/ 84-130.
گسيمة (گیش): ج 1/ 145-409.
گطیوة (القبيلة وگیشها): ج 1/ 152؛ ج 2/ 74.
گطَّايَة (گیش بتادلة): ج 1/ 145.
گلأوة (گیش): ج 2/ 54-160.
گلعية: ج 2/ 31-122-223-232.
گندافة: ج 1/ 278.
الگوآرم (من عبيد البُخاري): ج 1/ 412.

ل

لخماملة (من سفيان): ج 1/ 198.
لَمْطَة (ناحية فاس): ج 1/ 149.

م

متوگة: ج 1/ 278؛ ج 2/ 248.
متیوة (جباله): ج 2/ 93.

- بجاط (بسوس): ج 2/ 142.
- مَجَاط (ناحية مراكش): ج 2/ 49-84.
- بجاط (گیش بناحية مكناس): ج 1/ 146؛ ج 2/ 283.
- مُختار (من بني أحسن): ج 1/ 210-321.
- المحاميد (گیش بقصبة مراكش): ج 1/ 153.
- المدارعة (من الشياظمة): ج 2/ 9.
- مديونة: ج 1/ 208-220-472؛ ج 2/ 88-130.
- الْمَرَّاطِين (من زَيَّان): ج 1/ 465.
- مرنيسة (جبالة): ج 1/ 219.
- المراب (من الشاوية): ج 2/ 78-79-241.
- مَرْوُجَة (من قلعية): ج 1/ 305؛ ج 2/ 231.
- مزوضة (ناحية مراكش): ج 2/ 49-175-248.
- مزيان (من جبالة): ج 1/ 99-220؛ ج 2/ 188.
- مسفوية: ج 1/ 217-278-415؛ ج 2/ 26-27-28-61-74-84-175.
- مسكينة (گیش): ج 1/ 145-409.
- المصباح (من حمير): ج 2/ 61.
- المطالسة (جبالة): ج 2/ 247.
- المغافرة (گیش): ج 1/ 48-144-150-176-224-277-426؛ ج 2/ 48.
- المقاديد (بني أحسن): ج 2/ 240.
- المناهمة (القبيلة وگيشها): ج 1/ 145-152-153-155-162-178-179-278-423؛ ج 2/ 141-48-28-27.
- المهاية (المغرب الشرقي): ج 1/ 220؛ ج 2/ 31-232-266.
- مغران أو إمغران: ج 1/ 222.
- مكناسة (ناحية تازة): ج 1/ 253-278-452؛ ج 2/ 31.
- المناصرة (من سفيان): ج 1/ 198.
- مُتَّاگَة (گیش بقصبة مراكش): ج 1/ 152.

موساوة (ناحية زرهون): ج 1/ 104.

ن

الانكشارية: ج 1/ 53.

النعايسة (من بني أحسن): ج 2/ 161.

هـ

!

هسكورة: ج 1/ 222.

هشتوكة (بسوس): ج 2/ 76.

هشتوكة (بدكالة): ج 2/ 205.

هنتيفة أو انتيفة (القبيلة أو المحال): ج 1/ 264-278-279؛ ج 2/ 176-194-209-

257-217.

هُوَّارة (الأحلاف، ناحية تازة): ج 1/ 253-451؛ ج 2/ 31-159-229-283.

هُوَّارة الحجر (جباله): ج 1/ 99-220؛ ج 2/ 188-250.

هواره (بسوس): ج 2/ 145.

هُوَّارة (گیش بقصبة مراکش): ج 1/ 152-153.

هواره (المغرب الشرقي): ج 2/ 232.

هُوَّارة الوطا (جباله): ج 1/ 99-220-221؛ ج 2/ 188-250-251-266.

و

وادراس (ناحية تطوان): ج 1/ 110.

ورديغة (بتادلة): ج 1/ 108؛ ج 2/ 78.

وريكة: ج 1/ 415؛ ج 2/ 13.

أسماء الأماكن

أ

- أبزو (أنتيفة أو هنتيفة): ج 2 / 218.
- ابن رابح (الزيادة): ج 2 / 224.
- ابن رشيد أو برشد: ج 2 / 214.
- ابن صالح: ج 2 / 16.
- أبو الجعد: ج 2 / 73.
- احسايين (مرسى بالريف): ج 1 / 305.
- أحولي ("بلاد" بضاحية مراکش): ج 1 / 423.
- أزرو (البلدة أو قصبته): ج 1 / 402-103.
- أبزو (هنتيفة): ج 1 / 141؛ ج 2 / 144-124-119.
- أزغار: ج 1 / 149-147-122-151-155-156-159-169-175-177-276-277-408-409-414-416؛ ج 2 / 205-261.
- أزمور: ج 1 / 456-442؛ ج 2 / 34-35-36-49-69-175-186.
- إسبانيا (أو الإسبان، أو الإصبان، أو الإيبانيون، أو الإيبيريون): ج 1 / 52-55-58-60-69-242-243-251-260-266؛ ج 2 / 153-280-281-288-289-312-336-337-346-386-424.
- آسيا: ج 1 / 64-77.
- إسطنبول أو القسطنطينية: ج 1 / 236.

- أسفي: ج 1 / 208-294-297-352-354-379-442؛ ج 2 / 54-74-99-110-
393-327-205-115-113.
- أسكحور (ناحية مراکش): ج 1 / 416.
- أصيلة: ج 1 / 113-141-147-297؛ ج 2 / 99-104-109-114-115-270.
- أعليل (بمجال بني مگيلد): ج 1 / 190-193.
- أغاطيم (ناحية مراکش): ج 1 / 415.
- إفريقيا السوداء، أو بلاد السودان، أو العالم الزنجي: ج 1 / 58-64-77-259؛
ج 2 / 302.
- إفريقيا الشمالية، أو المغرب العربي، أو المغاريون: ج 1 / 66-85؛ ج 2 / 404.
- أكروز (ساحة بأسفي): ج 1 / 379.
- أكادير (المدينة، أو كيشها، أو الإدالة بها: ج 1 / 153-409؛ ج 2 / 124-133-149-
168.
- أگفأي (ساقية ببلاد سعادة): ج 1 / 422.
- أگلو: ج 2 / 143.
- أگوراي (بمجال بني مطير): ج 1 / 265.
- أم أجنبية (بثراب أيت جلي): ج 2 / 146.
- أمريكا الشمالية: ج 1 / 64.
- إنجلترا أو المملكة المتحدة أو بريطانيا العظمى، أو الإنجليزيون أو البريطانيون: ج 1 /
52-57-64-68-69-70-77-96-242-260-300؛ ج 2 / 103-288-289-
290-319-331-333-336-337-350-361-386-390-422-
423-424.
- أوربا، بر الروم، بر النصرى، الدول الأوربية، الأوربيون، الفرنج: ج 1 / 19-35-
36-40-41-55-57-58-60-62-63-64-65-69-72-73-75-76-88-89-

-299 -289 -283-275-266-260-238-235-232-205-160-124-117-94
 -277-153-100-98 /2 ج 429-428-379-348-340-337-319-302
 -330 -328-327-322-319-314-306-297-293-290-288-281-279
 -389 -385-383-378-377-375-369-350-343-340-336-333-331
 .242-422-414-412-411-410-406-405

أوطاط: ج 2 / 119.

أيت سعادة (بلاد أو ساقية بضاحية مراکش): ج 1 / 424-423-422-416
 إيسلي (الوقعة أو الوادي): ج 1 / 330-229-125-107-89-75-67-53 ج 2 / 115
 -290-289-288-286-285 -284-280-279-276-274-273-212-207
 .422-413-380-375-327-293

إيسن (Essen): ج 1 / 403-334-105
 إيطاليا، أو الإيطاليون: ج 1 / 365-303-140-87-85-84 ج 2 / 337-336-312
 .424-370-354-352-350

إيناون (الوادي أو بحالة): ج 2 / 159.
 الأبراج (مرسى بالريف): ج 1 / 305.
 البحر الأبيض المتوسط: ج 1 / 147-64-57-22 ج 2 / 98.
 البرتغال، أو البرتغاليون: ج 1 / 261 ج 2 / 279.
 باب أبي الجنود أو الجلود (بفاس): ج 1 / 386.
 باب أحمر (عمراكش): ج 1 / 385.
 باب الأروى (السعيد، بفاس): ج 1 / 181.
 باب البحر (بالصويرة): ج 1 / 307.
 باب البوجات (بفاس): ج 2 / 296.
 باب الحديد أو الحديد (بفاس): ج 1 / 386.

- باب الخميس (عمراكش): ج 1 / 406.
- باب الدبغ أو الدباغ (عمراكش): ج 2 / 49.
- باب دُكَّالة (عمراكش): ج 1 / 389.
- باب الريح (بتازة): ج 1 / 452.
- باب السبع (بفاس): ج 1 / 181.
- باب الشريعة (بفاس): ج 1 / 419.
- باب القبور (بتازة): ج 1 / 451.
- باب القزدير (ممكناس): ج 1 / 412.
- باب المحروق (بفاس): ج 1 / 386.
- باب المرسى (بأسفي): ج 2 / 115.
- بادس (مرسى بالريف): ج 1 / 305؛ ج 2 / 14-15-118-119-127.
- بُرج أْبْلَاطُ، أو بُرج المَسْتَارِي (بأسفي): ج 2 / 116.
- برج البارود (بطنجة): ج 2 / 103.
- برج الباز (بأصيلة): ج 2 / 104-114.
- برج باب البحر (بأصيلة): ج 2 / 114.
- برج الحומר (بأصيلة): ج 2 / 104.
- برج ختيرة (بالرباط): ج 2 / 105.
- باريز (Paris): ج 1 / 298-289-235-164-154-148-79-28-27؛ ج 2 / 287-
- 301-305-308-333-334-394-397-400.
- برج الدموع، أو برج القائد (بسلام): ج 2 / 104.
- برج الرباط، أو البرج الكبير: ج 1 / 105-408.
- برج الرملة (بأسفي): ج 2 / 115.

- برج الريشة (بطنجة): ج 2 / 103.
- برج السراط (بالرباط): ج 2 / 105.
- برج سيدي أحمد بن منصور (بأصيلة): ج 2 / 104-114.
- برج سيدي بونافع (بفاس): ج 2 / 390.
- برج سيدي علال العسري (بالعرائش): ج 2 / 104.
- برج سيدي فاتح (بفاس): ج 1 / 298.
- برج طاقة ابن الشرقي (بأصيلة): ج 2 / 114.
- برج طبانة (بطنجة): ج 2 / 103.
- برج العرائش (بالدار البيضاء): ج 1 / 39.
- برج العدة (بمكناس): ج 1 / 412.
- برج الغماري (بأصيلة): ج 2 / 104.
- برج القصبة (بطنجة): ج 2 / 103.
- البرج الكبير (بالصويرة): ج 1 / 307.
- برج الكبيبات (بالعرائش): ج 2 / 104.
- برج المجمع (بأصيلة): ج 2 / 104.
- برج المخاطف (بأصيلة): ج 2 / 104.
- برج المدافع (بفاس): ج 1 / 298.
- برج المرسى (بطنجة): ج 2 / 103.
- برج المهرارز (بأصيلة): ج 2 / 114.
- برج النعام (بطنجة): ج 2 / 103-114.
- البرج اليزيدي (بالدار البيضاء): ج 2 / 106.
- برلين (Berlin): ج 2 / 334-337-397.
- بروكسيل (Bruxelles): ج 2 / 397.
- بريمة (حي بمراكش): ج 1 / 385.

بريمن (Bremen): ج 2/ 408.
 بستان للأمينه (بفاس): ج 1/ 298.
 بلجيكا (Belgique): ج 2/ 337-383-386-390-391-424.
 بنغازي: ج 1/ 84.
 بوبريح (به ضريح الشيخ العربي الدرقاوي بقبيلة بني زروال: ج 1/ 85).
 بوخاريسست (Bucarest): ج 2/ 394.
 بوريقى (بجاجة): ج 1/ 144.
 بوغزوآن (بلاد بضاحية فاس): ج 1/ 418-419.
 بوگمّاس (بتراب بني مگيلد): ج 1/ 84.
 بومزون (بازغار): ج 1/ 144.
 بووئي (باينولتان): ج 2/ 259.

ت

تادلة (قبائلها أو مجالها): ج 1/ 37-38-85-97-108-146-195-196-225-257-
 271-308-408-432-436-444؛ ج 2/ 13-37-73-78-79-141-149-
 169-177-183-208-209-210-211-214-217-223-266.
 تارودانت أو رودانة: ج 1/ 51-141-174-184؛ ج 2/ 119-124-145-159.
 تازة (المدينة أو الإدالة بها): ج 1/ 79-82-85-97-105-107-184-224-252-253-
 278-279-332-439-441-451؛ ج 2/ 118-119-124-126-127-141-
 158-159-170-214-245-248-349-374.
 تاسمگگت (من بني مگيلد): ج 2/ 190.
 تاغزوت ("نزالة" بمجال أيت جلي): ج 2/ 146.
 تافيلالت (المنطقة أو الإدالة بها): ج 1/ 16-18-76-124-129-134-135-149-170-194-195-
 362؛ ج 2/ 16-18-76-124-129-134-135-149-170-194-195-
 217-234-269.

نَامِلَات (ناحية مراکش): ج 1/59؛ ج 2/218.

نَائُوت (ناحية مكناس): ج 1/412.

نَاوْرَة (ضاحية مكناس): ج 1/321.

نُبُودَة (بتراب بني سادن): ج 2/268.

نُبُوهُنَّيْت (ناحية مراکش): ج 1/415.

نُدْغَة: ج 2/48.

نُركيا، أو الإستانة، أو الباب العالي أو الأتراك، أو آل عثمان: ج 1/20-22-53-

73-74-75-76-77-78-80-84-88-231-235-259-283-324؛ ج 2/

271-286-290-293-296-297-327-421.

نُسْلُطَانَت (ناحية مراکش): ج 1/415.

نُشْرُشَاي (نزلة بمجال أيت حلي): ج 2/146.

نُطْوَان (المدينة، أو حَرْبُهَا، أو الإدالة بها): ج 1/27-46-53-71-75-83-84-85-

88-110-111-113-147-160-207-229-236-239-240-241-242-

266-270-284-294-297-300-303-324-331-340-342-352-354-

356-360-363-364-365-370؛ ج 2/16-64-92-102-107-108-

118-119-124-166-170-183-186-205-211-212-215-216-232-

245-273-274-279-280-286-288-289-291-293-306-330-340-

342-344-345-346-348-368-369-375-378-379-381-388-406-

407-410-423.

نِعْلَالِين (بُتراب أيت إزدگ): ج 2/76.

نَقَّيْت (بالريف): ج 1/305.

نَلْمَسَان: ج 1/47.

نَمَزُكَلَفْت (ساقية بناحية مراکش): ج 1/416.

نَمَصْلُوْحَت (ناحية مراکش): ج 1/195.

توات: ج 1/ 152-184؛ ج 2/ 16.
التويرسة (لعل هذا الموقع بتراب زمور أو بني أحسن): ج 2/ 275.
تيزنيت: ج 1/ 184-103؛ ج 2/ 119-124-133.
تيمبوكتو: ج 2/ 402.

ج

الجبهة (بالريف): ج 1/ 305.
الجديدة: ج 1/ 294-300-303-352-353؛ ج 2/ 36-76-95-106-383-387-393.
الجزائر، أو المدينة، أو المغرب الأوسط، أو القطر الجزائري، أو الجزائريون: ج 1/ 19-
47-53-57-66-68-78-85-148-261-289-299-380-441-470؛ ج 2/ 14-19-98-279-281-286-287-288-290-295-300-301-302-305-
309-378-387-399-402-405-410.
الجزيرة الخضراء (المدينة أو المؤتمر) (Algésiras): ج 1/ 94-275؛ ج 2/ 280.
جامع الربيع (الفناء بمراكش): ج 1/ 293.
جامع المنصور (بمراكش): ج 2/ 295.
جبل طارق: ج 1/ 64-70-234-356-357-430-432؛ ج 2/ 103-301-320-
331-332-342-378-383-392.
جنان الحلفاوي (ضاحية فاس): ج 1/ 386.
جنان العافية (بمراكش): ج 1/ 404.
جنان مولاي بنصر (بأزغار): ج 1/ 414.

ح

الحاج حسون: 1/ 305.
الحاجب (القرية أو قصبتها): ج 2/ 119-124-139-144-190.

الحج أو الحجاج، أو بيت الله الحرام، أو الديار المقدسة: ج 1 / 74-402-403.
 الحجرة الرصيفة: ج 1 / 149.
 الحجرة الشريفة: ج 1 / 121-149-414.
 الحرم الإدريسي (بفاس): ج 1 / 421.
 الحريشة (بلاد بضاحية فاس): ج 1 / 418.
 حمام العزبات (ناحية مكناس): ج 1 / 412.
 الحوز (المنطقة، أو أهلها وقبائلها): ج 1 / 144-145-151-155-176-177-193-
 217-218-223-271-272-332-408-413-415-422-463؛ ج 2 / 11-
 23-24-26-28-34-38-39-41-47-50-73-84-90-91-115-141-160-
 166-169-171-188-194-209-210-224-248-261-389.
 حيفا: ج 1 / 84.

خ

الخليل: ج 1 / 84.
 الخليلية (بالشام): ج 1 / 84.
 الخميسات (بُتراب زمور الشلح): ج 2 / 206-208.
 خميس الزمامرة (سوق بدكالة): ج 1 / 461.
 خميس ماسين (سوق لعله بتادلة): ج 2 / 218.

د

الدار البيضاء: ج 1 / 39-163-297-300-322-352-353-354-430-442-471-
 172؛ ج 2 / 78-106-109-113-149-175-186-318-330-383-392-
 393.
 الدار البيضاء (ناحية مكناس): ج 1 / 412.
 الدشرة (السراغنة): ج 2 / 218.

دار البديع، أو قصر (عراكش): ج 1 / 379.
دار الدبيغ (بفاس): ج 1 / 421.
دار الطمع (نزلة ببلاد أيت جُلِّي): ج 2 / 146.
دار العَطَّار (بسلام): ج 1 / 381.
دار عدیل (بفاس): ج 1 / 357-352-332؛ ج 2 / 357-359-376.
دار علال الشرقاوي: ج 1 / 452.
دار المخزن (عراكش): ج 2 / 45.
دار النَّيَّابَة (بطنجة): ج 1 / 84.
دار بن الشَّلَّيْح (عراكش): ج 1 / 389.
دار مولاي هشام (بأسفي): ج 1 / 379.
دبدو: ج 1 / 441-253.
درب الدقاق (عراكش): ج 1 / 389.
درب عبید الله (عراكش): ج 1 / 406.
دمنات: ج 1 / 433؛ ج 2 / 259-194-73.
الدَّنَائِد (Les Danaïdes): ج 1 / 267.
الدير، أو "الدِّيَّارَة (بالحوز): ج 1 / 415-217-203؛ ج 2 / 13-49-84-85-90-
188-176-141-131.

,

الرباط أو رباط الفتح: ج 1 / 24-26-48-95-134-135-147-150-155-161-
225-247-252-271-272-277-278-279-286-287-292 - 294 - 296
297-300-303-306-339-350-352-353-354-356 - 376 - 381 - 394
401-402-430-442-467-472؛ ج 2 / 64-65-83-99-105-108-110-
111-118-124-149-169-183-186-193-201-205 - 206 - 207 - 224

-317- 315- 314- 311-309-295-292-290-270-261-257-245-240

.392-383-355-345-335-330-325

الرباط (حي بأسفي): ج 2 / 75.

الرَّيَّة (موقع لعله ببلاد بني مطير): ج 2 / 190.

الريف (الأهالي أو المجال): ج 1 / 97-100-122-174-184-210-221-222-238-

-172-171-127-122-33-30-15-11-7 ج 2 / 447-442-300-290

.387-349-348-248-243-232-230-227-223-211-207-183

رأس العين (موقع بالسراغنة أو الرحامنة): ج 2 / 218.

رأس كبدانة: ج 1 / 300.

رَشِيد (معركة جرت بمصر): ج 2 / 279.

روسيا: ج 1 / 20-77-324؛ ج 2 / 297.

رومانيا (Roumanie): ج 2 / 394.

ز

الزاوية الإسحاقية (بتراب أيت عياش): ج 1 / 458.

الزاوية العباسية (الحي بمراكش): ج 1 / 406.

زاوية ابن احوّل: ج 2 / 84.

زاوية أبي الجعد: ج 1 / 37.

زاوية الشيخ: ج 2 / 124.

زاوية عبد الله بن ساسي أو الشراذي (بناحية مراكش) ج 1 / 46-279-280-416-

437؛ ج 2 / 218-205-166.

زاوية مُحمد صالح (بأسفي): ج 1 / 379.

الزبالة (حبس بفاس): ج 1 / 386.

زrehon: ج 1 / 338-142.

الزَّيْدَانِيَّة: ج 2 / 119-120-124-139-218.

زينات (بجباله): ج 1 / 92.

س

- الساهلة (حي بمراكش): ج 2 / 312.
- السربون (Sorbonne): ج 1 / 23.
- السُّلُوقِيَّة (بأسفي): ج 2 / 115.
- السَّقَّالَة "اليازيدية" (بالدار البيضاء): ج 1 / 39.
- السوهلة (ضاحية مراكش): ج 1 / 423.
- سايس (سهل): ج 2 / 204.
- سبته: ج 1 / 70-261-299؛ ج 2 / 14-118-119-209-280.
- سجلماسة: ج 1 / 282.
- سطات: ج 2 / 214.
- سقالة أو صقالة الزاوية (بأسفي): ج 2 / 115.
- سقالة بن عيشة (بالرباط): ج 2 / 105.
- سقالة دار المخزن (بأصيلة): ج 2 / 104.
- سلا: ج 1 / 27-51-135-247-251-252-261-294-297-350-352-353-354-
- 437-381؛ ج 2 / 99-101-104-108-110-111-118-124-149-183-186-
- 193-201-240-245-257-292-295-317-330-345-355-383-392.
- سلفات (الجبيل): ج 1 / 146.
- سلوان: ج 2 / 119-120-141.
- سهب الرمان (ناحية مكناس): ج 1 / 412.
- سهب العيا (نزالة ببلاد أيت حلي): ج 2 / 146.
- سوس: ج 1 / 37-38-95-97-102-103-152-174-190-191-192-193-194-199-
- 201-208-210-214-215-216-217-218-223-277-284-290-300-
- 362-408-409-468-473-457؛ ج 2 / 26-34-44-90-118-122-129-
- 141-142-145-157-168-169-176-183-211-217-223-261-348-
- 349-392.

- سوق الخميس (عراكش): ج 2 / 27.
 سوق السباط (عراكش): ج 2 / 27.
 سوق السبت (بتادلة): ج 2 / 218.
 سوق الجمعة سحيم (بدكالة): ج 1 / 461.
 سيدي إدريس (بالريف): ج 1 / 305.
 سيدي البشير (بالريف): ج 1 / 305.
 سيدي عمرو بن غفير (عراكش): ج 1 / 405.
 سيدي بوداود (بالريف): ج 1 / 305.
 سيدي بوزكري (ممكناش): ج 1 / 412.
 سيدي قاسم: ج 1 / 408-151.
 سيدي كدّار (بالغرب): ج 1 / 151.
 سيدي المختار (وَلِيّ بِلاد أبي السبع): ج 2 / 36.
 سيدي مسعود أحساس (بالريف): ج 1 / 305.
 السيفة (قصر بتافيلالت): ج 2 / 16.

ش

- الشام: ج 1 / 84-80-74.
 الشرق الأقصى: ج 1 / 64.
 الشرق الأوسط أو المشرق العربي: ج 1 / 351-340-235-80-75-74-73-64-329؛ ج 2 / 290-288.
 شاتهام Chatham (بأنجلترا): ج 2 / 331.
 الشاون، أو شفشاون: ج 1 / 85-83-38.
 شايف النعام ("نزالة" بمجال أيت حَلِّي): ج 2 / 146.
 شيكاغو: ج 1 / 20.

ص

- الصحراء: ج 1 / 57-58-149-259.
الصحراء (الكبرى): ج 2 / 302.
الصحراء المغربية: ج 2 / 16.
صخرة الدجاجة (بتادلة): ج 1 / 271.
صفرو: ج 1 / 332-364-35-382؛ ج 2 / 119.
صَوَاغَة (ناحية فاس): ج 1 / 421.
الصويرة: ج 1 / 28-48-67-95-135-147-151-175-192-193-194-207-294-
297-300-302-307-331-352-353-354-361-430-472؛ ج 2 / 9-64-
95-99-108-118-124-149-168-204-207-285-295-330-383.
الصين: ج 1 / 20.

ض

- الضريح الحَسَّاني (بالريف): ج 2 / 231.
ضريح ابن عاشر (بسلام): ج 2 / 105.
ضريح ابن الْمُجَرَّاد (بسلام): ج 2 / 105.

ط

- الأطلس الكبير: ج 1 / 146-177-178-186-187؛ ج 2 / 12-84-135-139-183-
194.
الأطلس المتوسط: ج 1 / 38-97-146-214-215-402-447؛ ج 2 / 90-122-
131-139-141-176-178-183-223-400.
الطويحنة (ببلاد الرحامنة): ج 2 / 63.
طرابلس الشام: ج 1 / 84.

- طرابلس الغرب: ج 1 / 80-84.
- طريفة أو طريف (المدينة أو وقعة Rio de Salado): ج 2 / 280-404.
- طريق ابن الفاسي (بتراب بني مطير أو بني مكيلد): ج 2 / 193.
- طنجة: ج 1 / 40-51-52-67-68-77-83-84-90-96-108-110-112-120-122-135-146-147-160-180-235-236-238-256-261-284-292-297-298-300-307-308-326-352-364-388-399-401-407-408-430-434-453-459-460-471؛ ج 2 / 65-95-99-100-103-108-117-118-124-167-170-192-205-207-215-216-232-245-249-254-256-270-285-290-291-300-303-307-309-311-312-313-315-317-318-320-330-331-334-335-343-344-345-347-352-378-390-392-393-395-407.
- طورينو Torino: ج 2 / 350-354.
- طيّط نعلّي (بيلاد أيت إزدگ): ج 2 / 76.

ع

- العرائش: ج 1 / 48-51-66-109-120-122-146-147-150-151-160-162-174-236-238-239-256-284-297-300-340-352-354-358-360-388-399-434؛ ج 2 / 65-99-100-104-108-109-114-115-118-124-159-166-167-183-186-205-206-270-285-291-292-330-340-342-343-344-345-347-374-377-378-383-393-394-406-410.
- العرقوب (بالرحامنة): ج 2 / 27.
- العلّو (بالرباط): ج 1 / 296.
- العويلجة (ناحية مكناس): ج 1 / 412.
- العين الباردة (بأزغار): ج 1 / 414.
- العين الزرقاء: ج 2 / 218.

- عرصة الهناء (بفاس): ج 1 / 386.
 "عرصة بوجلود": ج 2 / 296.
 عقبة الجمل (ناحية فاس): ج 1 / 79.
 عين تَشْرُصْتُ (ببلاد بني مطير أو بني مكيلد): ج 2 / 193.
 عين دادة (حوز مراکش أو الدير): ج 1 / 415.
 عين الزمَّيت (ببلاد زعير): ج 2 / 210.
 عين زورة (بالمطالسة): ج 2 / 247.
 عين الشقف (ضاحية فاس): ج 1 / 419-420.
 عين الشيخ (بأزغار): ج 1 / 414.

غ

- الغرب: ج 1 / 121-122-123-143-146-207-213-214-217-218-223-224-322-408؛ ج 2 / 26-90-141-170-171-176-177-183-209-210-224-261-387-389.
 غزوان (ناحية فاس): ج 1 / 151.

ف

- الفحص: ج 1 / 108-110-146-408؛ ج 2 / 232-249-256.
 فاس: ج 1 / 7-15-18-26-32-34-38-47-64-65-76-77-95-96-97-104-124-125-135-137-149-157-158-159-169-172-183-184-185-186-199-204-205-206-215-216-227-245-258-259-265-269-291-295-300-303-307-311-312-314-315-317-322-323-330-338-348-346-349-351-353-356-358-359-362-368-370-376-383-385-387-390-392-402-403-414-417-424؛ ج 2 / 26-40-43-44-45-48-51-52-56-79-80-82-85-86-88-99-104-134-135-142-149.

-233-225-208-207-183-182-175-174-173-161-157-151-150
 -280-279-278-277-265-261-259-256-252-247 -245 -243 -235
 -350-345-338-332-330-313-309-298-294-291 -284 -283 -282
 -407-392-391-388-386-385-384-383-376-364 -356 -354 -352
 -443-441-440-437-428-421-420-419-418-417 -415 -411 -408
 .459-457-454

فانسن (Vincennes): ج 1 / 161-164-276-293؛ ج 2 / 312.
 فضالة: ج 1 / 325.
 فگیگ: ج 1 / 107-184-300؛ ج 2 / 16-119-124.
 فندق أْخْدُ التَطْوَانِي (بأسفي): ج 1 / 379.
 فندق النجارين (بفاس): ج 1 / 338.
 فندق الوقيد (بفاس): ج 1 / 85.
 فرنسا، أو الفرنسيون: ج 1 / 47-52-55-57-65-71-77-78-83-88-231-
 -297-289-288-281-153-102-100-16-11 ج 2 / 428-260-236
 -351 -350-337-336-333-332-320-319-318-308-305-302-298
 .424-423-422-402-399-392-390-387-383-378

ق

الأقطار العربية الإسلامية، أو العالم العربي، أو الدول الإسلامية: ج 1 / 22-23-41-
 73-77-94؛ ج 2 / 296-297-327-421.
 القروين (العدوة): ج 1 / 386.
 "قشلة" جباله (بفاس): ج 1 / 386.
 "قشلة" الحاج "مَنْ" (بفاس): ج 1 / 385.
 القصايي أو قصايي الشرفاء (بتراب أيت إزدگ): ج 1 / 278؛ ج 2 / 76-119-120-
 122-124-125-126-134-135-136-137-141-238.

- القصر الكبير: ج 1 / 38-112-174-239-256-384-408؛ ج 2 / 65-186.
 قصبة اشراغة أو الخميس (بفاس): ج 1 / 386.
 قصبة أطاط: ج 2 / 76-119-124-139-141.
 قصبة إغرم الأعلام: ج 2 / 119-120-124-139-140.
 قصبة أگلميم: ج 2 / 119-125-133.
 قصبة أگوراي (بتراب بني مطير): ج 2 / 119-139.
 قصبة الأوداية (بالرباط): ج 1 / 401.
 قصبة أمريرت: ج 2 / 119.
 قصبة أمسون: ج 2 / 119-124.
 قصبة إنگزمير: ج 2 / 139.
 قصبة أولماس: ج 2 / 119.
 قصبة ألميس: ج 2 / 119.
 قصبة أيت الربع: ج 1 / 280؛ ج 2 / 119-120-122-124-129-132-133-139-142-195.
 قصبة أيت باعمران: ج 1 / 278.
 قصبة بني ملال: ج 2 / 119-120-124.
 قصبة بوزنيقة: ج 1 / 286؛ ج 2 / 224.
 قصبة تادلة: ج 2 / 124-139.
 قصبة تاويريرت: ج 2 / 119-124.
 قصبة تسرافت: ج 2 / 124-139.
 قصبة تلوات: ج 2 / 123.
 قصبة ثمارة: ج 2 / 118-119.
 قصبة تيجينة أو تاجنة: ج 2 / 119.
 قصبة جنادة: ج 1 / 107-119-120-122-141.
 قصبة خنيفرة: ج 2 / 119.

- القصبة الرشيدية (بالرباط): ج 1 / 296.
- قصبة الريصاني: ج 2 / 119.
- قصبة الزباله (بفاس): ج 1 / 386.
- قصبة زيان: ج 2 / 124.
- قصبة سعيدة أو عجرود: ج 1 / 278؛ ج 2 / 107-119-122-124-137-229.
- قصبة سلوان: ج 1 / 440.
- قصبة سيدي إفني: ج 2 / 119.
- قصبة الشراردة (بفاس): ج 1 / 385-386.
- قصبة شراعة: ج 2 / 119.
- قصبة صخيرات القرنفل: ج 2 / 118-119-245.
- قصبة طرفاية: ج 2 / 119.
- قصبة طنجة: ج 1 / 388.
- قصبة عين بني مطهر: ج 2 / 119.
- قصبة عين اللوح: ج 2 / 119-124-139.
- قصبة عيون سيدي ملوك: ج 1 / 174-178-278-365-366-441؛ ج 2 / 38-118-309-246-141-124-121-120-119.
- قصبة المعاريف (بتراب قبيلة المزاب): ج 2 / 224.
- قصبة المنشية بمراكش: ج 1 / 385-413؛ ج 2 / 12-38-52-86-217.
- قصبة المهدية: ج 2 / 101.
- قصبة وادي نون أو نول: ج 2 / 119-125.
- قصبة الوصفان أو الأنوار (بفاس): ج 1 / 386.
- قصر السوق: ج 2 / 76.
- قصور شَبْرَا (بمصر): ج 1 / 234.
- القلعة (بالريف): ج 1 / 305.
- القلعة (بالسراغنة): ج 2 / 214-218.

- الْقَلِيعَة (بيلاد الزراهنة): ج 2 / 265.
 القنطرة (بيلاد السراغنة): ج 2 / 218.
 القنيطرة (علي أوعدي): ج 1 / 279؛ ج 2 / 119.
 قنطرة تانسيفت أو تنسفت: ج 2 / 57.
 القيروان (موقعة): ج 2 / 404.
 القيهرة (بدير مراکش): ج 2 / 44.

ك

- الكريفات (دوار بقبيلة بني عمير): ج 1 / 257.
 كدية المنشر (بالصويرة): ج 1 / 307.
 كركور: ج 2 / 66.
 كلوستهال (Klausthal) (بألمانيا): ج 2 / 334.
 الغارة: ج 2 / 224.
 الكعدة (ناحية مكناس): ج 1 / 412.
 كرسيف: ج 1 / 451.
 كيسر (بالشاوية): ج 1 / 442؛ ج 2 / 64.
 كيكو (بيلاد بني مكيلد): ج 2 / 190.

ل

- لاگش (بالريف): ج 1 / 305.
 لندن (London): ج 2 / 397-301.
 ليبيا: ج 1 / 87-84.
 ليج (Liège): ج 2 / 391.
 ليفربول (Liverpool): ج 2 / 408.

ألمانيا أو الألمانيون: ج 1 / 88؛ ج 2 / 105-290-334-336-337-390-394-403-408-411-424.

المَسْرَّة (بلاد بضاحية فاس): ج 1 / 419.

المشور (بفاس): ج 1 / 298.

المطافي (ناحية فاس): ج 1 / 79-82.

المغرب، أو الدولة المغربية، أو المغاربة: ج 1 / 19-20-22-23-26-28-29-35-36-

40-41-42-43-50-51-52-53-57-58-59-60-61-62-63-65-67-68-

69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-83-85-87-88-89-90-

91-94-96-117-125-129-132-134-135-143-148-149-160-164-

165-166-188-224-225-229-230--231-233-234-235-238-241-

242-250-260-262-263-265-266-267-268-269-275-281-287-

290-292-293-298-299-300-302-303-308-309-320-324-333-

337-339-340-341-345-348-349-353-367-368-369-378-382-

408-409-428-429-430-432-441-453-458-467؛ ج 2 / 7-14-18-

24-48-65-77-80-98-106-107-116-143-151-152-153-165-170-

180-197-203-215-217-257-263-273-275-276-277-278-279-

280-281-282-283-284-285-286-287-289-290-294-296-297-

298-300-302-303-305-306-308-309-312-314-315-317-319-

320-321-322-323-324-327-331-332-334-335-336-337-340-

346-348-349-352-373-374-378-380-381-383-385-387-388-

392-394-395-396-397-398-399-400-402-403-404-405-408-

409-411-412-414-415-417-418-420-422-423-424.

المغرب الأدنى، أو إفريقية، أو تونس، أو التونسيون: ج 1 / 57-85-236؛ ج 2 / 287-

288-295-404-405.

- المغرب الشرقي: ج 2 / 38-97-107-122-183-281-470.
- الملاح (بفاس): ج 1 / 386.
- المنصورية: ج 1 / 325.
- المهدومة (بتراب بني مطير أو بني مغيلد): ج 1 / 448.
- المهدية: ج 2 / 201.
- المواسين (حي بمراكش): ج 1 / 406.
- ماسة (بسوس): ج 2 / 143.
- مالطا: ج 1 / 340.
- مدريد (المدينة أو المؤتمر): ج 1 / 90؛ ج 2 / 280.
- مراكش: ج 1 / 26-40-45-48-49-51-59-75-111-134-135-144-145-146-147-150-151-152-155-156-163-174-176-178-182-183-192-206-210-217-218-225-233-235-247-252-254-258-259-261-265-271-272-277-278-279-280-281-289-291-294-297-325-330-333-350-352-354-356-362-364-365-383-384-389-391-391-404-405-406-408-413-415-416-417-422-423-431-440-441-442-463-467-468؛ ج 2 / 7-9-11-12-23-24-26-27-28-29-34-36-37-38-39-40-43-44-45-47-48-49-50-53-54-55-57-59-61-66-71-76-77-80-86-95-96-97-110-124-142-160-164-168-169-183-184-186-194-203-204-205-206-208-209-210-214-215-217-224-240-245-248-257-258-268-278-294-295-299-303-311-315-330-338-339-340-348-356-361-362-368-369-376-377-385-387-392-417-424.
- مرتيل: ج 2 / 107.
- مرسليا (Marseille): ج 1 / 85؛ ج 2 / 392-399.
- مسجد الكتبيين (عمراكش): ج 2 / 299.

- مشرع أبو العوان (بين تراثي الرحامنة ودكالة): ج 2 / 202.
- مشرع الرملة (بتراب بني أحسن): ج 1 / 121؛ ج 2 / 240.
- مشرع الشعير: ج 2 / 66.
- مصباح (سجن بمراكش): ج 1 / 252؛ ج 2 / 64.
- مصر، أو بلاد الكنانة، أو المصريون: ج 1 / 20-22-64-65-74-75-76-231-234-241-328-327-294-293-286-279؛ ج 2 / 429-264-243-236-235.
- مُعسكر (بالجزائر): ج 2 / 402.
- مغنية (للا): ج 1 / 428-68.
- مكة: ج 1 / 340.
- مكناس: ج 1 / 21-26-40-44-49-51-122-123-132-134-137-138-139-141-146-147-151-161-182-183-207-251-261-265-277-279-291-294-316-321-338-352-356-360-365-371-382-384-391-412-415-441-467؛ ج 2 / 38-47-64-65-94-95-97-144-149-158-167-169-183-186-193-203-204-205-206-207-208-209-210-214-215-216-224-240-245-257-268-303-311-313-315-330-338-342-346-348-417-406-387-368-359-356-355.
- مَكُون: ج 2 / 224.
- مليلة أو مليلية: ج 1 / 174-261-299-305؛ ج 2 / 14-107-280.
- مونبولي (Montpellier): ج 2 / 333-334.

ن

- الأندلس: ج 1 / 57؛ ج 2 / 404.
- النخالين (بفاس): ج 1 / 85.
- النكور (بالريف): ج 1 / 305؛ ج 2 / 118-119-127.
- النوالة (نزالة بتراب أية حلي): ج 2 / 146.
- نابولي (Napoli): ج 1 / 84-85-87.

الهبط: ج 1 / 300-408؛ ج 2 / 100-114-232-256.
الهند، أو القارة الهندية: ج 1 / 64؛ ج 2 / 298.

و

الولايات المتحدة الأمريكية: ج 2 / 338-391-424.
وادي الأخضر (ناحية تازة): ج 1 / 451.
وادي أبي رقرق: ج 2 / 200-201-240.
وادي أفلّ (بتافيلالت): ج 2 / 16.
وادي أم الربيع: ج 1 / 467؛ ج 2 / 66-70-200.
وادي بهت: ج 2 / 313.
وادي بولجراف (ناحية تازة): ج 1 / 451.
وادي تانسيفت: ج 2 / 202.
وادي تساوت: ج 2 / 200.
وادي الجمعة: ج 1 / 79.
وادي درعة، أو مَحّاله: ج 2 / 18-32-33-34-48.
وادي الرضم أو الردم: ج 1 / 151.
وادي زيز: ج 2 / 135.
وادي سبو، (أو القنطرة أو الحوض، أو السهل): ج 1 / 79-146-149-200.
وادي العبيد: ج 2 / 200.
وادي غيغاية: ج 2 / 12.
وادي كُرات (بالريف): ج 1 / 305.
وادي لَخْرَاص (بجبال جَمْئير): ج 2 / 84.
وادي اللوكوس: ج 1 / 66؛ ج 2 / 100.
وادي المخازن (النهر أو المعركة): ج 1 / 62؛ ج 2 / 279-283-286.

وادي المرابطين (بالريف): ج 1 / 305.
 وادي مَكْس (بأزغار): ج 1 / 433-175.
 وادي ملوية: ج 1 / 451-249-238؛ ج 2 / 135.
 وادي النجا (بناحية فاس): ج 1 / 397.
 وادي نفيس: ج 1 / 147.
 وادي نون أو نول: ج 2 / 170.
 وجدة: ج 1 / 380-365-362-332-300-278-184-178-107-105-85-67
 -137-124-121-119-118-15 / ج 2 / 470-454-453-441-440-434-428
 -305-303-280 -276-252-245-229-223-217-215-207-172-171
 387-334-330-318-309-308-307.
 وزان: ج 1 / 384-38؛ ج 2 / 205-11.
 وهران: ج 1 / 305-85-47؛ ج 2 / 14.

ي

اليبان: ج 1 / 20؛ ج 2 / 338.
 اليمن: ج 1 / 84.
 يعقوب (مولاي، الحامة): ج 1 / 151.

فهرس الخرائط والرسوم والجداول والصور

1 - فهرس الخرائط والرسوم

- الجزء الأول

الرقم	العنوان	الصفحة
1	رسم مختصر لمدينة فاس وناحيها (رقم 1).....	81
1	توطين المجموعات القبلية في بلاد زعير.....	101
2	مسلك من طنجة إلى فاس.....	115
3	موقع مشرع الرملة.....	127
4	مسلك مختصر من زكوة إلى الرباط.....	171
5	مسلك من دار ولد زيدوح إلى سطات.....	211
6	مسلك من مراكش إلى الرباط.....	227
7	مسلك من الجديدة إلى مراكش، ومن الصويرة إلى مراكش.....	311
8	أنواع الخيام المستعملة في الجيش (رسوم رقم 2، 3، 4 و5).....	373
8	مسلك من الصويرة إلى أمزميز ومن أمزميز إلى مراكش.....	449

- الجزء الثاني

الرقم	العنوان	الصفحة
9	تموقع قوات بوحمارة والجيش المخزنية في ميادين القتال بمنطقة بني زروال بجبال.....	21
10	مسلك من مراكش إلى الرباط.....	41
11	مسلك من الرباط إلى بلاد أولاد ميمون بقبيلة زعير.....	67

مُعسكر السلطان المولى عبد العزيز بصخرة الدجاجة أثناء حملته التأديبية ضدَّ مُتمردي قبيلة الأعشاش بالشاوية.....	12
81.....	
كيفية نصب أ فراگ (رسم رقم 6).....	155
الطريق الذي سلكه السلطان المولى الحسن أثناء حركته في الأطلس المتوسط، لتأديب قبيلة بني مكيلد.....	13
173.....	
رسم بياني لترتيب سير المحلة السلطانية (رقم 7).....	198
معسكر السلطان أثناء الحركة (رسم رقم 8).....	221
مسلك من مراكش إلى تارودانت والعودة إلى المدينة الأولى عن طريق أكادير والصويرة.....	14
225.....	
مسلكان من قصبة ابن أحمد إلى سطات.....	15
235.....	
رسم بياني لمعمل صنع البارود بمراكش (رقم 9).....	363
رسم بياني لإحدى الوقائع الحربية بين مُقاتلي المخزن وأتباع الروگي بوحمارة سنة 1905 (رقم 10).....	171

2 - فهرس الجداول

- الجزء الأول

الرقم	العنوان	الصفحة
1	أعداد فريق البخاري في الفترة ما بين 1872 و 1893.....132-133	
2	أعداد فريق البخاري في 7 ذي الحجة 1293 / 24 دجنبر 1876.....133	
3	أعداد فريق البخاري في شهر يناير 1899.....134	
4	أسماء ومهام مشاهير قواد عبيد البخاري.....139	
5	أعداد فرق الكيش في الفترة ما بين 1810 و 1876.....155	
6	أعداد فريق : " الكيش الفاسي " في الفترة ما بين 1865 و 1888.....158	
7	نصاب فرق تنظيم كيش الشراردة بأزغار من الكلف والفروض المخزنية.....159	
8	رواتب قواد وأنفار بعض فرق الكيش في الفترة ما بين 1783 و 1902، استناداً إلى وثائق مخزنية.....161	
9	رواتب قواد وأنفار بعض فرق الكيش في الفترة ما بين 1800 و 1902، استناداً إلى وثائق فانسن بياريز.....164	
10	أهم قواد كيش اشراكة وأولاد جامع.....173	
11	أهم قواد كيش الأوداية.....175	
12	أهم قواد كيش الشراردة بأزغار.....177	
13	أهم قواد كيش أهل سوس بقصبة المنشية بمراكش.....178	
14	أهم قواد كيش المناهة بقصبة المنشية بمراكش.....179	
15	نماذج من أئمة أنواع مختلفة من المواد، والأنعام، والبهائم.....207	
16	رواتب العمال والقواد والحاركين المشاركين في الحملة المخزنية.....210	
17	إسهام مجموعة من القبائل في تجهيز الحركة.....220	
18	نتيجة ثلاثة استعراضات لفرقة عسكرية ورواتب أفرادها.....245	
19	شكاوى أهالي المهندسين كرهاً.....251	

أعداد فرق الكيش والعسكر على المستوى الوطني.....271	20
أعداد تنظيمات الكيش والعسكر في 24 أبريل 1875.....276	21
تكوين الجيش المغربي في يناير 1899.....278	22
المخزون من أنواع البنادق في مستودعات مختلفة في شهر يراير 1892...291	23
تقدير ما بحوزة المخزن من البنادق والمدافع سنة 1892، حسب النقيب طوماس.....292	24
المخزون من البارود في المراسي المغربية الكبرى في سنة 1870.....297	25
الصائر اليومي عن الحركة السلطانية (1860 و 1861).....333	26
مشتريات المخزن من "الشاشيات" في سنة 1872.....351	27
مقادير الكسوة العسكرية المصنوعة في عدد من المدن الكبرى في تواريخ مختلفة من القرن التاسع عشر.....354	28
أنواع الأحذية المستعملة في الجيش.....371	29

– الجزء الثاني

الرقم	العنوان	الصفحة
30	أعداد قوات المخزن المحاربة لمتبردي الرحامنة.....52	
31	تطور النفقات العامة على الجيش، وحراك القبائل بمدينة مراكش، خلال انتفاض الرحامنة (1894-1896).....55	
32	أبراج وتحصينات مراسي الواجهة الأطلسية.....103	
33	مراكز الحراسة والمراقبة المنتشرة في جهات مختلفة من البلاد.....129	
34	ترتيب "انزالات" في بلاد أيت حلى (من قبيلة أيت يوسي).....146	
35	عرض أئمة أحلاس ينوي المخزن شرائها.....185	
36	أنواع المعدات واللوازم التي كانت تساهم بها مجموعة من قبائل الأطلس المتوسط في تجهيز الحركة.....188	
37	أنواع المعدات واللوازم التي كانت تساهم بها قبائل الدير في تجهيز الحركة..189	

204.....	حركات المولى عبد الرحمن بن هشام	38
209.....	حركات سيدي محمد بن عبد الرحمن	39
	صائر يوم من أيام حركة السلطان مولاي الحسن إلى مراسي شمال المغرب	40
216.....	سنة 1889.....	
239..	عدد جند إدالة القصايي ومثوتهم اليومية، في شهر مارس من سنة 1878	41
245.....	المفونة المفروضة على قبائل أعراب الرباط في شهر مايو 1879	42
357.....	مقادير المواد الضرورية لصنع قنطار من البارود، وأجر صانعيه	43
366.....	ما يصنع من البنادق في معمل فاس في الشهر وفي أقل منه	44
386.....	أنواع وأعداد البنادق لدى المخزن في شهر يناير من سنة 1894	45
	المشتريات من العتاد الحربي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والعشر	46
390.....	سنوات الأولى من القرن العشرين	

3 - فهرس الصور

- الجزء الأول

الرقم	العنوان	الصفحة
1	الروكي بوحمارة في مشور فاس، داخل قفص نصبت عليه خيمة مقلوبة، وهي التي كان يستقبل فيها زواره.....56	
2	النائب السلطاني محمد بن العربي الطريس إلى يمين الصورة وبعض ممثلي المخزن في رفقة السفير الفرنسي سان - روني طاياندي (St-René Taillandier)، عند توجهه إلى فاس.....86	
3	قصبة زينات.....93-92	
4	قائد من قواد جيش البخاري.....136	
5	وزير الحرب السابق المهدي بن العربي المنبهي يلعب كرة المضرب بإحدى ساحات بيته بطنجة، مرتدياً الزي المغربي التقليدي.....180	
6	أفراد فرقة عسكرية في ميدان الاستعراض.....237	
7	مدافع رشاشة من نوع هوتشكيس.....288	

- الجزء الثاني

الرقم	العنوان	الصفحة
8	بعض أتباع الثائر الروكي بوحمارة في طريقهم إلى ميادين القتال.....10	
9	الروكي بوحمارة في قفصه، بعد الظفر به بقبيلة بني زروال بجباله.....25	
10	قصبة تلوات، مقر سكنى وحكم آل الكلاوي.....123	
11	السلطان مولاي الحسن في موكب رسمي، بعد أن أدى صلاة الجمعة بالمسجد الأعظم بمدينة طنجة سنة 1889.....192	

12	الطبيب الفرنسي موشان (Dr Mauchamp)، ماراً أمام مدخل مسجد الكتبيين
299	بمراكش.....
13	عامل وجدة القائد بن كروم إلى اليمين، في حديث مع قائد قبيل أنجاد
304	سنة 1907.....
14	سفينة الأمبراطور غليوم الثاني تصل إلى مرسى طنجة في 31 مارس 1905.....
382	محمل للأشخاص والأمتعة على ظهر بغلتين.....
15	السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى يسار الصورة، مسبقاً بجيول لا يمتطيها
16	أحد، وتدعى جيول "الغادة".....
401

مختلفات

- أرْلَانْدُو فِرْتَلِّي دِي لِيْفُورْنَة (Orlando Fratelli di Livourna)، أورايش لصناعة السفن): ج 2 / 409
- "البشير" (سفينة): ج 2 / 409-410
- التركي (سفينة): ج 2 / 408
- التركبي (سفينة): ج 2 / 408
- الحسني (سفينة): ج 2 / 408-410
- كَلُوب فَنَنْتُورْ سَنْدِيكات (Globe Venture Sundycat شركة إنجليزية): ج 1 / 300
- نُورْث ويست أفْرِيكَا (Norrth West Africa، شركة إنجليزية): ج 1 / 300
- وُورْمَان (Woermann، شركة ألمانية): ج 2 / 408

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

- الجزء الأول

7.....	شكر وتقدير
9.....	تنبيه
11.....	قائمة الرموز المستعملة في البحث
17.....	لوحة رموز الخرائط، والتصاميم والجداول
19.....	المقدمة

الباب الأول:

33.....	الجيش، المؤسسة والتنظيم
---------	-------------------------

الفصل الأول: السياق الداخلي والخارجي

35.....	(1) الجيش جهاز من أجهزة الدولة
---------	--------------------------------

57.....	(2) السياق الخارجي والمغرب
---------	----------------------------

95.....	(3) الحاجة إلى الجيش
---------	----------------------

الفصل الثاني: تركيب الجيش وتنظيمه

117.....	تقديم
----------	-------

118.....	(1) أهم فرق الجيش
----------	-------------------

118.....	1-1 عبيد البخاري
----------	------------------

143.....	2-1 قبائل الكيش
----------	-----------------

187.....	3-1 حراك القبائل ومقاييس فرض عددهم
----------	------------------------------------

229.....	4-1 جيش "النظام" ومسألة التجنيد والتعيين
----------	--

258.....	5-1 العلوج
----------	------------

268.....	(2) الأعداد والعدة والذخيرة
268.....	1-2 الأعداد.....
281.....	2-2 أنواع السلاح بيد الجند، ونماذج من خزائن البارود والذخيرة.....
299.....	3-2 اختلاس السلاح وتفريه.....
313.....	الفصل الثالث: التسيير والتأطير.....
313.....	(1) الأطر والتراتب العسكري.....
328.....	(2) الرواتب والألبسة والسكن.....
328.....	1-2 الرواتب.....
339.....	2-2 الألبسة.....
366.....	3-2 السكن.....
395.....	(3) الامتيازات والإعفاءات.....
395.....	1-3 الإقطاعات والإنعامات.....
427.....	2-3 الاعتناء بأفراد الكيش والعسكر وبنويعهم.....
438.....	(4) التأديب والعقوبات.....
438.....	1-4 المعاناة.....
453.....	2-4 سلوك رجال الكيش والعسكر.....
462.....	3-4 ظاهرة المهروب من الخدمة العسكرية ومن الحركة.....

– الجزء الثاني

الباب الثاني:

5..... وظائف الجيش ومنجزاته.....

7..... الفصل الرابع: الأعمال والخدمات.....

7	(1) الجيش أداة لاستتباب الأمن الداخلي.....
7	1-1 ظاهرة الانتفاضات والتمردات في القرن التاسع عشر وموقف المخزن منها.....
23	2-1 انتفاض قبيلة الرحامنة نموذجاً (1894-1896).....
85	(2) التسخير واستعمالات أخرى.....
98	(3) الدفاع عن حوزة الوطن.....
98	1-3 الأبراج والتحصينات.....
116	2-3 القصبات و"الإدالات" و"الترالات".....
151	الفصل الخامس: الحركة وضوابطها.....
151	(1) الحركة في الزمان والمكان.....
151	1-1 دلالاتها.....
157	2-1 وظيفتها.....
161	3-1 فصولها.....
165	(2) الاستعدادات الأولية.....
165	1-2 استنفار الجند وحراك القبائل.....
179	2-2 لوازم الحركة والحراك واختبار المسالك واستصلاح بعضها.....
203	(3) الحركة والقبائل.....
203	1-3 نماذج من حركات القرن التاسع عشر.....
	1-1-3 حركات السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام وابنه وخلفه سيدي محمد.....
203	2-1-3 حركات السلطان مولاي الحسن.....
237	2-3 عبء الحركة على القبائل.....
237	1-2-3 فريضة التموين.....
256	2-2-3 فريضة حمل أثقال المخزن.....
263	3-2-3 الامتناع عن المشاركة في الحركة.....

الباب الثالث:

- 271..... محاولات تحديث الجيش، الوسائل والنتائج
- 273..... الفصل السادس: الحاجة إلى التحديث، العون الأجنبي ومشاكله
- 273..... (1) انكشاف واقع الجيش المغربي بعد هزيمتي إيسلي وتطوان
- 290..... (2) أي مثال يُقتدى به، الشرق أم الغرب؟
- 301..... (3) البعثات العسكرية الأوربية وخلفياتها
- 301..... 1-3 البعثة العسكرية الفرنسية
- 319..... 2-3 المساعدة الإنجليزية
- 327..... الفصل السابع: مجهودات الدولة
- 327..... (1) الإرساليات الطلابية إلى الخارج
- 341..... (2) نماذج من مراكز صُنع العدة والذخيرة بالمغرب
- 341..... 1-2 تطوان والعرائش
- 348..... 2-2 فاس ومعاملها لصُنع البنادق، والبارود، والقرطوس
- 373..... (3) احتكار المخزن للصناعة الحربية واعتناؤه بالمهرة من صناع الأسلحة والبحث عنهم
- 377..... (4) استيراد السلاح والذخيرة، ومحاولة إحياء الأسطول الحربي المغربي
- 412..... الخاتمة
- 425..... ملحق
- 453..... البيليوغرافيا
- 485..... الفهارس
- 487..... فهرس الأعلام
- 529..... فهرس القبائل والجماعات والأسر

545.....	فهرس الأماكن.....
571.....	فهرس الخرائط والرسوم والجداول والصور.....
577.....	فهرس الصور.....
579.....	مختلفات.....
583.....	فهرس المحتويات.....

